

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



إِنَّمَا أُخْرِجْتُمْ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَمٍ حَادٍ

# الِإِصْلَاحِ الْحُسَيْنِيِّ

مَجَلَّةٌ فِصْلِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ تُعْنَى بِالتَّهَضُّبِ وَالْحِكْمِيَّةِ وَأَفَاقِهَا الْفِكْرِيَّةُ

تَصَدَّرَ عَنْ

مَوْجِسْتِ وَأَرْشَادِ الْإِنْبَاءِ الَّذِينَ تَبَيَّنَ الْإِصْلَاحُ فِي تَهَضُّبِ الْحُسَيْنِيِّ

فِي الشُّرُوفِ وَالْفِكَرِ وَالنَّقَائِدِ / الْعِنَبِ الْحُسَيْنِيِّ الْقَائِمِ

العدد السابع والعشرون

السنة السابعة (١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م)



# الإصلاح الحسني

مجلة فضلية علمية تعنى بالنهضة الحسينية وافتها الفكرية



الهيئة الاستشارية

آية الله السيد عادل العلوي  
آية الله السيد منير الخباز  
العلامة الدكتور الشيخ محمد باقر المقلسي

آية الله الشيخ محمد السند  
آية الله الشيخ محمد جواد فاضل النكراني  
آية الله السيد رياض الحكيم

العلامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي



# الإصلاح الحسيني

## \* الإشراف العام:

سماحة العلامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

## \* التنسيق العام:

السيد صالح التنكابي

السيد مالك البطاط

د. علي البسديري

زيد فرج الله الأسدي

د. مريم هادي الياسري

## \* إدارة المؤسسة:

الشيخ باقر الساعدي (النجف الأشرف)

الشيخ رافد التميمي (قم المقدسة)

## \* معاونة المؤسسة:

الشيخ عباس الحمداوي (النجف الأشرف)

الشيخ حيدر الأسدي (قم المقدسة)

## \* رئيس التحرير:

الشيخ صباح عباس الساعدي

## \* مدير التحرير:

الشيخ عدنان الطائي

## \* هيئة التحرير:

الشيخ ثناء الدين الدهلكي

د. الشيخ ميثم الربيعي

د. الشيخ أسعد السلطان

د. الشيخ رغدان المنصوري

## \* المقابلة وتقويم النص:

الشيخ عصام السعيد

الشيخ مصطفى الدالي

## \* التصميم والإخراج الفني:

السيد صادق الحيدري

الشيخ حسين المالكي

عبد الزهرة الطائي

## \* معتمد الترجمة الإنجليزية:

الشيخ حيدر علي البهادلي

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٩٢٤) لسنة ٢٠١٣م

الترقيم الدولي: 7-240-984-964-978-ISSN

## هوية المجلة

مجلة فصلية علمية تخصصية تُعنى بالبحوث المتخصصة في مجال النهضة الحسينية، تصدر عن مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية في النجف الأشرف وقم المقدّسة.

## اهتمام المجلة

تهتمّ المجلة بنشر معالم وآفاق الفكر الحسيني، وتسليط الضوء على تاريخ النهضة الحسينية وتراثها، وكذا إبراز الجوانب الإنسانية والاجتماعية والفقهية والأدبية في تلك النهضة المباركة.

فالمجلة تتطلّع لاستيعاب جميع المجالات المهمّة والحساسة في أبواب النهضة الحسينية، شريطة أن تكون البحوث والدراسات متضمّنة لجوانب من الإبداع والحداثة والتجديد، مع حفظ روح الأصالة والتأسيس.

## أهداف المجلة

- ١- إعطاء رؤية واضحة حول معالم النهضة الحسينية من خلال البحوث والدراسات.
- ٢- نشر أهداف وثقافة النهضة الحسينية.
- ٣- إحياء التراث الديني والحسيني.
- ٤- فتح نافذة علمية لتفعيل جانب الإبداع والتجديد والتأصيل الفكري في كافة حقول المعرفة الدينية.
- ٥- الانفتاح على الواقع العلمي والفكري لدى العلماء والأساتذة والمفكرين.
- ٦- استثمار الأقلام الرائدة، وتطوير الطاقات العلمية الواعدة، واستقطاب البحوث والدراسات والمقالات العلمية القيّمة لنشرها تعميماً للفائدة.
- ٧- فسح المجال أمام الباحثين والمفكرين لنشر بحوثهم ودراساتهم؛ لتكون المجلة رافداً من روافد تزكية العلم والمعرفة.
- ٨- التصدي للإجابة عن الشبهات والإشكاليات والقراءات غير الموزونة حول النهضة الحسينية.

## ضوابط النشر

تدعو (مجلة الإصلاح الحسيني) الأساتذة والباحثين والمحققين الفضلاء، وكلّ مَنْ لديه اهتمام في مجال الكتابة والبحث العلمي، إلى رفدها بنتائجهم القيّمة فيما يرتبط بالإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة، على أمل ملاحظة الأمور التالية:

- أن يكون البحث مرتبطاً باختصاص المجلة وأركانها.
- ألا يكون منشوراً أو بصدد النشر في كتاب أو مجلة أو موقع إلكتروني.
- أن يحتوي على المنهجية العلمية المتبعة (مقدمة، محتوى، خاتمة، خلاصة، قائمة المصادر).
- أن يراعي الباحث أصول البحث العلمي والتأليف.
- اعتماد اللغة العلمية الرصينة.
- أن يكون بحثاً مبتكراً فيه نوع من التجديد والإبداع.
- أن يحتوي البحث على نتائج وتطبيقات مهمّة ومثمرة.
- الاعتماد على المصادر الرئيسة في البحث قدر الإمكان.
- ترتيب المصادر المثبتة في هوامش البحث بالطريقة التالية: (اللقب، الاسم، عنوان الكتاب: الجزء، الصفحة).
- المجلة غير ملزمة بنشر ما يقلّ عن (١٥) صفحة ويزيد على (٣٠) صفحة.
- كل (٢٥٠) كلمة تُحتسب صفحة واحدة.

## تنويه

- يُسَلَّم البحث على قرص ليزري حضورياً أو يُرسل عن طريق البريد الإلكتروني للمجلة مع السيرة الذاتية.
- يخضع البحث للتقويم العلمي من قبل لجنة مختصة.
- للمجلة حق إعادة نشر البحث في كتاب أو ضمن كتاب منفصل، مع الحفاظ على نصّه الأصلي.
- لا يُعاد البحث إلى صاحبه نُشر أم لم يُنشر.
- من صلاحيات المجلة إجراء التعديلات اللازمة على المقال.
- يخضع ترتيب البحوث لاعتبارات فنية.
- المجلة تتبع نظام المكافآت لأصحاب البحوث.
- حقوق النشر محفوظة.
- الأفكار المطروحة لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.



## مراكز النشر

- \* النجف الأشرف: سوق الحويش - المكتبة العلمية.
- \* النجف الأشرف: الجديدة الثانية - مكتبة دار الهلال.
- \* النجف الأشرف: سوق الحويش - دار الغدير.
- \* كربلاء المقدّسة: المعرض الدائم في العتبة الحسينية المقدّسة.
- \* بغداد: شارع المتنبّي - مكتبة العين.
- \* البصرة: العشار - مكتبة الإمام الهادي عليه السلام.
- \* إيران/ قم المقدّسة: شارع معلم - سوق ناشران - معرض العتبة الحسينية المقدّسة.
- \* إيران/ قم المقدّسة: صفائية - سوق الإمام المهدي عليه السلام - مكتبة فدك.
- \* إيران/ قم المقدّسة: سوق كذرخان - مكتبة الهاشمي.



# المحتويات

## مقال التحرير

### أثر التدوين المنبري في تطوير الخطابة الحسينية

الشيخ صباح عباس الساعدي ..... ١٣

## ملف العصور

### المنبر الحسيني .. الواقع والتطويع (١)

#### ندوة: المنبر الحسيني وأثره في الإصلاح السياسي

العلامة السيد محمد علي بحر العلوم ..... ٤٥

#### ندوة: دور المنبر الحسيني في مواجهة الحرب الناعمة .. دراسة تحليلية

العلامة السيد صدر الدين القبانجي ..... ٦٥

#### المنهج والخطابة الدينية .. دراسة نظرية في التأثيرات المعرفية

الشيخ ثناء الدين الدهلكي ..... ٨٥

#### المعاهد المنبرية ودورها في صناعة الخطيب الحسيني .. الأهداف والنتائج .. دراسة نظرية تحليلية/ القسم الأول

السيد محمد باقر الهاشمي ..... ١٢١

#### الخطابة الحسينية .. أسس وتطلعات

أ. م. د. خليل خلف بشير ..... ١٤٧

#### سؤال المتلقي وأثره في تطوير المنبر الحسيني

د. الشيخ أسعد التميمي ..... ١٦٣

## الخطيب الحسيني . . محاولة استكشافية في المنطلقات والخصائص

أ. م. د. خالد حوير الشمس ..... ١٩٣

## نظرة عامة حول المنبر الحسيني والقائمين عليه

م. د. فاطمة السلامي ..... ٢١٣

## مزايا الخطابة الحسينية في ضوء خطبة السيّدة زينب عليها السلام

م. م. حسن جميل الربيعي ..... ٢٢٧

## دور أساتذة كربلاء

### دور أهل البصرة في النهضة الحسينية

أ. د. جواد كاظم النصر الله ..... ٢٥٥

### سفراء الإمام الحسين عليه السلام

الشيخ عبد الرزاق الندوي ..... ٢٩٥

## خلاصة المقالات

خلاصة المقالات باللغة العربية والإنجليزية ..... ٣٣٣

# مَقَالُ التَّحْرِيرِ

أثر التدوين المنبري  
في تطوير الخطابة الحسينية



## أثر التدوين المنبري في تطوير الخطابة الحسينية

الشيخ صباح عباس الساعدي\*

### مقدمة

هناك بعدان متلازمان في موضوعه المادّة التي يتمّ طرحها في الخطابة الحسينية: أحدهما متأصل ومتجذّر في نشأة المنبر الحسيني، وهو البعد التراثي الذي عمل المعصومون عليهم السلام على ترسيخه في الوسط الشيعي، وتحملوا الكثير من المخاطر والعناء من أجل إيصاله إلى الأجيال، والآخر هو ما يستفاد من الدروس القيمة لنهضة سيّد الشهداء عليه السلام، وقد تناول العلماء والباحثون البعد الأول في كتبهم وبحوثهم المستوفية لمعايير البحث العلمي، وأثبتوا من خلالها جميع متطلّبات الموضوع بما لم يدع للباحثين المتأخرين سوى الإضافات التحليلية والتوصيفية أو التكميلية في هذا المجال.

وبعد التسالم العام - تبعاً للعلماء - على مشروعية واستحباب البعد التراثي؛ فقد انبرى طيف كبير من الشعراء الموالين لأهل البيت عليهم السلام - وفي طليعتهم علماء كبار من أعلام الطائفة - للكتابة في المادّة التي تُلقى في المجالس الحسينية بأسلوب أدبي على طريقة الشعر العربي الفصيح والدارج؛ لأجل إثراء المنبر التراثي بالشعر الهادف الذي يحمل في طيّاته أبعاداً معرفية وعقدية كثيرة، وأخذوا يتزايدون شيئاً فشيئاً نتيجة للتنافس الحاصل بينهم؛ بعد أن اطلعوا على الأجر الأخروي الذي يحصل عليه من يُنشد في الإمام الحسين عليه السلام بيتاً من الشعر<sup>(١)</sup>، فضلاً عن تشجيع الأئمة عليهم السلام للشعراء

\* رئيس تحرير مجلّة الإصلاح الحسيني.

(١) أنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص ٢١٠.

والمشدين وإشادتهم بجهودهم<sup>(١)</sup>، ودعائهم لبعض الشعراء الذين قرأوا ما نظموه بمحضرهم عليه السلام<sup>(٢)</sup>.

وأما البُعد الآخر - وهو ما يُعدُّ من الآثار المترتبة على البُعد الأول، أو ما يصل إلى الجمهور المتلقّي من نافذته - فهو ما يدخل تحت عنوان الدروس المستفادة من نهضة سيّد الشهداء عليه السلام، كالجوانب الفكرية والمعرفية والأخلاقية وغيرها من الدروس القيمة التي يخرج بها المستمع حينما يحضر مجالس الغزاء المقامة لذكر سيّد الشهداء عليه السلام.

وبما أنّ هذا البُعد قد جاء في مرحلة متأخرة عن البُعد الأول، فبعد أن حصلت المرحلة الانتقالية في المنبر الحسيني، وأصبحت مهمّة الوعظ والإرشاد من الوظائف الأساسية للخطيب الحسيني - بعد أن كان الخطباء في بدايات بروز المنبر الحسيني يقتصرون على الجانب الرثائي فقط<sup>(٣)</sup> - أخذوا في بدايات هذه المرحلة بالاعتصار على السرد التاريخي المتضمّن للحقائق المهمّة التي تغدّي الفرد المتلقّي، وترسخ لديه معارفه، وتثبت صحّة عقيدته ومذهبه، وهكذا استمر المنبر الحسيني في مراحل متعدّدة وفترات متعاقبة، حتّى برزت الحاجة إلى تطوير الخطاب المنبري، وعلت الصيحات

(١) كما روى الطوسي عن زيد الشحام، قال: «كُنّا عند أبي عبد الله عليه السلام، ونحن جماعة من الكوفيين، فدخل جعفر بن عفّان على أبي عبد الله عليه السلام، فقربّه وأدناه، ثمّ قال: يا جعفر، قال: ليبيك، جعلني الله فداك! قال: بلغني أنّك تقول الشعر في الحسين عليه السلام وتُجيد؟ فقال له: نعم، جعلني الله فداك. فقال: قل. فأنشده عليه السلام ومَن حوله حتّى صارت له الدموع على وجهه ولحيته، ثمّ قال: يا جعفر، والله، لقد شهّدك ملائكة الله المقرّبون ها هنا يسمعون قولك في الحسين عليه السلام، ولقد بكوا كما بكينا أو أكثر». الطوسي، محمّد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ج ٢، ص ٥٧٤-٥٧٥.

(٢) فقد روي أنّ الإمام الصادق عليه السلام حينما أنشده الكميّة أبياتاً من الشعر واستدرّ دموعه رفع عليه السلام يديه إلى السماء وقال: «اللهم اغفر للكميّة ما قدّم وما أّخر، وما أسرّ وما أعلن، وأعطه حتّى يرضى». أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، الأغاني: ج ١٧، ص ٢٠.

(٣) أنظر: شمس الدين، محمّد مهدي، واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي: ص ٣٤٢. وأيضاً: المقدسي، محمّد باقر، دور المنبر الحسيني في التوعية الإسلامية: ص ٢٤.



من قبل بعض علمائنا الأعلام منادية بضرورة مواكبة المنبر لمتطلبات عصره، وكإجراء طبيعي من قبل العلماء والمختصين في الشأن الديني، حاولوا أن يعالجوا هذا الجانب بطرق عديدة، كان من أبرزها المراقبة المؤكدة، والتوصيات الكثيرة بضرورة سلامة المضمون في المادة التي يذكرها الخطباء في مجالسهم الحسينية، فيعترضون بشدة على الخطباء الذين يقرأون المجالس بمحضرهم، ويدققون في صحة المطالب التي يسمعونها؛ ما أدى إلى أن تكون مادة المجالس المقامة في مراكز العلم والحوزات العلمية خالية عن المختلقات والقصص المزيفة التي تنتقص من مقام الأئمة عليهم السلام، أو التي تتنافى مع الثوابت الدينية<sup>(١)</sup>.

**الموضوع:** ومن ضمن الإجراءات التصحيحية والتطويرية التي اعتمدت في هذه المرحلة هي التأليفات الفكرية والتحليلية في المجال الحسيني، فضلاً عما كُتب في السيرة الحسينية؛ فقد قام جملة من علمائنا المختصين بكتابة المؤلفات الكثيرة في هذا الصدد، والمتضمنة لبعض المواضيع الدينية التي تناسب المجالس الحسينية، أعم من أن تكون مبوبة على وفق المعارف في قراءة العزاء الحسيني، أو أنها مواضيع واسعة يُكتفى بجزء منها لرفد الخطيب الحسيني بالمادة العلمية التي يحتاج إليها في محاضراته. وعند مطالعة تلك النتاجات القيمة التي عُنت بالمنبر الحسيني، وجدناها كثيرة ومتنوعة، فقد جاء بعضها على طريقة المقاتل المتعارفة لأجل اعتمادها في قراءة المصيبة في اليوم العاشر من المحرم<sup>(٢)</sup>، فيما كتب آخرون بعض المؤلفات التي تُعتمد في استقاء المعلومة، وبأساليب متنوّعة، وقد سُمّي بعضها بـ (كتب المجالس الحسينية)، ومعظم ما كُتب في هذا الصدد كان قيماً وجديراً بالبحث وتسليط الضوء عليه.

(١) أنظر: النوري، حسين، اللؤلؤ والمرجان: ص ٢٦.

(٢) أنظر: ابن نما الحلّي، جعفر بن محمّد، مشير الأحران. وأيضاً: ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف. وأيضاً: الأمين، محسن، لواعج الأشجان.

إلا أننا في هذا المقال نجعل نقطة البحث عن الكتب التي شكّلت ظاهرة جديدة في التأليف المنبري، وهي المدونات التي أُلِّفت بطريقة المجالس الحسينية المبوبة للقراءة في أيام شهر محرم أو المناسبات الحسينية بصورة عامة، أيًا كانت العناوين التي حملتها، وسواء أكانت تلك المجالس قد تمّ طرحها على الجمهور في ذلك الزمان من قبل كتابها ومؤلفيها، أو من قبل خطباء آخرين تأثروا بما كتبه هؤلاء الأعلام، ولمسوا ضرورة ترويج ما تضمّنته كتبهم، أم لم يُقرأ على ألسن الخطباء، لسبب أو لآخر.. متناولين في بحثنا الأسباب والمنطلقات التي دعت لتأليف تلك الكتب، وخصائص التدوين المنبري، والمراحل التي مرّت بها، والدور الذي لعبته في تطوير المنبر الحسيني، وغير ذلك من النقاط التي تشكّل مجتمع البحث.

ويمكننا أن نعتبر هذه الخطوة المباركة التي قام بها العلماء والمحققون مشروعاً من المشاريع المهمة الإصلاحية والتطويرية في مسار المنبر الحسيني؛ فإنّ العمل الممنهج من قبل هؤلاء الأعلام والتأليف ضمن مشروع كتب المجالس الحسينية يُعتبر رصيماً كبيراً في المادة التي يحتاج إليها الخطيب الحسيني، فتختصر له الخطوات الكثيرة والصعبة، وتوفّر عليه وقتاً كثيراً ومهماً.

بل إنّ البحث والتحقيق في هذا المجال يبيّن لنا أنّ هذا المشروع قد مرّ بمراحل تطويرية متعدّدة، كما سوف يتضح للقارئ الكريم في المباحث الآتية إن شاء الله تعالى؛ إذ بعد أن كانت عملية تدوين المجالس الحسينية مقتصرة على السرد التاريخي المترابط نرى أنّه في مراحل أخرى أضيف البُعد التحليلي والاستدلالي فيما يراد تدوينه وإعداده للإلقاء في المجالس الحسينية.

### تسمية (كتب المجالس)

حينما تُطلق تسمية (كتب المجالس) في الأوساط العلمية السالفة يتبادر منها ما ينتج عن عملية ارتقاء بعض العلماء كرسياً أو منبراً، فيلقي على مجموعة من الحاضرين

بعض الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ أو أهل بيته عليه السلام، أو بعض العلوم والمعارف الدينية؛ فيقوم بعض هؤلاء الحاضرين بتدوين تلك الأحاديث، ليتم عرضها على المتحدث بعد ذلك، وفيها لو أمضى المتحدث ما كُتب عنه فعندئذٍ يتم نشره لتعم الفائدة بين الأوساط العلمية أو الدينية بشكل عام.

وقد نتجت عن هذه الطريقة مجموعة من الكتب، سواء المسماة بكتب الأمالي أو كتب المجالس أو غير ذلك من التسميات، كما هو مذكور في الكتب أو البحوث التي تناولت بعض الزوايا العلمية في هذه الكتب<sup>(١)</sup>، ولا زالت هذه الطريقة معمولاً بها في الأوساط العلمية الدينية.

ولعلّ كثيراً من الكتب المدرسية التي يتم نشرها بعنوان تقارير الدروس العلمية الحوزوية لأبحاث الخارج تنطبق عليها هذه التسمية أيضاً، كما وُجد في هذا المجال بعض المؤلفات الحسينية التي كانت حصيلة لهذه العملية، ككتاب (مصباح الهدى وسفينة النجاة)<sup>(٢)</sup> لأستاذ الفقهاء آية الله العظمى الشيخ حسين الوحيد الخراساني (مدّ ظله الوارف)، أو (الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد)<sup>(٣)</sup>، و(التوحيد في المشهد الحسيني)<sup>(٤)</sup> لأستاذنا الشيخ محمد السند (دامت بركاته)، وغير ذلك من الكتب الحسينية، وإن لم يتم تسميتها بعنوان (المجالس).

وفي مقابل هذه الطريقة وُجد لون آخر من الكتابة والتأليف في موضوع (المجالس الحسينية)، وهو أن يتم تأليف وإعداد بعض المحاضرات الدينية من قبل علماء بارعين في فنّ التأليف والتحقيق، تكون متناسبة مع القراءة بطريقة المجالس

(١) أنظر: الشريف، علياء هاشم، الدرس الأدبي في كتب المجالس: ص ١٧.

(٢) من إصدارات وترجمة مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م.

(٣) من إصدارات دار الغدير للطباعة والنشر، بقلم: السيّد رياض الموسوي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

(٤) من إصدارات مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، بقلم: الشيخ رافد الزيدي، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٤م.

وبالطريقة المتعارفة في النمط الأول؛ ليمكنّ الخطاب من الإفادة منها، وقد نتج عن هذه العملية مجموعة من الكتب والمؤلفات التي يطول المقام بذكر جميع عناوينها، وإنّما نحيل القارئ إلى المصادر المهمة بإحصاء الكتب وعناوينها<sup>(١)</sup>.

وما نريد الحديث عنه في هذا المقال هو كلا النوعين من التدوين المنبري، إلا أنّنا نخص بالذكر ما كان مرتبطاً بالإمام الحسين عليه السلام، على أنّنا سوف نختار بعض النماذج من بين المؤلفات الكثيرة التي وقفنا عليها، وقد سلّطنا الضوء في ذلك على المباحث التالية:

### المبحث الأول: أهداف تأليف المجالس الحسينية

لعلّ الحديث عن الأهداف والمنطلقات التي دعت العلماء الأعلام إلى العمل ضمن هذا المشروع - ومن خلال ما تقدّم في الصفحات آنفه الذكر - أصبح واضحاً جداً؛ إذ إنّ تخصيص العلماء والمحققين جزءاً من أوقاتهم الثمينة وأعمارهم المباركة لتدوين المجالس الحسينية، وبمنهجية واضحة، وأسلوب علمي رصين، يدلّ على أنّ موضوع كتابة المجالس الحسينية يحظى بأهمية فائقة في التراث الإسلامي الشيعي، وأنّ إقامة المجالس الحسينية له دور كبير وبارز في استفادة الدروس والعبر من سيرة سيّد الشهداء عليه السلام ونهضته المباركة، فلم تكن هذه العملية - أعني: كتابة المجالس الحسينية - أمراً ارتجالياً أو عفويّاً صدر عن شخص مغمور قد أعدّ بعض المجالس لنفسه؛ بغية قراءتها في مجالسه الخاصّة التي يُدعى إليها، وإنّما يستفاد من عبائر بعض العلماء الذين كتبوا في هذا المجال أنّهم دوّنوا كتبهم هذه ليضعوها في متناول أيدي قراء العزاء الحسيني؛ لما لذلك من دور في تدعيم المنبر الحسيني بالمادّة العلمية التي يحتاج إليها الخطيب الحسيني، وبغض النظر عمّا تقدم، فإنّنا نلمس الأهداف التي كانت وراء تدوين هذه الكتب من خلال النقاط التالية:

(١) أنظر: كاشف الغطاء، محمّد حسين، المجالس الحسينية: مقدمة التحقيق، ص ٣١.

١- بما أنّ هؤلاء الأعلام قد آمنوا بحصول الأجر الأخروي نتيجة المشاركة في إقامة المجالس الحسينية التي تؤدي دوراً كبيراً في توعية الجمهور الموالي لأهل البيت عليه السلام، ورفع مستوياتهم الدينية والثقافية؛ فإنهم قد ألفوا هذا النمط من الكتب بغية الحصول على ثواب المشاركة في إقامة المجالس الحسينية، وقد صرّح بهذا الهدف الشيخ محمّد جواد مغنية في مقدمة كتابه (المجالس الحسينية) قائلاً: «... وهذه الصفحات تقدم الأرقام على هذه الحقيقة... وذكرت مع كلّ رقم جملة تناسبه مما حدث يوم الطف؛ عسى أن يتلو الموالون لأهل البيت بعض صفحات الكتاب في المجالس الحسينية؛ لأشارك في الثواب والحسنات من أحيان أمرهم وعظم شعائرهم...»<sup>(١)</sup>، ويتبيّن لنا من هذا النصّ وما شابهه من عبارات لأعلام آخرين<sup>(٢)</sup> اهتمام علمائنا في الأزمنة المختلفة والأماكن المتعدّدة بالتأليف والكتابة في هذا المجال؛ لكي يكون عملهم هذا رصيلاً لهم في آخرتهم، وهو هدف نبيل يستحقّ الاهتمام؛ ولهذا تجدهم قد بذلوا شطراً من أعمارهم الشريفة من أجل هذه المهمّة، وقد كانت تأليفات بعضهم في آخر سنّي حياتهم بعد أن قضى عمره في الدرس والتدريس والتأليف والتحقيق<sup>(٣)</sup>.

٢- التصحيح في مسار المنبر الحسيني من خلال هذه الخطوة، ونستطيع إثبات هذا الهدف من خلال البيانات المتضمّنة لذكر الأسباب التي دعت بعض مؤلّفي هذه الكتب إلى كتابة المجالس الحسينية، وبتّها في الأوساط الخطابية، إذ اعتبرت هذه العملية إجراءً تصحيحياً في مسار المنبر الحسيني، بعد أن رصدوا خللاً واضحاً في هذا المجال، فقد ذكر العلامة الأمين عليه السلام - في ترجمته لبعض علماء لبنان الذين عملوا في مجال الإصلاح والتغيير - قائلاً: «... وكانت العادة القراءة في عشر المحرم خاصّة من الكتب المسماة بالمجالس من ترتيب بعض البحارنة، المشتملة على الغثّ إلا ما ندر،

(١) مغنية، محمّد جواد، المجالس الحسينية: ص ٩.

(٢) أنظر: التستري، جعفر، الخصائص الحسينية: ص ٩.

(٣) أنظر: المصدر السابق.

وهي عشر مجالس مطوّلة في مجلد ضخّم، لكلّ ليلة من ليالي عشر المحرم مجلس يتبدى بذكر خطبة من إنشاء مؤلّف الكتاب، أوّلها: أيّها المؤمنون المجتمعون، وقصيدة من شعر الخليعي غالباً، وحديث طويل ملفّق بما دبّ ودرج... فإذا كان يوم العاشر قرئ مقتل أبي مخنف أو غيره، ولكنّه كان لا يخلو من زيادات الناسخين والمرتين... ولما ألّفنا لواعج الأشجان واشتُهر وطُبع مراراً، صار الناس يقرؤون فيه، وأحضر<sup>(١)</sup> معه من العراق مجموعة جمعها له بعض قرّاء التعزية ممّا يتعارف قراءته هناك، ونسخ الناس منها نسخاً كثيرة وتداولوها... لكنه كان فيها الصحيح والسقيم، ولم يكن هو ولا غيره يعلم بسقيمها، ولا يلتفت أحد لذلك؛ لقلّة الاطلاع على التاريخ، وقلّة الاعتناء به عموماً، وبذلك خصوصاً... ولما ألّفنا المجالس السنوية هدّبناها - والحمد لله - من جميع ذلك، وميّزنا القشر من اللباب، والخطأ من الصواب، وقد طبعت مراراً وانتشرت<sup>(٢)</sup>.

ويُعتبر هذا الهدف من أهمّ المواقف التي صدرت من قبل علمائنا تجاه الشعائر الحسينية، ففي الوقت الذي ساهمت وبشكل كبير في تقويم المنبر الحسيني وجعله مواكباً لمتطلبات العصر نجدها قد سدّت الطريق أمام المغرضين والمتصيّدن الذين يسعون إلى الانتقاص من الشعائر الحسينية ومن مقام علمائنا وحوزاتنا الدينية.

٣- نشر وترويج المواضيع الهادفة التي تضمنتها هذه الكتب بين الخطباء في العصور المختلفة؛ فمن خلال اعتمادهم في قراءة المجالس على الكتب التي ألّفت من قبل هؤلاء الأعلام والمحققين، سوف يتمّ إيصال الرسالة التي ألّفت هذه الكتب من أجلها، وهي بثُّ المعاني القيمة المستفادة من نهضة سيّد الشهداء عليه السلام، باعتبار أنّ المنبر الحسيني من أهمّ الوسائل الإعلامية التي تستوعب شريحة كبيرة من الجمهور المتلقّي للعلوم الدينية؛ ومما يؤكّد ما ذكرناه هو جملة من النصوص التي تفيد أنّ كثيراً من

(١) يعود الضمير المستتر في الفعل إلى الشيخ موسى بن الشيخ أمين شرارة العاملي، وهو الشخص الذي جاء النصّ المذكور ضمن ترجمته.

(٢) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ١٠، ص ١٧٣.

الخطباء - وفي أزمنة مختلفة - كانوا يقرأون ما كتبه العلماء الأعلام من مجالس حسينية، ففي كتاب (المجالس الفاخرة) يذكر السيّد علي بن إسماعيل شرف الدين لنا طبيعة جمعه لهذا الكتاب - بعد أن أُنلف بسبب الفتنة التي حصلت في حرب لبنان - قائلاً: «وقد التقطت من أفواه قراء المآتم بعض المجالس المحفوظة، وهي غير مرتبة، ولا واقعة في مواقعها التي أوقعها فيها المؤلف أعلى الله مقامه، وجمعتها في حياته (قدس الله نفسه الزكية)، وقرأتها عليه من أولها حتى انتهائها، فأقرّها، وحبّد عملي هذا وباركه...»<sup>(١)</sup>، ما يعني أنّ هذه المجالس كانت رائجة بين الخطباء بدرجة أنّهم يحفظونها بالكامل - وعن ظهر قلب - لغرض الإلقاء في مجالس العزاء آنذاك. ويقول العلامة الأمين رحمته الله أيضاً: «لما أُلّفنا لواعج الأشجان صارت قراءة المقتل فيه، وصارت قراءة الذاكرين في المجالس السنية، فخلصت الأحاديث، وصفت من تلك العيوب...»<sup>(٢)</sup>، كما أنّ عامة الخطباء في بعض البلدان الإسلامية يعتمدون على بعض الكتب التي أُلّفَت لهذا الغرض، حتى أطلقوا على قارئ المجالس الحسينية: (روضة خوان)، أي: قارئ الروضة؛ نسبة إلى (روضة الشهداء)<sup>(٣)</sup>.

وغير ذلك من النقاط التي تكشف لنا عن الأهداف التي دعت إلى تأليف العلماء في هذا الموضوع.

### المبحث الثاني: خصائص تدوين الكتب المنبرية

بعد الإيمان بضرورة اعتماد خطوات تطويرية في الجانب العلمي والإرشادي للمنبر الحسيني تصدّى طيف من العلماء والمحققين لتأليف مجموعة من الكتب المتضمنة لمواضيع دينية بطريقة المجالس الحسينية، يتمكن الخطيب من اعتمادها كإداة

(١) شرف الدين، عبد الحسين، المجالس الفاخرة: ص ١٢٥.

(٢) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ١٠، ص ٣٤٣.

(٣) أنظر: النوري، حسين، اللؤلؤ والمرجان: ص ٣٢. وأيضاً: الطهراني، آقا بزرك، الذريعة إلى

تصانيف الشيعة: ج ١١، ص ٢٩٥.



علمية في طرحه المنبري، ويلاحظ الباحث في هذا المجال أن هناك مجموعة من النقاط والخصائص توافرت في كتب المجالس الحسينية ساهمت في انتشارها في الأوساط الدينية، وساعدت على الرجوع إليها من قبل قراء العزاء الحسيني، ومن أهم تلك الخصائص:

١- المكانة العلمية التي يحتلها مؤلفو كتب المجالس الحسينية؛ إذ تصدّى لتأليف هذه الكتب جملة من علمائنا الذين عُرفوا بتحرّي المعلومة الرصينة والنصوص المعتبرة؛ نتيجة لتبحّره في العلوم الدينية التي لها مساس كبير في الوصول إلى نتائج موضوعية في المسائل التي وقع البحث فيها؛ فلو طالعنا عيّنة من كتب بعض علمائنا الذين ألقوا في هذا المجال كالشيخ الطريحي<sup>(١)</sup>، أو السيّد محسن الأمين، أو السيّد شرف الدين، أو الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء وغيرهم، نجد أن الاطمئنان في الاعتماد على المعلومة التي نستفيدها من هذه الكتب تكون نسبته كبيرة جداً، لمبررات موضوعية كثيرة، أهمها: اضطلاع هؤلاء الأعلام، والدقة اللامتناهية في محاكمة المسائل التي تُبحث من قبلهم؛ فضلاً عن الحيادية التي تحلّوا بها تجاه المواضيع التي كتبوا فيها بشكل يجعلهم يحاكمون القضايا التي يبحثونها بموضوعية تامة، غير متأثرين بالنتائج السابقة التي نشأوا عليها منذ نعومة أظفارهم، على أن كلامنا هذا لا يمانع من وجود بعض الحالات الخارجة عن الضوابط، مما يسبّب في تسرّب بعض

(١) وقع جدل حول هذا الكتاب بسبب بعض الوقائع التي تضمّنها؛ فعاب عليه بعض الباحثين نقله بعض القصص التي يعتقد أنها مختلقة ومزيفة، فسجل بعضهم مجموعة من الملاحظات حول الكتاب. <https://www.youtube.com/watch?v=PMF1fgvPVqw>. كما انتقده أيضاً مترجم كتاب (روضة الشهداء) في مقدّمته. أنظر: الكاشفي، حسين، روضة الواعظين: ص ٧، مقدمة المترجم.

لكن بعض أساتذتنا أدام الله بقاءهم قد دافع عنه بقوة، وأثبت أنه من الكتب التي تُعدّ من المصادر المهمة. أنظر: السند، محمّد، مقطع فيديو على قناة اليوتيوب: <https://www.youtube.com/watch?v=AHIT24LscUo>.



النتائج غير الموضوعية إلى هذه الكتب، إلا أن ذلك حالات جزئية جداً ونادرة، لا تشكل شيئاً بالقياس إلى عامة الكتاب، فضلاً عن أن حصول ذلك غير منحصر في هذا النمط من التأليفات، بل إنه قد يقع في أي علم من العلوم.

٢- التخطيط المتقن في تأليف هذه الكتب؛ فقد امتازت مؤلفات المجالس الحسينية بتناولها لمواضيع مترابطة وهادفة، تشكل منظومة متكاملة بشكل وبآخر لدى المتلقي، وقد صرح بذلك العلامة الأمين في مقدمة كتابه حينها ذكر المواضيع التي تناولها في مجالسه السنية، قائلاً: «هذا كتاب (المجالس السنية في مناقب ومصائب العترة النبوية)، وهو خمسة أجزاء: أربعة منها في ذكر مصيبة الحسين عليه السلام، التي هي أعظم مصائب أهل البيت عليهم السلام، والجزء الأول من الأربعة... في تاريخ مولده ومقتله، وقدر عمره، ومدّة خلافته، وكنيته، ولقبه، ونقش خاتمه، وعدد أولاده، وصفته، ونُبد في مناقبه، وسيرته، وخطبه، ونظم الشعر في رثائه، وزيارته، وما جرى له بعد موت معاوية، وكيفية شهادته، وما جرى بعد قتله إلى رجوع أهل بيته إلى المدينة، وما يتعلق بذلك. والجزء الثاني والثالث والرابع في جملة من مناقب أهل البيت عليهم السلام، وجملة من الغزوات والمواظع والآداب وأخبار السلف المستحسنة، وغير ذلك مما فيه فوائد نافعة للمستمع مع التخلّص إلى ذكر المصيبة على الطريقة المألوفة بأنسب وجه وأجمل طريق، ناقلاً ذلك من الكتب المعتمدة المشهورة لمؤرّخي الإسلام...»<sup>(١)</sup>. وهكذا الحال في بقية الكتب التي أُلّفَت في هذا المجال، وإن اختلفت في المادّة والطريقة المتبعة؛ إذ سعى مؤلفوها إلى إيصال رسالة عن طريق المجالس الحسينية، وبأفواه خطباء متعددين<sup>(٢)</sup>.

٣- الاحتواء على المواضيع الأكثر أهمية، فحينما نطالع المدونات التي كتبها علماءنا الأعلام بطريقة المجالس الحسينية نجد أنّها قد تضمنت أهمّ المواضيع المحورية في

(١) الأمين، محسن، المجالس السنية: ج ١، ص ٦.

(٢) أنظر: مغنية، محمد جواد، المجالس الحسينية: ص ٩.

المعارف الدينية، ويمكن للقارئ الكريم أن يلقي نظرة سريعة على بعض المصادر التي كُتبت بهذه الطريقة للوقوف على أهمية المواضيع التي تَضَمَّتْها، كما يؤكد ذلك أيضاً ما نقلناه في النقطة السابقة عن العلامة السيّد محسن الأمين رحمته الله.

٤- التناسق التام بين معلومات الموضوع الواحد في كلِّ مجلس؛ بحيث لا يتطلّب من القارئ إلاّ فهم المعلومة وإتقانها لغرض الإلقاء والقراءة، وهذه العملية توفّر على قراء العزاء - وخصوصاً غير المختصين أو المبتدئين منهم - الوقت الكثير وتفسح لهم المجال لحفظ النصوص والأشعار، وغيرها من الأمور التي يتطلّب إلقاؤها حفظاً متقناً.

٥- ترصين المعلومات وتوثيقها؛ إذ كان الشغل الشاغل لدى مؤلّفي هذه الكتب هو تقديم مشروع خطابي خالٍ من القصص والأحاديث المختلفة أو المتنافية مع الثوابت الدينية، وفي هذا الصدد يقول العلامة الأمين: «ولما أَلَفْنَا المجالس السنّية هدّبناها - والحمد لله - من جميع ذلك، وميّزنا القشر من اللباب، والخطأ من الصواب...»<sup>(١)</sup>.

وكتيجة طبيعية لرصانة المعلومات التي تضمنها هذا الكتاب وأمثاله فقد أصبح موضع اعتماد الخطباء في مختلف العصور والأزمنة<sup>(٢)</sup>، بل نجد أنّ بعض المحققين والباحثين قد اعتمد هذه الكتب في تصحيحه لبعض المسائل التي وقع التشكيك فيها، وجعل من القرائن على صحّتها نقلها في الكتب التي دُوّنت لغرض القراءة في مجالس العزاء، فقال: «كما أنّ العلامة السيّد محسن الأمين رحمته الله قد اعتمده [أي: كتاب سليم بن قيس] ونقل عنه في كتاب المجالس السنّية الذي يقول في آخره: (... وأخذ من المصادر والموثوقة<sup>(٣)</sup> والمصنّفات المشهورة)، وهو إنّما كتب كتابه هذا

(١) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ١٠، ص ١٧٣.

(٢) أنظر: المقدسي، محمّد باقر، دور المنبر الحسيني في التوعية الإسلامية: ص ٣٢.

(٣) هكذا وردت الكلمة بعد حرف العطف (و) في المصدر المنقول عنه، ربّما يكون ذلك بسبب خطأ طباعي.

(المجالس السنية) ليكون عملاً إصلاحياً، يبعد فيه عن سيرتهم عليهم السلام عما يعتقد فيه أنه مدسوس أو مكذوب»<sup>(١)</sup>.

### المبحث الثالث: مراحل التدوين المنبري (المجالس الحسينية)

كتب الباحثون والمحققون في مجال مراحل وأدوار التطور المنبري - بشكل عام - أبحاثاً وكتباً عديدة أثبتوا من خلالها أن المنبر الحسيني قد مرّ بمراحل تطويرية متعدّدة، من فترة نشوئه إلى هذا الوقت، كما توصل بعض المحققين منهم إلى حصول التطور التدريجي في كلّ مرحلة من تلك المراحل أيضاً، فضلاً عن التطور الذي حصل من مرحلة إلى أخرى؛ ما يعني أن المنبر الرثائي قد تطوّر شيئاً فشيئاً حتى وصل إلى الشكل الذي هو عليه في هذا العصر، وهكذا تجد أن المنبر الذي تولى مهمّة الوعظ والإرشاد قد مرّ بمراحل تطويرية متعدّدة<sup>(٢)</sup>.

ويؤيد هذه الفكرة ما ذكره بعض المهتمين بفهرست الكتب والمؤلفات؛ إذ أحصى العلامة الطهراني مجموعة من النتاجات المنبرية التي كتبت بأقلام العلماء والمحققين<sup>(٣)</sup>، كما ذكر بعض المحققين مجموعة من العناوين التي تربو على ستين مؤلفاً<sup>(٤)</sup>، فضلاً عن الكتب التي ألفت في العصور المتأخرة إلى زماننا هذا، ما جعل العدد في تزايد غير قابل للحصر والإحصاء في هذا المقال المختصر، فبعد مطالعة هذه الكتب التي اختصّت بالمجالس الحسينية في حدود المتوفّر لدينا وجدنا أنّها قد مرّت بمراحل متعدّدة، كان بعضها مكتملاً للآخر، وهذه المراحل هي:

(١) العاملي، جعفر مرتضى، مأساة الزهراء عليها السلام: ج ١، ص ١٤٦.

(٢) أنظر: المقدسي، محمد باقر، دور المنبر الحسيني في التوعية الإسلامية: ص ٢٤.

(٣) أنظر: الطهراني، آقا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج ١٩، ص ٣٦٠.

(٤) أنظر: كاشف الغطاء، محمد حسين، المجالس الحسينية: مقدمة التحقيق، ص ٣١.

## المرحلة الأولى: المجالس المتقومة بالمواضيع التاريخية

وقد اقتصر العمل في هذه المرحلة على اختيار النصوص المعتمدة للوقائع التاريخية، من المصادر التاريخية والموسوعات الحديثة المعتمدة، فبعد أن لمس علماءنا الأعلام الحاجة الملحة والضرورة القصوى لاختيار المتون التي يمكن للخطباء أن يعتمدوا عليها في مجالسهم التي يقرأونها للجمهور المتلقي، تصدّى بعضهم لتدوين كتب تصلح لأن تكون مادة مجلس يحفظه القراء ويتلونه على مسامع الحاضرين، وبما أنّ الجوّ العام في تلك المرحلة للخطباء كان مقتصرًا على سرد النصوص التاريخية من دون تحليل أو تعليق عليها، سوى بعض الإشارات أو الالتفاتات العابرة، فقد عني العلماء في تلك الفترة باختيار النصوص المناسبة مع الخطوط العامة لأصول المذهب، وكانت مهمتهم في تلك الكتب التي تُعتبر من المشاريع المقومة والمطورة للمنبر الحسيني منحصرة في:

١- اختيار النصوص المعتمدة أو المتسالم عليها، واستبعاد القصص والروايات المختلفة؛ بعد أن لوحظ من قبل بعض العلماء والمهتمين بالشأن الديني أنّ هناك ظاهرة تفتشت في بعض البلدان بين الخطباء الذين لا يميّزون بين النصوص المعتمدة وغيرها؛ إذ ليس لبعض أولئك الخطباء القدرة على محاكمة النصوص التي تتنافى مع الثوابت الدينية، أو التي تحطّ من منزلة المعصوم عليه السلام؛ فتجدهم يأتون بكلّ ما عثروا عليه من النصوص المثبتة في الكتب، وإن كان مؤلفوها قد تعمدوا تشويه مقام سيّد الشهداء عليه السلام وشخصيته، الأمر الذي دعا بعض علمائنا إلى مناقشة المختصين بالتراث الروائي والتاريخ الإسلامي لتأليف بعض المدونات التي يتسنى لهم إحالة الخطباء والمبلغين عليها؛ لتكون رادعاً لهم من ارتكاب هذه المخالفة الخطيرة، وهذا ما نجده في كلمات الميرزا حسين النوري فيما يرتبط بأسباب تأليف كتابه (اللؤلؤ والمرجان) قائلاً: «إنّ جناب العالم العامل... السيّد محمد مرتضى جوبوري الهندي (أيده الله تعالى)

قد شكى<sup>(١)</sup> مراراً من إقبال بعض قرّاء العزاء وأهل المناير على تحريّ المبالغة، ونشر الأكاذيب والروايات المجعولة، دون خوف أو ورع... وقد طلب منّي أن أكتب شيئاً حول ذلك من باب الموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن؛ عسى أن ينتبه هؤلاء الغافلون ويرتدعوا عن ارتكاب هذه القبائح...»<sup>(٢)</sup>، وقد مرّ نقل بعض النصوص التي ذكرها العلامة الأمين في كيفية معالجته لهذه الظاهرة التي كانت سائدة في لبنان وغيرها من البلدان العربية.

ومن هذه الوثيقة وأمثالها يتبين لنا أنّ هناك صيحات من قبل العلماء تدعو إلى الحفاظ على هذا المشروع الإلهي وتنقيته من الشوائب التي يحاول بعضهم إلصاقها بالإمام الحسين عليه السلام بسبب تسويلات النفس الأمّارة بالسوء، أو لأغراضهم الشخصية، ومصالحهم الضيقة.

٢- تعيين الوقائع الملائمة للمناسبات؛ إذ إنّ من المهام التي اضطلع بها العلماء الذين اهتموا بشأن تأليف المجالس الحسينية ضمن كتب خاصّة هو إيجاد الربط بين المواضيع التي تُقرأ في المجالس الحسينية وبين الأيام المحدّدة لإقامة العزاء، فقد خصصوا لليلة الأولى من شهر محرم مثلاً بعض المواضيع التي من شأنها أن تُطرح على الجمهور، ليمّ اعتمادها من قبل الخطباء في تلك المناسبات من جهة، ومن جهة أخرى لكي تجعل مثلاً ومنهاجاً لمن أراد أن يكتب مجالس حسينية مشابهة، وهذه المهمة - أي: اختيار المواضيع التي تنسجم مع المناسبات الدينية - من المهام المعقّدة التي يعاني منها كثير من الخطباء حين الكتابة والتحضير.

### المرحلة الثانية: التدوين التحليلي ضمن المجالس الحسينية

بعد أن هيمن التدوين المنبري في مرحلته الأولى على الساحة الفكرية في المجالس الحسينية فترة طويلة من الزمن أدخل العلماء والمؤلّفون الدور التحليلي في المرحلة

(١) هكذا أثبت في النسخة المتوفّرة لدى الباحث، والصحيح: (شكا).

(٢) النوري، حسين، اللؤلؤ والمرجان: ص ٢٦.

اللاحقة؛ نتيجة للضرورة التي لمسوها في هذه المرحلة<sup>(١)</sup>، فبالإضافة إلى النقطتين اللتين سبق ذكرهما في المرحلة الأولى - وهما: اختيار النصوص التي لا تتنافى مع المسلّمات والثوابت الدينية، وتعيين المواضيع المنسجمة مع المناسبات الدينية التي حدثت في الأيام الأولى من المحرم - فإنّ هناك نقاطاً أخرى أدخلها مؤلّفو هذه الكتب في المرحلة الثانية<sup>(٢)</sup>، وهي:

١- إضافة عنصري الاستدلال والتحليل العلمي، فبعد أن كانت المرحلة الأولى مقتصرة على سرد الوقائع التاريخية والبرهنة على الحقائق المهمّة من خلال الوقائع التاريخية الثابتة، أصبح بإمكان الخطيب أن يطرح الإبداعات التحليلية، والنكات الاستدلالية الناتجة عن تأمّل العلماء والباحثين في النصوص الدينية.

٢- التصدّي لتوضيح المفردات القرآنية أو الروائية وشرحها<sup>(٣)</sup>، بل التاريخية التي تكون غريبة على أذهان المستمعين وغير مفهومة لديهم أيضاً، وهذه الوظيفة من الأمور المهمّة التي قد يتوقف عليها فهم المسألة التي يُراد طرحها على الجمهور؛ فإنّ كثيراً من المفردات والألفاظ التي يواجهها المتلقّي إمّا أن تكون لها معانٍ كثيرة يصعب تمييز المراد منها من خلال السياق إلّا للمتخصّصين<sup>(٤)</sup>، أو أنّها غير مألوفة لدى الجمهور نتيجة للبعد الزمني بين وقت استعمالها والعصور التي يعيشها المتلقّي.

٣- اعتماد الأدلة العقلية في الخطابات التي تستلزم توظيف الأدلة والبراهين اليقينية؛ فإنّ المسائل الدينية التي يتناولها الخطيب في ميدان المنبر الحسيني في هذه المرحلة - بعد أن أصبحت واسعة وعمّ كافة المجالات، وغير مقتصرة على الحوادث التاريخية - تتطلّب في سياق هذا التحوّل أن تكون الأدلة التي يتمّ توظيفها لإثبات

(١) أنظر: المبارك، حميد، الخطابة في دراسة نوعية شاملة لآية الله الكرباسي: ص ٩٥.

(٢) أنظر: الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص ١٧٧.

(٣) أنظر: الشهرستاني، هبة الدين، النهضة الحسينية: ص ١٦٩.

(٤) كما في مفردة (أهل البيت) الواردة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. الأحزاب: آية ٣٣.

المطلوب متناسبة مع نوع المسألة المبرهن عليها، ففيما لو كانت المسألة من المسائل العقلية، أو ما يصح الاستدلال عليه بالدليل العقلي، أصبح من الضروري جداً الإتيان بهذا النوع من الأدلة.

٤- المقارنة بين النظريات العلمية الحديثة والمسائل الدينية، فيما أنّ المنبر الحسيني له القابلية والقدرة على استقطاب كافة شرائح المجتمع وبمختلف طبقاته الثقافية، فإنّ المواضيع التي يتناولها الخطيب لا بد أن تكون متناسبة مع مختلف مستويات التنوع المتواجد في هذه المحافل، وبما أنّ هناك من يتأثر وينجذب إلى النظريات العلمية الحديثة، ويعتبرها تطوراً مشهوداً في عالم التقدم، فقد اقتضى هذا التوجه أن يقوم الخطيب الحسيني بعملية مقارنة بين النظريات المعاصرة وبين المسائل الدينية، وبيان جذور هذه النظريات في النصوص الدينية.

### المرحلة الثالثة: التأليف ضمن العمل المؤسّساتي

لم يكن العمل في هذه المرحلة - من ناحية العناصر التي أُضيفت إلى مدخلات المجالس الحسينية - مختلفاً في خصائصه عن العمل في المرحلة المتقدمة عليه بالشكل الذي يوجب التغير، ولكن طبيعة هذه المرحلة والآليات والإمكانات التي يمتلكها العمل المؤسّساتي سوّغ للباحث اعتبار هذا النمط من العمل مرحلة تطويرية أخرى في ميدان كتب المجالس الحسينية؛ إذ عملت بعض المؤسّسات الدينية على جمع الكتب التي أُلقت بطريقة المجالس الحسينية، وسعت إلى نشرها بعد أن أخضعتها للتقويم العلمي على أيدي لجان متخصصة في هذا المجال<sup>(١)</sup>، وقد تميز هذا العمل في هذه المرحلة عن المراحل السابقة ببعض النقاط، أهمها:

(١) إذ كانت هناك مجموعة من الكتب التي أصدرتها مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، كما أنّ مؤسّسة الإمام الجواد عليه السلام قد أصدرت سلسلة من كتب المجالس الحسينية تحت عنوان (نفحات عاشوراء) لمجموعة من الخطباء، إلّا أنّنا لم نطلع على الدور العلمي الذي قامت به المؤسّسة، فلا نستطيع أن نجزم بإدراجها ضمن العمل المؤسّساتي، ولكن بحسب اطلاعنا على المستوى العلمي للمجالس التي تضمّنتها هذه الكتب يمكننا أن نصنّفها في المرحلة الثانية.



١- إن نسبة الوثوق بالدقة العلمية والسلامة الفكرية تكون بدرجة أكبر وأكثر، وذلك بعد أن علمنا أن هذه الكتب تخضع للتحكيم والتقييم من قبل لجان متخصصة، ولم تكن النتائج التي توصل إليها المؤلف من آرائه الشخصية التي قد يتطرق إليها احتمال الخطأ بنسبة أكبر مما لو كان التحقيق من قبل مجموعة من الباحثين المختصين.

٢- شمولية المواضيع التي تضمنتها هذه الكتب في العمل المؤسسي، إذ إن العمل الجمعي يساهم في تلاحق الأفكار، وتظافر الجهود التأليفية بنسبة أكبر من العمل الفردي الذي يعتمد على جهود المؤلف الواحد ومعلوماته ومصادره<sup>(١)</sup>.

### المبحث الرابع: إشكاليات حول التدوين المنبري

مع أن هذا المشروع المبارك قد حظي بمقبولية كبيرة من قبل غالبية علمائنا وحوزاتنا العلمية، فضلاً عن المساهمة والمشاركة المباشرة من قبل جملة منهم، إلا أن هناك مجموعة من الإشكالات التي أثرت حوله من قبل بعض الباحثين في الشأن المنبري، ومع أننا لا ننكر واقعية هذه الإشكالات بالنسبة إلى الحالة المثلى التي يُراد للمنبر الحسيني أن يرتقي إليها، ولكن بما أننا ننظر إلى الواقع الذي يشهده الميدان المنبري؛ سوف نذكر بعض الإشكالات مع تسجيل النقاط التي تصلح أن تكون معالجات حقيقية لها:

#### الإشكالية الأولى: وقوف كتب المجالس الحسينية في طريق تطوّر الخطباء

من الإشكالات التي أثرت حول مشروع كتب المجالس الحسينية، هو أن هذا اللون من الكتب سوف يقف في طريق الخطيب الذي يعتمد على المجالس الجاهزة، ويمنعه من تطوير قابلياته ومهاراته في اختيار المعلومة، وكيفية طرحها على جمهوره، ولا يدع له المجال لكي يكون مبدعاً في مجال كتابة المجالس، وقد طرق أسماعنا هذا

(١) أنظر: الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص ٧٨.



الإشكال في محافل كثيرة، خصوصاً من بعض أساتذتنا في الخطابة، معللين ذلك بقولهم: إنَّ هذه الطريقة سوف تجعل من الخطيب نسخة مكررة لمؤلف الكتاب، حتى صار الكثير منا يعتقد بهذه الإشكالية ويدافع عنها<sup>(١)</sup>.

### محاكمة الإشكالية الأولى

١- من المتفق عليه بين الجميع - نتيجة لطبيعة التفاوت بين البشر - أن هناك تفاوتاً بين مستويات الخطباء والمبليغين، فهناك من الخطباء من هو غير مؤهل ولا قادر على انتقاء المعلومة المفيدة، أو النقية من الإشكالات، والبعيدة عن دائرة الاختلاق والتحريف، وهذا النمط من الخطباء موجودون في جميع الأزمنة. وقد نقلنا بعض النصوص المتضمنة لصيحات العلماء المنادية بمعالجة هذه الظاهرة وفي جميع العصور، حتى أن المرجعية العليا قد أصدرت عند اقتراب مواسم التبليغ توصيات تدعو فيها إلى معالجة هذه الظاهرة أيضاً<sup>(٢)</sup>.

ولا شك في أن هذا المشروع يحدُّ من وقوع هذه المشكلة لدى شريحة ليست بالقليلة من هؤلاء الخطباء، بل يمكن أن يعالج هذا المشروع المشكلة أيضاً حتى بالنسبة إلى الأشخاص الذين لم يكونوا بهذا المستوى من الضعف، إلا أنهم يعانون من صعوبة التحضير؛ لضعف مستواهم العلمي، أو لكثرة قراءتهم للمجالس الحسينية وارتباطاتهم الأخرى، فيختار المجالس المكتوبة - التي توفر له وقتاً كثيراً - بدلاً من الاجترار والإعادة للمجالس التي قد يلتجئ إليها نتيجة للإحراج الذي يقع فيه، أو السطحية التي تتنافى مع هدفية المنبر الحسيني الذي اتخذه علماءنا وسيلة إعلامية إصلاحية<sup>(٣)</sup>.

(١) لطالما سمعنا هذه التوصيات المتضمنة لهذه الإشكالية حينما كنا نحضر للتعلّم في معهد الإمامين الحسينين عليه السلام لإعداد الخطباء، فكان أغلب أساتذتنا الكرام يحدّثون الطلاب من زملائنا الذين يعتمدون على المحاضرات الجاهزة، ليلقوها في قاعات المعهد لأجل التعلّم.

(٢) أنظر: <http://www.sistani.org/arabic/archive/26341>.

(٣) أنظر: فلسفي، محمد تقي، البيان وفن الخطابة: ص ١٩٦.

٢- على فرض ثبوت هذه الإشكالية حتّى بالنسبة إلى الخطباء الذين ذكروا في الإجابة السابقة، تبقى هناك حاجة ماسّة وضرورة قصوى لوجود هذا المشروع بالنسبة إليهم كذلك، فضلاً عن غيرهم؛ إذ بعد الموازنة بين الإيجابيات المترتبة على هذا المشروع - وهي: تنقية الخطاب المنبري من القصص المزيفة والمنامات التي يعتمدها بعضهم في إثبات مدّعاتهم - وبين السلبيات المترتبة على وجود هذا المشروع - أي: الوقوف في طريق تطوّر هؤلاء الخطباء في كتابة مجالسهم بأنفسهم - بعد هذه المقارنة والموازنة سوف تكون كفة الإيجاب راجحة ومقدّمة على كفة السلب.

٣- يمكن أن يعتمد الخطباء - حتّى البارع منهم - على كتب المجالس هذه، ولو في الحالات الطارئة والظروف الاستثنائية التي لا يتمكّن فيها من الإعداد السابق والتحضير الذاتي، ويترك الاعتماد عليها في الوقت الاعتيادي الذي يتسع له الإعداد السابق.

٤- إنّ الإشكالية المذكورة تتحدّث عن الحالة المثلّي التي ينبغي للخطيب الحسيني أن يصل إليها، ونحن على اعتقاد تامّ بذلك أيضاً، إلّا أنّ رؤية العلماء والباحثين الذين كتبوا في هذا المشروع كانت ناظرة إلى الواقع الذي يعيشه بعض الخطباء، والذي يفرض على العلماء والمهتمّين بالشأن المنبري أن يرفدوا أولئك الذين لم تسعفهم الإمكانيات والمؤهّلات؛ ليرتقوا إلى مستوى الطموح.

### الإشكالية الثانية: إنّ لغة المجالس المكتوبة تكون مانعاً من شمولية تأثيرها

من بين الإشكاليات التي سُجّلت على هذا المشروع هو ما ذكره بعض الباحثين الفضلاء في ورقة العمل القيّمة المتضمّنة لمشروع توحيد الخطاب المنبري، إذ أورد بعض الإشكالات حول مشروع المجالس المكتوبة قائلاً: إنّ المجالس الحسينية المكتوبة لا يمكن أن تكون مؤثّرة في كافّة المجتمعات؛ إذ إنّ الاختلاف الملموس بين

مجتمع وآخر من جهة اللغة والأفهام يجعل من لغة المجلس المكتوب حبيسة مجتمع محدد دون بقية المجتمعات<sup>(١)</sup>.

## محاكمة الإشكالية الثانية

١- على فرض وجود هذه المشكلة؛ فبالإمكان أن يُعمل على إنشاء مشروع ناظر إلى التنوع المجتمعي؛ لتكون الكتابة فيه ضمن خطة واستراتيجية تلحظ هذا الاختلاف في اللغة والأسلوب والمادّة التي يُراد طرحها.

٢- لا ننفي ضرورة المشاريع الرديفة الأخرى التي يقدمها المستشكل الكريم أو غيره، فضلاً عن جدوايتها، إلا أننا - تبعاً للعلماء الذين كتبوا في هذا المشروع - نلمس الأهمية الفائقة والضرورة القصوى لهذا المشروع الذي عالج مشكلة كانت ولا تزال تشكل ظاهرة في الأوساط الخطابية، وغير المسار الخطابي في بعض الحقب الزمنية، كما ذكرنا ذلك في أهداف تأليف المجالس الحسينية.

٣- لا يمكن تعميم هذه الإشكالية على جميع ما يُكتب من مجالس حسينية؛ لأنّ هناك بعض الموضوعات والدروس القيمة المشتركة بين كافّة المجتمعات، وتكون لغتها ومصطلحاتها مشتركة أيضاً، كما في الموضوعات الأخلاقية أو التاريخية أو المسائل العقائدية، بل حتّى بعض الموضوعات الفقهية أيضاً، فبالإمكان أن تكون المجالس المكتوبة في نطاق الموضوعات المشتركة، غاية الأمر تترك مساحة فيها إلى الخطيب لتبسيط لغة التفهيم، ولا اعتقد أنّ المستشكل يناقش في جدوائية المجالس المكتوبة في هذا النطاق، أو أنه يعتقد أنّها قد كتبت لتعالج ظاهرة في مجتمع خاصّ دون سائر المجتمعات.

(١) أنظر: الجعفري، إسكندر، سُبُل توحيد الخطاب المنبري، مجلّة الإصلاح الحسيني، العدد ٢٦،

### الإشكالية الثالثة: فقدان معايير التفوق بين الخطباء

ومن الإشكاليات التي ذُكرت أيضاً حول مشروع المجالس المكتوبة ما نصّه: «على هذا الأساس؛ لا يبقى فرق ملحوظ بين الخطيب المفوّه وبين غيره، بل لا فرق بين الخطيب وغير الخطيب؛ إذ يمكن لكل إنسان قادر على الحفظ ولديه قدرة على الإلقاء أن يحفظ نصّ الخطبة المكتوب ويلقيه على الناس، وبذلك تضيع الكثير من المميّزات التي يتمتع بها بعض الخطباء»<sup>(١)</sup>.

### محاكمة الإشكالية الثالثة

١- مع أننا نتفق مع الباحث حول ضرورة التميّز والتفوق، إلا أننا لا نرى أنّ هذه النتيجة التي ذُكرت في الإشكالية مترتبة على العمل في ضوء هذا المشروع، فإنّ التفاوت والتميّز محفوظ حتّى بين الأشخاص الذين يعتمدون على المجالس المكتوبة، وهذا ما تثبته التجربة في المناهج المدرسية التي يشترك في مطالعتها والتعلّم بواسطتها جميع الطلاب، ومع ذلك نجد التفاوت والتميّز موجوداً بينهم نتيجة للجديّة والذكاء وغيرهما من المؤهّلات التي يمتلكها بعضهم ويفتقدها آخرون.

٢- ليس الهدف من هذا المشروع أن يكون منهاجاً مفروضاً على جميع الخطباء، بل كلّنا نتفق على أنّ من كانت له المؤهّلات والقدرة على تولّي مهمّة الكتابة بنفسه فالأجدر به أن لا يعتمد المجالس المكتوبة.

٣- لا نعتقد أنّ هذا الإشكال يُشكّل عقبة في وجه رواد مشروع التدوين المنبري، بعد أن كان همّهم وهدفهم الارتقاء بالواقع المعاش في الساحة الخطابية، فلو فرضنا أنّ التساوي قد تحقّق بين الخطباء فلا أعتقد أنه يُعدّ خلافاً ملحوظاً بين المختصين والخطباء.

هذه أهمّ الإشكاليات التي ذُكرت حول مشروع تدوين المجالس الحسينية.

(١) أنظر: المصدر السابق.

## خاتمة: في الفوائد المترتبة على مشروع التدوين المنبري

تعرفنا في بعض المباحث المتقدمة على النتائج المترتبة على كتب المجالس الحسينية وقد ذكرت ضمناً في نقاط متفرقة، إلا أن ذلك لا يمانع من عنونة بعض الفوائد والشار المترتبة على هذا المشروع، وإن لم يكن بعضها منظوراً في ضمن الأهداف التي قام المشروع من أجلها، فمن جملة الشار المترتبة:

### ١- توحيد الخطاب المنبري

مع أننا قد ذكرنا ذلك في مبحث أهداف التدوين المنبري؛ إذ نقلنا بعض العبائر التي تؤكد ترتب هذه الفائدة الكبيرة على مشروع كتابة المجالس الحسينية<sup>(١)</sup>، إلا أن هناك بعض العبارات الأخرى التي تفيد ذلك، من أهمها الإصرار والطلب المتكرر لإعادة طباعة تلك المؤلفات التي دُوت ضمن هذا المشروع، كما يذكر العلامة الأمين قائلاً: «... وحيث قد نفذت طبعته الأولى من مدة طويلة، وكثر الطلب له، فها نحن نمثله للطبع للمرة الثانية؛ إجابة لطلب الكثيرين، مع زيادات عليه كثيرة. وقد كنّا جمعنا فيما سبق مرثي الحسين عليه السلام لكثرتها في كتاب مستقل سمّيناه (الدرّ النضيد في مرثي السبط الشهيد) يصلح لإلحاقه بالمجالس المتعلقة بواقعة كربلا، ثم زدنا عليه في الطبعة الثانية ما يقارب نصفه، وبالله التوفيق»<sup>(٢)</sup>. وقد ساعدت الطلبات المتكررة من قبل الكثيرين على تشجيع مؤلّفي الكتب لإضافة بعض المجالس الحسينية؛ ذلك بعد أن لمسوا الفائدة الكبيرة التي تتناسب مع الجهود المبذولة في هذا المشروع.

ويجدد بنا أن نذكر جانباً من تجربتنا الداعمة لما ذكره العلامة الأمين؛ فبعد أن عملنا على إصدار بعض كتب المجالس الحسينية التي قدّمها بعض الفضلاء

(١) أنظر: شرف الدين، عبد الحسين، المجالس الفاخرة: ص ١٢٥.

(٢) الأمين، محسن، المجالس السنوية: ج ٥، ص ٥.

المختصين في المجال الخطابي<sup>(١)</sup> إلى اللجنة العلمية في مؤسّسة وارث الأنبياء؛ وجدنا أنّه شهدت هذه الكتب إقبالاً منقطع النظير من قبل الخطباء، وبعد نفاذ طبعتها الأولى وتلقّي الطلبات المتكرّرة لإعادة طباعتها قمنا بإصدار نسخة ثانية قد أُضيف إليها ما يقارب النصف من المجالس الأخرى، إلّا أنّها قد نفذت في فترة قياسية، ولا زالت الطلبات من قبل الخطباء متكرّرة، فضلاً عن دور النشر والتوزيع المعنية بنشر إصدارات المؤسّسة.

## ٢. أرشفة الجهود المنبرية

من أهمّ النتائج المترتبة على التدوين المنبري هو الإسهام في تكوين أرشيف ثري بالكتب التي تحفظ الجهود المبذولة في المسيرة المنبرية، فقد ذكر لنا العلامة آقا بزرك الطهراني مجموعة من كتب المجالس الحسينية التي تبين لنا المهمة الجسيمة التي أنيطت بخطباء المنبر الحسيني<sup>(٢)</sup>، ولو أردنا إحصاء كتب المجالس الحسينية التي أُلّفت بعد عصر العلامة الطهراني لوجدنا أنّها تتجاوز المؤلف الكامل، وهو عمل يستحق بذل الجهد.

## ٣. التعريف بطبيعة المجالس في المراحل المنبرية

إلى جانب ما تقدّم من آثار مهمّة؛ فإنّ من أهمّ الآثار الأخرى التي نلمسها في المجتمع المؤمن هو ما تركه المنبر الحسيني فيه من أثر إيجابي، نتيجة للدروس القيمة التي ينتهل منها حضّار المجالس الحسينية في جميع الأماكن والأزمنة؛ فلولا هذه المجالس التي كُتبت بأنامل العلماء الذين كانت لبعضهم جهود تبليغية كبيرة عن طريق المنبر الحسيني لما أمكننا معرفة طبيعة المجالس الحسينية في تلك العصور، إلّا عن طريق ما يتناقله بعض المغرضين بشكل مشوّه ومسيء إلى المجالس المنبرية، وأنّها كانت لا تحتوي على أيّة معلومة مفيدة للمجتمع.

(١) كما في كتاب معين الخطباء للدكتور الشيخ كاظم البهادلي.

(٢) أنظر: الطهراني، آقا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج ١٩، ص ٣٦٠.

## التوصيات

بعد أن لمسنا الفوائد الكبيرة التي تربت على كتب المجالس الحسينية؛ رأينا من الضروري جداً أن يتم تطوير هذه الفكرة من خلال التوصيات التالية:

١- الدعوة لتطوير التدوين المنبري عن طريق إنشاء مؤسسات تخصصية في هذا المجال، ويكون العمل والتأليف فيها وفق خطة استراتيجية من قبل مجموعة من باحثين متخصصين في الشأن الحسيني، وتحت إشراف لجان علمية عليا.

٢- إقامة المؤتمرات والملتقيات التخصصية لغرض التعريف بمشروع كتب المجالس الحسينية وأهميتها، فضلاً عن التعريف بالكتب الكثيرة التي لم يطالع عليها بعض الخطباء والمبليغين.

٣- إقامة مسابقة لتأليف كتب المجالس الحسينية، وتكريم الفائزين بالمراتب الأولى، بعد إخضاع الكتب المشاركة للتحكيم والتقييم العلمي.

٤- العمل على إحياء وتحقيق النتاجات التي كُتبت بأقلام العلماء المتخصصين والبارعين في هذا المجال.

## فهرست المصادر

\* القرآن الكريم.

١- اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، محمد بن الحسن الطوسي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم المقدّسة - إيران، ١٤٠٤ هـ.

٢- أعيان الشيعة، محسن الأمين، دار المعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان.

٣- الأغاني، أبو الفرج الإصفهاني، دار الفكر للطباعة والنشر.

٤- البيان وفن الخطابة، محمد تقي فلسفي (ت ١٣٢٩ هـ)، مؤسسة البعثة، بيروت - لبنان،

الطبعة الثانية، ٢٠٠٦ م.



- ٥- تجاربي مع المنبر، أحمد الوائلي، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م.
- ٦- الخصائص الحسينية، جعفر التستري، دار الحوراء، بيروت - لبنان.
- ٧- الدرس الأدبي في كتب المجالس، علياء هاشم الشريفي، رسالة قدمتها الطالبة إلى كلية التربية، قسم اللغة العربية، بإشراف: مزاحم مطر حسين، ٢٠١٧ م.
- ٨- دور المنبر الحسيني في التوعية الإسلامية، محمد باقر المقدسي، دار الكفيل للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، ٢٠١٧ م.
- ٩- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آقا بزرك الطهراني، دار الأضواء، الطبعة الثالثة، بيروت - لبنان، ١٩٨٣ م.
- ١٠- روضة الواعظين، حسين الكاشفي، مكتبة الحيدرية.
- ١١- كامل الزيارات، جعفر بن محمد ابن قولويه، مؤسّسة نشر الفقاهة، الطبعة الأولى، قم المقدّسة ١٤١٧ هـ.
- ١٢- اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى بن طاووس (ت ٦٦٤ هـ)، منشورات أنوار الهدى، قم - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.
- ٣١- لواعج الأشجان، محسن الأمين، منشورات مكتبة بصيرتي، قم المقدّسة - إيران، ١٣٣١ هـ.
- ١٤- اللؤلؤ والمرجان، حسين النوري، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م.
- ١٥- مأساة الزهراء عليها السلام، جعفر مرتضى العاملي، دار السيرة، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٧ م.
- ١٦- المبارك، حميد، الخطابة في دراسة نوعية شاملة لآية الله الكرباسي، بيت العلم للناهين، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ م.
- ١٧- مثير الأحزان، جعفر بن محمد بن نما الحلّي، المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف، ١٩٥٠ م.



١٨- المجالس الحسينية، محمد جواد مغنية، سجدة، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م.

١٩- المجالس الحسينية، محمد حسين كاشف الغطاء، مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدّسة، كربلاء المقدّسة - العراق، الطبعة الثانية، ٢٠١٠ م.

٢٠- المجالس السننية، محسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٢ م.

٢١- المجالس الفاخرة، عبد الحسين شرف الدين، مؤسّسة المعارف الإسلامية، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.

٢٢- المنتخب، فخر الدين الطريحي، مؤسّسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧ م.

٢٣- نهضة الحسين، هبة الدين الشهرستاني، رابطة النشر الإسلامي، كربلاء المقدّسة - العراق، الطبعة الخامسة، ١٩٦٩ م.

٢٤- واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي، محمد مهدي شمس الدين، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ م.

## المجلات

٢٥- مجلّة الإصلاح الحسيني، العدد ٢٦، ٢٠١٩ م، مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، النجف الأشرف - العراق.

## المواقع الإلكترونية

26 - <https://www.sistani.org/arabic/archive/26341/>

27-<https://www.youtube.com/watch?v=AHIT24LscUo>

28 -<https://www.youtube.com/watch?v=PMF1fgvPVqw>



## مَلَفُ الْعَدَدِ

### المنبر الحسيني .. الواقع والظموج (١)

- ◆ ندوة: المنبر الحسيني وأثره في الإصلاح السياسي
  - ◆ ندوة: دور المنبر الحسيني في مواجهة الحرب الناعمة.. دراسة تحليلية
  - ◆ المنهج والخطابة الدينية.. دراسة نظرية في التأثيرات المعرفية
  - ◆ المعاهد المنبرية ودورها في صناعة الخطيب الحسيني.. الأهداف والنتائج.. دراسة نظرية
- تحليلية / القسم الأول
- ◆ الخطابة الحسينية.. أسس وتطلعات
  - ◆ سؤال المتلقي وأثره في تطوير المنبر الحسيني
  - ◆ الخطيب الحسيني.. محاولة استكشافية في المنطلقات والخصائص
  - ◆ نظرة عامة حول المنبر الحسيني والقائمين عليه
  - ◆ مزايا الخطابة الحسينية في ضوء خطبة السيدة زينب ﷺ



## ندوة: المنبر الحسيني وأثره في الإصلاح السياسي

العلامة السيّد محمّد علي بحر العلوم\*

أقامت مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصّصية في النهضة الحسينية، ندوتها الثالثة والثمانين، تحت عنوان: (المنبر الحسيني وأثره في الإصلاح السياسي)، وذلك يوم الخميس بتاريخ ١١/٧/٢٠١٩م، وكان المحاضر في هذه الندوة هو العلامة السيّد محمد علي بحر العلوم، وقد عمل قسم مجلّة الإصلاح الحسيني على إعداد هذه الندوة وترتيبها، مع تصرّف فنيّ بسيط.

### المقدمة

إنّ المتابع بدقة لموقف الإمام الحسين عليه السلام من بيعة يزيد وما ترتّب على ذلك من ثورة خالدة، يصل إلى نتيجة قطعية بأنّه عليه السلام لم يبتغ من خلال حركته هذه أيّ مطمع سياسي أو نفع مادّي، وإنّما كان يهدف إلى سلامة الناس من الناحية العقدية والسلوكية، تحقيق المصلحة الاجتماعية لهم؛ وذلك من خلال توفير العدالة السياسية والاجتماعية وإشاعتها بينهم. وقد أعلن عليه السلام عن هذه الأهداف المشرقة في وصيّته لأخيه محمّد بن الحنفية التي يقول في بعض ما جاء فيها: «وأني لم أخرج أشراً، ولا

\* أستاذ في الحوزة العلمية، النجف الأشرف.

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٣٠.

بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ﷺ، أريد أن أمر بالمعروف وأنها عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب ﷺ»<sup>(١)</sup>.

وتطبيقاً لهذه الأهداف المباركة فقد تعددت عطاءات المنبر الحسيني في الإصلاح والقضاء على الفساد بثنتي صنوفه، فالمنبر الحسيني مدرسة معرفية واسعة الأرجاء، تقوم بتوجيه الناس في مختلف مجالات الحياة، كما أنّها تطرح مختلف الآراء التي تلامس مختلف الجوانب الدينية، والأخلاقية، والاجتماعية، والسياسية، ونحو ذلك. ومن الطبيعي أن تتنوع عطاءات المنبر الحسيني بحسب تنوع مستويات الخطباء واهتماماتهم، وبحسب اختلاف البيئات والظروف والأوضاع، فهناك منبر يُركّز على البعد العقدي، وآخر يُركّز على البعد السلوكي، وثالث يُركّز على البعد الاجتماعي، أو التاريخي إلى غير ذلك. ومن الأبعاد التي ينبغي ألا تغيب عن الخطاب المنبري هو بُعد الوعي السياسي؛ إذ لا بدّ للمنبر الحسيني أن يكون له عطاء في هذا المجال، وهذا البعد هو ما سنركّز عليه في هذه الدراسة التي تتألف من تمهيد ومحاوِر عدّة.

### تمهيد

عندما نتحدّث عن البعد السياسي في نهضة سيّد الشهداء ﷺ، فإننا نجد أنّ هناك سؤالين أساسيين، تختلف وجهات النظر في مقام الإجابة عنهما:

السؤال الأوّل: هل حركة الإمام الحسين ﷺ كانت حركة سياسية من الأساس؟

السؤال الثاني: هل حركة الإمام الحسين ﷺ كانت تشتمل على هدف سياسي ضمن أهدافها المتعدّدة، يهدف إلى تغيير نظام الحكم في تلك الحقبة الزمنية؟

من أجل التوصل إلى نحوٍ من الإجابة عن هذين التساؤلين، نشير إلى أنّ هذه الحركة بكلّ ما تحملها من معنى غيبي أو معنى دنيوي (إصلاحية)، فإنّها بلا شكّ تمتلك انطلاقة معيّنة، ونقطة شروع محدّدة، وهذه الانطلاقة تتمثّل في رفض الإمام الحسين ﷺ إعطاء البيعة ليزيد، فقد نقلت المصادر بأنّ يزيد أمر عامله على المدينة -

الوليد بن عتبة بن أبي سفيان - أن يأخذ البيعة من أهلها عامّة، ومن الإمام عليه السلام بوجه خاصّ، وأثناء المحادثة التي جرت في دار الإمارة وما جرى فيها من مشادة كلامية بينه عليه السلام وبين مروان بن الحكم، قال الحسين عليه السلام كلمته المشهورة: «إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله، وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلى بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نُصبح وتُصبحون، وننظر وتنظرون، أيّنا أحقّ بالخلافة والبيعة»<sup>(١)</sup>.

هذه الكلمات بحسب المفهوم السياسي السابق والحالي، تجعل الإمام عليه السلام ينضوي تحت تيار المعارضة الرافضة لرأس الحكم المتمثل بيزيد، ويتجلّى البُعد السياسي في هذه الحركة بشكل واضح من خلال ضميمته وصول رسائل أهل الكوفة، وإعلانهم رفضهم لبيعة يزيد، وطلبهم قدوم الإمام إليهم، وقولهم له بحسب ما جاء في بعض الرسائل: «إنّه [أي: يزيد] ليس علينا بإمام، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا على الحقّ بك»<sup>(٢)</sup>، وأنّه عليه السلام باستجابته لمطالب أهل الكوفة قد جعل نفسه رأس الحربة في هذه الثورة ضدّ الحاكم الظالم المستبدّ، إضافة إلى ذلك، عبارته العامّة التي جاءت في وصيّته المتقدّمة لأخيه محمّد بن الحنفية: «أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»؛ إذ يدخل - في المقام - العنوان السياسي (طلب الإصلاح) بشكله العامّ، وكذلك الكلمات التي جاءت في بعض خطبته التي وجّهها إلى أهل بيته وصحبه بعد لقائه مع جيش الحرّ ابن يزيد الرياحي: «ألا ترون إلى الحقّ لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربّه محقّقاً، فإنّي لا أرى الموت إلاّ سعادة، والحياة مع الظالمين إلاّ برماً»<sup>(٣)</sup>.

فهذه المواقف والكلمات تجعل نهضة الحسين عليه السلام - شئنا أم أبينا - تصطبغ بالطابع السياسي، وأتّما ليست حركة اجتماعية بحتة، أو أتّما حركة تريد تصحيح مفهوم

(١) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص ٢٥.

(٢) ابن شهر آشوب، محمّد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٤١.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٤٨.

خُلقي معيّن، أو ظاهرة معيّنة حصلت في المجتمع، وإنّما هي احتجاج على أمر عامّ له أبعاد عدّة: عقدية، وسلوكية، وسياسية، واجتماعية، ونحو ذلك.

والهدف السياسي للإمام الحسين عليه السلام في هذه الحركة لم يكن بحدّ ذاته عبارة عن إسقاط نظام الحكم وتغييره، وإنّما يتجلّى هذا الهدف كذلك بكونه عليه السلام بصدد إبانة الخلل الذي وُجد في المنظومة الإسلامية التي تمثّلها السلطة في ذلك الوقت، والتنبيه على أنّ الحاكم فيها لا يُمثّل الدين، وأنّه ليس خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا يستحقّ أن يكون أميراً للمؤمنين؛ ومن هنا، نجد أنّ هذه الحركة المباركة قد مثّلت الصراع الدائم بين الحقّ والباطل، وبين الظالم والمظلوم، وبين الحاكم المستبدّ والثائر المصلح؛ وأنّ جميع مَنْ جاء بعد الحسين عليه السلام - وكان ثائراً ورافضاً للظلم - قد فهم هذا المعنى واتّخذ من الحسين عليه السلام مناراً ومصباحاً يُضيء له هذا الطريق، ويبيّن له كيفية الثورة على الظالم، وكيفية المطالبة بالحقوق، ورفض كلّ أشكال الخنوع والسكوت.

وقد تجلّى هذا الفهم بشكل واضح في جميع الثورات التي حدثت في الواقع الإسلامي، ابتداءً من ثورة التوّابين، ثمّ ثورة المختار، وكذلك ثورة العلويين، وصولاً إلى الحركات الثورية التي حصلت في زماننا المعاصر، بل حتّى غير المسلمين نجدهم عندما يقرأون عن نهضة الإمام الحسين عليه السلام، فإنّهم يتوجّهون إلى حركته من خلال الفهم المتقدّم نفسه؛ ممّا جعل هذا العنوان السياسي الثوري لحركة الإمام الحسين عليه السلام، وصراعه ضدّ الباطل يأخذ صبغة عالمية أكثر من كونها شيعية فقط، ومن الأمثلة البارزة ما شاهدناه بأنفسنا في الزيارة الأربعينية الماضية من أنّ أحد البريطانيين (من أعضاء مجلس اللوردات)<sup>(١)</sup>، قد شارك في هذه الزيارة وبقي هناك حتّى الانتهاء من جميع مراسمها، ثمّ إنّه بعد ذلك وفي إحدى الندوات ذكر بأنّ الشيء الذي جذبته نحو حركة الإمام الحسين عليه السلام، هو النهج الإنساني الذي سار عليه عليه السلام في معركة الطفّ،

(١) وهو اللورد موريس كلاسمان، وقد شارك في ندوة في بغداد بتاريخ (٤/١١/٢٠١٨).



والذي سار عليه أيضاً من قبله والده عليّ بن أبي طالب عليه السلام في معركة صفّين، هذا النهج الذي تمثّل في عدم استخدام هذين الإمامين والقائدين الفدّيين للماء - الذي هو شأن عامّ لجميع الناس - كسلاح من أجل إخضاع الخصم وإرغامه على الاستسلام. وفي قبال هذا النهج الإنساني في الحرب ما فعله معاوية بن أبي سفيان وولده يزيد في المعركتين المذكورتين من احتكارهما لمياه الشرب، وعدم إقدام جيش يزيد حتّى على سقي الأطفال. وهذه النقطة التي استفادها اللورد البريطاني، والتي صبغت الحركة السياسية الثورية للإمام الحسين عليه السلام بطابع إنساني، كانت هي السبب في انجذابه لهذه الحركة المباركة واهتمامه بها، مضافاً إلى أنّه ومن خلالها انطلق إلى فهم الحسين عليه السلام بصورة أكثر عمقاً.

### المحور الأوّل: دور المنبر الحسيني في ثورة الإصلاح السياسي للإمام الحسين عليه السلام

إنّ للمنبر الحسيني وظيفة أساسية تتمثّل بإحياء أمر أهل البيت عليهم السلام، فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال للفضيل بن يسار: «تجلسون وتحدّثون؟ فقال: نعم. فقال: إنّ تلك المجالس أحبّها، فأحيوا أمرنا، فرحم الله من أحيّا أمرنا»<sup>(١)</sup>. كما أنّه في الوقت ذاته يُعدّ نافذة لتوجيه الأنظار وتثقيف الأُمّة وتوعيتها نحو الدين الحقيقي، الدين الذي أراد الحسين عليه السلام إرساء دعائمه وتثبيتها من خلال ثورته الخالدة، ضدّ من أراد تمييع الدين الإسلامي وتحويل الخلافة الدينية إلى مُلكٍ عضوض يتسلّط على رقاب الناس؛ ما ذلك إلا بسبب كون المنبر الحسيني هو امتداد للمنبر الرسالي الذي أسّسه رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام. فالحسين هو امتداد لجدّه الخاتم، وعليه يكون خادم المنبر الحسيني ممثلاً عن الرسول صلى الله عليه وآله في تبليغ الرسالة الإسلامية على جميع الصّعد وفي مختلف الجهات.

هذا، وأنّ المنبر الحسيني يمكن تقسيمه على قسمين، نحاول التعرّف من خلال

(١) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٥٠١.

كل واحد منها على طبيعة الإصلاح السياسي في المنظومة الحكومية والقيادية التي تعطي سُدّة الحكم.

### القسم الأول: المنبر التقليدي

وهو المنبر الذي يقتصر على ذكر ما جرى من ظلمات على أهل البيت عليهم السلام، دون الدخول في تحليلات وأبحاث معمّقة؛ والغرض من ذلك هو إيجاد حالة من الارتباط العاطفي بين الأئمة عليهم السلام وبين شيعتهم ومحبيهم. وقد كانت فكرة إنشاء هذه المنابر مستوحاة من فكرة ما اصطلح عليه بالمنابر العفوية التي تأسست بعد واقعة الطفّ المروّعة.

هذه المنابر والمجالس على الرغم من عفويتها وبساطتها إلا أنّها كانت تُقلق الطغاة وحكّام الجور؛ والسبب في ذلك هو معرفة هؤلاء بأنّ هذا النوع من الإثارات المنبرية تجعل الناس تتنبّه إلى أنّ هناك صراعاً دائماً بين الحقّ والباطل، يُمثّل الطرف الأوّل من هذا الصراع أئمة أهل البيت عليهم السلام عموماً، والحسين عليه السلام منهم على وجه خاصّ، ويُمثّل الطرف الثاني كلّ الظلمة والمتجبرين الذين يعيشون في الأرض فساداً، ويسرقون الأموال، ويسترقّون العباد. فمجرّد هذا التحليل كان يُمثّل تحدياً ثورياً لكلّ ظالم؛ ومن هنا نجد أنّ هذه المظاهر كانت تُحارب وتُمنع، ويعاقب من يُقيمها بأشدّ العقوبات، والشواهد على ذلك كثيرة، منها: ما مارسه العباسيون كالمتموكل الذي حارب زيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام، ومنها أيضاً: ما قام به النظام الشاهنشاهي في إيران، وكذلك ما قام به مؤخراً النظام البعثي الصدّامي البائد في العراق، وغير ذلك.

وعلى العكس من ذلك نجد أنّ بعض الدول والحكومات الشيوعية شجّعت على مثل هذه الممارسات؛ وذلك لتثبيت مواقفها المحقّقة، منها الدولة الفاطمية التي كان يُركّز حكّامها - كما جاء في تاريخهم - على مناسبات عدّة، هي: «مناسبة

رأس السنة الهجرية، ومناسبة عاشوراء، ومولد النبي ﷺ، وعيد الفطر، وعيد النحر (الأضحى)، وليلة النصف من شعبان، ومولد الإمام عليّ عليه السلام، ومولد الحسن، ومولد الحسين، ومولد فاطمة، وأول رمضان، وعيد الغدير، وموسم فتح الخليج، وكسوة الشتاء، وكسوة الصيف...»<sup>(١)</sup>، إلا أنّ أبرز مناسبة ركّز عليها الفاطميون هي ظلامه الإمام الحسين عليه السلام وما جرى عليه هو وأهل بيته وصحبه، فقد كان لها وقع خاص في فكرهم، وكانوا يسعون إلى تثبيت إحياء مراسم عاشوراء، فقد جاء في التوقيع الذي أصدره الخليفة المعزّ الفاطمي، ردّاً على طلب القاضي النعمان المتعلّق بالحديث عن واقعة عاشوراء من على منبر صلاة الجمعة، ما يلي: «يا نعمان، ما ذكرت إلا ما جاء عن الصادقين صحيحاً. ويوم عاشوراء، فقد علمت تفضيل الجهال إياه من غير وجه التفضيل الذي فضّله الله عزّ وجلّ، وإنهم جعلوه يوم عيد وسرور لما سنّه لهم الفسقة بنو أمية، فصنّف تعظيمهم له من أيّ وجه كان، مثل أن تقول: فعظّموا عباد الله هذا اليوم الذي عظّمه الله، واستنّوا في تعظيمكم إياه سنّة نبيكم محمد رسول الله ﷺ، لا أن تتخذوه يوم عيد وسرور كما اتخذّه أعداء الله، وأولياء الشيطان، وأعداء الرحمن، من أبناء مروان، لَمّا نالوا فيه من هتك حُرْم رسول الله، وقتل أولياء الله، فأحلّوه محلّ السرور والجلد، لا محلّ الاستغفار والعمل، فرحم الله امرأً عمل لنفسه، واقتفى سنّة نبيه، ورغب في عفو ربّه، ولم يغفل في هذا اليوم العظيم عن ذكر مصاب أبناء نبيه، ولم يُجَلِّ الظالمين فيه من لعنه، ألا لعنة الله على الفاسقين المارقين، وأولياء الشياطين، وقتلة المؤمنين»<sup>(٢)</sup>.

ومن تلك الدول أيضاً الدولة البويهية التي اهتمّت هي بدورها بمراسم عاشوراء، ففي عهد معزّ الدولة تمّ تخصيص الأيام العشر الأولى من شهر محرّم لإحياء ذكرى واقعة الطف، وتمّ تحديد يومي التاسع والعاشر من هذا الشهر كأيام

(١) الورداني، صالح، الشيعة في مصر: ص ٣٢.

(٢) أبو حنيفة، النعمان بن محمد، المجالس والمسائرات: ص ٣٦٤ - ٣٦٥.

تُعطلّ فيها الأسواق والبيع والشراء بصورة رسمية، في المناطق التي كانت تسيطر عليها الدولة البويهية. كذلك فقد تمّ تخصيص دور عبادة لممارسة طقوس إحياء واقعة الطفّ، وفي عهده أيضاً بدأ خروج مواكب تسير في الطرقات وتمارس شعائر جنازية معيّنة، وكانت مواكب الرجال تخرج نهاراً، بينما مواكب النساء تخرج ليلاً<sup>(١)</sup>. ومن هنا، فإنّ هذا النوع من المنابر والشعائر - بحدّ ذاته - يُثير الحاكم الظالم المستبدّ، دون أن يقوم النائح أو القارئ بتحليل حركة الإمام الحسين عليه السلام وإعطاء مفاهيم لها؛ وذلك لأنّه يعتبرها موجهة ضده، فهو يعرف نفسه بأنّه المصداق الذي يواجه الحقّ والعدل، ويُمثّل الباطل والظلم بكلّ تفاصيلهما؛ فهو في حرب دائمة من أجل القضاء على هذه الأمور والتنكيل بمن يُقيمها.

### القسم الثاني: المنبر التحليلي

قد حظي المنبر الحسيني بتطور ملحوظ خصوصاً في بدايات القرن العشرين، فقد أصبحت قراءة مقتل الإمام الحسين عليه السلام، وقراءة التعزية الحسينية تُؤدّى بطريقة أخرى، يدخل فيها الأسلوب التحليلي لجوانب متعدّدة من نهضة سيّد الشهداء؛ وذلك بُغية توظيفها في معالجة بعض المشاكل التي يعاني منها المجتمع الإسلامي عموماً، والشيعي على وجه الخصوص، مستفيدين من فرصة اجتماع الناس تحت منابرهم.

فقد أصبحت هذه الوسيلة موجهة لمختلف أبعاد الحياة، من قبيل: البُعد العقدي، والبُعد الاجتماعي، والبُعد الأخلاقي، والبُعد السياسي، وغير ذلك. ومع ملاحظة الخطر الذي كانت تُشكّله المنابر التقليدية للحكومات الظالمة، فكيف إذاً بهذه المنابر التي يكون الإصلاح السياسي هو أحد وظائفها الأساسية؟! فمن المحتمّ أنّ الخطباء

(١) أنظر: الشهرستاني، صالح، تاريخ النياحة على الإمام الشهيد الحسين بن علي عليه السلام: ج ١،

والمُنشدين سوف يكونون في مواجهة مباشرة مع الحكومات الظالمة، ونصرة المظلومين في شتى بقاع الأرض، وستكون مواجهة هذه المنابر أشدّ بكثير ممّا سبق، فهي تُشكّل صرخة مباشرة في رفض الحاكم المستبدّ، وإعلان الثورة ضده استمداداً من المعطيات التحليلية للنهضة الحسينية المباركة، أو أنّها تكون ذات مطالب إصلاحية جذرية، تعجز عنها الحكومات الظالمة مع تلبّسها بمبدأ الجور، مطالب توصل بالنتيجة إلى الإعلان الصريح عن ضرورة تغيير هذه الحكومات أو الأنظمة.

إذا؛ فمسألة عزل المنبر الحسيني عن الواقع السياسي غير ممكنة، سواء تصدّى إلى تحليل أحداث واقعة الطفّ وما جرى بعدها، أم اكتفى بمجرد الإشارة إلى ذلك، فإنّ عملية إحياء مراسم عاشوراء نفسها صرخة في وجه الظالم، وتذكير بما عاناه أبو عبد الله الحسين عليه السلام ومن معه من المظلومية، مظلومية تُشكّل إثارة للناس، وتعمل على تأجيج العواطف وإعطاء قوّة معنوية للناس كي يعملوا في ضوئها، ويواجهوا الظروف الصعبة التي يعيشونها، فالتأثر العاطفي نفسه والبكاء كذلك هو عملية ضخّ معنوي للإنسان العادي، يُعيّنه على مواجهة الظروف الصعبة في شتى مجالات الحياة.

### **المحور الثاني: قدرة المنبر الحسيني على العمل في الواقع السياسي المختلف**

إنّ الشيء المقلق في مقام تصدّي المنبر الحسيني إلى التحليل السياسي، هو احتسابه على جهة معيّنة في الصراعات السياسية؛ علماً أنّ دور المنبر الحسيني هو بيان المُثل، وليس مجاله الدخول في المصاديق، فهو عندما يعرض الاعتقادات، فإنّه يعرض المبادئ العليا وأصول الدين الرئيسة، من قبيل عرضه لمبدأ التوحيد في مقابل الإلحاد والشرك، وأمّا بعض الفروع الاعتقادية الخلافية بين العلماء، فإنّه يتجنّب الخوض فيها. وعليه؛ فإنّ المنبر الحسيني عندما يدخل إلى المجال السياسي لا بدّ أن يقتصر على طلب الإصلاح السياسي، وقول الحقّ البعيد عن التحيزّ الجهوي والتحرّز؛

وذلك سيراً على النهج الذي سار عليه أئمة أهل البيت عليهم السلام في مثل هذه الظروف، والذي تجلّى بتوعية الناس في مجال الإصلاح السياسي، والقدرة على التمييز بين العدل والظلم؛ وعليه فوظيفة المنبر هي خلق هذه القدرة عند الناس، وهم بدورهم يقومون بتشخيص المصداق، سواء من الناحية السياسية أم غيرها، فضلاً عن ذلك فإنّ وظيفة المنبر ليست هي الخوض في المصطلحات السياسية التي تعجّ بها القواميس المتخصصة بهذا الشأن.

وبكلمة جامعة، فإنّ الإصلاح السياسي الذي يدعو له المنبر الحسيني يتمثل في سعيه الدؤوب إلى تحقيق العدالة، وإزالة كلّ مظاهر الفساد والاستبداد، من خلال إيجاده وعياً سياسياً عاماً صالحاً للتطبيق في حلّ مجمل المشاكل السياسية التي يعاني منها المجتمع، وأمّا التطبيق على هذا المصداق أو ذاك فهو من وظيفة الناس أفراداً كانوا أم جماعات، ولن نخرج عن الهدف الذي من أجله تأسست هذه المنابر التبليغية، فالرسول صلى الله عليه وآله الذين أوكلت لهم مهمّة هداية البشرية وإخراجها من الظلمات إلى النور، قد تكرّر من القرآن الكريم القول بأنّ دورهم هو الوصول إلى مرحلة البلاغ؛ إذ يقول عزّ من قائل في مواطن عدّة وبصيغ تكاد تكون متقاربة: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾<sup>(١)</sup>، وعليه فإنّ المنبر الذي هو امتداد لهذا الدور الرسالي ينبغي ألا يخرج عن هذا الحدّ، ويخوض في المسائل الجزئية التي قد تجعله يُحسب على جهة دون أخرى، ويفقد بسبب ذلك حالة الوسطية التي كان ينادي بها أهل البيت عليهم السلام.

في بعض الأحيان، قد يتعدّى المنبر حالة البيان الكلّي إلى حالة التشخيص، وذلك فيما لو اتّضح حال الظالم في المجتمع وعدم خفاء إجرامه وتغطرسه على أحد، وهذا الأمر هو ما نجده واضحاً وجلياً في مواجهة الإمام الحسين عليه السلام للحكومة الأموية

الظالمة المتمثلة بيزيد، فقد صرّح عليه السلام برفضه لشخص يزيد بسبب ما يتّصف به من صفات لا تتناسب مع منصب الحاكم والخليفة في الدولة الإسلامية؛ إذ يقول في بعض كلامه الذي خاطب به الوليد بن عتبة والي المدينة: «يزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحترمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله»<sup>(١)</sup>. فالإمام عليه السلام من خلال كلامه هذا قد صرّح عن مبدأه في قبال الظلم والفساد، وأصرّ على بقاءه على هذا المبدأ، وما كان تشخيصه للظالم بالاسم إلا بسبب مخالفته الواضحة لمبدأ الحقّ. نعم، في حالة عدم وجود هذه الدرجة من الوضوح لمصداق الظالم في المجتمع؛ وذلك بسبب وجود الصراعات السياسية ذات الأجنحة المتعدّدة، فإنّ المنبر الحسيني ينبغي أن ينأى بنفسه عن التشخيص الذي قد يفضي إلى انحيازه إلى جهة دون أخرى، والذي يكون مدمراً للمنبر وللخطيب الحسيني؛ ومن هنا نرى خطباءنا (رضوان الله تعالى عليهم) - من الذين قضوا شهداء - لم يكونوا يُشخّصون الظالم بالاسم، وإنّما كانوا يكتفون بذكر سمات وعلامات متى ما طبّقت بشكل صحيح، فإنّها ستضع اليد على الظالم بلا أدنى ريب، نائين بأنفسهم عن الدخول في مرحلة التشخيص التي قد تحسبهم على جهة دون جهة أخرى.

### المحور الثالث: السعة الإعلامية وتأثيرها على دور المنبر في الإصلاح السياسي

في الأزمنة السابقة لم تكن هناك سعة في وسائل الإعلام كما هي عليه اليوم، فقد كان الشخص يأخذ المعلومة من المنبر وحسب، فهو الوسيلة الرئيسة التي كانت تُزوّد الناس بما يحتاجونه من ثقافة، ووعي، ومبادئ، يستطيعون من خلالها مواجهة مشاكل الحياة التي يعيشونها، حيث كان الناس ينجذبون إلى الخطاب المنبري ويستفيدون منه في شتى مجالات الحياة، وإن خلا من التحليل، ومن تلك المجالات

(١) الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص ٢٥.



جانب العلاقة بين الحكّام والمحكومين، فمن خلال هذا الطرح غير التحليلي للظلامّة التي وقعت على سيّد الشهداء عليه السلام وأهل بيته وصحبه في واقعة الطفّ المروّعة، كانت تتركّز في أذهان عامّة الناس فكرة رفض الظلم، وضرورة الوقوف إلى جانب الحقّ والسعي إلى تحقيق العدالة.

أمّا اليوم ومع وجود هذه السعة الإعلامية الكبيرة، فإنّ المسؤولية قد زادت على من يتصدّى للإلقاء المنبري، خطيباً كان أم منشداً، وأصبح من المفترض أن تتغيّر درجة التعاطي مع الأوضاع السياسية عمّا كانت عليه فيما مضى، فإنّ مرور الزمان وما حصل من تطوّر في المجال الإعلامي ولّد حاجة ماسّة إلى ضرورة توفّر عنصر التحليل السياسي، ومحاولة فهم التاريخ فهماً سياسياً، وذلك من خلال تطوير البراعة الخطابية في كيفية قراءة الوقائع التاريخية قراءة سياسية، بنحو يوصل السامع إلى مغزى تلك الوقائع وأهدافها والآثار المترتبة عليها، فعلى الخطيب البارِع ألا يجعل هناك حاجزاً بين المنبر الحسيني والواقع الاجتماعي الذي يتحرّك فيه ويصبو إلى معالجته، بل يجب عليه أن يكون قارئاً للواقع بشكل جيّد، وملياً من خلال طروحاته المنبرية لحاجات الناس ومتطلّباتهم. وبما أنّ الواقع السياسي هو جزء لا يتجزّأ من الحياة الاجتماعية للناس، فمن المفترض ألا يقف الخطيب أمامه مكتوف اليدين دون أن يشير إليه في بحثه التحليلي، فهو كما يُجلّل المسائل العقدية والأخلاقية ونحوهما، يجب عليه كذلك أن يُشير بشكل تحليلي إلى مسائل الفساد ومسائل الاستبداد التي هي محور الإصلاح السياسي، مستفيداً من الزخم الروائي الذي وفّر لهذه الوسيلة الإعلامية الدعم الكبير في قبال الوسائل الإعلامية الأخرى، فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «اجتمعوا وتذاكروا، تحفّ بكم الملائكة، رحم الله من أحيأ أمرنا»<sup>(١)</sup>، وورد أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام: «حدّثوا عنّا ولا حرج، رحم الله من أحيأ أمرنا»<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن بابويه، محمّد بن علي، مصادقة الإخوان: ص ٣٨.

(٢) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ٢، ص ١٥١.



أضف إلى ذلك، فإن المنبر الحسيني ونظراً لكونه يعتمد بشكل كبير على المادة العزائية التي ترثي الإمام الحسين عليه السلام وسائر أهل البيت عليهم السلام؛ لذلك فإن جميع الروايات التي شجعت على ذكرهم عليهم السلام، والبكاء عليهم، تكون في مقام الحث على إقامة المنابر الحسينية، ومن تلك الروايات ما جاء عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «يا زارة، إن السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً بالدم، وإن الأرض بكت أربعين صباحاً بالسواد، وإن الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة... وما من عين أحب إلى الله - ولا عبدة - من عين بكت ودمعت عليه، وما من باكٍ يبكيه إلا وقد وصل فاطمة عليها السلام وأسعدها عليه، ووصل رسول الله صلى الله عليه وآله وأدى حقنا...»<sup>(١)</sup>، وقال عليه السلام أيضاً: «... بلغني أن قوماً يأتونه [أي: قبر الحسين عليه السلام] من نواحي الكوفة، وناساً من غيرهم، ونساءً يندبته، وذلك في النصف من شعبان، فمن بين قارئ يقرأ، وقاصٍ يقص، ونادب يندب، وقائل يقول المراثي. فقلت [أي: الراوي] له: نعم، جعلت فداك، قد شهدت بعض ما تصف. فقال عليه السلام: [الحمد لله الذي جعل في الناس من يفد إلينا، ويمدحنا، ويرثي لنا، وجعل عدونا من يطعن عليهم من قرابتنا أو غيرهم، يهدرونهم ويقبّحون ما يصنعون]»<sup>(٢)</sup>.

ومع ملاحظة هذا التطور الإعلامي الذي أصبح يتحرك في العالم وكأنه يتحرك في قرية صغيرة، تتعاضم مسؤولية مقيمي المنبر الحسيني - كما تمت الإشارة إلى هذا سابقاً - فبعد أن كان الخطاب المنبري يتحرك في دائرة ضيقة (بيت، حسينية، قرية، مدينة) أصبح صداه الآن يصل إلى شتى بقاع الأرض؛ وعليه وبحكم القاعدة البلاغية المعروفة (لكلّ مقام مقال) ينبغي أن يراعي الخطيب عموم من يصل إليهم، ومن يعرض عليهم تحليله السياسي لواقعة الطف التاريخية، أو غيرها من الوقائع

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٨١-٨٢.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٧٤.

التي عاشها أهل البيت عليهم السلام، هذا التحليل الذي يهدف من ورائه خلق القدرة اللازمة عند مستمعيه في أماكن متعدّدة على التمييز بين الحقّ والباطل، وبين العدل والظلم وفي المقابل، فإنّ الخطيب الحسيني إذا اقتصر في حديثه على التطبيق المعين في مدينة ما، فإنّه سوف يفقد المستمعين الآخرين الذين لا يهتمهم ذلك من الناحية العملية. وبعبارة أخرى: إنّ المستمع ينتظر من الخطيب أن يمنحه المفاتيح التي تمكّنه من الإصلاح السياسي، بشرط كونها صالحة للتطبيق في أيّ مكان، وهذه المفاتيح بشكل موجز يمكن أن تكون عبارة عن:

- ١- بيان علامات الاستبداد والظلم.
- ٢- بيان كيفية الحيلولة دون وقوع الفساد والظلم.
- ٣- بيان كيفية التصدّي للفساد والظلم ومحاربة مواردهما.

### **المحور الرابع: دور المؤسسة الدينية والقاعدة الجماهيرية في الإصلاح السياسي للمنبر الحسيني**

تعدّ كلّ من المؤسسة الدينية والقاعدة الجماهيرية جهتين أساسيتين للتأثير في عمل المنبر الحسيني عموماً، وعلى دوره في الإصلاح السياسي على وجه الخصوص. أمّا بالنسبة للمؤسسة الدينية فيمكن أن يقول البعض: بأنّ الذهاب إلى ضرورة الوسطية في الطرح السياسي المنبري، وعدم الميل إلى جهة دون أخرى، يستدعي الإشراف المباشر من قبل هذه المؤسسة المباركة على كلّ ما يُلقى عبر المنبر الحسيني؛ لكي نحصل على مضمون منبري سياسي يكون أكثر تأثيراً في نفوس المتلقين، فالجهد الشخصي - في المقام - لا يكون بمستوى الجهد المدعوم من قبل مؤسسة تحظى بمقبولية اجتماعية كبيرة كالمؤسسة الدينية.

وهنا يمكننا القول: بأنّ خطباء - أو قراء - المنبر الحسيني على صنفين:  
الصنف الأوّل: الخطباء الذين يدرسون العلوم الدينية في الحوزة العلمية.

الصف الثاني: القراء الذين لم ينخرطوا في صفوف الحوزة العلمية.

أمّا بالنسبة إلى الصف الأوّل، فإنّ الإشراف من قبل المؤسسة الدينية على مثل هؤلاء الخطباء متحقّق، فهم بحسب طبيعة المناهج الدراسية التي تناولوها، والمراحل التي اجتازوها، ومع استمرارهم بالدرس والتحصيل، يكونون في تواصل مستمرّ مع المؤسسة الدينية بلا أدنى ريب.

وأما الصف الثاني، فهو عبارة عن عدد لا يُستهان به من الذين يرتقون المنبر، وفي الحقيقة أنّ هؤلاء قد لا يكون كلامهم على وفق أُسس ومباني صحيحة، لكن المشكلة تكمن في أنّ هؤلاء كيف يتمّ السيطرة عليهم، وهم مبثوثون في مناطق بعيدة عن سلطة المؤسسة الدينية، فهي غير مبسوطة اليد، لكي تمنع كلّ مَنْ يتكلّم؟ إلا أنّ ما يهوّن الخطب هو أنّ هؤلاء القراء أكثر ما يركّزون على بُعد المصيبة ولا يدخلون في أبحاث تحليلية، فمجالسهم أشبه ما تكون بالمجالس التقليدية التي تقدّمت الإشارة إليها سابقاً.

نعم، تحسن مراقبتهم ومتابعتهم - بحسب المستطاع - من قبل المؤسسة الدينية الممثّلة بوكلاء مراجع الدين العظام ومعتمديهم، وبطلاب الحوزة العلمية المتواجدين في الأماكن التي يقرأ فيها أمثال هؤلاء.

ثمّ إنّهُ انطلاقاً من قول الإمام عليّ عليه السلام: «... واعلموا أنّه مَنْ لم يعنْ على نفسه حتّى يكون له منها واعظ وزاجر، لم يكن له من غيرها لا زاجر ولا واعظ»<sup>(١)</sup>، نرى بأنّ المعوّل عليه في كلا الصنفين إلى حدّ كبير هو ورع الخطيب وإيمانه وإخلاصه، سواء كان في كيفية تناوله للمواضيع، أم في كيفية إثاراته، فهذه الأمور هي التي تمنحه منعة وحصانة أمام الخروج عن جادة الاعتدال والوسطية.

أما الجهة الثانية - وهي القاعدة الجماهيرية - فلنقاتل أن يقول: توجد رغبة شديدة

(١) الشريف الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، (تحقيق صبحي الصالح): ص ١٢٣.

من قبل الجمهور بأن يتناول الخطيب الحسيني المصاديق الخارجية في الواقع السياسي، وأتهم يميلون إلى الخطيب الذي يتناول المشاكل السياسية الموجودة في المجتمع أكثر من غيرها، ومن هنا يمكن أن يترتب المحذور الذي تمّ التنويه إليه في هذه الدراسة، والذي هو عبارة عن دخول المنبر إلى الصراعات السياسية، وانحيازه إلى جهة دون جهة. في مقام الإجابة عن ذلك نقول: نُسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام الحكمة الآتية: «رضا الناس غاية لا تُدرَك، فتحرّ الخير بجهدك، ولا تبال بسخط من يرضيه الباطل»<sup>(١)</sup>، كما أنّه قد رُوي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «... إنَّ رضا الناس لا يُملك، وألستهم لا تضبط، وكيف تسلمون ممّا لم يسلم منه أنبياء الله ورسله»<sup>(٢)</sup>؛ وانطلاقاً من هذين الحديثين نرى بأنّ الخطيب الحسيني ينبغي ألا يسير في حركته التصحيحية والتوجيهية خلف الجمهور ورغبات، الذي قد يفتقد إلى المعايير الدقيقة والأدوات الصحيحة في الكشف عن الحقيقة، خصوصاً مع ملاحظة الفوضى الإعلامية التي دخلت إلى حياة الناس، والتي سعت من خلال القنوات الفضائية ووسائل التواصل الاجتماعي إلى بثّ الفرقة بينهم، بالاستفادة - في أغلب الأحيان - من الخلافات السياسية بين الأطراف المتصارعة، وتوظيف القاعدة الجماهيرية من أجل ضمان الدعم والقوّة في مقام انحيازهم إلى هذا الطرف دون غيره. وعليه؛ فينبغي على الخطيب الحاذق أن ينأى بنفسه عن الذهاب وراء هذه الرغبات التي تغلب عليها الإشاعات، وكيل التهم، والظنون التي لم يكتب لها مقدار من الصحّة.

## اقترح

لقد طرحنا في أحد اللقاءات بأنّ النهضة الإصلاحية التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام ينبغي أن تدخل إلى حيّز المناسبات العالمية، من خلال تخصيص يوم محدد لها يكون تحت اسم يوم الإصلاح العالمي، ويكون موافقاً أو قريباً من تاريخ يوم

(١) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج ٢٠، ص ٣٠٥.

(٢) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٢٧، ص ٣٩٦.

عاشوراء بحسب التقويم الميلادي، يوم لا يكون له ارتباط بمظاهر الحزن ونحو ذلك، وإنَّما يتم فيه استذكار مبدأ الإصلاح من خلال إقامة المؤتمرات الدولية التي تتناول جوانب متعدّدة من هذا المبدأ الحيوي في حياة الناس أفراداً ومجتمعات. وبما أنّ هذه النهضة الإصلاحية التي من المفترض استذكارها في كلّ عام ترتبط بالإمام الحسين عليه السلام بحسب الفرض، فإنّ العالم بأسره سوف يعيش معطيات هذه النهضة المباركة، كما أنّ هذه المناسبة سوف تكون مدعاة لإثارة الآخرين إلى المواطن التي يرغبون بها بشأن معرفة الحسين عليه السلام، ومعرفة أهدافه ومبادئه التي من أجلها تحرّك عليه السلام ونهض في حركته الإصلاحية هذه، وعليه سوف ينجذبون إليه ويتّخذونه قدوة ومثلاً أعلى في حياتهم. فعلى غرار كلمة أمير المؤمنين - «فإنهم [أي: الناس] صنفان: إمّا أخ لك في الدين، وإمّا نظير لك في الخلق»<sup>(١)</sup> - التي لاقت مقبولية لدى الكثيرين؛ نرى أنّ النهضة الحسينية في حال تمّ تدويلها، فإنّها سوف تلاقي انجذاباً واسعاً وصدى كبيراً في صفوف جميع الأحرار والمصلحين في العالم، على اختلاف أديانهم وطوائفهم.

كما أنّي أقترح في المقام بأن تكون مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية هي من تتبنّى تثبيت دعائم هذا المشروع العملاق، تشريع فيه أولاً من خلال العمل على نشره عبر القنوات الرسمية التي تتبنّاها الدولة العراقية، ثمّ توسّع دائرة ذلك إقليمياً من خلال مخاطبة الدول الإسلامية، وصولاً إلى طرح هذا المطلب على منظمّة الأمم المتّحدة؛ ليكون المشروع بذلك قد اكتسب صبغة عالمية. طبعاً، لا بدّ أن يكون هذا الطرح معتمداً على عناوين يفهمها الجميع وتتحرك باتجاهها القلوب، فإذا فعلنا ذلك نكون حينها قد أدّينا الدور الذي علينا، بنشر علوم أهل البيت عليهم السلام، وإبراز مآثرهم على أحسن وجه.

(١) الشريف الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، (تحقيق صبحي الصالح): ص ٤٢٧.

## المصادر والمراجع

\* القرآن الكريم.

- ١- بحار الأنوار، محمد باقر بن محمد تقى المجلسي (ت ١١١٠هـ)، تحقيق: جمع من المحققين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- ٢- تاريخ النياحة على الإمام الشهيد الحسين بن علي عليه السلام، صالح الشهرستاني، تحقيق: نبيل رضا علوان، مؤسسة أنصاريان، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- ٣- شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن هبة الله المعروف بابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.
- ٤- الشيعة في مصر، صالح الورداني، مكتبة مدبولي الصغير، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- ٥- كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه (ت ٣٦٧هـ)، تحقيق: عبد الحسين الأميني، دار الرضوية، النجف الأشرف، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ.
- ٦- اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى المعروف بالسيد ابن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، أنوار الهدى، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٧- لواعج الأشجان في مقتل الحسين عليه السلام، السيد محسن الأمين العاملي (ت ١٣٧١هـ)، منشورات مكتبة بصيرتي، قم المقدسة، ١٣٣١هـ.
- ٨- المجالس والمسائرات، القاضي النعمان بن محمد (ت ٣٦٣هـ)، تحقيق: مجموعة من الأساتذة، دار المنتظر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- ٩- مصادقة الإخوان، محمد بن علي بن بابويه (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: السيد علي الخراساني الكاظمي، مكتبة الإمام صاحب الزمان العامة، الكاظمية المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

- ١٠- مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهر آشوب (ت ٥٨٨ هـ)، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، مطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦ هـ/ ١٩٥٦ م.
- ١١- نهج البلاغة، محمد بن الحسين الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ)، تحقيق: صبحي الصالح، فيض الإسلام، دار الهجرة، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
- ١٢- وسائل الشيعة، محمد بن الحسن المعروف بالحرّ العاملي (ت ١١٠٤ هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.





## ندوة: دور المنبر الحسيني في مواجهة الحرب الناعمة دراسة تحليلية

العلامة السيّد صدر الدين القبانجي\*

أقامت مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، ندوتها الحادية والثمانين، تحت عنوان: (دور المنبر الحسيني في مواجهة الحرب الناعمة.. دراسة تحليلية)، وذلك بتاريخ ٢٣/٦/٢٠١٩م، وكان المحاضر في هذه الندوة هو العلامة السيّد صدر الدين القبانجي، وقد عمل قسم مجلة الإصلاح الحسيني على إعداد هذه الندوة وترتيبها، مع تصرّف فني بسيط.

### المقدمة

كان للإعلام دور بارز في حفظ النهضة الحسينية وبيان حقيقتها وما جرى فيها من مصائب ومحن، ويمكن عدّ الإمام زين العابدين عليه السلام والسيدة الحوراء زينب عليها السلام المؤسّسين الرئيسين لهذه الحركة الإعلامية، وقد تبعهم في تأدية هذا الدور بقية أئمة أهل البيت عليهم السلام. وشيئاً فشيئاً تنوّعت الآليات الإعلامية للنهضة الحسينية، وكان من أبرزها المنبر الحسيني الذي مرّ بدوره بمراحل متعدّدة وصولاً إلى ما هو عليه اليوم، وخلال هذه المراحل واجه المنبر العديد من القضايا والتحديات سواء على المستوى المعرفي (النظري) أم على المستوى العملي، ونحن في هذه الدراسة نودّ إيقاف القارئ

\* أستاذ في الحوزة العلمية، النجف الأشرف.

العزير على أهم تلك التحديّات التي واجهها المنبر الحسيني شأنه شأن بقية وسائل الدعوة للدين الإسلامي الحق، وقد كانت هذه التحديّات عبارة عن نوع خاصّ من الحروب التي يشنّها الأعداء لتقويض دعائم هذا الدين الناصع الذي جاهد الرسول ﷺ من أجل ترسيخ دعائمه في نفوس المسلمين، وبذل أهل بيت العصمة والطهارة ﷺ الدماء الزاكية من أجل بقاءه واستمراره، وتحملوا في سبيل ذلك أشقّ المصاعب والمحن.

### الحرب الناعمة وخصائصها

إنّ الصراع والمواجهة ظاهرة واكبت بدايات النشأة الإنسانية على سطح الأرض، فأول مواجهة وقعت في التاريخ - والبشرية لم تتجاوز أصابع اليد آنذاك - وقعت بين أخوين من صلب واحد ورحم واحد، قال تعالى: ﴿وَأْتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُنْقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(١)</sup>، ثم استمرّت هذه الحالة بين بني البشر مخلّفة صنوف النكبات والويلات، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنّ الضرر الذي تخلفه هذه المواجهات والاختلافات لا يقتصر فقط على الأذى المادّي، بل يكون مسبباً - بلا أدنى شكّ - للضرر الديني، ومؤثراً بصورة سلبية على علاقة الإنسان مع الله عزّ وجلّ؛ ونتيجة للأضرار المتنوّعة التي تترتب على الاختلافات والمواجهات بين بني البشر، نجد أنّ القرآن يقرن بين بعثة الأنبياء ﷺ وبين حصول حالة الاختلاف في المجتمعات، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ...﴾<sup>(٢)</sup>.

وفي موازاة الكثرة الواضحة للمواجهات فقد تنوّعت الأساليب المتبعة في كلّ

(١) المائدة: آية ٢٧.

(٢) البقرة: آية ٢١٣.

مواجهة، فمنها ما يعتمد على البُعد العسكري، وآخر يعتمد على البُعد السياسي، وثالث يعتمد على البُعد الاقتصادي، وغير ذلك.

هذا كلّه بالنسبة إلى المواجهات التي يكون فيها العدو واضحاً، يستخدم فيها آليّاته الخشنة والصلبة التي تنسجم مع نوع المواجهة التي يخوضها.

وفي المقابل يوجد هناك نوع آخر من المواجهة المعاصرة التي بدأنا نعيشها في العقدين الأخيرين، مواجهة توظّف المادّة الإعلامية - التي هي أدواتها الرئيسة - في تأجيج وتغذية التناحر الطائفي والعنقي بين المذاهب والقوميّات، مضافاً إلى توجيه الجماهير صوب الأفكار السطحية، وإبعادهم عن كلّ ما من شأنه إيقاظ روح المواجهة لديهم. وهذا النمط من المواجهة يُسمّى بحسب الاصطلاح المعاصر بـ(الحرب الناعمة)<sup>(١)</sup> التي هي في مقابل الحرب الصلبة أو الخشنة ذات التدخّل المباشر، وقد أصبح هذا النوع من الحروب الشغل الشاغل للدول الكبرى لإخضاع خصومها؛ وذلك لأنّها تمتلك خصائص ومميّزات لا توجد في الحروب الصلبة، وهي:

١- عدم وجود العدو في هذا النوع من الحروب بشكل مباشر وعدم تشخّصه.  
٢- وجود العدو في المواجهة الناعمة في كلّ مكان (البيت، والمدرسة، والمكتبة، والشارع...)، بينما في المواجهة الصلبة فإنّ العدو موجود في مكان أو أمكنة محدّدة.  
٣- قاطع العمليات - في المقام - ليس هو الأرض، وإنّما هو عقول الشعوب وقلوبها.

٤- قلة الخسائر البشرية بشكل كبير جداً قياساً بما يقع من خسائر في الحروب الصلبة.

٥- الأدوات المستخدمة في هذه الحروب هي من قبيل: القلم والأدب والأفلام

(١) أنظر: الحسناوي، باسم عبد عون، الحرب الناعمة.. استراتيجية أمريكية جديدة للنفوذ:

ونشرات الأخبار، وما شابه ذلك، بينما الأدوات المعتمدة في الحروب الصلبة هي: الطائرات والدبابات والمواد الكيميائية والعقوبات الاقتصادية وما شاكل ذلك.

٦- في الحرب الناعمة تكون كل الطبقات مستهدفة، مسلحة كانت أم غير مسلحة، فالعدو - في المقام - لا يقاتل الرجال الشباب وحسب، وإنما يلاحق الصغار والشيوخ والنساء، وهذا الأمر قد لا يكون هو الهدف المباشر في الحرب الصلبة، وإنما تكون الحرب منحصرة بين الجيوش المتقاتلة، ويكون التعرض للمدنيين عادة بسبب قربهم من جبهات القتال أو من المواقع العسكرية أو الحساسة.

٧- في الحرب الناعمة تُوظف الكثرة الوهمية لا العددية، فمن يجلس خلف جهاز حاسوبه، ويبتسمومه إلى عموم المتلقين عبر وسيلة التواصل التي يستخدمها، نعهه بألف، على الرغم من كونه شخصاً واحداً يمارس دوره في هذه المواجهة. بينما يختلف الحال في الحرب الصلبة التي تكون المواجهة فيها دائماً بين كترتين عدديتين.

٨ - أخيراً، نرى في الحرب الناعمة أن العدو يأسر خصمه وهو له عبء مطيع، يُنفذ ما يأمره ويسير خلفه برضا تام. بينما في الحروب الأخرى نرى أن الشخص لا يستسلم لعدوه بسهولة، وفي حال أسره يكون - عادة - موثوق اليدين، معصوب العينين، يتعرض لصنوف الأذى الجسدي والنفسي.

### الأدوات الدينية المستخدمة لصد العدو في الحرب الناعمة

نظراً لكون العالم الإسلامي الشيعي يقع ضمن دائرة الأطماع العالمية، نجد أن قوى الاستكبار العالمي لم تأل جهداً في استخدام أحدث الأسلحة الفتاكة في حروب شنتها هي بنفسها أو قام بها أذنانها في منطقة الشرق الأوسط، سواء في العراق أو سوريا أو لبنان أو اليمن أو نحو ذلك، ثم إنها لم تكتف بذلك وإنما بثت سمومها في حرب من نوع آخر، حرب غير واضحة المعالم، حرب ناعمة ينجذب فيها الطرف المقابل نحو الآلة الحربية التي تريد تدميره والقضاء عليه وهو راضٍ ومستسلم تماماً.

وفي خضم هذه الجلبة ينبغي علينا تقديم الإجابة الشافية لسؤال يطرح نفسه، أو يُطرح في بعض الأوساط المجتمعية، وهو: ما هي المفردات الدينية التي يمكن أن تكون أدوات صالحة لصدّ العدو في هذه المواجهة الناعمة؟

في مقام الحديث عن الأدوات الصالحة للمواجهة، لا بدّ من الإشارة إلى أنّ الدين الإسلامي لم يقم بتربية معتقيه على حالة الخضوع والاستسلام للعدو الذي يريد استعبادهم وطمس هويّتهم الدينية، وإنّما نجد الخطابات الإسلامية تُشدّد بصرحة ووضوح على ضرورة وجود حالة الجاهزية والاستعداد لدى المسلمين في أيّ مواجهة محتملة، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ. عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...﴾<sup>(١)</sup>. وأمّا فيما يتعلّق بمحلّ حديثنا (الحرب الناعمة) فإنّه من أبرز المواجهات الناعمة التي يسلّط القرآن عليها الضوء باستمرار هي المواجهة مع الشيطان، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾<sup>(٢)</sup>، فاتخاذ عدوّاً هو عدم الغفلة عن مكروه وشراكه ولو للحظة واحدة، والكون على استعداد دائم وجاهزية تامّة في هذه المواجهة الشرسة؛ ولهذا ورد عن أمير البيان (عليه السلام) - بعد حثّه الناس على الجهاد وعدم الرضوخ للعدو الذي غزا البلاد واسترقّ العباد - قوله: «... وإنّ أخا الحرب الأرق، ومن نام لم يُنم عنه»<sup>(٣)</sup>، فإنّ هذه القاعدة الكلّية عامّة وشاملة لجميع المواجهات صلبة كانت أو ناعمة.

وبعد تشخيص المسلم لنوعية الحرب التي يقودها العدو لإخضاعه واسترقاقه، وبعد علمه بضرورة يقظته الدائمة في هذه المواجهة، نوّد الإشارة إلى أنّ الدين الإسلامي لم يترك معتقيه والمدافعين عنه لوحدهم من دون أن يزودهم بأدوات تنسجم مع ما هو مستخدم في هذا النوع من المواجهات، وهذه الأدوات عبارة عن:

(١) الأنفال: آية ٦٠.

(٢) فاطر: آية ٦.

(٣) الشريف الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، (تحقيق صبحي الصالح): ص ٤٥٢.

## الأداة الأولى: الصلاة

تُشكّل هذه الفريضة العبادية - بما تملكه من حضور دائم في حياة المسلم اليومية - الركن الركين الذي يقف أمام أعتى الأسلحة التي يستخدمها العدو في حربته الناعمة، وهو سلاح إشاعة الفحشاء والمنكرات في المجتمع، قال تعالى: ﴿... إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...﴾<sup>(١)</sup>، فإنّ طبيعة «هذا التوجّه العبادي - إذا أتى به العبد وهو يُكرّره كلّ يوم خمس مرّات، ويداوم عليه، وخاصّة إذا زاول عليه في مجتمع صالح يؤتى فيه بمثل ما أتى به، ويهتمّ فيه بما اهتمّ به - أن يردعه عن كلّ معصية كبيرة يستشعنه<sup>(٢)</sup> الذوق الديني كقتل النفس عدواناً، وأكل مال اليتيم ظلماً، والزنا واللواط، وعن كلّ ما يُنكره الطبع السليم والفترة المستقيمة ردعاً جامعاً بين التلقين والعمل»<sup>(٣)</sup>.

أضف إلى ذلك، فإنّ الصلاة تمتلك بُعداً آخر وهو تشديد أو اصر الجماعة الإسلامية، وذلك من خلال تشريع صلاة الجمعة وصلاة العيدين، والحثّ الكبير على إتيان الصلوات اليومية جماعة، فإنّ هذه التشريعات هي مدعاة إلى شحذ الهمة الدينية في المجتمع الإسلامي وتهيئته ورصّ صفوفه في أيّ مواجهة محتملة.

## الأداة الثانية: الصوم

تُشكّل فريضة الصوم واحدة من العبادات التي تمنح الفرد المسلم حالة التقوى والخشية من الله عزّ وجلّ، حيث ورد في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لِمَلِكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، فإنّ هذه الفقرة الأخيرة

(١) العنكبوت: آية ٤٥.

(٢) هذا ما وجدناه في المصدر إلا أنّ الأصح هو: يستشعنها.

(٣) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٦، ص ١٣٣.

(٤) البقرة: آية ١٨٣.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ بحسب ما أفاده كثير من المفسرين تُشكّل الحكمة من تشريع هذه العبادة، فإن ضبط النفس الحاصل لدى الصائم وتمرنه على ترك الشهوات عامل أساسي في حصول حالة الصبر لديه، وبالتالي قدرته بفعل هذه الفريضة الشاقّة على مغالبة نفسه وجهادها وضبطها عمّا تميل إليه من الطعام والشراب وشهوة الجنس<sup>(١)</sup>. ومع تحقّق هذه المغالبة والمجاهدة يستطيع الفرد المسلم خوض الحرب الناعمة وهو يمتلك أنجع الأساليب التي تمنحه القدرة على النصر في هذه المواجهة.

### الأداة الثالثة : الحجّ

تتماز هذه الفريضة العبادية - علاوة على الثواب الجزيل الذي تمنحه للفرد المسلم المؤدّي لها - بكونها دعوة سنوية إلى وحدة المسلمين بشتّى طوائفهم وانتماءاتهم صوب جهة واحدة. وهذه الوحدة هي الأرضية اللازمة لإحراز النصر في أيّ مواجهة، وطالما نجد أنّ العدو يسعى إلى إيجاد حالة التفرقة والتشردم في صفوفنا من أجل السيطرة والقضاء علينا بكلّ يسر وسهولة. ومن هنا؛ نجد أنّ القرآن يؤكّد بشدّة على ضرورة إتيان هذه الفريضة من قبل الشخص المستطيع، ويصف الذي لا يأتي بها - مع قدرته - بأنّه كافر، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد جاء في تفسير الأمثل عقيب تفسير هذه الآية ما نصّه: «وللتأكيد على أهميّة الحجّ قال سبحانه في ذيل الآية الحاضرة ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾، أي: إنّ الذين يتجاهلون هذا النداء، ويتنكّرون لهذه الفريضة ويخالفونها، لا يضرّون بذلك إلّا أنفسهم؛ لأنّ الله غنيّ عن العالمين، فلا يُصيبه شيء بسبب إعراضهم ونكرانهم وتركهم

(١) أنظر: مغنية، محمّد جواد، تفسير الكاشف: ج ١، ص ٢٨٢.

(٢) آل عمران: آية ٩٧.



لهذه الفريضة»<sup>(١)</sup>. أضف إلى ذلك، فإن الروايات الشريفة قد أكدت كذلك على أهمية هذه الشعيرة الدينية، ووصفت مَنْ يمت ولم يأت بفريضة الحج مع قدرته وعدم وجود المانع بأنه مخير بين الموت على اليهودية أو النصرانية، ومن هذه الروايات صحيحة ذريح المحاربي عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «مَنْ مات ولم يحجَّ حجة الإسلام، لم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به، أو مرض لا يطيق فيه الحجَّ، أو سلطان يمنعه، فليمت يهودياً أو نصرانياً»<sup>(٢)</sup>.

هذه العبادات الثلاثة، على الرغم من نفعها الكبير في تقوية موقف الفرد المسلم أو المجتمع الإسلامي عموماً في المواجهة الناعمة التي يقودها العدو بعد فشله في جميع المواجهات العسكرية، إلا أن مَنْ يأتي بها قد يُبتلى بمشكلة أساسية وجوهرية، وهي إمكانية تحييده لهذه العبادات، وكذلك إمكانية حرقه لمساراتها، فهو قد يصلّي وهو واقف على الحياض بين يزيد وبين الحسين عليه السلام، أو هو يصلّي ولكن صلاته لا تنهيه عن الفحشاء والمنكر؛ وهذا النوع من الصلاة هو الذي أشار إليه الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام بقوله: «الصلاة وكلُّ بها ملكٌ ليس له عملٌ غيرها، فإذا فرغ منها قبضها ثمَّ صعد بها، فإن كانت ممَّا يُقبلُ قبُلت، وإن كانت ممَّا لا يُقبلُ قيل: ردّها على عبدي، فيأتي بها حتّى يضرب بها وجهه، ثمَّ يقول: أف لك، ما يزال لك عملٌ يُعيني»<sup>(٣)</sup>.

والكلام نفسه يكون بالنسبة إلى فريضة الصوم، فهناك بعض الصائمين - بحسب ما جاء في الروايات الشريفة - لا يحصلون على أيِّ قيمة معنوية من صومهم، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كم من صائمٍ ليس له من صيامه إلا الجوع والظمأ...»<sup>(٤)</sup>؛ ومن هنا فكيف يمكن لهذا الصيام الفاقد للبُعد المعنوي أن يكون أداة صالحة في دحر العدو في حربه الناعمة ضدَّ الدين الإسلامي؟!!

(١) مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ٢، ص ٦١٠.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٢٦٨.

(٣) البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن: ج ١، ص ٨٢.

(٤) الشريف الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، (تحقيق صبحي الصالح): ص ٤٩٥.



أمّا فريضة الحجّ فالأمر فيها لا يختلف كثيراً عن الفريضتين المتقدّمتين، فقد يحجّ الشخص المسلم وهو واقف بين جبهتي الحقّ والباطل، بل قد يكون تحت خيمة الظالمين، ينصرهم بأقواله وأفعاله؛ ومن هنا ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه عندما رأى كثرة الناس في موسم الحجّ قال: «ما أكثر الضّجيج وأقلّ الحجج»<sup>(١)</sup>.

### الأداة الرابعة: المنبر الحسيني

إنّ المنبر الحسيني بما يُمثّله من إعلاء لصوت الحقّ والحقيقة، صوت المظلومية التي تجلّت بكلّ أبعادها في ملحمة عاشوراء الخالدة، يُعدّ من أبرز الأسلحة التي يمتلكها الواقع الشيعي الإسلامي في شتّى أنواع المواجهة، وخصوصاً الناعمة منها، فإنّ حرارة هذه الواقعة المستعرة والمستمرّة في نفوس المسلمين المحبّين لآل البيت عليهم السلام - هذه الحرارة التي عبّر عنها الرسول صلى الله عليه وآله: «إنّ لقتل الحسين حرارةً في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً»<sup>(٢)</sup> - تبقى تشحذ النفوس، وتقوّي الهمم، وتدفعها نحو رفض الظلم والاستبداد بشتّى أنواعه. وهذه الأداة بالوقت الذي تعدّ العدّة لأيّ مواجهة عسكرية محتملة من قبل أعداء الدين، فهي تسعى إلى رفع المستوى العقائدي والأخلاقي والثقافي والسلوكي لكلّ من يرتاد الأماكن التي تُقام فيها المنابر الحسينية؛ ممّا يجعله في حصانة تامّة من قبول كلّ ما يروّجه أعداء الدين تحت عناوين من قبيل: الحرّية، والمساواة، والانفتاح على الآخر، والتعددية الدينية، والتعايش السلمي، وغير ذلك من العناوين البرّاقة اللامعة التي تستهوي النفوس، وتجذبها نحو القبول بمضامينها السامّة التي تهدف إلى تقويض دعائم المجتمع الإسلامي وصولاً إلى السيطرة عليه ونهب ثرواته. أمّا الحديث عن إمكانية وقوف روّاد المنابر الحسينية على الحياد بين جبهتي الحقّ والباطل، فنقول في معرضه:

(١) الصّفّار، محمّد بن حسن، بصائر الدرجات: ص ٣٥٨.

(٢) النوري، حسين، مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل: ج ١٠، ص ٣١٨.

أولاً: إنَّ هذه الأداة ما دامت قد تأسست من أجل بيان مظلومية الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه (سلام الله عليهم أجمعين)، وأنَّ هذه المظلومية تكون مولدة لحرارة مستعرة في نفوس المؤمنين لا تطفأ أبداً كما تقدّم أنفاً؛ فإنَّ هذه الأداة قادرة دوماً على جذب المؤمنين نحو رفض الظلم بشتى أنواعه، والوقوف إلى جانب الحقِّ مهما كانت النتائج.

ثانياً: قد ورد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام في النصف من شعبان المروية عن الإمام الصادق عليه السلام: «... أشهد أنك قتلت ولم تمّت، بل برجاء حياتك حييت قلوب شيعتك، وبضياء نورك اهتدى الطالبون إليك، وأشهد أنك نور الله الذي لم يُطفأ ولا يُطفأ أبداً...»<sup>(١)</sup>، أي: إنَّ الإمام عليه السلام على الرغم من مقتله يوم عاشوراء إلاَّ أنّه باقٍ تحيا به قلوب الشيعة، مما يُبقيهم على أهبة الاستعداد لخوض المواجهات الناعمة التي يُشعلها الأعداء باستمرار. كما يذكر المقطع المتقدّم من الزيارة أنّه بسبب ضياء نور الحسين عليه السلام - الذي لا يُطفأ أبداً - اهتدى الطالبون إليه؛ وبالتالي فهم لا يضيعون ولا يتحيّدون ولا ينحرف مسارهم.

ثالثاً: عندما مرّوا بالسبايا يوم الحادي عشر على الجثث الطواهر، شاهدت الحوراء زينب عليها السلام أنّ ابن أخيها الإمام زين العابدين عليه السلام يوجد بنفسه حزناً على ما جرى، كأنّها تكاد تخرج من بين أحشائه، فخاطبته وهي توأسيه وتصبّره كما ينقل هو عليه السلام بنفسه: «ما لي أراك تجودُ بنفسك يا بقيّة جدّي وأبي وإخوتي؟ فقلت: وكيف لا أجزع ولا أهلع وقد أرى سيدي وإخوتي وعمومتي وولد عمّي وأهلي مصرعين بدمائهم، مرمّلين بالعراء، مسلّبين لا يكفّنون، ولا يوارون، ولا يعرّج عليهم أحد، ولا يقربهم بشر، كأنّهم أهل بيتٍ من الدّيلم والخزر. فقالت: لا يجزعتك ما ترى، فوالله، إنّ ذلك لعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جدّك وأبيك وعمّك، ولقد أخذ الله ميثاق أناسٍ من هذه الأُمَّة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السّموات أنّهم

(١) القمّي، عباس، مفاتيح الجنان: ص ٦٤٩.

يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة، فيوارونها وهذه الجسوم المضرّجة، وينصبون لهذا الطّفّ علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء عليه السلام، لا يدُرُس أثره، ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجتهدنّ أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميمه، فلا يزداد أثره إلا ظهوراً، وأمره إلا علواً...»<sup>(١)</sup>.

إنّ ما نستفيده من هذه الرواية هو أنّ كلّ مساعي الظالمين من أجل طمس هذه النهضة المباركة سوف تذهب هباءً منثوراً؛ بفعل هذه المنابر التي تُجدّد وتقوي هذا الحضور الدائم للحسين عليه السلام في نفوس عشاقه والسائرين على دربه؛ وبالتالي فلا يُعقل أن يكون هؤلاء المحبّون والمريدون - مع دعمهم لاستمرار هذا العطاء الحسيني - واقفين على الحياد بين جبهتي الحقّ والباطل، أو أنّ شوقهم ومحبتهم سوف يجرّهم نحو حرف مسارات هذه النهضة المباركة.

رابعاً: إنّ الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء عند اصطفاف الأعداء وتحفّلهم بتلك الأعداد الهائلة، ومع كلّ ما عاناه من عطش الأطفال وانتظار معسكره للقتل والسبي، نجده يقول لأصحابه: «أبشروا بالجنّة، فوالله، إنّنا نمكث ما شاء الله بعد ما يجري علينا، ثمّ يُخرجنا الله وإياكم حتّى يظهر قائمنا، فينتقم من الظالمين، وأنا وأنتم نشاهدكم في السلاسل والأغلال وأنواع العذاب. فقيل له: من قائمكم، يابن رسول الله؟ قال: السّابع من ولد ابني محمّد بن عليّ الباقر، وهو الحجّة ابن الحسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ ابني، وهو الذي يغيب مدّة طويلة، ثمّ يظهر ويملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»<sup>(٢)</sup>، فإنّ الإمام الحسين عليه السلام من خلال كلماته هذه أراد أن يبيّن لأصحابه أنّ حقانية دعوته سوف تستمرّ حتّى ظهور القائم عليه السلام، الذي سوف ينتقم من الطغاة والظالمين بمرأى ومسمع منه عليه السلام ومنهم بعد رجعتهم إلى دار الدنيا.

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ٢٨، ص ٥٧.

(٢) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٤٩٩.

وهنا نقول للقارئ العزيز: إن المنبر الحسيني الذي يسعى إلى نشر هذه الثقافة في الوسط الإسلامي والشيوعي منه على وجه الخصوص، هل يمكن أن يقال: إنه يصلح لأن يكون أداة محايدة بين الحق والباطل؟ الجواب: كلاً، فإن هذا المنبر سوف يبقى دوماً مشعلاً مضيئاً يهدي الناس إلى درب السلامة في الدين والدنيا.

وبناءً على ما تقدّم؛ نجد أنّ السلاطين والطغاة على طول التاريخ لم يجاربوا الحجّ أو صلاة الجماعة أو قراءة القرآن، بل أكثر من ذلك فهم كانوا يحجّون ويقيمون صلاة الجماعة ويقرأون القرآن. أمّا فيما يتعلّق بإقامة المجالس الحسينية فنجد المحاولات الخثيثة من قبلهم إلى منعها ومطاردة من يقيمها ويحضر فيها ومعاقبتها، ومن ذلك ما حصل في إيران إبّان حكم رضا شاه، وما حصل أيضاً في العراق أيام الملكية، بحيث مُنعت المجالس الحسينية والتوشّح بالسواد في بعض الفترات من هذا الحكم، وأخيراً ما جرى في هذا البلد في زمن النظام البعثي الدكتاتوري البائد من محاربة كلّ مظاهر إقامة الشعائر الحسينية؛ وما ذلك كلّهُ إلا لكون هؤلاء الحكّام يدركون أنّ هذه الأداة غير قابلة للتحييد ولا قابلة لحرف المسار.

إنّ المنبر الحسيني يبقى أداة لا تقبل التحييد والحرف على الرغم من امتلاكه مراتب مشكّكة في التأثير على الحاضرين والمستمعين، حيث يقول الإمام الصادق عليه السلام - في مقام بيانه لهذه المراتب - مخاطباً أبا عمارة المنشد: «يا أبا عمارة، مَنْ أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فأبكى خمسين فله الجنة، ومَنْ أنشد في الحسين شعراً فأبكى أربعين فله الجنة، ومَنْ أنشد في الحسين شعراً فأبكى ثلاثين فله الجنة، ومَنْ أنشد في الحسين شعراً فأبكى عشرين فله الجنة، ومَنْ أنشد في الحسين شعراً فأبكى عشرة فله الجنة، ومَنْ أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فأبكى واحداً فله الجنة، ومَنْ أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكى فله الجنة، ومَنْ أنشد في الحسين شعراً فبأبكى فله الجنة»<sup>(١)</sup>؛ والسبب في ذلك يعود إلى امتلاك المنبر

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص ١٠٥.

الحسيني لمجموعة من الخصوصيات، كانت سبباً في عدم تحييده وحرف مساره، وهذه الخصوصيات بصورة مختصرة عبارة عن:

١- إن المنبر الحسيني يتعامل مع العاطفة والعقل معاً، ومن خلال تعامله مع القلب والعاطفة فإنه يؤمن لرواده الوقوف بحصانة وقوة كبيرة في قاطع العمليات أمام آليات ومعدات العدو في الحرب الناعمة.

٢- إن المنبر الحسيني يخاطب الكبير والصغير، والرجل والمرأة، والمثقف وغير المثقف على حد سواء، وأن جميع الفئات العمرية والمستويات الثقافية التي تحضر إلى أماكن إقامة المنابر - وبحسب المقدرة المعرفية لكل منها - تتأثر بالخطاب العقلي أو العلمي أو العاطفي الذي يُطرح فيها.

٣- إن المنبر الحسيني يخاطب المؤمن والفاسق على حد سواء؛ وذلك لما يمتلكه من خطاب عاطفي يجذب الآخرين إلى الحضور والاستماع، هذا الخطاب الذي يؤمل منه أن يُصحح السلوكيات المنحرفة للأفراد. ولعله من هنا؛ ذكر بعض العلماء هذه العبارة التي أخذت شهرة واسعة على ألسنة أرباب المنابر، وهي: «النبي والأئمة عليهم السلام كلهم أبواب الجنان، لكن باب الحسين مسلكه أوسع، وكلهم سفن النجاة، ولكن سفينة الحسين مجراها على اللجج الغامرة أسرع، ومرساها على السواحل المنجية أيسر، وكلهم مصابيح الهدى، لكن محال الاستضاءة بنور الحسين أوسع دائرة، وكلهم الكهف الحصين، لكن منهاج كهف الحسين أسهل»<sup>(١)</sup>.

٤- إن المنبر الحسيني يزرع في نفوس مستمعيه جميع القيم الأخلاقية، محايدة كانت أو غير محايدة، فهو يزرع في نفوسهم الصدق والشجاعة والكرم والعطف والحنان، قيم يمكن أن تصدر من الشخص الجيد وغير الجيد، وهو يزرع في نفوسهم أيضاً مجموعة من القيم التي لا تصدر إلا من السائر على الطريق الحق، وهي من

(١) التستري، جعفر، الخصائص الحسينية: ص ١٠.

قبيل: العزة والكرامة والشهادة ولقاء الله. وهذا يكون المنبر الحسيني قد شكّل منظومة أخلاقية متكاملة، فهو بزرعه للقيم - من القسم الثاني - في نفوس الناس، قد ضمن السلامة العقائدية والشرعية لمن يتلبس بالقيم من القسم الأوّل. كما أنّه ضمن الصبر والثبات في أصعب الظروف والمواقف، وهذا ما رأيناه بأُمّ أعيننا، فالمؤمنون كانوا في سجون الطغاة وهم تحت سياط التعذيب يصيحون بأعلى أصواتهم هيهات منّا الذلّة، لا يوم كيومك يا أبا عبد الله.

٥- إنّ المنبر الحسيني يحمل في أطروحاته فكراً ومشروعاً، يهدف إلى تصحيح عقائد الفرد المسلم وسلوكياته، وليس الغرض منه مجرد تحريك العواطف لفترة قصيرة. فالمنبر الحسيني عندما يتحدّث عن اليتيم لا يهدف إلى تهيج عواطف الناس والبكاء على اليتامى فقط، وإنّما هو بصدد طرح مشروع ديني يعالج هذه القضية، ويرفع عن اليتامى ما يعانونه جرّاء فقد مَنْ كان يعيلهم ويعطف عليهم. والأمر نفسه في العديد من المفردات الدينية الأخرى التي هي من قبيل: الحكم، العدالة، صفات الحاكم، المجتمع، الثورة، البيعة، المرأة، وغير ذلك.

٦- الامتداد الزماني والمكاني للمنبر الحسيني، أي: أنّه ليس فكراً موسمياً أو محدداً بجغرافية معيّنة.

٧- لا يوجد منبر حسيني مؤثر وآخر غير مؤثر، بل هو فاعل ومؤثر دائماً. نعم، مستويات التأثير مختلفة (مشكّكة)، وقد تقدّم منّا ذكر الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام التي خاطب فيها أبا عمارة المنشد، وسلط الضوء فيها على مراتب تأثير المنبر الحسيني. نعم، إنّ أهل البيت عليهم السلام على الرغم من ذكرهم لهذه المراتب في مجال البعد العاطفي إلاّ أنّهم يُشدّدون على عدم تسطيح القضية الحسينية، وفي المقام أذكر للقارئ العزيز روايتين، إحداهما عن الإمام الباقر عليه السلام يذكر فيها كلاماً للإمام الحسين عليه السلام مخاطباً عمته أمّ هاني التي كانت متطيّرة من شخوصه عليه السلام وعياله عن المدينة، حيث تقول الرواية: «لما همّ الحسين عليه السلام بالشخوص عن المدينة، أقبلت نساء بني عبد



المطلب فاجتمعن للنياحة حتى مشى فيهنّ الحسين عليه السلام، فقال: **أُنشِدُكُمْ اللهَ أَنْ تُبَدِينَ هَذَا الأَمْرَ مَعْصِيَةً للهَ وَلِرَسُولِهِ!** فقالت له نساء بني عبد المطلب: **فَلِمَنْ نَسْتَبْقِي هذه النياحة والبكاء؟! ثمَّ إِنَّ نساء بني هاشم أقبلن إلى أمّ هاني عمة الحسين عليه السلام وقلن لها: يا أمّ هاني، أنت جالسة والحسين عليه السلام مع عياله عازم على الخروج؟! فأقبلت أمّ هاني، فلما رآها الحسين عليه السلام قال: **أما هذه عمتي أمّ هاني؟ قيل: نعم.** فقال: **يا عمة. ما الذي جاء بك وَأَنْتِ عَلَى هذهِ الحالَةِ؟** فقالت: **وكيف لا آتي، وقد بلغني أنّ كفيل الأرامل ذاهب عني...** ثمّ قالت: **سيدي، وأنا متطيّرة عليك من هذا المسير لهاتف سمعت البارحة يقول:****

وإنّ قتيل الطفّ من آل هاشم  
حبيب رسول الله لم يك فاحشاً  
أذلّ رقاباً من قريش فذلت  
أبانت مصيبتَه الأنوف وجلّت

فقال لها الحسين عليه السلام: **يا عمة. لا تقولي من قريش، ولكنّ قولي أذلّ رقاب المسلمين فذلت...** <sup>(١)</sup>.

ثمّ إنّ نفس المعنى ورد في رواية أخرى عن فاطمة بنت الحسين عليها السلام، حيث تتحدّث الرواية عن أنّ الشاعر أبا الرمح دخل على هذه السيّدة الجليلة فأنشدها مرثية في الحسين عليه السلام [قد جاء فيها البيت التالي]:

«وإنّ قتيل الطفّ من آل هاشم  
أذلّ رقاباً من قريش فذلت

فقالت فاطمة: **يا أبا رمح، أهكذا تقول؟! قال: فكيف أقول جعلني الله فداك، قالت: قل: أذلّ رقاب المسلمين فذلت.** فقال: **لا أنشدها بعد اليوم إلا هكذا»** <sup>(٢)</sup>.

إنّ حصر القضية في قبيلة قريش قد يوهم البعض بأنّ ما جرى في عاشوراء هو نتيجة صراع أسري ينحصر في قبيلة قريش تحديداً، وهذا التوهّم في حال ترسخه في النفوس سوف يفضي - بلا أدنى شكّ - إلى إضعاف الدور الذي قام به الإمام

(١) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص ٣٦٠.

(٢) ابن نما الحلّي، جعفر بن محمّد، مثير الأحزان: ص ١١١.

الحسين عليه السلام، والتضحيات الجسيمة التي قدّمها بمعية أهل بيته وصحبه في هذه النهضة المعطاء؛ ولهذا نجده عليه السلام وابنته السيّدة فاطمة عليها السلام ينبريان بسرعة إلى تصحيح المقولة المذكورة في الرواية، فهما عليهما السلام بتدخلهما السريع أرادا إبعاد نهضة عاشوراء عن حالة السطحية والتحجيم في دائرة ضيقة، وجعلها ذات دلالات عميقة، وتوجيه المنبر الحسيني بالاتجاه الصحيح.

وعلى نفس المنوال سار أتباع أئمة أهل البيت عليهم السلام، حيث يذكر الشيخ الطوسي في أماليه هذه الحادثة التي جرت بين السيّد الحميري وبين أحد الشعراء في زمانه، حيث اجتمع السيّد ابن محمّد الحميري وجعفر بن عفّان الطائي، «فقال له السيّد: ويحك، أتقول في آل محمّد عليهم السلام شرّاً؟!

ما بال بيتكم يخرب سقفه وثيابكم من أرذل الأثواب

فقال جعفر: فما أنكرت من ذلك؟ فقال له السيّد: إذا لم تحسن المدح فاسكت، أيوصف آل محمّد بمثل هذا؟! ولكنّي أعذرك، هذا طبعك وعلمك ومنتهاك، وقد قلت أحو عنهم عار مدحك

أقسم بالله وآلئه	والمرء عما قال مسؤول
إنّ علي بن أبي طالب	على التقى والبرّ مجبول
وإنّه كان الإمام الذي	له على الأمة تفضيل
يقول بالحقّ ويُعنى به	ولا تلهيه الأباطيل
كان إذا الحرب مرّتها القنا	وأحجمت عنها البهاليل
يمشي إلى القرن وفي كفه	أبيض ماضي الحدّ مصقول

[إلى آخر الأبيات]... فقبّل جعفر رأسه وقال: أنت والله الرأس يا أبا هاشم، ونحن الأذنان»<sup>(١)</sup>.

(١) الطوسي، محمّد بن الحسن، الأمالي: ص ١٩٨-١٩٩.



## إشكال وجوابه

الإشكال: إن مسألة عدم إمكانية تحييد المنبر الحسيني بالمعنى المتقدّم هي خلاف المشاهد في الواقع الشيعي، حيث نجد أنّ الكثير من الدعوات والاتّجاهات تتخذ من المنبر الحسيني وسيلة للوصول الى بعض غاياتها وأهدافها الحزبية أو الفئوية، أضف إلى ذلك فإننا نجد أنّ هناك بعض من يحضرون إلى المجالس الحسينية، وهم في الوقت نفسه غير ملتزمين من الناحية الشرعية، ولا يسيرون على وفق مبادئ النهضة الحسينية.

الجواب: نحن في حديثنا المتقدّم قد قصدنا من عدم إمكانية تحييد المنبر الحسيني هو عدم إمكانية النجاح في هذه المسألة، لا مجرد المحاولة التي تؤول بمرور الزمن إلى الفشل والافتضاح.

نعم، يوجد كثير من الدعوات والجهات التي تحاول ركوب الموجة، وجذب الجماهير نحوها من خلال تبنّيها شعارات نهضة الطفّ الخالدة، لكنّ السؤال: ما هو مدى نجاح هذه التيارات واستمرارها في خداع الناس؟

الجواب: فإنّ هذه التيارات من المحتمّ أنّها سوف تصطدم بمبادئها - بعد فترة زمنية - مع مبادئ الإمام الحسين عليه السلام؛ ممّا يجعل الناس يكتشفون أمرها ويمتنعون عن الحضور إلى المجالس التي تُقيمها، وبالتالي سقوطها من أعين الناس، وعدم قدرتها على تحييد المنابر الحسينية. وهذا الأمر يختلف تماماً مع الصلاة والصوم والحجّ، فإنّ هذه الفرائض تمتلك جنبّتين هما: الإجزاء والقبول، والناس عادة ما يبحثون عن مجرد الإجزاء في العمل، ولا ينظرون إلى درجة قبول العمل والثمار المترتبة عليه.

أمّا فيما يتعلّق بانحراف بعض من يحضر إلى المجالس الحسينية عن الجادة الشرعية، فنقول: إنّ هذه الانحرافات لا تؤثّر في صلب مبادئ النهضة الحسينية التي يكون المنبر بصدد إبرازها للناس.

وتوضيح ذلك: إنّ غرض المنبر الحسيني لما كان عبارة عن رفع المستوى الثقافي والديني لدى الإنسان، من خلال إبرازه للأهداف النهضوية التغييرية التي قادها

أبو عبد الله الحسين عليه السلام ضدَّ مَنْ أراد محو معالم الدين الإسلامي، وإرجاع الناس إلى الجاهلية العمياء، فإنَّه بالتالي يسعى إلى تصحيح مسار حركة المسلم عموماً والشيوعي على وجه الخصوص من الناحية العقائدية والسلوكية؛ وعليه يكون حضور هؤلاء الناس إلى المجالس الحسينية بحدِّ ذاته غنيمة وثمره من ثمرات نهضة عاشوراء المباركة؛ وذلك لأنَّها قد تكون هي السبب الرئيس وراء صلاحهم وهدايتهم. والحمد لله ربَّ العالمين.

### المصادر والمراجع

\* القرآن الكريم.

- ١- الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسّسة البعثة، دار الثقافة، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٢- الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، منشورات مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.
- ٣- بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت ١١١٠هـ)، تحقيق: جمع من المحقّقين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
- ٤- بصائر الدرجات، محمد بن حسن الصفّار (ت ٢٩٠هـ)، تحقيق: محسن بن عبّاس علي كوجه باغي، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، إيران - قم المقدّسة، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
- ٥- تفسير الكاشف، محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- ٦- الحرب الناعمة.. استراتيجية أمريكية جديدة للنفوذ، باسم عبد عون الحسنواوي، <http://www.alhayat.com/article/827771>
- ٧- الخصائص الحسينية، جعفر التستري (ت ١٣٠٣هـ)، انتشارات الشريف الرضي، قم المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

- ٨- الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر غفاري، ومحمد آخوندي، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ.
- ٩- كامل الزيارات، محمد بن جعفر بن قولويه (ت ٣٦٧هـ)، تحقيق: عبد الحسين الأميني، دار الرضوية، النجف، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ.
- ١٠- مشير الأحزان، جعفر بن محمد المعروف بابن نما الحلي (ت ٨٤١هـ)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، إيران - قم المقدسة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ.
- ١١- المحاسن، أحمد بن محمد البرقي (ت ٢٧٤هـ أو ٢٨٠هـ)، تحقيق: جلال الدين المحدث، دار الكتب الإسلامية، قم المقدسة، الطبعة الثانية، ١٣٧١هـ.
- ١٢- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، حسين بن محمد تقي النوري (ت ١٣٢٠هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- ١٣- مفاتيح الجنان، عباس القمي (ت ١٣٥٩هـ)، تعريب: محمد رضا النوري النجفي، مكتبة العزيزي، قم المقدسة، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٦م.
- ١٤- موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، انتشارات أسوة، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.
- ١٥- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، الطبعة الخامسة، ١٤١٧هـ.
- ١٦- نهج البلاغة، محمد بن حسين الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ)، تحقيق: صبحي الصالح، الهجرة، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.



# المنهج والخطابة الدينية

## دراسة نظرية في التأثيرات المعرفية

الشيخ ثناء الدين الدهلڪي\*

### مقدمة

تحظى الخطابات الدينية باهتمام بالغ من لدن العلماء والمختصين في حقول المعرفة الدينية؛ لما تمثله من منظومة وحيانية تحمل طابعاً تقنياً، تُنظّم حياة الإنسان على مستوى السلوك والتفكير والاعتقاد، تلك الخطابات التي وصلت إلينا في قوالب نصية، دأب المتخصصون على استنطاقها، والكشف عن مديها ومقاصدها، وذلك من خلال أدوات معرفية، ومناهج علمية تتناسب وطبيعة هذه النصوص، ومجال البحث فيها، وما عملية الاستنباط التي يمارسها الفقيه، وطريقة الكشف عن مديها الأيات القرآنية التي يمارسها المفسر، وعملية التحليل العقلي للنصوص الدينية التي يمارسها المتكلم.. إلّا مظهر من مظاهر ذلك العمل الاستنطاقي.

نعم، إن التعاطي مع النصوص الدينية باعتبارها قانوناً إلهياً، يضعنا أمام مسؤولية كبيرة وخطيرة، تدعونا إلى الدقة والحذر في استخدام المناهج المعرفية في إنتاج المعرفة الدينية، فإن غياب المنهج الصحيح يُبعدنا عن التفسيرات الموضوعية؛ الأمر الذي يؤدي بدوره إلى السقوط في منحدر القراءات النسبية، أو الدخول في متاهات القراءات الذاتية الخارجة عن قواعد البحث العلمي وأصوله، وهذا نقض الغرض الذي على أساسه صدرت تلك الخطابات.

---

\* أستاذ في جامعة المصطفى عليه السلام العالمية، من العراق.

وعلى هذا الأساس؛ نرى توسّع البحث - في الدراسات الدينية - عن المناهج العلمية والأدوات المعتبرة التي تمكّن الباحث المختصّ من الولوج في عملية فهم النصوص الدينية، حيث أصبح البحث فيها ضرورة تتطلبها حركة الدين المستمرة مع الأجيال المتلاحقة.

هذا على مستوى البحث والاستنباط، وأمّا على مستوى العرض والبيان، فإنّ هذه الوظيفة لا تقلّ أهميّة وخطورة عن الوظيفة الأولى؛ إذ يمكننا عدّ الخطابة الدينية بشكل عام، والمنبر الحسيني بشكل خاص، إحدى الآليات المتعارفة لإيصال الخطاب الديني إلى المجتمع.

وإذا أمعنا النظر في محيطنا الاجتماعي نرى أنّ هناك تحوّلاً ملحوظاً قد عمّ هذا المحيط جرّاء تغيير نمط التفكير والنظر إلى الواقع لدى طبقات المجتمع المتنوّعة، يتمثّل بالانفتاح العلمي والثقافي، ودخول تقنيات حديثة تمكّن الفرد من الوصول إلى المعلومة من دون تعقيد؛ الأمر الذي يمكن أن يكون تحدياً للخطابة الدينية في حال لم تُراعَ بعض العناصر الأساسية والمنهجية التي تدخل في بلورة ذلك الخطاب وتقويمه. وفي هذا السياق يمكن أن يُفسح المجال للنقد البناء كي يأخذ طريقه إلى تقويم الخطاب الديني (المنبري) على أسس علمية ومنهجية؛ وذلك لما يمثّله من دور في بثّ التعاليم الدينية، وتعزيز الأخلاق الإلهية في المجتمع الإسلامي وغيره، من أجل تحقيق الهدف الذي أنشئت على إثره آية ذلك الخطاب في تبليغ المعارف الدينية، وما يتعلّق بها من مجالات معرفية أخرى.

فبعد أن أوضحت الخطابة الحسينية مدرسة متنقّلة للفكر والمعرفة والقيم المتعالية، كان لا بدّ من وجود مناهج تُسيّر تلك العملية الخطابية بشكل علمي مدروس؛ فإنّ فقدان المنهج العلمي يؤدّي بدوره إلى حدوث إرباك وخلط على مستوى الفاهمة لدى المتلقّي أو المستمع، نتيجته ضياع الهدف الأسمى لهذه الوسيلة الخطابية التي تهدف إلى إيصال المعلومة إلى عموم أفراد المجتمع بكلّ أمانة ووضوح.

وعليه؛ يبقى الحديث عن ثنائية المنهج والخطاب الديني (على مستوى البحث والبيان) حديثاً يحمل الهمّ المعرفي لدى الخطيب الباحث، الذي يطمح إلى جعل الحياة الفكرية حياة يطغى عليها النموذج الواقعي للمعرفة الدينية، مخلّفاً وراء ظهره النموذج المعرفي الذي يحمل طابع السذاجة والغلو.

ومن أجل توضيح جدلية العلاقة بين المنهج والخطابة الدينية نعقد دراستنا هذه في عدّة مطالب، عسى أن نتمكّن من إبراز معلومة ما تصبّ في مصلحة تطوير عملية الخطابة الدينية، وصيرورتها عملية تنسجم مع قدسية القضايا الأولوية الدينية التي ينطلق منها الخطيب لبلورة الفكر الديني وعرضه للمجتمع.

### المطلب الأول: مسائل تمهيدية في المنهج

نحاول هنا أن نعرض بعض المسائل التي يمكن من خلالها إعطاء رؤية تصوّرية للقارئ الكريم عن ماهية المنهج، وتنوّعه وتكوينه في إطار العلوم الدينية.

#### ١. ماهية المنهج

عند تتبّعنا لكلمات اللّغويين نرى أنّ كلمة (المنهج) تدلّ بشكل عامّ على (الطريق الواضح البين)، قال الجوهري (ت ٣٩٣هـ): «المنهج: الطريق الواضح، وكذلك المنهج والمنهاج، وأنهج الطريق، أي: استبان وصار نهجاً واضحاً بيناً»<sup>(١)</sup>؛ ومنه جاء التعبير في الأوساط العلمية بـ(طُرُق البحث)، أو (طرائق البحث)، ويقصدون من ذلك: مناهج البحث.

وأما في الاصطلاح، فقد ذكر المتخصّصون تعريفات عديدة لمصطلح (المنهج)، لعلّ جميعها يصبّ في معنى واحد، ومن جملة ما ذُكر في تعريفه أنّه: «مجموعة من القواعد العامة التي يعتمدها الباحث في تنظيم ما لديه من أفكار أو معلومات؛ من أجل أن توصله إلى النتيجة المطلوبة»<sup>(٢)</sup>.

(١) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ج ١، ص ٣٤٦.

(٢) محمّد زيان عمر، البحث العلمي.. مناهجه وتقنياته: ص ٥١.

ومنه يظهر أنّ المنهج هو الموجه العملي للتفكير، والعاصم له من الخطأ في مجال استبيان الحقائق إذا ما تمّ تطبيقه بشكل صحيح؛ وعليه يمكن عدّه موجّهاً معيارياً لنشاط فكري تحكمه مجموعة قواعد خاصّة مقطوع بصحّتها، تتناسب والنموذج المعرفي المبحوث فيه، وهو بهذا الوصف يشبه إلى حدّ كبير الدور الذي يقوم به علم المنطق نسبةً إلى باقي العلوم.

ولأهمّية المنهج وازدهاره [نتيجة تطوّر العلوم وتوسّع نطاق البحث العلمي]، نشأ علم خاصّ أُطلق عليه: علم المناهج (الميثودولوجيا: methodology)، وهو «العلم الباحث في الطرق المستخدمة في العلوم للوصول إلى الحقيقة»<sup>(١)</sup>، ولربّما تعود بداية استخدام هذا المصطلح إلى الفيلسوف الألماني (كانط).

## ٢. تغيير المنهج وتنوّعه في بعده المصداقي

من المعلوم لدى الباحثين أنّ لكلّ علم من العلوم مادّة ومنهجاً، فالمادّة هي مجموع المسائل التي يتناولها الباحث، والتي تدور حول محور واحد يُسمّى موضوع العلم، أمّا المنهج فهو الطريق الذي يسلكه الباحث للوصول إلى حقيقة تلك المسائل، وهذا المفهوم من الصعب حصره في مصداق واحد يحمل صفة الإطلاق والثبات، ويدخل كعنصر وحيد في عملية إنتاج المعرفة الدينية، وما يُسمّى عادة في علم التفسير بـ(المنهج الكامل)، لا يعدو كونه عنواناً لمجموعة من المناهج تدخل جميعها في عملية إنتاج المعرفة الدينية، ولا يمثل منهجاً عاماً يحمل مفهوماً خاصّاً يدخل في بلورة جميع المناهج العلمية المطروحة على طاولة البحث.

نعم، ربّما تختلف نسبة حضور منهج عن منهج آخر في عملية الإنتاج المعرفي، وذلك بلحاظ الحيّز الذي يشغله كلّ منهج في ذلك الفضاء، فهناك بعض المناهج ربّما تتصدّر قائمة الإنتاج، إلّا أنّ ذلك لا يصيّرهما طريقاً ومنهجاً مطلقاً وثابتاً، كما

(١) عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي: ص ٧.



هو الحال في مسألة العقل، إذ ربّما يمكننا القول: إنّ العقل هو الحاكم على عملية الإنتاج المعرفي، والمهيمن على سير العملية البحثية، بما في ذلك المعرفة الدينية... لكنّ هذا القول - وإن كان صحيحاً في الجملة - يتخلّف بشكل واسع في جملة من القضايا الدينية، خصوصاً في الأحكام الشرعية الفرعية التي ينحسر فيها الحضور العقلي أمام التوقيف والتعبّد.

نعم، من خلال متابعة أبحاث المنهج نرى أنّ هناك مشكلة ما شغلت أفكار الباحثين عند تصنيفهم طرائق البحث في العلوم الإنسانية، حيث ذهبت جملة من الدراسات إلى أنّ الأدوات المستعملة في فهم العلوم الإنسانية لا تعدو كونها طرائق أو أساليب مختلفة «لتطبيق قواعد منهج واحد ثابت مطلق»<sup>(١)</sup>، ألا وهو (منهج الفهم الكيفي)<sup>(٢)</sup>؛ وعلى أساس ذلك رُفِع في أروقة البحث العلمي شعارٌ مفاده: منهجٌ واحد للعلوم الإنسانية وطرائق بحث متعدّدة.

ولعلّ الدقة في هذا البحث توصلنا إلى أنّ النزاع حول وحدة المنهج وتعدّد الأساليب - في العلوم الإنسانية والدينية - لا يعدو كونه نزاعاً لفظياً.

(١) الحصادي، نجيب، نهج النهج: ص ١٣٠-١٣١.

(٢) هناك صيحة قد علت بين علماء المناهج - بعد جدل واسع - تدعو إلى إجابة وافية عن سؤال مفاده: ألا يمكن أن نجد منهجاً واحداً لجميع العلوم الإنسانية يختلف تمام الاختلاف عن منهج العلوم الرياضية والطبيعية، بحيث لا تُترك العلوم الإنسانية فريسة للتشتت بين مناهج متنافرة وغير متلائمة؟

وقد ظهرت عدّة محاولات تستهدف تشييد منهج عام، كان أبرزها تلك المحاولة التي حددتها المدرسة الألمانية، والتي اعتبرت (الفهم: Understanding) محوراً أصيلاً في منهج العلوم الإنسانية، في مقابل المعرفة التجريبية التي تُتميّز العلوم الطبيعية، فبينما تكون هذه المعرفة خارجية وتجريبية وكمّية، فإنّ الفهم ينفذ إلى أعماق المعاني والأفكار فيدركها إدراكاً كيفياً خالصاً، ومن المحال إخضاع المعرفة الكيفية إلى المعرفة التجريبية الكميّة، وقد كانت هذه المحاولة بداية هجوم واسع على الوضعية ورجالها، في محاولة واضحة للدفاع عن ذلك المنهج الكيفي الذي طرحته المدرسة الألمانية في العلوم الإنسانية. للاطلاع أكثر أنظر: المعطي، علي عبد، البحث عن منهج للعلوم الإنسانية، بحث مطبوع ضمن سلسلة كتاب الفلسفة والعلم تحت عنوان: قضايا العلوم الإنسانية.. إشكالية المنهج: ص ١٧-١٩.

وخلاصة القول: إنَّ الفهم الذي يُسيّر المنهج العام للعلوم الإنسانية لا يصطبغ بصبغة المنهج المصطلح، فعملية الفهم هي مرحلة تتوسّط المنهج والتفسير، فمن خلال المنهج نصل إلى الفهم، ومن ثمّ نمارس عملية التفسير والتركيب.

### ٣. أزمة تكوين المنهج في العلوم الدينية

ارتبط المنهج بحياة الإنسان منذ القدم، فكان البحث عن أدوات وطرق يحلّ بها مشاكله جزءاً من نشاطه وحركته، سواء المادّية منها، أم المعنوية، أم الفكرية، وقد برزت القضايا العقلية الفطرية (الأولوية) كمنهج أساسي للوصول إلى حقائق مجهولة، حتّى تبلور بعد مدّة من الزمن الفكر المنطقي في اليونان القديمة، وصار المنطق منهجاً وطريقاً للمعرفة، «بحيث لم يعد هناك فرق بين المنهج والمنطق»<sup>(١)</sup>.

إلى أن جاءت النهضة الأوروبية الحديثة، فتجلّت حينها بشكل مدرسي أبحاث المنهج، فكان أول من كتب عن المناهج العلمية في أوروبا المعاصرة (فرنسيس بيكون) سنة (١٦٢٠م)، حيث كتب (قواعد المنهج)، وكان من أبرز الذين أكّدوا المنهج الاستقرائي في البحث العلمي، تبعه الفيلسوف الفرنسي (ديكارت) سنة (١٦٣٧م) الذي ركّز على المنهج الاستدلالي، وقد تضمّن كتابه (مقال في المنهج) إسهاماته في هذا المجال<sup>(٢)</sup>، ثمّ توالى البحوث والكتب في هذا الميدان.

أمّا فيما يتّصل بمناهج المعرفة الدينية في الحضارة الإسلامية، فقد ارتبطت هذه المناهج ارتباطاً وثيقاً بعملية تفسير النصّ الديني، وقد نشأت هذه العملية في الصدر الأوّل للإسلام بالاعتماد على بيانات الرسول الأكرم ﷺ، إلّا أنّ الوضع قد اختلف تماماً بعد رحيله ﷺ، وما أعقبه من حوادث سياسية وفكرية واجتماعية، تغيّر على إثرها وجه الدولة الإسلامية، ومُنِع تدوين الحديث بحجج غير مبرّرة.

(١) حسن حنفي، المنهج الفلسفي، بحث مطبوع ضمن سلسلة كتاب الفلسفة والعلم تحت عنوان:

قضايا العلوم الإنسانية.. إشكالية المنهج: ص ٤٧.

(٢) أنظر: محمد علي محمّد، علم الاجتماع والمنهج العلمي: ص ١١٧.

وفي تلك المرحلة برز جمعٌ من الصحابة كمفسّرين للنصّ القرآني، فحاضوا في بيان المسائل الأدبية وما يتعلّق بشأن النزول، مقلّين من استخدامهم الروايات النبوية في مجال تفسير النصّ القرآني<sup>(١)</sup>، ثمّ استمرّ هذا النهج من لدن التابعين أيضاً مع توسعةٍ للمنهج الروائي، حيث نرى وجود إفراط في استخدام الرواية في التفسير، حتّى استُخدمت بعض المنقولات الضعيفة والإسرائيليات.

في أواخر انهيار الدولة الأموية وبداية الخلافة العباسية، دخلت الفلسفة اليونانية على نطاق واسع إلى الساحة الإسلامية، وذلك من خلال ترجمة الآثار اليونانية إلى العربية، حتّى انتشرت المباحث الفلسفية والعقلية في الأوساط الإسلامية، فبرز حينها المنهج العقلي بشكل واضح.

وتزامناً مع البحث الفلسفي ظهر مسلكٌ جديد يتعاطى مع النصّ الديني من خلال الرياضة الروحية، من دون أن يتوجّه إلى المسائل العقلية والنقلية، ألا وهو مسلك الكشف والشهود القلبي، هذا في الوقت الذي كانت هناك مجموعة تؤمن بالظهور اللفظي كمنهج أساسي للتعاطي مع النصّ الديني، ولا تسمح للعقل بالدخول في تلك الساحة المقدّسة.

وقد برزت مشكلة المنهج بشكل أساسي ومدرسي في الخلاف الذي نشب بين الأشاعرة والمعتزلة، حيث خالف الأشاعرة المعتزلة في مسألة تعارض العقل مع ظواهر النصوص الدينية، فقد آمن المعتزلة بحكومة العقل وإن أدّت إلى التأويل، بينما آمن الأشاعرة بحكومة النقل وإن آلت إلى التشبيه<sup>(٢)</sup>، فقدّموا على إثرها ظواهر النصوص على المدركات العقلية، خصوصاً فيما يتعلّق بمبحث الصفات الخبرية، كما

(١) أنظر: علوي مهر، حسين، المناهج والاتجاهات التفسيرية: ص ٦١.

(٢) كتب القرطبي (ت ٦٧١هـ) في ذيل الآية الكريمة ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ الأعراف: آية ٥٤، ما يلي: «ولم يُنكر أحدٌ من السلف الصالح أنّه استوى على عرشه حقيقة... وإنّما جهلوا كيفية الاستواء، فإنّه لا تُعلم حقيقته». القرطبي، أحمد بن محمد، الجامع لأحكام القرآن: ج ٧، ص ٢١٩.

أنكروا - أيضاً - الحُسن والقُبْح العقليين، سالكين في ذلك مسلك الحنابلة ومن هذا حدوهم.

ومن خلال هذا التغيّر والتحوّل حاول كلّ اتجاه أن يتخذ لنفسه منهجاً فكرياً خاصاً يُفسّر من خلاله النصّ الديني، فقسّم انطلق من ظاهر النصّ لتفسير النصّ، وقسّم تحرك في ضوء معطيات الأحكام العقلية، وقسّم جعل المسائل العرفانية والتصوّف مسلماً إلى ذلك، وهكذا الأمر الذي أدّى إلى تنوع مناهج المعرفة الدينية إلى يومنا هذا، وقد دخلت بعض المناهج العلمية أيضاً في عملية تفسير النصوص الدينية، وذلك فيما يتصل بالقضايا العلمية التي طُرحت في تلك النصوص، حتّى انبرى لدينا في مجال التفسير ما يُعرف بـ(منهج التفسير العلمي).

## المطلب الثاني: الخطابة الدينية .. رؤية تصوّرية

### ١. تعريف الخطابة الدينية

الخطابة لغةً: مصدر من الفعل خَطَبَ يَخْطُبُ خُطْبَةً وَخَطَابَةً، «وخطب الخاطب على المنبر خطابة (بالفتح)، وخطبة (بالضم)، وذلك الكلام: خطبة أيضاً، أو هي الكلام المنشور المسجّع ونحوه»<sup>(١)</sup>.

وأما اصطلاحاً، فقد تمّ تعريفها على لسان المناطقة وغيرهم بتعريفات متقاربة، فهي إمّا أن يُراد منها: عملية الإلقاء نفسها، أو يُراد منها: الكلام المُلقى؛ وعليه ورد في تعريفها أنّها: «قوّة تتكلّف الإقناع الممكن»<sup>(٢)</sup>، وورد أيضاً أنّها: «كلام منشور مؤلّف يخاطب به الفرد الجماعة قصد الإقناع»<sup>(٣)</sup>، فالتعريف الأوّل يُشير إلى عملية الإلقاء، بينما الثاني يُشير إلى ذات الكلام والخطاب.

(١) الفيروزآبادي، محمّد بن يعقوب، القاموس المحيط: ص ٤٧٨.

(٢) أرسطوطاليس، الخطابة: ص ٩.

(٣) الواعي، توفيق، الخطابة وإعداد الخطيب: ص ١٢.

ولأهمية هذه الصناعة ودورها في إقناع الجماهير والتأثير في نفوسهم؛ برز علم خاص بالخطابة يتكفل ببيان قواعد الإقناع وطرق التأثير<sup>(١)</sup>.

ثم إن الخطابة بشكل عام تُقسّم بلحاظ الموضوع إلى أقسام متنوّعة، منها: الخطابة السياسية، والقضائية، والعسكرية، والعلمية، والدينية... وتُسمّى الخطابة الدينية بالوعظية أيضاً؛ وذلك دفعاً لإشكالية مفادها: أنّ المفاهيم الدينية واسعة جداً، بلحاظ أنّ الإسلام دين شامل لكلّ جوانب الحياة البشرية، الاجتماعية منها والسياسية والقضائية والعسكرية وغيرها، وهذا ما يؤدي إلى حدوث إرباك في جعل الخطابة الدينية جزءاً من الخطابة العامّة.

ولكنّه يمكننا الإجابة عن هذه الإشكالية: بأنّ المراد بالموضوعات الدينية هو ذلك المعنى المرتكز عند العموم من كون الخطاب الديني هو ذلك الخطاب الذي يرسم في أبعاد ثلاثة: (البعد الفقهي)، و(البعد العقدي)، و(البعد الأخلاقي)، وإن كان هناك بعض الموضوعات في العلوم الإنسانية ترتبط بشكل وآخر بالمسائل الدينية ارتباطاً وثيقاً؛ الأمر الذي جعل البعض يفكّر بالعمل على تطوير موضوعة (العلم الديني) وما يرتبط بها من فروع، من قبيل: علم النفس الديني، وعلم الاجتماع الديني، وعلم الاقتصاد الديني... وهكذا.

## ٢. مواد أقيسة الخطابة

يرتبط الحديث عن أقيسة الخطابة الدينية بالمنهج ارتباطاً وثيقاً، ولعلّ منهج الاستدلال العقلي هو الأكثر مساساً بهذا الموضوع، ومن خلال البحث في أقيسة الخطابة سيّضح لنا مكانة المنهج الاستدلالي في العملية الخطابية.

(١) عرّف علم الخطابة بأنّه: «مجموع قوانين تُعرّف الدارس طرق التأثير بالكلام، وحُسن الإقناع بالخطاب، فهو يُعنى بدراسة طرق التأثير ووسائل الإقناع، وما يجب أن يكون عليه الخطيب من صفات، وما ينبغي أن يتّجه إليه من المعاني في الموضوعات المختلفة، وما يجب أن تكون عليه ألفاظ الخطبة وأساليبها وترتيبها...». أبو زهرة، محمّد، الخطابة: ص ٩.

فقد ذكر أنّ الهدف من وضع القواعد المنطقية هو الوصول إلى التصديق، «فإن أوقع التصديق يقيناً فهو البرهان، وإن أوقع ظناً أو محمولاً على الصدق فهو الخطابة... فالأول يتّجه إلى اليقين، والثانية تتّجه إلى الأقيسة الظنيّة»<sup>(١)</sup>.

ولعلّ هذه الرؤية منشؤها القول: بأنّ الكلام في الخطابة موجه إلى جمهور المخاطبين، والجمهور لا يتفاعل مع البراهين العقلية، ولا يتوجه إليها، كما لا يخضع للطرق الجدلية؛ وذلك بحكم الوجود العاطفي الذي يتغلّب في داخله على التفكير والتعلّل، بل ليس لديه الصبر على محاكمة الأدلّة والبراهين؛ لما فيها من تأمل وتدقيق. ومن هذا المنطلق يقول الشيخ المظفر: «وعليه؛ فيحتاج من يريد التأثير على الجماهير في إقناعهم أن يسلك مسلكاً آخر غير مسلك البرهان والجدل... فإنّ الذي يبدو أنّ الطرق العقلية عاجزة عن التأثير على عقائد الناس وتحويلها؛ لعجزها عن التأثير على عواطفهم المتحكّمة فيهم... فيجب أن تكون المخاطبة التي يتلقاها الجمهور والعامي وشبهه من نوع لا تكون مرتفعة ارتفاعاً بعيداً عن درجة مثله»<sup>(٢)</sup>.

وعلى أساس ذلك؛ ذهبوا إلى أنّ موادّ الخطابة التي تتألف منها الحجّة الإقناعية، تتشكّل من المظنونات أو المقبولات أو المشهورات الظاهرية، كما أنّ القياس المستعمل في الخطابة لا يجب فيه أن يكون يقيناً من ناحية تأليفه وصورته، «أي: لا يجب أن يكون حافظاً لجميع شرائط الإنتاج، بل يكفي أن يكون تأليفه منتجاً بحسب الظنّ الغالب، وإن لم يكن منتجاً دائماً، كما لو تألّف القياس مثلاً على نحو الشكل الثاني من موجبتين... مع أنّ الشكل الثاني من شروطه اختلاف المقدّمين بالكيف»<sup>(٣)</sup>.

وعليه؛ يمكننا تقسيم القياس إلى قسمين أساسيين<sup>(٤)</sup>:

١- قياس منطقي مقدّماته علمية ونتيجته حتمية لازمة.

(١) المصدر السابق: ص ١٩. نقل هذا القول عن ابن سينا من دون إسناد إلى مصدر.

(٢) المظفر، محمّد رضا، المنطق: ص ٤٢٢-٤٢٣.

(٣) المصدر السابق: ص ٤٣٧.

(٤) علماً بأنّ الأقيسة في الخطابة كثيراً ما تقع مضمرة، ولا يلزم أن تحتفظ بصورتها وهيئتها المنطقية.

٢- قياس خطابي مقدماته ظنيّة ونتيجته ليست لازمة.

وطبقاً للرؤية المتقدّمة، فإنّ الخطابة تقوم على القياس الظنيّ، ولا تحمل بين طيّاتها صرامة البرهان وحتميّه.

وقد أنكر البعض على المناطقة هذا التقيّد، أي: كون الأقيسة في الخطابة لا تعتمد إلاّ على الظنّ، فقد ذكر أبو زهرة أنّ «الخطابة - في الحقيقة - قد تستمد قوّتها من العناصر الثلاثة [اليقين والظنّ والخيال]... قد يعمد الخطيب إلى المنطق وأقيسته اليقينية، ويقتصر على ذلك إذا كان يخاطب أقواماً قد غلب على حياتهم الفكر والعقل... وقد يعمد إلى الظنّيات، وأقوال من عرفوا بالحكمة، إذا كان من يخاطبهم ممن يُقدّسون أولئك الذين نقل عنهم، وقد يُضيف إلى الظنّيات صوراً كلامية، تثير الخيال، وتفعل في النفس ما يفعله الشعر، ومن الخطب ما تجتمع فيها تلك العناصر الثلاثة، فتبلغ القمّة من التأثير والروعة والجودة»<sup>(١)</sup>.

وقد أكّد قبل ذلك أهميّة البرهان والاستدلال العقلي بقوله: «بل كثيراً ما تعتمد على أقوى الأدلّة إلزاماً، وأشدّها قطعاً في الاستدلال، ومن أبلغ الخطب ما جمّلت حقائقها بأقيسة المنطق وبراهينه، إذ يجتمع فيها دقّة المنطق بجمال الأسلوب»<sup>(٢)</sup>.

وتعليقاً على ما تقدّم نرى أنّ الأجواء المحيطة بالخطابة، والواقع الخارجي الذي يعيشه مجتمع الخطاب، يُتّمم أحياناً استخدام القياس البرهاني في التفهيم والإرشاد، خصوصاً إذا كان المخاطب من نوع خاص، الأمر الذي يستدعي الاطلاع الكافي على شرائط المنهج الاستدلالي ومبادئه العامّة.

### المطلب الثالث: المجالات الأساسية للخطابة الدينية

لأوّل وهلة ربّما يتبادر إلى الأذهان تساؤل يبحث عن حقيقة العلاقة بين المنهج والعملية الخطابية، ولعلّ هذا التساؤل منشؤه أنّ العملية الخطابية تختلف في طبيعتها

(١) أبو زهرة، محمّد، الخطابة: ص ٢٠.

(٢) المصدر السابق.



عن البحث العلمي، إذ المرتكز في أذهان العموم أن وظيفة الخطيب هي عرض المعلومات بقالب فني خاص، وعملية العرض هذه هي مرحلة متأخرة عن الفهم والتفسير، وما دور الخطيب إلا أخذ المعلومة الممنهجة جاهزةً وصياغتها بطريقة خطابية وعرضها على الجمهور، وهذا لا يُحتاج معه إلى منهج بعينه.

وفي معرض إجابتنا عن هذا التساؤل نقول: إن النسبة بين الخطيب والباحث يمكن تصوّرها على ثلاثة أشكال:

١- نسبة التباين.

٢- نسبة العموم والخصوص من وجه.

٣- نسبة العموم والخصوص المطلق.

ولعلّ الإشكالية السابقة ناشئة من الارتكاز الحاصل من أن النسبة بين الخطيب والباحث هي نسبة التباين، لكنّ الحقيقة تقضي بأنّ هذه النسبة هي خلاف ما هو كائن، فإنّ النسبة الواقعية التي يمكن أن نضعها بين الخطيب والباحث - طبقاً للاستقراء والملاحظة - هي نسبة العموم والخصوص من وجه، فهناك جهة اشتراك بينهما نسعى إلى إبرازها في هذه الدراسة، والعمل على تفعيلها في مجال الخطابة الدينية. نعم، إنّ الطموح الذي نتطّلع إليه فيما ينبغي أن تكون عليه الخطابة الدينية هي نسبة العموم والخصوص المطلق؛ إذ لا مفرّ من البحث العلمي لكلّ خطيب رسالي واع، يهدف إلى إيصال رسالته إلى الجمهور بكلّ أمانة ودقة علمية، وقد أثبتت التجربة أنّ الخطاب العلمي الذي يستند إلى منهج قويم يُعدّ خطاباً رائداً في الأوساط العلمية والبحثية.

وبما أنّ الخطابة تُعدّ من الفنون غير المنضبطة بموضوع محدد، إذ تتحرّك في فضاءات متعدّدة، ومجالات متنوّعة، يُحتمّ على الخطيب أن يُجهد نفسه في الاطلاع على تلك المجالات؛ ليتمكّن من معالجة الأفكار المتنوّعة والمختلفة، وعليه تتّضح أهمّية المنهج في عملية الخطاب من خلال المجالات المعرفية التي تُطرق في العملية



الخطابية، إذ لا تخلو هذه المجالات من العمل المنهجي الذي يمارسه المتخصّصون في عملية الإنتاج المعرفي، ومن جملتها:

## ١. المجال القرآني

ويمثّل هذا المجال جوهر الخطابة الدينية<sup>(١)</sup>، حيث يكشف النصّ القرآني حقائق وعلوم متعدّدة، وذلك في إطار المنهج العامّ الذي اعتمده القرآن الكريم لهداية الإنسان وتوجيهه نحو طريق الكمال.

إنّ التعاطي مع النصّ القرآني وتفسيره يضعنا أمام مسؤولية خطيرة، تحتمّ علينا توخّي الحيلة والحذر من الوقوع في وحل التفسير بالرأي المذموم شرعاً وعقلاً؛ ومنه تظهر أهمية التركيز على دراسة المناهج التفسيرية، وتمحيصها جيّداً، وفرز المناهج المعتمدة عن غيرها، حتّى أضحي علم المناهج التفسيرية من أساسيات البحث العلمي في حقل التفسير وعلوم القرآن.

## ٢. المجال الفكري

وأكثر ما يتمثّل هذا المجال بعلم الكلام وفلسفة الدين، حيث يتجلّى المنهج العقلي كقاعدة أساسية ينطلق منها المتخصّص في مجال الفكر والعقيدة لتحليل القضايا الكلامية وإثباتها، ولا يمكن إنكار أثر النصّ أيضاً في بلورة القضايا الفكرية، شريطة عدم الوقوع في محذور الدور الباطل، كالبحث في المسائل الكلامية الفرعية، ومن هنا تبرز أهمية المنهج الروائي أيضاً - على مستوى الرواية والتاريخ - في معالجة تلك القضايا وبلورتها.

(١) الحديث هنا يقع فيما ينبغي أن تكون عليه الخطابة الدينية، وليس عمّا هو كائن، وذلك باعتبار أنّ الخطابة تختلف بلحاظ ما يُطرح من خطيب إلى خطيب آخر، فكل له طريقته في عرض الموادّ وإعطاء الأولويات، فمنهم من يعطي أولوية للنصّ القرآني، ومنهم من يعطي تلك الأولوية للنصّ الروائي، ومنهم من يعطي الأولوية للحوادث التاريخية، وهكذا.

## ٣. المجال الفقهي

مما يؤسف له أنّ الأحكام الشرعية لم تأخذ نصيبها الأوفى في مجال الخطابة الدينية؛ الأمر الذي يُحتم على الخطباء والمبلّغين العمل على إيجاد منهجية خطابية يأخذ فيها الفقه دوره الأساسي كموجه للمكلّف على مستوى العبادات والمعاملات. ومن المعلوم أنّ الخطابات الشرعية تجلّت في مصدرين أساسيين، هما: القرآن الكريم، والسنة الشريفة، إلّا أنّ السنة الشريفة قد أخذت حيزاً كبيراً من الفضاء الفقهي؛ لاشتمالها على تفاصيل دقيقة وجزئية لكثير من العناوين الفقهية. ومنه تظهر أهمية المنهج الروائي في معالجة ما وصل إلينا عن طريق المعصوم عليه السلام بخبر الآحاد، ذلك المنهج الذي يضعنا أمام مقدّمات عدّة يتقاسمها علما الأصول والرجال، كما سيّضح لاحقاً.

## ٤. المجال الأخلاقي

في نظرة عامّة إلى آراء فلاسفة الأخلاق نرى أنّ بعضهم قد أضفى على الأخلاق طابعاً عقلياً<sup>(١)</sup>، وأقرّ بوجود قيم موضوعية مطلقة، لا تختلف باختلاف الزمان والمكان، ولا تتغيّر بتغيّر الظروف والأحوال<sup>(٢)</sup>؛ وعلى هذا الأساس صُنّف علم الأخلاق بأنه علم معياري، وأنّ للقيم وجودها الذاتي، حيث تفرض نفسها على الوجدان البشري بطريقة أولية، «أما عجز بعض الأفراد عن إدراك القيم أو التمييز بينها، إنّما هو (العمى الخُلقي) الذي قد يرجع إلى انعدام النضج، أو نقص التربية لديهم»<sup>(٣)</sup>.

(١) يورّع منشأ الفعل الأخلاقي على اتجاهات عدّة، أبرزها: الاتجاه العقلي، والاتجاه الإلهي الديني، والاتجاه الاجتماعي، والاتجاه النفعي.

(٢) أنظر: الطويل، توفيق، الفلسفة الخلقية.. نشأتها وتطورها: ص ١١.

(٣) زكريا إبراهيم، المشكلة الخلقية: ص ٧٦.

وطبقاً لهذه الرؤية فإن الأخلاق تصبح تشريعاً وقانوناً فطرياً، وتضطلع بمهمة التوجيه الذاتي للإنسان، ولعل ذلك بحكم ما أودعه الله تبارك وتعالى في النفس الإنسانية من مبادئ وحقائق أساسية ترتبط بحكمته تعالى، ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>؛ وعلى هذا المعنى يتضح أن المسلك العقلي في تفسير الأفعال الأخلاقية ينتهي طريقه إلى الحكمة الإلهية في موضوع الأخلاق، وما جاء على لسان النقل في خصوص الأفعال الأخلاقية يُعدّ تثويراً للدقائق العقول التي حجبتها بعض الرواسب المادية والمعنوية.

وفي مقابل ذلك الثبات عمّت النظريات الوضعية والنسبية مجال الأخلاق، حيث أخضعت الفعل الأخلاقي إلى العادات المتغيرة عند كل قوم، وفي كل عصر؛ ومنه برزت «مدرسة من علماء الاجتماع في فرنسا قد اتجهت بالأخلاق في نهاية القرن الغابر ومطلع القرن الراهن اتجاهاً اجتماعياً، صوّرت فيه علم الأخلاق فرعاً من علم الاجتماع، موضوعاً ومنهجاً»<sup>(٢)</sup>؛ وعلى هذا الأساس انبرت مشكلة أساسية في تشخيص الحقيقة، وتثبيت الحقوق العامة، والالتزام بقانون أخلاقي موحد. ولعل الاتجاه العقلي في هذا البحث يبرز لنا مكانة العقل ومنزلته كمنهج أساسي في تثبيت الأفعال الأخلاقية، وجعلها معايير قيمة.

زيادة على ذلك، فإن الذي يجعل المسألة الأخلاقية مورد اهتمام بالغ لدى الخطباء الدينيين، أن الفعل الأخلاقي قد أطر أيضاً بإطار فقهي وحقوقى، فالمفاهيم من قبيل: الصدق والكذب، والوفاء والخيانة، وحفظ الأمانة وأدائها... وغيرها الكثير، في الوقت الذي تُحاكي فيه الفطرة الإنسانية تخضع كذلك إلى التقويم الشرعي الذي يضعها في قالب الأحكام التكليفية، بل هناك مفاهيم أخلاقية قد صُهرت بالفكر

(١) الروم: آية ٣٠.

(٢) زكريا إبراهيم، المشكلة الخلقية: ص ٧٦.

والعقيدة أيضاً، من قبيل: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونصرة المظلوم، وإقامة العدل، ومحاربة الظلم، وغيرها من المفاهيم.

وهنا تكمن أهمية الخطابة الدينية التي تُصيِّر الأبحاث العلمية والنظرية في الأخلاق واقعاً معاشاً، يتحرّك في فضائه الإنسان، ويجسّد بعمله تلك المدركات القيمة التي تأخذ بالإنسان إلى طريق السعادة والكمال.

## ٥. المجال التاريخي

تمثّل النصوص التاريخية - عند البعض - المادّة الأكثر انصياعاً وانسيابية قياساً بالنصوص الدينية، وذلك لخلوّها من عامل القداسة الذي يفرض على الخطيب أو الباحث إعمال الدقّة والنظر في قراءة هذه النصوص، والكشف عن مقاصدها؛ ومنه نرى غياب المنهجية العلمية في بعض الخطب الدينية عند عرض الأحداث التاريخية، وكأنّ دراسة التاريخ وقراءته لا تشملها فكرة المناهج البحثية، والمعايير العلمية، والقواعد الأساسية لفهم التاريخ ومعالجة نصوصه.

إلا أنّ التجربة البحثية والواقع المعرفي يحتم علينا القول: بأنّ هذه النظرة تفتقر إلى المصدقية، فعلى الخطيب البارِع أن ينزّل نفسه منزلة الباحث الحثيث الذي يسعى بكلّ جهد إلى استنطاق النصّ التاريخي، واستنباط الحقائق التاريخية من خلاله، واستنتاج الأسباب التي أدّت إلى حدوث الواقعة، بالاعتماد على آليات المنهج التاريخي الصحيح.

وبما أنّ الوقائع التاريخية بعامة، والقضية الحسينية بخاصّة، تُعدّ جزءاً أساسياً من منظومة الخطابة الدينية، فلا بدّ للخطيب أن يعرض هذه الوقائع بكلّ موضوعية ودقّة، وهذا لا يتأتّى ما لم يخضع الطرح إلى منهج تاريخي يمكنه من معالجة الأحداث أو الخطابات الحسينية بكلّ مصداقية ووضوح.

## المطلب الرابع: المناهج الأساسية للخطابة الدينية

أتضح سابقاً أنّ الخطابة الدينية هي عملية يمارس فيها الخطيب عرض جملة من الأفكار المتصلة بمجالات معرفية متعددة؛ الأمر الذي يقضي بدخول مناهج علمية مختلفة يتم من خلالها بلورة ذلك الخطاب، ومن خلال استقراء المناهج المتبعة في التعامل مع النصّ، نذكر هنا بعضاً من تلك المناهج:

### ١. منهج تفسير القرآن بالقرآن

إذا كان التفسير هو الكشف عن معاني النصّ القرآني ومداليله، فإنّه في ضوء هذا المنهج يكون النصّ القرآني - مورد البحث - منكشفاً ومفسّراً بنصّ قرآنيّ آخر. يُعدّ هذا المنهج هو الأساس الذي يقوم عليه أسلوب التفسير الموضوعي؛ وذلك لعدم إمكان استخلاص أيّ نتائج بهذا الأسلوب دون التزوّد من هذا المنهج. وقد ذكر العلامة الطباطبائي في تفسيره الميزان: أنّ إحدى الطرق التي يتمّ من خلالها فهم حقائق القرآن، وتشخيص مقاصده العالية: «أن نفسّر القرآن بالقرآن، ونستوضح معنى الآية من نظيرتها بالتدبّر المندوب إليه في نفس القرآن، ونشخص المصاديق، وتعرّفها بالخواص التي تعطىها الآيات، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾<sup>(١)</sup> الآية، وحاشا أن يكون القرآن تبياناً لكلّ شيء ولا يكون تبياناً لنفسه»<sup>(٢)</sup>.

وقال في موضع آخر: «فلا يكفي ما يتحصّل من آية واحدة بإعمال القواعد المقرّرة في العلوم المربوطة في انكشاف المعنى المراد منها، دون أن يتعاهد جميع الآيات المناسبة لها، ويجتهد في التدبّر فيها، كما يظهر من قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>»<sup>(٤)</sup>.

(١) النحل: آية ٨٩.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١، ص ١١.

(٣) النساء: آية ٨٢.

(٤) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ٣، ص ٧٦-٧٧.

إن استخدام الأسلوب الموضوعي في التفسير في الخطابة الدينية - بالاستعانة بهذا المنهج القرآني - شيء لا بد منه؛ وذلك لما فيه من توظيف معرفي وتربوي للمفاهيم القرآنية في مجتمعاتنا الإنسانية، لتتعرف بشكل مدرسي على المعارف القيمة التي يلهج بها كتابها المقدس.

## ٢. المنهج الروائي

المنهج الروائي أكثر ما اقترن بعملية استنباط الأحكام الشرعية، وكذلك بالأسلوب التجزيئي في تفسير القرآن الكريم، الأسلوب الذي هيمن على الساحة التفسيرية طيلة القرون الثلاثة الأولى من الهجرة؛ ولعل من أسباب تلك الهيمنة بروز النزعة الأخبارية آنذاك.

وقد وقع الكلام في الأوساط العلمية أن التفسير الروائي هل هو تفسير اصطلاحى، أم هو مجرد شعبة من شعب الحديث؟ والذي ينبغي بيانه أن سرد الروايات التفسيرية أو الفقهية لا يُعدّ منهجاً بحد ذاته ما لم نضف إليه الخطوات المعتمدة في تمحيص تلك الروايات، وإثبات اعتبارها وحجيتها ومدليلها، فمجرد سوق الروايات في ذيل الآيات القرآنية لا يُصيرنا مُفسرين، كما أن سوق الروايات الفقهية لا يجعل منّا فقهاء ومجتهدين.

ويمكننا أن نجمل خطوات المنهج الروائي بما يلي:

**الخطوة الأولى:** جمع النصوص المتعلقة بموضوع البحث من مصادرها الأصلية، واستقراؤها استقراءً تاماً.

**الخطوة الثانية:** التأكد من صحة صدور النص، فليس كل خبر أدعى وروده عن المعصوم يكون حجة، «وإنما الحجة هو خصوص خبر الثقة أو الحسن<sup>(١)</sup>، ومن الظاهر

(١) هذه إشارة إلى نظرية الوثاقة، وهناك نظرية أخرى تُسمى بنظرية الوثوق، مفادها: أن الخبر يكون حجة إذا تم الوثوق بصدوره عن المعصوم عليه السلام، وإن كان ضعيفاً في اصطلاح المحدثين والرجاليين؛ وذلك لأن الضعيف ربّما يكون صحيحاً في واقع الأمر. ولا يتأتى لنا الوثوق بخبر، ما لم يعتضد بقرائن داخلية وخارجية.

أنّ تشخيص ذلك لا يكون إلاّ بمراجعة علم الرجال، ومعرفة أحوالهم، وتمييز الثقة والحسن عن الضعيف»<sup>(١)</sup>.

الخطوة الثالثة: التحقّق من سلامة النصّ، أي: من كونه محرّفاً أو مصحّفاً، وهذا ما يستلزم مراجعة جميع النسخ المعتمدة لتشخيص النصّ الأصلي.

الخطوة الرابعة: فهم مدلول النصّ، وهو ما يتحقّق من خلال مرحلتين أساسيتين:

الأولى: تفسير ظاهر النصّ ومعرفة المعنى الحرفي له (الدلالة الوضعية).

الثانية: إدراك المعنى الحقيقي للنصّ، ومعرفة المراد الجدّي (الدلالة الاستعمالية). فالمرحلة الأولى تحتاج إلى اطلاع كافٍ على علوم اللّغة، مع التركيز على أنّ الكلمة الواحدة داخل النصّ ينبغي أن لا تُفسّر بمعزل عن السياق العام لذلك النصّ.

وأما المرحلة الثانية فتحتاج إلى معرفة قواعد الفهم العرفي المتعارف عند العقلاء في أقوالهم ومحاوراتهم؛ الأمر الذي يدعو إلى استنطاق المعنى الحقيقي الذي يهدف إليه صاحب النصّ.

ومن المعلوم عدم وجود تلازم مطلق بين مدلول اللفظ ومراد المتكلّم، بل ربّما يختلف المراد عن المدلول اللّغوي للكلام؛ الأمر الذي يتطلّب معرفة: المجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلميح، والتعريض، والكنية، ومتابعة القرائن المقالية والمقامية، والمرتكزات العرفية، والتقاليد الاجتماعية، والسياقات الكلامية، وغيرها. ومنه تظهر أهمّية معرفة العلوم التي تشتمل على القواعد العامّة لعملية فهم النصوص الدينية، وعلى رأسها: علم الأصول، وعلم فقه الحديث.

### ٣- المنهج اللّغوي

ينتهي علم اللّغة في أهدافه إلى أنّه علم بيان المعنى، يقوم على أساس التحليل

(١) الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج ١، ص ٢٠.



البنوي لمعنى التراكيب اللفظية بتحديد النسبة بين المفردات والتراكيب، والعلاقة بينها؛ وعليه فقد اعتمد بعض المفسرين المنهج اللغوي لتحليل المعاني القرآنية، ومعرفة دلالة الألفاظ من خلال تحديد موقعها الإعرابي، منطلقين من أن الإعراب في حقيقته تابعٌ للمعنى. وقد أثر في هذا الجانب هوى المتخصصين، ورغبة العلماء الباحثين، فشكّلوا بذلك مدرسة خاصة بهم، تميّزت أبعادها في البحث عن لغة القرآن، ومجاز القرآن، وغريب القرآن، ومعاني القرآن، ومفردات القرآن<sup>(١)</sup>.

فالمفسر في ضوء هذا المنهج يقوم أولاً وقبل كل شيء بإظهار معاني اللغة في استعمالات متماثلة، فيشرح النصّ شرحاً لغوياً، ثمّ يخوض في جوانبه المتعددة من مفرداته ومجازه وغريبه، ويهتم بتطور اللغة العربية في مراحلها التاريخية<sup>(٢)</sup>.

زيادة على ذلك، فإنّ المنهج التاريخي في قراءة اللغة يُعدّ أيضاً عنصراً أساسياً للوقوف على معاني ألفاظ النصّ الديني في زمن النزول، ومعرفة المجازات البلاغية، والتراكيب النحوية، والقواعد الصرفية، التي تدخل في بلورة معنى النصّ ودلالاته.

#### ٤. المنهج العقلي الاستدلالي

إنّ إمكان الاعتماد على نتائج الاستدلالات العقلية في مجال المعرفة الدينية، يُعدّ من المباحث الأساسية التي وقع النزاع فيها كثيراً بين الاتجاهات الفكرية الإسلامية، حيث تفاوتت النظريات، واتّسعت دائرة الاختلاف في اعتبار العقل وحدوده في مجال تفسير النصّ الديني؛ وقد ظهر - تبعاً لهذا الاختلاف - اتجاهان أساسيان متمايزان في عالم الفكر الإسلامي، هما: الاتجاه العقلاني، والاتجاه النصي<sup>(٣)</sup>.

(١) أنظر: الصغير، محمّد حسين، المبادئ العامة لتفسير القرآن: ص ١٠٥.

(٢) أنظر: أيازي، محمّد علي، المفسرون.. حياتهم ومنهجهم: ص ٤٤.

(٣) للاطلاع أكثر على هذا الموضوع أنظر كتاب: المنهج العقلي في تفسير القرآن الكريم، للباحث.



يقتصر الاتجاه النصي على ظواهر الكتاب والسنة، ويجتنب التعاطي مع الأصول المنطقية والعقلية لفهم المعارف الدينية عموماً<sup>(١)</sup>، بينما الاتجاه العقلي يعتقد أن الكتاب والسنة هما الداعيان إلى التوسع في استعمال الطرق العقلية الصحيحة، فأمن بدور العقل في فهم النص واستكشافه ضمن ضوابط العقل البديهي أو البرهاني؛ وعليه تصبح الأحكام العقلية قرائن غير لفظية<sup>(٢)</sup> تدخل في مجال الفهم والتفسير.

إن استخدام العقل البرهاني بالخصوص في فهم النصوص الدينية يحتاج إلى البحث في شروط البرهان وموانعه<sup>(٣)</sup>، بالإضافة إلى ضرورة الإمام بالعلوم الدينية؛ حتى يتجنب الباحث الوقوع في المغالطات، مع توخي جانب الحذر والاحتياط في عملية الاستدلال من دخول قضايا في البرهان لا يمكن تبريرها منطقيًا.

زيادة على ذلك، فإن القراءة التاريخية لبعض الأخبار والحوادث الماضية لا يمكنها أن تستقيم بعيداً عن المنهج العقلي، ذلك المنهج الذي ينبغي لنا توظيفه في معالجة تلك الوقائع وتحليلها والبت فيها سلباً أو إيجاباً.

ومن هذا المنطلق يتحتم على الخطباء والباحثين أن لا يغفلوا دور العقل في قراءة النص الديني، وتحليل الوقائع التاريخية، فإن ما يُذكر أحياناً في كتب التاريخ أو

(١) ويبدو أن مخالفة هذا الاتجاه لحكم العقل لم تقتصر على أحكام العقل النظري الضروري وحسب، بل تعدت إلى الأحكام الضرورية للعقل العملي أيضاً! فقد عبّر الطحاوي عن عقيدته السياسية اتجاه أئمة الجور والظلم بقوله: «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع بدأً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله ﷻ فيريضة». الحنفي، ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية: ص ٤٢٨.

(٢) لما كانت المعارف البديهية العقلية لا تحتاج إلى فكر واستدلال، فهي واضحة المعاني للمستمع منذ بداية الكلام، فإنها تعدّ من القرائن العقلية المتصلة، إلا أن البراهين العقلية تحتاج إلى تدبر واستدلال، وهي غير واضحة للمستمع منذ بداية الكلام؛ لذا يمكننا تصنيفها ضمن القرائن المنفصلة.

(٣) للاطلاع على تلك الشروط والموانع والخطوات اللازمة لمنهج العقل البرهاني، تُراجع المصادر المختصة في ذلك، وعلى رأسها الكتب المنطقية.

الحديث من أحداث تنافي ضروريات الدين ومسلّماته القطعية، لا يمكن بأيّ وجه من الوجوه التمسك بها فيما إذا أمعنا النظر في محاذيرها العقلية والمنطقية. وهناك نقطة مهمّة لا بدّ من التنبيه إليها، وهي: أنّ العقل في تشخيصه للمعقولات لا يخطأ أبداً، لكن ربّما تقع هناك حجبٌ بينه وبين المعرفة بتلك المعقولات تمنع العقل من إدراك المعقولات كما هي<sup>(١)</sup>؛ ممّا يؤدّي إلى اضمحلال العقل وخروجه بنتائج مربكة وخطيرة.

وعليه؛ فإنّ من أهمّ الأهداف التي بُعثَ من أجلها الأنبياء ﷺ هو استخراج كنوز العقول من تحت هذه الحجب، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «ويُثيروا لهم دفائنَ العقول»<sup>(٢)</sup>.

## ٥. المنهج التاريخي

يُعدّ المنهج التاريخي من أكثر المناهج ارتباطاً بعمل الخطيب؛ وذلك بحكم العلاقة الواضحة التي تربط الخطابة بالمجال التاريخي، غاية الأمر أنّ المنهج التاريخي قد أُغفل تطبيقه بشكل صحيح عند دراسة بعض الحوادث التاريخية؛ ما يؤلّد بدوره نتائج عكسية تخالف حقيقة الحدث التاريخي.

إنّ المنهج التاريخي لا يقتصر على جمع المعلومات المرتبطة بعينة ما، وتنظيمها وإخراجها بحلّة جديدة، فإنّ جمع المعلومات وحده لا يحمق لنا إضافة معرفية في حقل الدراسات التاريخية، ولا يُعدّ تمام العلة لتحقيق القراءة الموضوعية؛ ولا يبلور لنا نظاماً يمكننا من خلاله معرفة السنن التاريخية، وعوامل توليد الحدث التاريخي، بل المنهج التاريخي هو عبارة عن «المراحل التي يسير خلالها الباحث حتّى يبلغ الحقيقة التاريخية بقدر المستطاع، ويُقدّمها إلى المختصّين بخاصّة، والقراء بعامة»<sup>(٣)</sup>.

(١) للاطلاع على بعض تلك الحجب أنظر: الشيرازي، محمّد، الحكمة المتعالية: ج ٥، ص ١٣٦-١٤٠.

(٢) نهج البلاغة: ج ١، ص ٢٣، الخطبة ١.

(٣) حسن عثمان، منهج البحث التاريخي: ص ٢٠.

وعليه؛ فإنَّ الحقائق التاريخية لا يتمّ التوصل إليها ومعرفتها جيّداً ما لم يتّخذ الباحث سلسلة خطوات أساسية ومنهجية، مع استقراء جميع النصوص والوثائق؛ لكي يتمكّن من تحديد الأسباب والعلل لحدوث واقعة ما؛ وذلك لأنَّ الحادثة التاريخية ربّما ترتبط بعوامل متعدّدة، وقوانين حاكمة، منها: اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو نفسية، وكلّ واحدة من هذه العوامل لا بدّ من التحري عنها لاكتشاف العلل الأساسية لتلك الواقعة؛ فإنَّ الحادثة إنّما تقع في ضمن مجتمع تتحكّم فيه الأنظمة الاجتماعية والأعراف الثقافية؛ الأمر الذي يستدعي قراءة دقيقة للموضوعات التاريخية، واستخراج العلل والأسباب بدقّة فائقة.

ومن خلال مطالعة الحوادث التاريخية بشكل عام، والنهضة الحسينية بشكل خاص، نرى أنّ هناك بعض الأحداث والمواقف لم تتمّ معالجتها بشكل دقيق، وأنّ قراءتها بمعزل عن حوادث أخرى لها نوع ارتباط بالحادثة مورد البحث، ربّما يكون له تأثير سلبي في تصوير الحادثة ووقوعها، واستنتاج العلاقة بين تلك الأحداث المترابطة.

### خطوات المنهج التاريخي

يمرّ البحث التاريخي بخطوات أساسية تشترك إلى حدّ كبير مع الخطوات المتّبعة في المنهج الروائي، ويمكن اختصارها كما يلي:

١- اختيار موضوع البحث: ويُعدّ هذا الأمر خطوة أساسية لتحديد مساحة البحث في المجال التاريخي.

٢- جمع البيانات والمعلومات (المادّة التاريخية): في هذه المرحلة يتحتّم على الباحث أن يختار المادّة التاريخية التي تناسب موضوع بحثه، وذلك بالاعتماد على المصادر والمراجع التاريخية المعتبرة، ف«إذا لم يعرف المرء قبل البدء في عمل تاريخي كيف يُحيط نفسه بكلّ المعلومات الميسّرة له، فإنّه يزيد بسهولة من مزلق خطر العمل على أساس وثائق غير كافية... فكأئن من عمل من أعمال التحصيل (erudition) أو

التاريخ عُولج وفقاً لقواعد أدق المناهج، قد أفسده - بل قضى عليه قضاءً مبرماً - أمرٌ مادي بسيط، هو أنّ المؤلف لم يقف على وثائق كان من شأنها أن توضح تلك التي كانت في متناول يده واقتصر عليها، وأن تكملها أو تنقصها»<sup>(١)</sup>.

٣- نقد المادة التاريخية: من المعلوم أنّ المعرفة التاريخية معرفة غير مباشرة، فعلم التاريخ ليس علم ملاحظة، والوقائع الماضية لم نشاهدها إلّا من خلال آثارها، وليس لدينا بعد ذلك ما نلاحظه، «فالوثيقة هي نقطة الابتداء، والواقعة الماضية هي نقطة الوصول، وبين نقطة الابتداء هذه ونقطة الوصول ينبغي الوصول بسلسلة مركبة من الاستدلالات المرتبطة بعضها ببعض، فيها فرص الخطأ عديدة، وأقلّ خطأ سواء ارتكب في البداية أو الوسط أو في نهاية العمل، يمكن أن يُفسد كلّ النتائج»<sup>(٢)</sup>.

وعليه؛ يتجلى البحث العلمي في مجال التاريخ من خلال نقد المادة التاريخية والبيانات التي يحصل عليها الباحث المؤرخ، حيث تُعدّ مسألة النقد من العمليات الأساسية في المنهج التاريخي؛ إذ من خلالها يصل الباحث إلى طبيعة المصادر التاريخية والمادة المنتزعة منها.

وينقسم النقد التاريخي إلى نوعين رئيسيين، هما:

الأول: النقد الظاهري (الخارجي): ويتمّ فيه نقد الوثيقة من خلال التحقّق من أصالتها ونسبتها إلى مؤلّفها، والتأكّد من صحّة سندها.

الثاني: النقد الباطني (الداخلي): وفيه ينتقل الباحث إلى باطن الكلام، وفهم المعنى، من خلال التفسير والتحليل للوثائق التي تمّ جمعها والمعلومات التي وردت

(١) لانجوا، وسينوبوس، المدخل إلى الدراسات التاريخية (النقد التاريخي): ص ٥-٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٣-٤٤.

فيها<sup>(١)</sup>. وهو على قسمين:

أ- النقد الباطني الإيجابي: ويهدف هذا النقد إلى تفسير النص التاريخي ومعرفة معناه اللغوي، ويُسمّى في عرف الأصوليين بالبحث الدلالي، ويمرّ ذلك عبر مرحلتين على غرار ما تمّ بيانه في المنهج الروائي.

ب- النقد الباطني السلبي: ويتمّ فيه كشف الستار عن مآرب المؤلّف وأهوائه، ودرجة تدقيقه في الرواية<sup>(٢)</sup>، أي: إنّ جوهر النقد السالب هو معرفة ما أورده مؤلّف الوثيقة التاريخية من معلومات، ومدى قربها من الواقع والحقيقة، ودراسة الأجواء التي أحاطت بها عند كتابتها، كالبحث في سيرة الكاتب، ومدى تأثيره بالمحيط الخارجي حين كتابته للوثيقة، ومدى تمكّنه أيضاً من اللّغة عند سرد الأحداث التاريخية.

٤- تركيب المادّة وعرضها: وهي الحصيلة النهائية لجهود الباحث التي بذلها في المراحل المتقدّمة من بحثه، فبعد جمع النصوص، وإخضاعها لعملية النقد لإثبات معناها وصحّة صدورها، ينتقل الباحث إلى تركيب المادّة. وهنا تظهر مهارة الباحث، وسعة أفقه الفكري، عندما يلج في عملية استخلاص النتائج ومسبّباتها، وإظهار شخصيّته من خلال تحليل الوقائع والبيانات التي جمعها ونقدها في مراحل سابقة، ولربّما لا يغيب أحياناً عن هذه العملية عنصر الاجتهاد.

وفي النهاية، تبقى عملية العرض تفتقر أيضاً إلى المكنة اللّغوية، كما أنّها تتطلّب اتّباع طريقة العرض المنطقي للأفكار؛ الأمر الذي يُسهّل جريان العرض التاريخي بأسلوب واضح ومتناسق، يمكّن المخاطب من الاسترسال المنطقي بين الموضوعات، والفهم اللّغوي للمصطلحات وتراكيب الألفاظ.

### المطلب الخامس: العلاقة بين المنهج ومكوّنات العملية الخطابية

بعد أن اتّضح أنّ العملية الخطابية لا بدّ لها من منهج يحدّد مسارها بوضوح،

(١) أنظر: كامل حيدر، منهج البحث الأثري والتاريخي: ص ١٣١.

(٢) أنظر: أسد رستم، مصطلح التاريخ: ص ١١١.

أو مناهج متعددة تتنوع بتنوع مجالات العملية الخطابية، ينبغي التنبيه على أن المنهج وحده لا يُنتج خطاباً واعياً ما لم تتضافر معه مكونات العملية الخطابية الأخرى، ومن المسلّمات المنهجية في مجال فنّ الخطابة أن الخطابة يجب أن تنشأ نتيجة الإمام بأصول هذا الفنّ ومبادئه الأساسية، ذلك أن الخطابة ليست سوى مظهر عملي لتلك الأصول والمبادئ.

ولأجل تكامل العملية الخطابية، فلا بدّ من اشتغالها على مكونات أساسية، تتفاعل فيما بينها لتوليد خطاب منهجي منضبط، وهي<sup>(١)</sup>:

١- الخطيب: وهو عنصر إيصال مادّة الخطاب ورسالته إلى المتلقّي، فهو الشخص الذي يمارس عملية الكشف عن مدلول النصّ، سواء أكان دينياً أم تاريخياً، أو يمارس عملية بيان تلك النصوص وعرضها؛ وعليه فهو أمام مسؤولية خطيرة تدعوه إلى التماس طريق التقوى، والانسلاخ عن أيّ عقيدة أو فكرة سابقة تؤثر سلباً في عمله التبليغي والإرشادي، وهنا تبرز أهميّة البحث في المؤهّلات العلمية والسلوكية للخطيب الناجح.

٢- المخاطب (المتلقّي).

٣- مادّة الخطابة: وهي الرسالة التي يريد أن يوصلها الخطيب إلى الآخرين، إمّا لأجل الإخبار والإعلام، أو لأجل التأثير والإقناع.

٤- المؤثّرات الخارجية: وهي المحيط الذي يشمل المكان والزمان والمناخ العلمي والثقافي الذي يعيش فيه الخطيب.

٥- القواعد العامّة: وهي الأصول والضوابط التي تحكم عملية الخطاب، وتُهندس موضوعاتها، وتُنظّم عملية التدليل على الأفكار والآراء المطروحة، وقد

(١) هذه المكونات تمّ استنتاجها من خلال تتبّع العملية الخطابية وتحليلها، ولم تؤخذ على نحو الحصر العقلي.

اعتنى علماء هذا الفن بالعمل على تدوين هذه الأصول بشكل مدرسي دقيق.

هذه المكونات تمثل أركان العملية الخطابية، وأي خلل في العلاقة بينها يؤدي حتماً إلى خلل في تلك العملية. نعم، هناك ترابط وثيق بين القواعد العامة والمنهج؛ فإنّ المنهج يدخل كعنصرٍ أساسي في مجموعة القواعد التي تحكم العملية الخطابية، والناظر إلى بعض مصاديق الخطابة الدينية، يمكنه بوضوح أن يلحظ مدى الخلل الواضح الذي يعتري الخطاب بسبب عدم التوازن بين هذه المكونات من جهة، وبينها وبين المنهج من جهة أخرى.

والمسؤولية لمقاة على عاتق المتخصّصين في هذا المجال؛ إذ لا بدّ من تشخيص ذلك الخلل، وبيان أسبابه ومناشئته بالدراسة والتحليل، وعقد المنتقيات والندوات، فمن الخلل ما يعود إلى الخطيب الذي يُغلب ثقافته واتجاهه على أصول الخطابة الدينية ومناهجها، ومنه ما يرجع إلى ضوابط الخطابة، كماهمل بعض قواعد هذا الفن، وعدم الاعتماد عليها، أو إقحام موارد غير أصولية في العملية الخطابية على أنّها ضوابط ومعايير خطابية، ومنه ما يعود إلى المنهج، وهكذا.

### **المطلب السادس: مظاهر غياب المنهج في الخطابة الدينية**

توجد هناك مظاهر متعدّدة لغياب المنهج الصحيح يمكننا مشاهدتها في جملة من مصاديق العملية الخطابية، منها:

#### **1. النزعة الذاتية**

إنّ تفعيل الميول الأيديولوجية عند الخطيب، وإقحام الأفكار والرؤى السابقة غير المنهجية في قراءة النصوص الدينية، والانطلاق من الذات لفهم تلك النصوص، يُعدّ هدماً للموضوعية، ومظهراً من مظاهر غياب المنهج في العملية الخطابية، فإنّ الخطيب نتيجة انحيازه إلى بعض الأحكام المنطبعة في ذهنه، أو تجاهله بعض الأدلّة



المضادة لقناعاته، ربّما يقع في مشكلة تشخيص المنتج المعرفي بشكل صحيح؛ الأمر الذي يؤدي بدوره إلى استخلاص النتائج بطريقة (دوغمائية) تتنافى وأصول البحث العلمي، فعلى سبيل المثال نرى البعض «يتأول القرآن على وفق رأيه، ويصرفه عن المراد، ويرغمه على تحمّله ما لا يساعد عليه المعنى المتعارف... فلا يمكنه أن يخطر بباله غير مذهبه... كمن يعتقد من الاستواء على العرش التمكن والاستقرار، فإن خطر له أنّ معنى قوله تعالى: ﴿الْقُدُّوسُ﴾<sup>(١)</sup> أنّه المنزّه عن كلّ صفات المحدثات، حجبه تقليدُه عن أن يتقرّر ذلك في نفسه»<sup>(٢)</sup>.

## ٢. القول بالرأي (العقل الظني)

تعود جذور هذا الاتجاه إلى المدرسة الفقهية المعروفة في الإسلام، وقد برزت في منتصف القرن الثاني الهجري، متخذة من العقل الظني والاستحسان الشخصي أداة رئيسة للإثبات إلى جانب البيان الشرعي؛ بداعي أنّ البيان الشرعي لا يتّسع لتعيين الحكم الشرعي في كثير من القضايا والمسائل.

لم تقتصر هذه العملية على الفقه وأحكامه، بل شملت التفسير أيضاً، ولعلّ مجال التفسير له السبق في ذلك، حتّى قبل ظهور مدرسة الرأي الفقهية، وهذا ما يمكن استكشافه من بعض الأحاديث الكثيرة الناهية عن التفسير بالرأي<sup>(٣)</sup>.

وعليه؛ يمكننا القول: إنّ استخدام الأدوات غير المعتمدة شرعاً في تفسير النصّ الديني، وعدم الرجوع إلى القواعد المعتمدة والأصول الصحيحة، يوقع الباحث والخطيب في غيابات القول بالرأي المحظور.

(١) الحشر: آية ٢٣.

(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير: ج ١، ص ٣١.

(٣) أنظر: الصدوق، محمد بن علي، التوحيد: ص ٦٨. وأيضاً: الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ١، ص ٢٧.



### ٣. النزعة الظواهرية (الاتجاه النصي)

وهي نزعة منشؤها الإفراط في سلوك الاتجاه المعرفي الذي يُعطي للنص وظهوره مساحة عظمى في إنتاج المعرفة الدينية، والذي يتمثل بالمدرسة السلفية عند أهل الحديث الذين خالفوا بشدة العقلانيين والمتكلمين مخالفةً تعدت الصراع الفكري إلى الحكم بالكفر والزندقة والقتل وغيرها<sup>(١)</sup>، فلا يباليون بمنافاة عقائدهم الدينية للبراهين العقلية ما دام هذا هو مقتضى الظهور العرفي للنصوص الدينية، فلا مجال لذلك إلا التعبد.

إنّ هذه الطريقة في التعامل مع النصوص الدينية، لا تنحصر في علماء القرون الماضية من أهل الحديث، بل يمكن مشاهدتها - أيضاً - في كثير من مصنفات المعاصرين من ذوي التوجّه السلفي.

والذي ينبغي الإشارة إليه بشكل مختصر، أنّ العقل لا يساوق الظنّ، ولا ينتج ظناً بصورة مطلقة، بل هو أعمّ من الظنّ والمدركات القطعية، وعليه؛ فإنّ الفهم المبني على المدركات العقلية لا ينتهي بالضرورة إلى الظنّ، بل يمكن من خلاله الوصول إلى اليقين، وإن خالف ذلك الفهم الظهور البسيط للنصّ، والذي تُهي عنه في الروايات هو الظنّ وعدم العلم، لا مطلق الإدراك العقلي، فإذا استند الفهم إلى البراهين والبدييات العقلية، لا يمكن حينها التحدّث عن دعوى القول بالظنّ، وسيرة العقلاء في تحاورهم جارية على ذلك، ولم يصلنا من قِبَل الشارع منع أو ردع فيما يتعلّق بهذا الأمر، بل الوارد على خلاف ذلك.

### ٤. الانتقائية

إنّ القراءات الانتقائية تُعدّ هي الأخرى مظهرًا من مظاهر غياب المنهج

(١) أنظر: البغدادي، عبد القاهر، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية: ص ٣٥١-٣٥٢.

الصحيح، فإن ترتيب الآثار العلمية على تلك القراءة بمعزل عن المنظومة الدينية يؤثر سلباً في رسم صورة متكاملة عن الموضوع، حيث نرى بعض الخطباء - للأسف الشديد - يؤسس رؤيته المعرفية على قراءات انتقائية بمعزل عن تلك المنظومة، غافلاً عن عدم صحّة الحديث عن أيّ فكرة وهي منقطعة الصلة عن سياقها المعرفي، ولا يمكن تكوين وعي متكامل لموضوع ما إلا ضمن الإطار العام الذي ينطوي على ذلك الموضوع مورد البحث؛ وذلك لاحتواء تلك المنظومة على مؤثرات متعددة، منها داخلية، ومنها خارجية: كالقرائن المنفصلة والعقلية والسياقية، وبعض المؤثرات اللغوية، كالعامة والخاص، والمطلق والمقيد، والناسخ والمنسوخ.

#### ٥- غياب اللغة العلمية

يتجلّى مفهوم غياب اللغة العلمية في طرح المسائل العقديّة والفكرية في موارد عديدة، من جملتها:

أ- الحديث بلغة الخرافات والأساطير.

ب- تغليب كفة العاطفة على منطق العقل والاستدلال في قراءة بعض الأحداث التاريخية.

ج- ترتيب بعض الآثار الفكرية على أحلام وتنبؤات وانطباعات شخصية لا ترقى إلى الحجّة الشرعية.

#### ٦- التقليد الأعمى

هناك بعض الصفات السلبية ذكرها القرآن الكريم كمبادئ عامّة للمنهج السلبّي، وحذّر الإنسان الباحث من الوقوع في منزلقتها، ومن جملتها: التقليد الأعمى، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ سَيِّئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) البقرة: آية ١٧٠.

وانطلاقاً من ذلك لا بدّ من التركيز على نقطة مهمّة جدّاً، وهي: عدم اتّباع كلّ ما ورد من أقوال في تفسير النصوص الدينية من دون دراسة وتحصيص، أخذاً بذلك على نحو الصواب والقطع، وقد ذهب السيّد الخوئي رحمته الله (ت ١٤١٤ هـ) إلى أبعد من ذلك بكثير حين صرّح قائلاً: «لا يجوز اتّباع أحد المفسّرين في تفسيره، سواء أكان ممن حَسَن مذهبه أم لم يكن؛ لأنّه من اتّباع الظنّ، وهو لا يُغني من الحقّ شيئاً»<sup>(١)</sup>.

## الخاتمة

بعد هذه الرحلة مع المنهج والخطابة الدينية، نحاول في هذه الخاتمة بيان جملة من النتائج والتوصيات التي تصبّ في تطوير العمل المنهجي عند الخطباء والمبلّغين:

١- إنّ مناهج تفسير النصوص الدينية في الوقت الذي أدّت إلى إخراج النصّ الديني من حالة الجمود والركود، تبقى الموضوع الحساس والخطير من بين المواضيع الأخرى؛ إذ لا تخلو بعض القراءات من الانحرافات الفكرية والأخطاء العلمية؛ لأسباب تعود إلى طريقة تطبيق المنهج من جهة، وعدم تشخيص المنهج الصحيح من جهة أخرى؛ الأمر الذي يوصلنا إلى تحميل تلك الأخطاء والآراء الفاسدة على النصّ الديني، تلك الآراء التي يكون المفسّر فيها متحرّكاً ضمن قناعات فكرية سابقة، تجعل المنهج يفكّر من خلالها وليس العكس، وهذا ممّا يُشكّل - في حدّ ذاته - خطراً كبيراً على عملية إنتاج المعرفة الدينية.

٢- إنّ للخطيب الحقّ في استخدام مناهج مختلفة للوصول إلى الحقيقة؛ لما للنصوص الدينية من معارف متنوّعة، ومداليل متعدّدة، علماً بأنّ هناك ارتباطاً وثيقاً بين طبيعة الموضوع المبحوث عنه، وطبيعة المنهج المستخدم؛ فإنّ الموضوع يتأثر سلباً أو إيجاباً بالمنهج، «وقد تتغيّر حقيقته إذا ما عولج بواسطة منهج غريب عن طبيعته؛ لأنّ الأصل أو المبدأ هو أنّ لكل ظاهرة معيّنة منهجاً معيّناً أكثر ملاءمة من غيره للبحث

(١) الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن: ص ٣٩٧.

فيها»<sup>(١)</sup>، هذا مع ضرورة الالتزام بحدود المنهج المستخدم في فهم النصوص الدينية وتفسيرها، فإن المنهج مجرد وسيلة لتحقيق الغرض المنشود، ولا يُعدّ هدفاً بحدّ ذاته. ٣- يمكن أن تتعاون مجموعة من المناهج لخدمة فنّ واحد أو مسألة واحدة، فإن بعض المسائل المتّصلة بالمعرفة الدينية، من قبيل مسألة الإله، يمكن إثباتها من خلال تفعيل مناهج متعدّدة، كالمنهج العقلي الاستدلالي، أو المنهج الاستقرائي، أو المنهج الشهودي؛ وعليه لا يصحّ الحكم بشكل مطلق بأنّ استخدام منهجين متغايرين أو أكثر يوقعا دائماً في منزلق الاختلاف في النتائج.

٤- على الخطيب عدم ارتجال الكلام حسب ذوقه الخاص من دون دليل أو حجّة، إذ لا يحقّ له أن يُدلي برأي في حقول الدراسات الدينية المختلفة ما لم يتحلّل بنوعين من الفهم، الأوّل: رسوخ المعنى المشهور في ذهنه، والثاني: الفهم المستند إلى مناهج معتبرة يُمكنه الاحتكام إليها في حال وقوعه في معرض الإشكال والنقد. ٥- لا ينبغي للخطيب تجاهل المساحة التي يشغلها العلم الحديث في بلورة بعض الأفكار التاريخية والدينية، وهذا ما يحفّز الخطباء على الاهتمام به شريطة عدم مخالفته لأحكام الدين وثوابته القطعية.

٦- الحقيقة التي لا بدّ من تأكيدها هي: أنّ أكثر الإنجازات العلمية إيجابية وتأثيراً في المجتمع هي الأعمال التي انطلقت من قاعدة المنهج، وأنّ أكثر الأعمال سلبيةً وهدماً للفكر والمعرفة هي التي ابتعدت عن المنهج، أو تحبّطت في تطبيقه؛ ومن هذا المنطلق يتحتّم على الخطباء دراسة علم المناهج دراسة وافية، تتمّ من خلالها معرفة المناهج العلمية المتنوّعة، وكذلك المساحات والحدود التي ينبغي أن تشغلها تلك المناهج في دائرة العمل الخطابي.

(١) مهدي فضل الله، أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق: ص ١٥.

## المصادر والمراجع

\* القرآن الكريم.

١- أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، مهدي فضل الله، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.

٢- البحث العلمي.. مناهجه وتقنياته، محمد زيان عمر، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية.

٣- البحث عن منهج للعلوم الإنسانية، (بحث مطبوع ضمن سلسلة كتاب الفلسفة والعلم تحت عنوان: قضايا العلوم الإنسانية.. إشكالية المنهج)، علي عبد المعطي، إشراف: يوسف زيدان، وزارة الثقافة، القاهرة.

٤- البيان في تفسير القرآن، أبو القاسم الخوئي، دار الزهراء، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٥- تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ/ 1987م.

٦- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٧- التوحيد، محمد بن علي بن الحسين الصدوق، تحقيق: هاشم الحسيني الطهراني، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ.

٨- جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٩- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١٠- الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، صدر الدين محمد بن إبراهيم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨١م.

- ١١- الخطابة (الترجمة العربية القديمة)، أرسطوطاليس، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، دار القلم بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.
- ١٢- الخطابة وإعداد الخطيب، توفيق الواعي، دار اليقين، مصر، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- ١٣- الخطابة.. أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.
- ١٤- روشها وگرایشهای تفسیری (مناهج التفسير واتجاهاته)، حسين علوى مهر، أسوه، قم، الطبعة الأولى، ١٣٨١هـ.ش.
- ١٥- شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العزّ الحنفي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٣٩١هـ.
- ١٦- علم الاجتماع والمنهج العلمي، محمد علي محمد، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٦م.
- ١٧- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، دار الجليل - دار الآفاق، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.
- ١٨- الفلسفة الخلقية.. نشأتها وتطورها، توفيق الطويل، دار النهضة العربية، الطبعة الرابعة، ١٩٧٩م.
- ١٩- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: أنس محمد الشامي، وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- ٢٠- المبادئ العامة لتفسير القرآن، محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- ٢١- المدخل إلى الدراسات التاريخية، لانجلوا، وسينوبوس، ترجمة: عبد الرحمن بدوي ضمن كتاب (النقد التاريخي)، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الرابعة، ١٩٨١م.
- ٢٢- المشكلة الخلقية، زكريا إبراهيم، مكتبة مصر بالفحالة، ١٩٦٩م.
- ٢٣- مصطلح التاريخ، أسد رستم، مركز تراث للبحوث والدراسات، الجيزة - مصر، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

٢٤- معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، أبو القاسم الخوئي، مركز نشر الثقافة الإسلامية، الطبعة الخامسة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٢٥- المفسرون حياتهم ومنهجهم، محمد علي آيازي، وزارة الإرشاد، طهران، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

٢٦- مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة السابعة، ١٩٧٧م.

٢٧- المنطق، محمد رضا المظفر، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرّسين بقم المشرفة.

٢٨- منهج البحث الأثري والتاريخي، كامل حيدر، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

٢٩- منهج البحث التاريخي، حسن عثمان، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٦٤م.

٣٠- المنهج العقلي في تفسير القرآن الكريم، ثناء الدين الدهلكي، جامعة آل البيت عليه السلام العالمية، مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٧م.

٣١- المنهج الفلسفي (بحث مطبوع ضمن سلسلة كتاب الفلسفة والعلم تحت عنوان: قضايا العلوم الإنسانية.. إشكالية المنهج)، حسن حنفي، إشراف: يوسف زيدان، وزارة الثقافة، القاهرة.

٣٢- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلمية، قم، الطبعة الخامسة، ١٤١٧هـ.

٣٣- نهج البلاغة، محمد بن الحسين الشريف الرضي، شرح: محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

٣٤- نهج النهج، نجيب الحصادي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.





# المعاهد المنبرية ودورها في صناعة الخطيب الحسيني

## الأهداف والنتائج

### دراسة نظرية تحليلية/ القسم الأول

السيد محمد باقر الهاشمي\*

#### المقدمة

تعدُّ المعاهد المنبرية أو معاهد الخطابة آلية مستحدثة تهدف إلى خلق خطباء يتمتعون بقدر عالٍ من الكفاءة والقدرة، في سبيل أداء هذه المهمة الكبيرة؛ باعتبار أنَّ الخطيب يمثل الواجهة والمعلم الأقرب إلى الجمهور والمتلقّي. ووجود هذه المعاهد على أرض الواقع، يخلق تساؤلات عديدة ترتبط بما يلي:

- ضرورة وجود هذه المعاهد.

- الفرق بين الطرق القديمة في تعليم الخطيب وتوعيته، وطرق المعاهد.

- النتائج والأهداف المتوقّعة، وكذا الحاصلة من هذه المعاهد.

وغير ذلك من التساؤلات التي يمكن أن تُحتزل في روحها في إشكالية محورية،

وهي: (صناعة الخطيب بين العمل الفردي، والجهد الجماعي).

ومن هنا؛ كان هذا البحث الذي يحاول - قدر الإمكان - إثبات أنَّ الجهد الجماعي

المتمثّل في المعاهد المنبرية هو الطريق الأفضل في صناعة الخطيب، بشرطه وشروطه،

ولكن دون إغفال ما للطريقة الفردية من ضرورة وفوائد، ليصل في النهاية إلى توفيقية

ضرورية بين هذين الأسلوبين، كما سيّضح ذلك لاحقاً.

ولا بدّ من ملحوظة مهمّة، وهي: أنّ الاتجاه نحو اختيار العمل الجماعي كأسلوبٍ وآليةٍ لصناعة الخطيب لم يكن نتيجة استحسان، بل من منطلق واقعي ومعرفي، ينتج عنه: أنّ الجهود البشرية الجماعية - سواء في الحقل المعرفي أو العملي - هي جهود صائبة، أو يكون الخطأ فيها أو الانحراف عن النتائج المرجوة منها، أقلّ بكثير من الأسلوب الفردي.

ولأنّ العمل الجماعي لا بدّ أن يكون منضبطاً في قوانين تساعد في عملية الرعاية والتوجيه والتعليم، كان لا بدّ من وجود دوائر ومؤسّسات تضبط هذه الجهود، وتساعد على التطور، وهو الأمر الذي يؤكّد على الدور المؤسّساتي، وتأثيره في صناعة الكوادر العلمية والعملية وغيرها. والمعاهد المنبرية - باعتبارها مصداقاً لهذه المؤسّسات الراعية لجهود جماعي يتمثّل في صناعة الخطيب الناجح - تدخل ضمن فرضية واقعية تؤكّد ضرورتها وأسبقيتها على غيرها من الأساليب، دون أن تتقاطع معها، وهذا ما سيتمّ إثباته بعون الله تعالى.

ومن هنا؛ فقد تمّ التعاطي مع هذه المسألة بمنهجين أو بنحوين:

الأول: المنهج النظري، من خلال دراسةٍ نظريةٍ مستندة إلى المصادر والمراجع المتوفرة، وتحليلها، والوقوف على أهمّ ما تطرحه من أفكار تثبت ضرورة المعاهد المنبرية، وكذا المناقشات الواردة فيها قدر الإمكان.

الثاني: المنهج العملي التطبيقي، وهو يركّز على استنطاق فئات متعدّدة من خلال استبيانٍ عامٍّ لعدد من الأفراد، وكذا مقابلات مع خطباء ومعاهد منبرية.

ومن خلال هذين الأسلوبين، سيّضح للقارئ العديد من المسائل فيما يتصل بالمعاهد المنبرية: الضرورة، الأهداف، العوائق، والتطلّعات.

وفي نهاية هذه المقدّمة، لا بدّ من التنبيه إلى أنّ الدراسة لا تهدف إلى إلغاء كافّة الأساليب الموجودة في صناعة الخطيب، بقدر ما تهدف إلى بيان أهمّية المعاهد المنبرية، وأفضليتها على غيرها من الأساليب، من دون نفي فضل الأساليب الأخرى.

## التمهيد

لم يكن كلام العقيلة زينب عليها السلام في مجلس الطاغية ردة فعل دون دراية بما تريد أن تحقق، بل طالعت بما أوتيت من علم المستقبل، فرأت ناعية الحسين عليه السلام تملأ بلاد الله تعالى، والملايين تسير إليه، حينها صدحت بمقولتها الخالدة، مخاطبةً يزيد: «فما فريت إلا جلدك، ولا حززت إلا لحمك، بئس للظالمين بدلاً، وما ربك بظلام للعبيد، فإلى الله المشتكى، وعليه المتكل، فوالله، لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحيننا، والحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة، ولآخرنا بالشهادة، ويحسن علينا الخلافة»<sup>(١)</sup>.

وبقي الإمام الحسين عليه السلام ومصيبته خالدين، لا يتناهى إليهما الزوال، وكيف لا يكون ذلك وللحسين عليه السلام ومصيبته «حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً»<sup>(٢)</sup>؛ كما روي ذلك عن الإمام الصادق عليه السلام، ومن قبل ذلك وعد النبي صلى الله عليه وآله لابنته الزهراء عليها السلام أن لابنها شيعةً يبكونه ويندبونهم<sup>(٣)</sup>.

وقد تعددت أساليب الذكر والإحياء لمأساة كربلاء؛ بين مجالس العزاء والبكاء، ومجالس للمدارسة الفكرية في مجريات النهضة، وثالثة في ردّ الشبهات المثارة من هنا وهناك.

ومن الأساليب والطرق الراسخة والعظيمة الأثر في تخليد النهضة، المنبر الحسيني؛ فقد كان للمنبر الدور الكبير في توعية الأمة، وشحذ هممتها، وتعريفها

(١) ابن نما الحلبي، جعفر بن محمد، مثير الأحزان: ص ٨١. وقد وردت الخطبة الزينية في الشام بألفاظ متعدّدة، متقاربة من حيث المحتوى والألفاظ. أنظر: الخوارزمي، الموفق بن أحمد، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٧٣. ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٨٠-١٨٦. الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٤-٣٧.

(٢) الطبرسي، حسين النوري، مستدرک الوسائل: ج ١٠، ص ٣١٨.

(٣) أنظر: الطريحي، فخر الدين، المنتخب: ص ٢٨-٢٩. وعنه: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢٩٣.

بالدين، عن طريق ربطها بمصيبة كربلاء، وهو ربط لا شك في سلامته وصحته؛ فقد كان الحسين عليه السلام يمثل الدين كله، فيما كان يزيد وطغمته وحواشيه يمثلون الكفر والانحراف كله، فليس الحسين عليه السلام إلا الدين الإلهي المتجسد في شخصه.

لقد خطا المنبر الحسيني خطوات كبيرة في مسألة التوعية وربط الأمة بالإمام الحسين عليه السلام، وليس ذلك بالأمر الخفي؛ إذ تعود جذوره إلى قرون بعيدة، واتخذ أشكالاً متعددة حتى وصل إلى ما هو عليه اليوم. وإن مراجعة لمراحل نشوء المنبر الحسيني تحيلنا إلى آراء متعددة في ذلك، منها:

١- إن النشأة كانت مع التوأمين؛ حيث اجتمعوا عند قبر الإمام الحسين عليه السلام، وصاحوا وبكوا وأظهروا التفجع، ورثوا الإمام عليه السلام <sup>(١)</sup>.

٢- إن ذلك كان مع الإمام زين العابدين عليه السلام؛ إذ إنه أول من رقى المنبر، وخطب ناعياً وراثياً للإمام الحسين عليه السلام، يقول صاحب معجم الخطباء: «وإذا أردنا أن نورِّخ في هذا المضمار لأول خطيب اعتلى منبر الخطابة الحسينية بعد مصرع سيد الشهداء عليه السلام، لا بد أن يكون الإمام زين العابدين عليه السلام الذي حفظته عناية الله، ليقتحم المنبر الرسمي للدولة... ليمزق الأستار الوهمية والدعايات المضللة، التي أسدلت ستاراً زائفاً على حقيقة الجريمة النكراء التي ارتكبتها الطغيان...» <sup>(٢)</sup>.

٣- إن بدايات المنبر كانت في بغداد مع ظهور البويهيين <sup>(٣)</sup>. وغير ذلك من الآراء. إن هذه الآراء وغيرها - في الحقيقة - مقاربات في الجذور التأسيسية للمنبر الحسيني؛ دون عد أيٍّ مما ذكر تاريخاً حقيقياً لنشوءه؛ إذ تتفق جميعها على أن التفجع والثناء كان المنطلق لولادة المنبر الحسيني، ومن المعلوم أن هناك فارقاً مفهوماً بين العزاء والتفجع على المولى أبي عبد الله عليه السلام، وبين المنبر الحسيني؛ إذ الثناء والتفجع

(١) أنظر: تكلسون، رينولد، تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية و صدر الإسلام: ص ٣٢٩.

(٢) داخل حسن، معجم الخطباء: ج ١، ص ٣٥.

(٣) أنظر: ابن الجوزي، عبد الرحمن، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج ٧، ص ١٥.

أوسع مفهوماً من المنبر الحسيني، فهما يعنّاه ويعنّان غيره، ومسألة النياحة على الإمام الحسين عليه السلام قديمة؛ إذ بكاه النبي ﷺ وهو لم يزل طفلاً، حين أخبره جبرئيل عليه السلام بما سيجري عليه، والأحاديث في هذا الباب كثيرة في كتب الخاصة والعامة<sup>(١)</sup>.

نعم، يمكن الركون إلى أن أحد أساليب التفجّع تطوّر شيئاً فشيئاً، حتى وصل إلى صياغة مجالس هادفة، عرفت لاحقاً بالمجلس الحسيني، وانبثق منها أيضاً المنبر الحسيني، فكان لتلك التجمّعات وطرق الرثاء الفضل في تشكيل «أرضية لبروز المآتم الهادفة، أي: إنّ المآتم الهادفة لم تنطلق من فراغ، بل سبقتها مآتم أخرى، كانت قد برزت نشأتها مع أحداث كربلاء»<sup>(٢)</sup>.

وبعد هذه الإطلالة على نشأة المنبر الحسيني، لا بدّ من بيان تنبيهين مهمّين يرتبطان بالمنبر الحسيني، من زمان ولادته إلى الآن، وهما:

١- كان المنبر الحسيني دائماً يُقابل بالرفض من قبل السلطات بكافة أشكالها ومسمّياتها، وهو ما يكشف عن طبيعة المواجهة الساخنة بين خطّين يشكّلان الصراع الأبدي، صراع الحقّ والباطل، فلطالما مُنع الخطباء وشُرّدوا، ولا سيّما البارزون منهم، ولطالما مُنعت خطب، وقصائد، ومرثيات كثيرة، من قبل السلطات، والتاريخ القريب حافل بمثل هذه الشواهد.

٢- واكب المنبر الحسيني في خطابه المتغيّرات الزمانية والمكانية، نعم، قد يُصاب في مرحلة معيّنة بالركود، إلاّ أنّه سرعان ما يخرج من هذا الوضع عبر رجالاته العلماء، وأساليب الخطابة الجديدة والمفيدة.

وهذا التنبيه الثاني يميلنا إلى مسألة تطوّر المنبر الحسيني من خلال تطوّر أشكال المآتم الحسيني، وهي - كموضوعة النشأة - ذات آراء متعدّدة، منها:

(١) أنظر: الحاكم النيسابوري، محمّد بن عبد الله، المستدرک على الصحيحين: ج ٣، ص ١٧٦ - ١٧٧.

المفيد، محمّد بن محمّد، الإرشاد: ج ٢، ص ١٣٢.

(٢) الكاظمي، فيصل، المنبر الحسيني نشوؤه وحاضره وآفاق المستقبل: ص ٤٨.

١- إن المنبر الحسيني مرّ بثلاثة أدوار، من نشأته حتى الوقت الراهن، يبدأ الأول: من سنة (٦١ هـ) إلى (٦٥٤ هـ)، والثاني: من سقوط بغداد إلى عصر النهضة الحديثة، والثالث: من بدايات العصر الحديث حتى الآن<sup>(١)</sup>.

٢- هذا الرأي كسابقه في تقسيم الأدوار إلى ثلاثة، الأول منها: يشمل المآتم التي أقامها أهل البيت عليهم السلام في كافة المراحل، بدءاً من النبي صلى الله عليه وآله إلى ما بعد ذلك. والثاني: مرحلة بروز أدب الرثاء، ووفود الشعراء على أهل البيت عليهم السلام، وظهور القصاصين. والثالث: المرحلة التي التقت فيها المرحلتان السابقتان بالمجلس الحالي<sup>(٢)</sup>.

٣- ذهب الرأي الثالث<sup>(٣)</sup> إلى أنها سبعة أدوار، لا يسع المقام لذكرها، وقد تفرّد هذا الرأي بإضافة بعض المراحل الحاصلة نتيجة التغيرات السياسية من قبل الدول الشيعية التي ظهرت، الأمر الذي انعكس على تطوّر المنبر الحسيني، كما أنّ التغيرات العلمية، وتطوّر الوسائل الإعلامية؛ كلّ ذلك أدخل المنبر الحسيني في مرحلة جديدة. وعلى أية حال، سواء اتفقنا على بعض الأدوار أم لا، فإنّها في الجملة تعكس الحراك والتطوّر الذي شهده المنبر الحسيني في حقب متعدّدة.

ويبقى السؤال الأهمّ عن أسباب هذه التطوّرات؛ لكونه يرسم الخطوط العريضة لطبيعة التحوّلات في المنبر الحسيني وأسبابها، وهنا يمكن حصر الأسباب في ثلاثة أمور: (الزمان، والمكان، والتقدّم المعرفي)، هذه ثلاثية قد تتحدّد في وقت واحد، وقد ينفرد بعضها، أو يلتقي بالآخر.

وفيما يتّصل بالمنبر الحسيني كانت عوامل تبدّل الزمان وظروفه عاملاً من عوامل تطوّر المنبر الحسيني؛ فقد شهدت فترات معيّنة انفتاحاً كبيراً، الأمر الذي ساعد على تقدّمه على مستوى الكيفية والخطاب، مضافاً إلى عنصر المكان الذي قدّر من خلاله

(١) أنظر: شمس الدين، محمد مهدي، ثورة الحسين عليه السلام في الوجدان الشعبي: ص ٢٤٩ - ص ٢٨٩.

(٢) أنظر: داخل حسن، معجم الخطباء: ج ١، ص ٤١ - ٤٦.

(٣) أنظر: الكرباسي، محمد صادق، دائرة المعارف الحسينية: معجم خطباء المنبر الحسيني: ج ١، ص ٣٧ - ص ٨٠.

وجود حكومات ومجتمعات في بقع محدّدة اتّسمت بالإقبال، بل والحثّ على الرّثاء وذكر مصيبة الإمام الحسين عليه السلام، الأمر الذي ساعد أيضاً على تطوّر المنبر الحسيني على مستوى الخطابة والتأليف.

وكان للعنصر الثالث، وهو: (التقدّم المعرفي)، الدور الكبير في تطوير الخطابة الحسينية؛ فإنّ تقدّم المعرفة من حيث وسائل الاستدلال في شتى الفروع المعرفية الدينية، كان عاملاً مهمّاً في رفق الخطابة الحسينية بأدوات جديدة، تفيد الخطيب الحسيني في مجال المحاضرات المعدّة للإلقاء على الجمهور.

وبملاحظة هذه العناصر الثلاثة يمكن القول: إنّ حركة الزّمان، والتقدّم المعرفي، وتغيّر الأماكن والأرضيات؛ كلّ ذلك له دورٌ بارز في تطوير الخطابة الحسينية، وفي الوقت نفسه خلق تحدياً كبيراً يرتبط بكيفية مواكبة هذا الحراك بالشكل المناسب.

هذا التحديّ يتمثّل في كون الحراك الزماني المعرفي ضرورة، وأمر واقع لا يتخلّف في آنٍ من الآنات، ممّا يعني ضرورة إيجاد آليّات سليمة لمواكبة هذا الحراك، وأن تكون هذه الآليّات على مستوى يتناسب مع التطوّر المعرفي للمخاطب أيضاً، ومع المتغيّرات المفروضة بتغيّر الأزمنة والأمكنة على حدّ سواء، مضافاً إلى تطوّر وسائل الاتصال والتلقّي.

وفي هذا الصدد، فالمتصوّر إزاء هذا التقدّم نحوان من التطوير:

١- التطوير الذاتي: وهو الذي يعتمد على القدرات والاستعدادات الذاتية، والجهد الشخصي للخطيب؛ إذ يجهد نفسه باستمرار للاستزادة من المعارف بشتى أنواعها، ضمن برنامج يعدّه سابقاً لنفسه؛ تحقيقاً لعدّة أهدافٍ يرومها<sup>(١)</sup>.

٢- التطوير المؤسّساتي المنظم، ويقصد به: قيام مؤسّسات مهمتها رسم آليّات وبرامج تطويرية، ومنهج متكامل، من أجل صناعة خطيب ناجح، يجتاز مراحل

(١) أنظر: الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص ٧٧، حيث يقول: «الأولى: الجهة الشخصية...».



دراسية نظرية وعملية، ويكون المنهج وتطبيقاته معتمداً على كوادرات ذات خبرة عالية في هذا المجال، وهذه المؤسسات يمكن تسميتها بالمعاهد المنبرية.

وبطبيعة الحال، فإنّ النتائج المترتبة على كلّ نحوٍ من هذين النحويين تختلف عن الأخرى، ولا يسع البحث للاستغراق فيها، ويمكن القول على نحو الإجمال: إنّ الجهد المؤسّساتي هو الجهد الأكثر ضماناً وغازة في صناعة خطيب حسيني ناجح، وهو أمر لا يحتاج إلى مزيد تدبّر؛ فالفارق شاسع بين من يعمد إلى مؤسّسات ومعاهد تعليمية في سبيل تطوير ذاته، وبين آخر يعتمد على جهوده في هذا السبيل، فارق في حقيقته يرجع إلى الفرق بين العمل الجماعي والفردى، ولا شكّ في أنّ العمل الجماعي المدروس والمنهج أكثر فائدة من العمل الفردى، يقول الشيخ الدكتور الوائلي: «كلّ عمل جماعي يكون أقرب نسبياً إلى الكمال من العمل الفردى، عن طريق تبين الثغرات واحتكاك الآراء، والاستفادة من الجهد الجماعي الذي يمارس في مؤسّسة، يعكس الحالة الفردية الشخصية»<sup>(١)</sup>، ويقول مضيفاً إلى جملة المؤاخذات على النحو الأوّل: «تحكّم الذوق والمزاج في الحالات الشخصية في مختلف الأبعاد، ونوعية المناهج، وفي اختيار المفاهيم والممارسات على المنبر، وقد لا يكون ذلك كلّ ملائماً للظروف المتنوّعة من ناحية، ويعطي من ناحية ثانية الانطباع بالانفلات وعدم وجود غرفة تحكّم بالعمليات الأدائية والفكرية في تحديد حجم الخطيب ومساحة الميدان الذي يشغله...»<sup>(٢)</sup>.

وهنا لا بدّ من تنبيه، وهو: أنّ اختلاف هذين النحويين من التطوير - الذاتى والمؤسّساتي - في النتائج لا يعني كونها منهجين لا يمكن الجمع بينهما، فإنّ الجمع بين أسلوب العمل الفردى والجماعي أكثر تأثيراً مما لو كان الاعتماد على واحد منهما؛ فالخطيب المعتمد على تطوير ذاته ببرنامج خاصّ مدعوم بقراءات متعدّدة ومتنوّعة، مضافاً إلى مؤسّسة تزوّده بخبرات كبيرة؛ سيكون خطيباً ناجحاً بلا شكّ في ذلك.

(١) المصدر السابق: ص ٧٨.

(٢) المصدر السابق.



بل يمكن القول: إن الاستغناء عن الجهد الذاتي، قد يكون سبباً في فشل كافة العناصر الخطابية التي لا بد من توفّرها؛ لأنّ المعاهد المنبرية لا تغني الإغناء الكلي؛ شأنها في ذلك شأن كافة المعاهد التعليمية في كافة الفروع، فإنّها تعطي القواعد الأوليّة للمتعلّمين، ومن ثمّ فهي تطلب من المتعلّمين تطوير هذه القواعد من خلال جهدهم.

ولكن على مستوى ترجيح أحد المنهجين على الآخر، يبقى الثاني - وهو المعاهد المنبرية - الطريق الأسلم لضمان صناعة الخطيب الحسيني الناجح، ومن هنا؛ سيكون الكلام عن المعاهد المنبرية، بوصفها مؤسّسات لها دور في تقديم خطباء للمجتمع الإسلامي، وسيتعرّض القسم اللاحق للبحث بشيء من السعة لهذه المعاهد، وذلك ومن خلال عرض مطلبين:

الأول: عرض تاريخي موجز للنشأة.

الثاني: عرض للضرورات الداعية إلى المعاهد المنبرية، عبر دراسة تأثيرها في عناصر الخطابة الحسينية، وهي: (الخطيب، المادّة، المخاطب).

### المطلب الأول: عرض تاريخي موجز لنشأة المعاهد المنبرية

تفرض الأدوات المنهجية للبحوث - واقعاً - عرض المصطلحات ومعانيها أولاً، وفيما نحن فيه، وهو مصطلح (المعاهد المنبرية)، فإنّ الوقوف عند مدياته، ورسم حدوده المانعة والجامعة، تلك الحدود التي من خلالها يمكن نفي تجارب محدّدة عن هذا الاصطلاح، وإدخال أخرى، أمر ذو أهمية بالغة، ولكن مع عدم توفّر صيغة محدّدة للمراد من هذا الاصطلاح عند أصحاب الفنّ، والاعتماد غالباً على ما هو متبادر من إطلاق مصطلح المعاهد المنبرية، وهو للوهلة الأولى واضح بيّن، قد يستغرق تنقيح هذا المصطلح الأهداف المرجوة من هذا المقال<sup>(١)</sup>.

(١) ليست مسألة تنقيح المصطلح هنا ترفاً فكرياً، بذريعة كون التبادر يحيل القارئ إلى معنى خارجي واضح، وهو مؤسّسات تعلّم الخطابة، فلا داعي لمراجعة المصطلح بعد وضوحه. في الواقع ليست

ولذا، فإنَّ المقصود من المعاهد المنبرية: مؤسّسة تعليمية تعمل على تنشئة الخطيب الحسيني، عبر آليات وبرامج ومناهج محدّدة، مُقدّمة من قبل أهل الشأن والاختصاص، وهي مؤسّسة بذاتها تختلف في هيكلتها عن مؤسّسات التعليم الديني، وإن شاركتها في المواد الرئيسة التعليمية<sup>(١)</sup>.

وتشير بعض المصادر المعنيّة بالمنبر الحسيني والخطباء إلى أنّ مشروع المعاهد المنبرية ظهر أوّل مرّة كبذرة من قبل جمعية متتدى النشر في النجف الأشرف، وقد عمل عليها أصحابها بجدّ واهتمام، وجهّزوا لها الأرضيات الأساسية، لاستقبال ثلّة من الراغبين في تعلّم فنّ الخطابة، والتخرّج لاحقاً بوصفهم خطباء ذوي قدرة كبيرة، بحكم أنّهم خضعوا لمجموعة من الاختبارات والدروس المتنوّعة التي تؤهّلهم إلى تبوؤ هذه المكانة.

وبالفعل بدأت بوادر بروز أوّل كليّة أو معهد متخصص في هذا الشأن، ولكن سرعان ما واجه العمل بعض المعوّقات - كما يعبرّ عن ذلك أصحاب المشروع - من قبل أشخاص يجدون في هكذا مراكز خطراً حقيقياً عليهم؛ لأنّ كفاءتهم لا تمكّنهم من الاستمرار، أو حتّى الدخول في هذا المعهد، فأجهضت الفكرة بعد أن أجمعت هذه الجماعات الرأى العام ضدها، وواجه أصحاب هذا المشروع مصاعب وخطورات كثيرة، دامت لأمدٍ غير قليل، حتّى هدأت عليهم الثائرة أخيراً<sup>(٢)</sup>.

المسألة على هذا النحو، فإنّ اشتراك جميع المؤسّسات في العنوان لا يصيرها شيئاً واحداً، وليست كلّها على هدفٍ واحد، ومن هنا؛ فإنّ الكلام في طيات البحث عن معاهد منبرية شاملة، تُعنى بالخطابة من كافّة عناصرها، وهو المراد بمصطلح المعاهد المنبرية في هذا البحث، وعليه، فقد يوجد كثير من المؤسّسات المسماة بالمعاهد المنبرية غير مشمولة بهذا العنوان ولم تدخل فيه؛ طبقاً للمراد في هذا المقال.

(١) صدق انطباق هذا التعريف على ما هو موجود خارجاً من مسمّيات المعاهد المنبرية، أو ما يقارب ذلك في المعنى، يحتاج إلى دراسة شاملة على أرض الواقع، وهو موكول إلى محلّه.

(٢) أنظر: الكرباسي، محمّد صادق، دائرة المعارف الحسينية، معجم خطباء المنبر الحسيني: ج ١، ص ٦٧.

الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص ١٨٣-١٨٥

وعن البدايات حتى إجهاض الفكرة يتحدّث الشيخ الوائلي رحمته الله، مصرّحاً بأنّ أعضاء الجمعية تحرّكوا نحو استئجار دار في حيّ من أحياء النجف الأشرف، حيث نُقلت إليه حاجات الصفّ الأوّل، وتمّ الإعلان عن الاستعداد للقبول، وبالفعل انتمى جماعة، وبعد هذه البدايات المذكورة، بدأ التحرك المضاد، واشتركت فيه عناصر متنوّعة، وانتهى الأمر بفشل المشروع، وموت الفكرة في مهدها، واختفاء كلّ عنصر له صلة بالموضوع فترة طويلة<sup>(١)</sup>.

ولكن يرى الشيخ شمس الدين: أنّ هذا الإخفاق لم يكن إلّا إخفاقاً ظاهرياً، وأنّ أصحاب المشروع لم يتخلّوا عن أهدافهم، وأنّ منتدى النشر قد حقّق أهدافه في الواقع، ولكن من خلال إنشاء كلّية الفقه التي كان من ضمن مخطّطاتها مسألة الخطابة الحسينية وتطويرها، يقول رحمته الله: «أول من دعا إلى تطوير المآتم الحسيني في العراق بما يلائم روح العصر، هو جمعية منتدى النشر في النجف الأشرف... وكان من جملة أهداف جمعية منتدى النشر: تأسيس كلّية لتخريج خطباء المنبر الحسيني المستوعبين للمتغيّرات، والواعين لظروف العصر، القادرين على مواجهته بالثقافة الرصينة العميقة، والعلم، والموضوعية، لا بالخرافة والتهريج... وقد أسست جمعية منتدى النشر بعد ذلك كلّية الفقه، فجعلت من جملة أهدافها التغيرية العلمية الثقافية، هذا الهدف الكبير»<sup>(٢)</sup>.

هذه البدايات تشير بصرحة إلى صعوبة تطبيق الفكرة بادئ الأمر، ولا يعلم السبب الحقيقي وراء ذلك، ولعلّ السبب: أنّ هذه المعاهد قد تكون باباً مفتوحاً لطرح بعض من المتصدّين، وهم لا يملكون في هذه الصنعة باعاً، بل قد يسيئون إلى المنبر الحسيني. ويحدّثنا الشيخ الكرباسي عن تجارب أخرى لقيام معاهد منبرية في البلدان الإسلامية والعراق أيضاً، يقول: «وفي خطوة تقدّمية شُيّد في هذه المرحلة الزمنية عددٌ من المعاهد والمدارس لإعداد الخطباء، حيث لاحظ العلماء ضرورة تنظيم أمرها،

(١) أنظر: الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص ١٨٣-١٨٥.

(٢) شمس الدين، محمّد مهدي، ثورة الحسين عليه السلام في الوجدان الشعبي: ص ٢٠٥.

ومن ذلك مدرسة الواعظين في مدينة (لكهنو) الهندية والتي أسسها نجم الحسن... عام (١٣٣٨هـ)... وعلى غرارها شيدت في مدرسة الواعظين في مدينة (كراجي) الباكستانية، والتي تسمى أيضاً جامعة الإمامية، وذلك عام (١٣٦٩هـ)... وفي (لاهور) قام السيد مرتضى حسين والشيخ يوسف حسين بعمل مماثل، حيث شيدا مدرسة الواعظين، وذلك عام (١٣٧٠هـ)... ففي كربلاء قام السيد محمد الشيرازي بتأسيس مدرسة الكتاب والعترة عام (١٣٨١هـ)، وذلك بإشراف السيد مرتضى القزويني، والهدف منها إعداد الخطباء والمبلغين<sup>(١)</sup>.

ويضيف الشيخ الكاظمي تجربة أخرى كانت مقاربة لهذا الطرح في الزمان والفكر، فقد «أسست في البحرين جمعية إسلامية هادفة، تحت اسم: جمعية (التوعية الإسلامية)، عام (١٩٧١م)... وكان ضمن نشاطات هذه الجمعية السعي نحو رفع مستوى خطباء المنبر الحسيني وثقتيفهم؛ ليرتفع مستوى الأداء تبعاً لذلك»<sup>(٢)</sup>.

وسرعان ما تبددت هذه الصعوبات، وبدأت تظهر مشاريع هادفة تصب في خدمة تطوير المنبر الحسيني، عبر إنشاء معاهد منبرية من شأنها صناعة خطباء حسنيين أكفاء، وراحت الفكرة تجد مقبولة كبيرة، وأتسع نطاق تطبيقها بين سوريا والبحرين وإيران، وعرفت بمسميات كثيرة، مثل: (معهد الرسول الأعظم ﷺ)، و(معهد السبطين عليه السلام)، و(معهد سيد الشهداء عليه السلام) لإعداد الخطباء والمبلغين، و(معهد الشيخ الوائلي عليه السلام).

ومحصّل القول: إن المعاهد المنبرية، وضرورة وجودها، كانت على الدوام همماً يشغل بال العلماء والمتخصصين، ويلاحظ من خلال العرض التاريخي الموجز كمية المحاولات والمصاعب في سبيل هذا المشروع، مما يكشف عن أهمية وضرورة لا يمكن إغفالها، ولو واجهت صعوبات كثيرة.

(١) الكرباسي، محمد صادق، معجم خطباء المنبر الحسيني: ج ١، ص ٦٥-٦٧.

(٢) الكاظمي، فيصل، المنبر الحسيني نشوؤه وحاضره وآفاق المستقبل: ص ٣٦٢-٣٦٣.

ولأتمها كذلك، فقد تكللت المسألة بنجاح كبير، حتى صارت مسألة المعاهد المنبرية أمراً واقعاً، وذلك بإنشاء العديد منها، وبمباركة المؤسسة الدينية أيضاً، وإشرافها أحياناً، ويشير بعض المحققين في مسألة المعهد المنبري إلى أنّ الواقع يفرض أن تقع المسؤولية على هذه المعاهد، لتخريج أجيال من الخطباء القادرين على محاكاة التقدّم المعرفي والعلمي، وأنّ هذه المهمة لا بدّ أن تضطلع بها مؤسسة متأهبة؛ لتحقيق الهدف. يقول الشيخ الكرباسي: «بما أنّ العالم مقبل على المزيد من التخصص بسبب هطول الكمّ الهائل من المعلومات... فلا بدّ أن تتبنّى المؤسسة الخطابية - وبالتحديد معهد الخطابة - مهمة تخريج الخطباء حسب التخصص العلمي من جهة، والتخصص الطبقاتي من جهة أخرى... ولا بدّ أن يقوم معهد الخطابة بتأهيل خطباء قادرين على محاكاة تلك الأجيال البشرية...»<sup>(١)</sup>.

وظاهر القول والمستفاد منه: أنّ صناعة الخطيب من مهام المعاهد المنبرية أولاً، فهي التي تتولّى هذه المهمة، خصوصاً مع التحديات الكبيرة التي لا يمكن فيها لعنصر الذاتية وحده أن يحقق الاكتفاء في المواجهة، بل يحتاج إلى خبرات كثيرة، تتعاضد من خلال المعهد المنبري.

### المطلب الثاني: تأثير المعاهد المنبرية في عناصر الخطابة

وبعد هذا الاستعراض لمراحل نشوء المنبر الحسيني، ننتقل إلى المطلب الثاني، وهو تأثير المعاهد المنبرية في عناصر الخطابة، وهو ما يعني صناعة الخطيب الحسيني الناجح، وسيتم فيه عرض أثر المعاهد المنبرية في عناصر الخطابة، ودورها في ترشيد وبلورة عناصر الخطابة الحسينية، فالخطابة كما هو معروف متكوّنة من ثلاثة عناصر:

الأول: عنصر الخطيب

الثاني: عنصر المادّة العلمية

(١) المبارك، حميد، الخطابة في دراسة نوعية شاملة لآية الله الكرباسي: ص ١٠٦ - ١٠٧.

### الثالث: عنصر المخاطب

قال أرسطوطاليس: «الكلام [والمقصود به الخطابة] نفسه مركّب من ثلاثة: من القائل، ومن المقول فيه، ومن الذي إليه القول...»<sup>(١)</sup>.

وللمعاهد المنبرية - كما نجزم - دور بارز في بلورة هذه العناصر الثلاثة عند الخطيب بشكل كبير؛ فينعكس ذلك بشكل واضح على الخطيب الحسيني، وسيتضح من خلال ذلك الفارق بين الاعتماد على الذات، والاعتماد على المعاهد المنبرية، وحينئذٍ يمكن الركون إلى النتيجة المراد البرهنة عليها، وهي: دور المعاهد المنبرية في بلورة عناصر الخطابة الحسينية، وصناعة الخطيب الحسيني الناجح.

ولا بدّ من التنبيه فيما يرتبط بالعنصر الثالث، وهو (عنصر المخاطب)، إلى أنّ المقصود بدور المعاهد المنبرية في بلورة هذا العنصر ليس هو تطوير المخاطبين والجمهور، بل المراد منه بلورته في ذهن الخطيب، من خلال تعريفه بأنواع المخاطبين وطرق محادثتهم، وهو أمرٌ ضروري، يختلف في حيثياته عن صناعة الخطيب من الناحية العلمية والفنية، ولذا أُفرد بشكلٍ عنصرٍ بذاته.

### العنصر الأول: الخطيب

عنصر الخطيب الحسيني أحد أهمّ عناصر الخطابة الحسينية، ويتوقّف عليه نجاح بقية العناصر، سواء المخاطب؛ «فلمعرفة شخصية الخطيب الأثر البالغ في التأثير على المخاطب، وذلك فيما إذا كان له شخصية محترمة سعى في إيجادها قبل أن يخاطب الناس، ويطلب منهم الاقتناع بما يقوله، فلمعرفة منزلته تأثير كبير في سهولة انقياد المستمعين إليه، والإصغاء له، وقبول قوله...»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك فيما يرتبط بالمادّة العلمية، فهي تتوقّف - أيضاً - على كفاءة الخطيب،

(١) أرسطوطاليس، الخطابة: ص ١٦.

(٢) معهد سيّد الشهداء عليه السلام للمنبر الحسيني، دروس في فنّ الخطابة: ص ١٣.

وقدرته على التزوّد من المعارف والعلوم، مع الاتقان والحفظ، «من يريد أن يكون خطيباً ناجحاً فعليه أن يطّلع على مقدار جليلٍ من العلوم، خصوصاً: السيرة، والتاريخ، والأخلاق، والتفسير، وأصول الفقه، والسياسة، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، والمنطق، بالإضافة إلى جمع المعلومات المتفرّقة، الذي يحصل بالإكثار من مطالعة المجلّات التي تحتوي على مباحث دقيقة، وإحصائيات ذات أرقام موثوقة، وأخبار العالم الإسلامي، وحتى غير الإسلامي، فإنّ الخطيب يحتاج إلى كثرة الاطّلاع من جهة، وإلى حفظ أهمّ ما يقرأه من جهة أخرى»<sup>(١)</sup>.

ولتهيئة الخطيب الحسيني لا بدّ من توفر ثلاثة شروط أساسية، تتفرّع منها عدّة نقاط مختلفة، تُعنى بجانب الشخصية الخطابية، ويختلف طرق اكتسابها على نحوين: الذاتي، أو من خلال المعاهد المنبرية، وقبل المقارنة بينهما، لا بدّ من التعريف بهذه الشروط الثلاثة:

### الأول: التهيئة النفسية والسلوكية

وهي جملة من المواعظ والقواعد التي تساعد الخطيب على مواجهة الواقع لاحقاً، وما يعرض من مشكلاتٍ محتملة الوقوع، وكيفية معالجتها في حال حدوثها، وهي تهيئة نفسية ضرورية الوجود للخطيب الحسيني.

### الثاني: الأسلوب الخطابي

لا يُقصد بالأسلوب الخطابي مجرد تعلّم أطوار الرثاء والنعي فقط، بل يراد منه تزويد الخطيب بجملة من القواعد، مثل: أساليب البدء والانتهاء، مضافاً إلى كيفية طرح وتوزيع المادّة العلمية التي يراد إيصالها إلى الجمهور، وكذلك الاطّلاع على الفرق في الأسلوب الخطابي بين حالات الرثاء والموايد، أو غير ذلك، مما يُعدّ إحاطةً بالأسلوب الخطابي.

(١) المصدر السابق: ص ٢٤.



### الثالث: التعريف بالأدوات المساعدة

تتنوع الأدوات المساعدة بين علمية وإعلامية، أو شكلية خارجية؛ مثل: الزيِّ والملبس، وأساليب الجلوس، واتخاذ الأماكن، وغيرها، وهذه الأدوات ليس لها ارتباط بمسألة التهيئة النفسية أو الأسلوب الخطابي، بل هي بحد ذاتها من الأمور التي يحتاج الخطيب إلى اكتسابها وتعلّمها بشكل مباشر.

وبعد عرض هذه الشروط الثلاثة في عنصر الخطيب، لا بدّ من مقارنة بين أسلوبَي اكتسابها: الكسب الذاتي، والكسب المدرسي (المعاهد المنبرية):

إنّ الكسب المدرسي (المعاهد المنبرية)، هو أن تقوم معاهد أو مؤسسات منبرية - بمختلف التسميات - بتهيئة المواد الأولية للوصول إلى توفير هذه الشروط في الخطيب؛ فالمعهد المنبري يتكفّل باستقبال الخطباء، والقيام بالتأهيل النفسي والسلوكي لمواجهة المجتمع، وكذلك تعليم الأساليب الخطابية، من خلال طريقتين: ١- الدروس النظرية: وهي ما يستفيده الخطيب من محاضرات الأساتذة، وتجاربهم التي اكتسبوها من خلال سنين متطاولة في الخطابة الحسينية.

٢- الدروس العملية: وهي محاولات طلاب المعاهد لإلقاء وإعداد خطب مصغرة داخل المعاهد، يتمّ من خلالها تعرّف الخطيب الناشئ على جملة من المصاعب على الصعيد النفسي، ويتمّ تنبيهه إليها، فيما يكتشف بعضها بنفسه، الأمر الذي يساعده لاحقاً على تجاوزها في المجالس الكبيرة، بعد تخرّجه من المعهد المنبري.

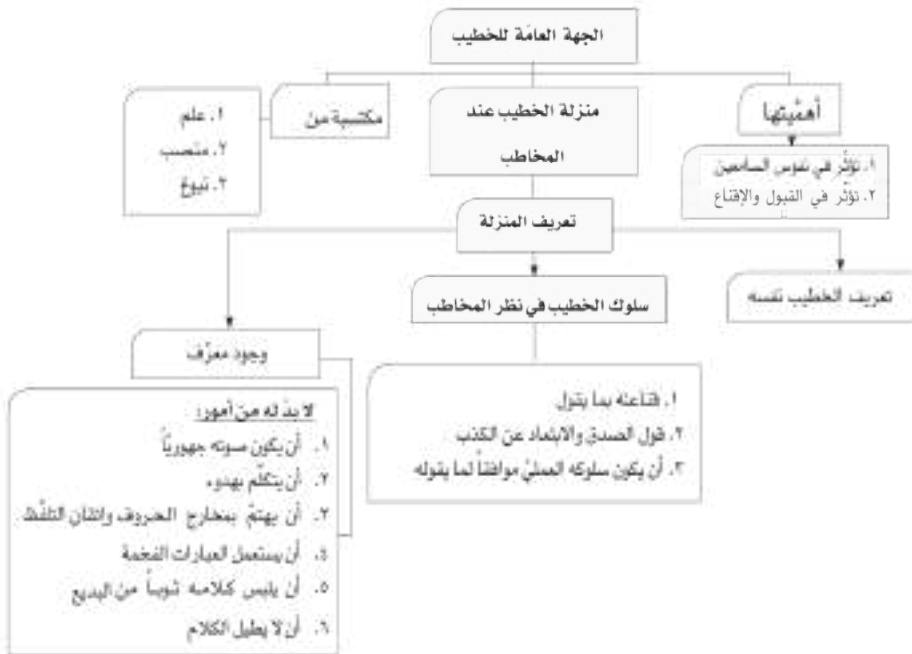
من الواضح أنّ المعاهد المنبرية تساعد بشكل كبير على الوصول إلى خطابة حسينية بمستوى عالٍ؛ لأنّها تعتمد على أسلوب إعطاء التجربة والسؤال المباشر بين المتلقّي والملقّي، ولا تقتصر هذه التجربة المباشرة على نحوٍ دون آخر، بل تعمّ التهيئة النفسية، والأساليب الخطابية، وتعلّم الاستفادة من الأدوات المساعدة.

إنّ المعهد المنبري - كما هو واضح - أكثر نجوعاً من أسلوب الكسب الذاتي؛ لأنه



يُعين الطالب على أن يضع قدميه في الطريق الصحيح، ويختصر له كثيراً من الوقت والجهد في الاكتساب والتعلم، لذلك يكون للمعهد المنبري دور بارز وكبير في صناعة أحد عناصر الخطابة الحسينية، من خلال توفير العناصر المطلوبة، وتهيئة الأرضيات بشكلٍ ممنهج؛ ليصل الخطيب الحسيني إلى مرحلة تتوفر فيها هذه الشروط.

وكمثال لما يقدمه المعهد المنبري للطلبة المتسبين، فإنّ مطالعة كتاب (دروس في فنّ الخطابة)، لمعهد سيّد الشهداء عليه السلام، المعدّ كمنهج للتدريس، توقفنا على معالم عامّة لما يجب أن يتوفّر في الخطيب، وهو يضع هذه المعالم ضمن محورين: الشروط العامّة، والشروط الخاصّة، وسنقصر القول على الشروط العامّة، من خلال مخطّط يستعرضها بشكلٍ مجمل، ويتمّ تدريب الخطباء المتسبين عليها:



وبملاحظة هذا المخطّط، الذي هو نتيجة لعدّة دروس سابقة، يثبت بشكل واضح ما للمعهد المنبري من فاعلية في اكتساب هذه المعلومات، التي قد لا تتسنى للخطيب معرفتها في فرض الاعتماد على الذات، وقد يتعرّف عليها، لكن هذه المعرفة النظرية غير المصاحبة للفعل العملي والشرح والتبيين من قبل أساتذة مختصّين في هذا المجال، لا يمكن أن تجدي كثيرَ نفع، أو يكون النفع المترتب عليها ناقصاً، لا يتم بشكل متكامل دون اللجوء إلى المعهد المنبري بغية التعلّم.

### العنصر الثاني: المادّة العلمية

وهي مستقاة - في الغالب - من العلوم الدينية: من فقه، وعقائد، وأحكام، وأخلاق، وعلوم القرآن وتفسيره، وغيرها مما يُحصّله طالب العلوم الدينية خلال مرحلة الاكتساب؛ لينتقل لاحقاً إلى عرض هذه المعرفة المكتسبة، إمّا بصفته كاتباً، أو مدرّساً، أو خطيباً، ولا شكّ في أنّ المادّة العلمية لا بدّ أن تتوفر في الخطيب الحسيني على مستوى عالٍ من الفهم والعمق؛ «إنّ هذه النقطة تميّز خطيب المنبر الحسيني عن المحاضر المسلم، والمتقف المسلم، اللذين قد يكتفيان بمعلومات فقهية وأصولية عامّة، بينما ينبغي على خطيب المنبر الحسيني أن ينال حظاً كبيراً من الدراسات الإسلامية التخصّصية»<sup>(١)</sup>.

وكثيراً ما تقع الأخطاء جرّاء الإخلال بهذا العنصر؛ إذ تكون المادّة العلمية المتوفّرة، أو التي يمتلكها الخطيب، غير كافية لسدّ حاجة الجمهور، وقد تترتب على ذلك آثار لا تقف عند حدود الخطيب، بل تعمّ الخطابة بشكل عام، ويظهر ذلك في مسألة إقبال الجمهور أو عدمه، أو زيادة النقد - بمعناه السلبي - لما يُطرح على المنابر، «إنّ جمهور المنبر الحسيني، ينظر إلى الخطيب ذي الثقافة الموسوعية المتنوّعة بأنّه خطيب يولي محاضرته وجهوره اهتمامه، وأنّ حديثه ليس مجرد كلمات يلوكها اللسان، بل هي أرقام ومعلومات، جاءت بعد تتبّع وبحث وتدقيق ومزيد عناية»<sup>(٢)</sup>.

(١) معهد سيّد الشهداء للتبليغ والمنبر الحسيني، دروس في بناء المجلس الحسيني: ص ١٣١.

(٢) المصدر السابق: ص ١٣٤-١٣٥.

وفيما يرتبط بتحديد المادّة العلمية، فهناك معاهد منبرية لا تعتمد إلى تدريس الطلاب هذه المواد الأُولية؛ بل هي في الغالب تشترط على المتسبين أن يكونوا قد أتموا شرطاً من هذه العلوم التي تُمكنهم لاحقاً من التقدّم في مسألة الخطابة الحسينية، ورويداً رويداً يُطلب منهم أن يزيدوا معارفهم، فكلّما تقدّم هذا المستوى العلمي انعكس لاحقاً على المستوى الخطابي بشكل عام.

وهنا تساؤل، مفاده: أين يكمن دور المعاهد المنبرية في مسألة المادّة والموضوع؟ فإذا كانت لا تتدخّل في اكتساب العلوم الدينية التي تعتمد عليها عملية الخطابة، فأين يقع دورها في عنصر المادّة العلمية؟

في الواقع إنّ دور المعاهد المنبرية في هذا العنصر يكون في أمرين:

#### أولاً: تحديد المادّة

يتزوّد طلبة العلوم الدينية بمعارف متعدّدة؛ مثل: اللّغة العربية، والحديث، والقرآن، والفقه، والعقيدة، وغيرها، لكن هل يصلح جميع ما أخذه من موادّ علمية لأن يُلقى مباشرةً على المنبر؟

بطبيعة الحال، فإنّ ذلك غير ممكن؛ إذ الدروس الدينية التي يكتسبها الطالب في هذه المراحل تصل إلى مستوى التخصّص من حيث الاستدلالات، والبراهين والمناقشات، وعليه؛ فمن جهة المادّة العلمية قد تتوفر عند الطالب المكنة العلمية ليصبح خطيباً، غير أنّه لا يصحّ أن يلقي جميع ما عنده على المنبر؛ لأنّه قد يُربك أذهان المستمعين بطرح شبهة معيّنة، وهو يعتقد أنّه يُوجد عندهم حافزاً للبحث، لكن تكون النتائج مغايرةً لهدفه؛ فيمتلأ المستمع بجملةٍ من الإشكالات التي قد تكون بسيطة، أو مما يُتداول في الدروس العلمية عادةً، لكن على مستوى الطرح للجمهور فهي ليست كذلك، وهنا يأتي دور المعاهد المنبرية، فهي التي تحدّد المادّة، وترشد إلى المقدار الصحيح للاستفادة منها، والمقدار الذي لا يصحّ أن يطرح بشكلٍ مباشر.

وهنا قد يرد إشكال، مفاده: إذا كان دور المعاهد المنبرية تحديد المادّة العلمية،  
إذاً هي ستُضَيَّق على الخطيب، ولن يكون في سعةٍ من أمره في تناول هذه العلوم التي  
تعلّمها!

في الواقع ليس الأمر كذلك، فمعنى التحديد هنا ليس التضييق بمعناه السلبي،  
بما يرادف المنع، بل يعني أنّ الخطيب في متّسعٍ من أمره في طرح كافّة الأمور العلمية،  
لكن ضمن قوالب معيّنة ومحدّدة، ومن خلال محدّدات وتوصيات أثبتت نجوعها،  
وهنا سيكون المنبر منضبطاً من حيث المادّة العلمية؛ لأنّ الخطيب سيعرف المقدار  
الذي يجب أن يوصله إلى سامعه، والمقدار الذي يجب أن يمتنع عنه، أو يُعيد صياغة  
هذه المادّة العلمية بطريقة تتناسب مع الجوّ العام، فليست الاستدلالات جميعها  
تصلح أن تُطرح بشكلها المدرسي من على المنابر.

### ثانياً: منهجة المادّة العلمية

غالباً ما تكون الدراسات الدينية عميقة وجافّة على مستوى النصوص، والأخذ  
والردّ في الاستدلالات، والمنهجية المتّبعة في الدراسات الدينية - في أيّ فرعٍ من  
فروعها - منهجية يُراد منها أن يصل الطالب لاحقاً إلى المراحل العليا، فهي ليست  
معدّة لإلقاء هذا الخطاب على المجتمع بشكلٍ عام، فإذا أراد الطالب أن ينقل هذه  
المادّة العلمية إلى الناس، أو يعيد صياغتها بأسلوب الخطابة العامّة، فإنّه يحتاج إلى  
منهجية تتناسب وطبيعة المُلقى إليه.

ولا بدّ - حينئذٍ - أن تكون منهجة هذه المادّة ضمن قواعد فنّ الخطابة وأصولها،  
وهو ما تقوم به المعاهد المنبرية؛ فهي تمرّس المتعلّم على أساليب الخطاب وأنواعه،  
وكيفية أداء الموضوعات العقديّة - مثلاً - بأساليب الخطابة، آخذةً بنظر الاعتبار  
ماهية كلّ مادّة وخصوصياتها، وهو ما يعود بالفائدة الكبيرة على بيان الموضوع، دون

أن تربيته الأساليب المتداخلة، وبالتالي تكون عملية صناعة الخطبة الحسينية، عملاً يخضع لركائز تعطي نتائج محدّدة وهادفة<sup>(١)</sup>.

إلى هنا يتّضح دور المعاهد المنبرية في المواد العلمية التي يتلقاها الطالب بنفسه، فهي تحدّد له:

١- المقدار الذي يجب توظيفه.

٢- منهجة هذا المقدار، من خلال الأخذ بخصوصيات وطبيعة كلّ مادة من هذه المواد.

ويوجد دوران آخران تقوم بهما المعاهد المنبرية فيما يخصّ مسألة المادة العلمية، وهما:

### ١ - الدور الإرشادي

ويقصد بهذا الدور: أن يقوم المعهد المنبري بإرشاد الطلبة إلى دراسة جملة من الكتب والموضوعات المهمّة، من خلال الاعتماد على دروس جانبية، يحاول الطلبة توفير أساتذة فيها؛ لإتقانها، أو الاعتماد على قراءتها، مثل: بعض كتب التاريخ، والتفسير، والحديث، وكتب السياسة، والموسوعات العلمية والثقافية التي لا تُقدّم لطلبة العلوم الدينية بمقدار الفقه والأصول والعقيدة، وهنا يحدّد المعهد كتباً معيّنة وموضوعات محدّدة، ويرشد الطلبة إلى التزوّد منها.

### ٢- الدور التكميلي

وفي هذا الدور يقوم المعهد المنبري بإعطاء دروس مباشرة، تعدّ بمثابة الدروس التكميلية لطلبة الخطابة الحسينية، مثل: إطلاقات على علم الاجتماع والنفس، لا سيّما فيما يتّصل بالحركات ولغة الجسد، ومسائل التنمية البشرية، وغير ذلك.

(١) أنظر: الساري، ضياء، أصول الخطابة الحسينية: ٢٤ - ٣٢.

ومحصّل القول في دور المعاهد المنبرية في عنصر المادّة العلمية: أن هذه المعاهد تنظّم المادّة العلمية المكتسبة، وتهيئ مادّة علمية ثقافية، لتعطى للطالب بشكل مباشر تارةً، وترشده أخرى لدراسة موادّ محدّدة، لها دور في مسألة الخطابة، من هنا؛ فالمعاهد المنبرية لها دور في صناعة الخطيب، من خلال مشاركتها في إعداد وتهيئة أحد عناصر الخطابة، وهو المادّة العلمية.

ولو عاجلنا عنصر المادّة والموضوع بكلّ الحثيات المتقدّمة من خلال الكسب الذاتي، فإنّه سيصعب على طالب العلوم أن يقوم بهذه المهام أجمع؛ فهو الذي سيحدّد المادّة، ويعمل على منهجتها، علماً بأنّه يمارس منهجيةً تعتمد أسلوباً آخر يختلف عن المنهجية الخطابية، ومن الصعب أن ينفك عنها دون تعليم وأتباع أسلوب مدرسي. نعم، قد ينجح بذاته في تحديد واستيعاب المنهج الخطابي، لكن ليس كما لو أرشده مختصّون إلى هذا، وكذلك الحال في مسألة طبيعة تحديد المادّة، فقد لا يستطيع طالب العلوم الدينية الذي يسعى إلى أن يكون خطيباً، تحديد مقدار المادّة التي سيطرحها، ومقدار المادّة التي يستفيد منها بادئ الأمر؛ وهنا يحتمّ عليه الأمر اللجوء إلى مركز تعليمي، يتمّ من خلاله تعليمه قواعد هذه الصنعة. وهذه نقطة تُحسب لصالح المعاهد المنبرية.

### العنصر الثالث: المخاطب

يعدّ عنصر المخاطب في غاية الأهمية؛ لأنّ الغرض من المادّة والخطيب أن يُخاطب شخص آخر، فلا أهميّة لتوفّر مادّة وخطيب بلا جمهور، أو حتّى مع وجود جمهور بلا إدراك لكيفية محاكاته؛ فمن الواضح أنّ جميع ما يتمّ اكتسابه إنّما هو لتوظيفه بالنهاية لمصلحة المخاطب؛ فكثيراً ما تكون عملية الخطابة غير ناجحة، لكن لا لضعف في الخطيب من حيث مؤهّلاته العلمية، وأسلوبه الخطابي، وأخلاقه وسلوكه، بل بسبب عدم الأخذ بعين الاعتبار عنصر المخاطب بشكل مناسب؛ فقد يواجه الخطيب

مخاطباً بسيطاً، وقد يكون ذا مستوى علمي عالٍ، أو مثقفاً، أو ذا اختصاصات فكرية معينة، وقد يكون الخطيب أمام مخاطب يواجه مشاكل اجتماعية، إلى غير ذلك من تنوع المخاطب، وتنوع الاهتمامات.

وهنا، ومع تعدد المخاطب، لا يمكن أن يكون الخطاب واحداً، فإن الجمهور البسيط - على سبيل المثال - «لا يخضع للبرهان، ولا يقنع به، كما لا يخضع للطرق الجدلية؛ لأن الجمهور تتحكم به العاطفة أكثر من العقل... وإنما هو سطحي التفكير، فاقد للتمييز الدقيق، تؤثر فيه المغريات، وتبهره العبارات البراقة، وتقنعه الظواهر الخلابة...»<sup>(١)</sup>.

من هنا؛ فإن معاهد الخطابة المنبرية تعمل جاهدة، بشكل مستمر، ومن خلال الآليات محدّدة، على أن تخلق عند الخطيب حسّاً قوياً، ومعرفة عالية بأنواع المخاطب، وطرق مجاراته، من خلال أساليب نظرية، وأخرى علمية، فمن الواضح أنّ التقدم الزمني والمعرفي ينتج عنهما - بلا شك - تقدّم وتنوع مجتمعي، وحينئذ سيتوزع هذا المجتمع بناء على اهتماماته وتخصّصاته، وهنا يحتاج الخطيب إلى الاستعانة بخبرات مباشرة، ودروس مكثّفة في هذا الأمر، وهو ما يتحقّق في المعاهد المنبرية، أو معاهد الخطابة.

إنّ العمل الذي تقوم به المعاهد المنبرية في كشف عنصر المخاطب - ولا سيّما مستويات المجتمع وطبقاته، والخطاب المناسب لكلّ طبقة - لا يقتصر في أبعاده النظرية على قواعد فكرية بحثية، بل هو خلاصة تجارب أساتذة خطباء، مرّوا بتجارب لاقت النجاح والفشل، وعرفوا المجتمعات والتوجّهات، ومن ثمّ فهم يعكسون ذلك لطلبة الخطابة والمنبريين، وهو ما سينعكس لاحقاً على نجاح الخطابة بشكل عام.

(١) المظفر، محمّد رضا، المنطق: ص ٤٢٢.



وفي المحصل، فإن دور معاهد الخطابة المنبرية في عنصر الخطابة الثالث - وهو المخاطب - واضحٌ وبيّن.

وفي خلاصة هذا المبحث: فقد تقرّر دور المعاهد المنبرية في عناصر الخطابة الحسينية، سواءً في (الخطيب)، أو في (المادّة والموضوع)، أو (المخاطب)، بأنّ للمعاهد المنبرية - من خلال دورها في عناصر الخطابة - تأثيراً ودوراً كبيراً وبارزاً في صناعة الخطيب الحسيني؛ لأنّها تدعمه في عناصره الأساسية التي يحتاج إليها، ليكون خطيباً بارعاً، وبعد أن يمرّ الطالب بهذه المراحل المفروضة عليه من قبل المعاهد المنبرية، ستكون النتائج - بلا شك - مقاربة للمستوى الجيّد في أضعف الحالات، إن لم نقل: أنّها تقارب المستويات العليا، ومع تقدّم مستويات الخطابة وكثرة الممارسة، قد تصل إلى مراحل متقدّمة؛ نتيجة للأرضية الكبيرة التي تهيّؤها هذه المعاهد المنبرية لهؤلاء المتقدّمين إليها أو لطلبتها.

إلى هنا قد تمّ القسم النظري من البحث، وسيكون القسم الآخر - وهو القسم العملي التطبيقي - للمقارنة بين نتائج كلّ قسم، والملاحظات العامّة التي يمكن أن تظهر لاحقاً.

## المصادر والمراجع

- ١- الاحتجاج، أحمد بن علي الطبرسي، تعليق: محمّد باقر الخرسان، دار النعمان، النجف الأشرف - العراق، ١٣٨٦هـ.
- ٢- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، محمّد بن محمّد بن النعمان (الشيخ المفيد)، تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، دار المفيد، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.
- ٣- أصول الخطابة الحسينية، ضياء الساري، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- ٤- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمّد باقر المجلسي، مؤسّسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.



- ٥- تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية وصدر الإسلام، رينولد تكلس، تحقيق: صفاء خلوصي، بغداد-العراق، ١٩٦٩م.
- ٦- تجاربي مع المنبر، الشيخ أحمد الوائلي، دار الزهراء بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ٧- ثورة الحسين عليه السلام في الوجدان الشيعي، محمد مهدي شمس الدين، الدار الإسلامية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.
- ٨- الخطابة في دراسة نوعية شاملة لآية الله الكرباسي، حميد المبارك، بيت العلم للناهين، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
- ٩- الخطابة، أرسطوطاليس، الترجمة العربية القديمة، تحقيق: عبد الرحمن البدوي، وكالة المطبوعات (الكويت)، دار القلم، بيروت-لبنان، ١٩٧٩م.
- ١٠- دائرة المعارف الحسينية (معجم خطباء المنبر الحسيني)، محمد صادق الكرباسي، المركز الحسيني للدراسات، لندن، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ١١- دروس في بناء المجلس الحسيني، معهد سيّد الشهداء عليه السلام للتبليغ والمنبر الحسيني، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- ١٢- دروس في فنّ الخطابة، معهد سيّد الشهداء عليه السلام للمنبر الحسيني، جمعية المعارف الثقافية، بيروت-لبنان، الطبعة الرابعة، ١٤٣١هـ.
- ١٣- الفخري المنتخب، فخر الدين الطريحي النجفي، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.
- ١٤- اللهوف في قتلى الطفوف، علي بن موسى بن جعفر (ابن طاووس)، أنوار الهدى، قم المقدّسة-إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ١٥- مشير الأحزان، محمد بن جعفر بن أبي البقاء (ابن نما)، النجف الأشرف-العراق، ١٣٦٩هـ.



- ١٦- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الميرزا حسن النوري الطبرسي، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ.
- ١٧- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه (الحاكم النيسابوري)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.
- ١٨- معجم الخطباء، داخل السيد حسن، المؤسسة العالمية للثقافة والإعلام، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.
- ١٩- مقتل الحسين عليه السلام، الموفق بن أحمد المكي (الخوارزمي)، تحقيق: محمد السماوي، دار أنوار الهدى، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الخامسة، ١٤٣١ هـ.
- ٢٠- المنبر الحسيني: نشوؤه وحاضره وآفاق المستقبل، فيصل الكاظمي، دار المحجّة البيضاء، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ.
- ٢١- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
- ٢٢- المنطق، الشيخ محمد رضا المظفر، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدّسة - إيران.

# الخطابة الحسينية.. أسس وتطلعات الهدف الرسالي للمنبر الحسيني

أ.م. د خليل خلف بشير\*

## المقدمة

يكتسب الحديث عن الخطابة الحسينية أهمية خاصة في العصر الحاضر؛ لما لها من دور بارز في تحريك النفوس نحو تعاليم الإسلام الأصيل، وتفاعل المجتمع معها على مختلف الطبقات، لذا جاء هذا المقال ليسلط الأضواء على جوانب مهمة من الخطابة الحسينية، فيبدأ بلفظة الخطابة في اللغة والاصطلاح، ثم يعرّج على بيان أسس الخطابة وأركانها، فيتناول في الركن الأول دور الخطيب وما ينبغي أن يتحلّى به ليكون خطيباً ناجحاً، ويتحدّث الركن الثاني عن الخطاب والعوامل المساعدة على جعله خطاباً مؤثراً. وفي الخاتمة يعرّف المقال بنموذج الخطابة الحسينية الناجحة، وهو الشيخ الدكتور أحمد الوائلي وخصائص مدرسته.

## الخطابة في اللغة والاصطلاح

وردت الخطابة في المعجمات اللغوية القديمة بلفظة (الخُطبة) بضم الخاء، أمّا بكسرها فالمراد بها خطبة النساء لغرض الزواج؛ قال الخليل: «...والخُطبة: مصدر الخطيب، وكان الرجل في الجاهلية إذا أراد الخُطبة قام في النادي فقال: خُطِبٌ. ومَن أراد قال: نكُحُ. وجمع الخطيب خطباء، وجمع الخاطب خُطّاب...»<sup>(١)</sup>، وورد مصطلح

\* باحث وتدرسي في جامعة البصرة - كلية الآداب / قسم اللغة العربية.

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج ٤، ص ٢٢٢.

الخطابة في المعاجم الحديثة - كالمعجم الوسيط - بهذا التفسير: «خطب الناس، وفيهم، وعليهم خطابة وخطبة: ألقى عليهم خطبة، وفلانة خطباً وخطبة: طلبها للزواج، ويقال: خطبها إلى أهلها: طلبها منهم للزواج...»<sup>(١)</sup>.

وتعني الخطبة في الاصطلاح: كلاماً يُطلق على جماعة من الناس بصوت عالٍ؛ يُتوخى فيه الوضوح وإلفات أنظار الجماهير إلى غاية الخطيب. وتكون الخطبة واضحة البيان قوية الأركان، ذات إيقاع وفواصل متقاربة؛ لتعطي السامع وقتاً للمتابعة، شديدة السبك والنظم والترتيب؛ لتشدّه إليها<sup>(٢)</sup>.

### أركان الخطابة

تعتمد الخطابة بصورة عامة على ركنين أساسيين، هما: الخطيب، الخطاب؛ ومن هذا الثنائي يتكوّن مفهوم الخطابة. وإذا أردنا الحديث عن الخطابة فلا بدّ من التركيز على هذين الأمرين؛ لذا سنبدأ مقالنا بالتركيز على الركن الأوّل، ثمّ الركن الثاني.

### الركن الأوّل: الخطيب

يلعب الخطيب دوراً مهماً جدّاً في عملية الخطابة، ويتناسب الخطاب مع خصائص وإمكانيات الخطيب تناسباً طردياً، فقد لا يرتقي الخطاب إلى مستوى عالٍ، لكنّ الخطيب يرفع من شأنه ويجعل الجمهور في شغف لسماعة، وقد يكون الخطاب ذا قيمة علميّة ومتكامل، لكن الخطيب يحطّ من منزلته.

### مهام الخطيب ودوره

يضطلع خطباء المنبر الحسيني بمسؤوليات دينية مهمّة في تثقيف الأمّة وتوعيتها وتربيتها؛ بوصفهم يقومون بمهام تتلخص بما يلي<sup>(٣)</sup>:

- (١) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط: ص ٢٤٢-٢٤٣.
- (٢) أنظر: الترجمان، عباس، تاريخ الأدب الإسلامي: ص ٢٧، وص ٢١٢.
- (٣) أنظر: الكفشي، عامر، مجلّة رسالة الحسين: العدد ٧، السنة ٢، ص ٢١٠-٢١١.

١- صوت الإسلام الواعي الذي يحمل أصالة الثقافة وروح الوعي والمسؤولية الدينية تجاه الجماهير الإسلامية كافة.

٢- الجزء المنفتح من قِبَل المؤسسة الدينية على الأمة، فيتحسسون آلامها ومشاكلها وطموحاتها؛ لمعالجتها من خلال الرؤية الإسلامية الصحيحة والموقف الإسلامي الصائب.

٣- الجزء المتحرّك من قِبَل المؤسسة الدينية، المنفتح على إشكاليات العصر ومستجداته، وما أفرزته الحضارة الغربية لمعالجته وفق الأطروحة الإسلامية القادرة على استيعاب كل متطلبات الحياة.

٤- جرس التنبيه الذي يصرخ في آذان الجميع، عندما تداهمهم الأخطار وتعصف بهم الخطوب.

### آداب الخطيب الناجح ومواصفاته

أهمّ عامل في نجاح الخطيب هو إخلاصه والتزامه بالتعاليم الإلهية، فالدين الإسلامي لم يأت للناس كي يتناوله الخطباء في مجالسهم ويعمل العامة فقط بمقرراته وأحكامه، بل إنّ دين الإسلام منهاج عمل لرسول الله ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام، وتطبيق مفرداته واجب على جميع العلماء والخطباء وبقية شرائح المجتمع؛ لذا فالخطيب الإسلامي هو واحد من جمهور المسلمين قبل أن يكون متحدثاً، والمسلم الحقيقي هو الذي يطبّق الأوامر الإلهية دون نقاش، ويتجنّب ما نهت عنه، ويُطيع الذات الإلهية طاعة تامّة، والخطيب الإسلامي المتقي الورع تترك كلماته أثراً كبيراً بين المؤمنين، وينظر إليه المسلمون الحقيقيون نظرة احترام وتقدير، ويطبّقون نصائحه عن طيب خاطر ويطيعونه بصدق. أمّا إذا انعكس الأمر، وكان الخطيب يجيد فنّ الكلام، لكنّه لا يعمل بأقواله؛ فإنّه لا يملك مكانة واحتراماً في المجتمع الإسلامي، ولا يترك كلامه أثراً عميقاً في نفوس الناس، وهذا لا يختص بالخطباء دون الناس الآخرين<sup>(١)</sup>، وإن كان التركيز على الخطيب لكونه قدوة للمجتمع.

(١) أنظر: فلسفي، محمّد تقي، البيان وفن الخطابة: ص ٤٩-٥٠.

وقد ورد الحث على تطابق الأقوال مع الأفعال في تراث أهل البيت عليهم السلام، من ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام: «... علموا الناس الخير بغير ألسنتكم، وكونوا دعاة لهم بفعلكم، والزموا الصدق والورع»<sup>(١)</sup>. ومنها أيضاً قول الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «رحم الله قوماً كانوا سراجاً ومناراً، كانوا دعاة إلينا بأعمالهم ومجهود طاقتهم...»<sup>(٢)</sup>. وقوله عليه السلام أيضاً: «كونوا دعاة للناس بالخير بغير ألسنتكم؛ ليرَوْا منكم الاجتهاد والصدق والورع»<sup>(٣)</sup>.

ولعل من أسباب تقدّم الإسلام وانتشاره في صفوف الناس هو الجانب العملي في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان يتفق مع ما يدعو إليه، فكان ينقذ التعاليم الإلهية قبل أن يبلغ بها الآخرين، وهذا ما يزيد من ثقة الناس واطمئنناهم، ويعزز روابطهم مع الدين الحق، وكذا كانت أقوال ربيب الرسالة الإمام علي عليه السلام منسجمة مع أفعاله فهو القائل: «أيها الناس، والله، لا أحثكم على طاعة إلاّ وأسبقكم إليها، ولا أنهاكم عن معصية إلاّ وأتناهى قبلكم عنها»<sup>(٤)</sup>، وكذا القائل: «كفى بالمرء غوايةً أن يأمر الناس بما لا يأتمر به، وينهاهم عما لا ينتهي عنه»<sup>(٥)</sup>. وكذا قال: «أظهر الناس نفاقاً من أمر بالطاعة ولم يعمل بها، ونهى عن المعصية ولم ينته عنها»<sup>(٦)</sup>، وقال أيضاً: «أحسن المقال، ما صدقه الفعال»<sup>(٧)</sup>. على أنّ القرآن الكريم قد ذمّ الذين تخالف أعمالهم أقوالهم في قوله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ \* كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا

- (١) اليعقوبي، أحمد، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢١٠.
- (٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٢٨٠.
- (٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ١٠٥.
- (٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٣٤، ص ٢١٨.
- (٥) اللبي، علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ: ص ٣٨٦.
- (٦) المصدر السابق: ص ١٢٢.
- (٧) المصدر السابق: ص ١٢٤.

تَفَعَّلُوا ﴿١﴾، وقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ

أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٢﴾، وقد استلهم الشعراء هذا المعنى كما في قول أحدهم<sup>(٣)</sup>:

وغير تقي يأمر الناس بالتقى      طيبٌ يداوي الناس وهو عليلٌ

وقول أبي الأسود الدؤلي<sup>(٤)</sup>:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله      عار عليك إذا فعلت عظيمٌ  
ابدأ بنفسك وانها عن غيرها      فإذا انتهت عنه فأنت حكيمٌ

ولما كان من غاية الخطيب التأثير في الأرواح وامتلاك القلوب لم يكفه ذلك فقط، بل لا بد من التحليّ بجملته من الآداب؛ ليستولي على النفوس، وتنجذب إليه العقول، ويمكن الإشارة إلى هذه الآداب فيما يلي<sup>(٥)</sup>:

١- سداد الرأي وأصالة العقل، وتمييزه لوجوه الأمور ومعضلات المشاكل؛ ليهتدي إلى إثبات الحق ودحض الباطل.

٢- صدق اللهجة وصحة القول وحسن السيرة؛ ليقع في نفوس سامعيه خلوص نيته واستقامة عمله وحرصه على الحقيقة.

٣- التودد إلى الناس، وموجبات هذا التودد كثيرة منها: التحليّ بالوقار والوفاء والأمانة والعفة وعزّة النفس وعلو الهمة حتى يُعلم أنه إنسان كامل خالٍ من الأغراض، ويعمل الخير للخير، ولا يريد ثناءً ولا جزاءً من أحدٍ إلا من الله الغني الكريم.

(١) الصف: آية ٢-٣.

(٢) البقرة: آية ٤٤.

(٣) لم أعتز على قائله، إلا أنه ذكر عن أبي عثمان الخيري الزاهد شعراً لا يختلف معه إلا في قوله: «طيب يداوي والطيب مريض»، بدلاً من قوله: «طيب يداوي الناس وهو عليل». أنظر: البيهقي، أحمد ابن الحسين، شعب الإيمان: ج ٥، ص ٤٦٥.

(٤) السكري، الحسن، ديوان أبي الأسود: ص ٤٠٤.

(٥) أنظر: علي محفوظ، فن الخطابة وإعداد الخطيب: ص ٤١-٤٤.

٤- رباطة الجأش وشدة القلب، وهي منشأ صفات كثيرة حميدة؛ فإنها تحفظ له كرامته في أعين السامعين، وتستبقي عقله معه، وهو يخطب فيتفنن ويرتب قوله ويُحکم مقاطع كلامه.

٥- البديهة الحاضرة وسرعة الخاطر.

٦- أن يكون طليق اللسان بريئاً من الحصر، والعيي، واللجلجة، والتمتمة، والفأفة، والجمجمة، والثرثرة، وسهاجة التكلف والإغراب، وغيرها من العيوب المشهورة.

٧- الخدق في إدراك مقتضى الحال، وملاحظة طوائف الناس من الأعلى والأوساط والأدنين؛ فيختار من الألفاظ ما يناسب كل طبقة.

٨- المهارة في إثارة العواطف وتحريك أهواء النفوس؛ حتى يجعل أزيمة الحب والبغض، والرغبة والنفور، والفرح والحزن، والرجاء واليأس، والشجاعة والخوف، والحمية والأنفة، والحلم والغضب، وغيرها من المشاعر في قبضة يده.

٩- سعة الاطلاع؛ لأن الخطابة تتناول جميع الشؤون الدينية والدنيوية، ومسالك القول فيها متشعبة كمسالك الكتابة.

١٠- التجمل في شارته وإشارته، وملابسه وهياته، وحب النظام في كل ما يحيط بالخطبة.

### الخطيب ومشكلات المجتمع

هناك من يرى أن العديد من المنابر أخذت تفقد جاذبيتها الجماهيرية التي كانت تحظى بها في السابق، والسبب يكمن في أن المنبر الحسيني ما زال يحافظ على الأسلوب والنهج القديم، في الوقت الذي يُفترض به أن يواكب حركة العصر ومتطلبات التغيير التي تعيشها الأمة في الوقت الراهن، فما ينتظره الجمهور اليوم من رواد المنبر الحسيني يختلف كثيراً عما كان يطلبه الجمهور منهم بالأمس، فالحياة تعقدت، والأفكار تداخلت، ومتطلبات العصر تعددت؛ وعلى ذلك فالجمهور يطالب المنبر



بمواكبة حركة الجيل المعاصر وهمومه وطموحاته، وألا يقتصر على حالة الوعظ والإرشاد والتذكرة، وطرح الثقافة التاريخية لسيرة عطاء الإسلام وما جرى لأهل البيت عليهم السلام فحسب، بل لا بد من التطرق إلى المشكلات التي تعصف بالمسلمين في عصرهم الراهن، ومن هذه المشكلات ما يلي<sup>(١)</sup>:

١- مشكلة الاستكبار العالمي وما يفرضه من تحديات في وجه مسيرة الأمة الإسلامية.

٢- مشكلة الحضارة الغربية وما أفرزته من تغيرات كبيرة في أفكار المسلمين وعلاقاتهم.

٣- مشكلة العمل الإسلامي وحالة الاختلاف بين العاملين.

٤- مشكلة الوعي الإسلامي وطرح الإسلام الأصيل بثوب جديد.

٥- مشكلة الالتقاط الفكري والتحرّج العقائدي الذي أصاب بعض المسلمين.

٦- مشكلة التفكيك والانقسام والاختلاف بين الدول الإسلامية.

٧- مشكلة الانحلال الخلقي في العالم وأثرها على العالم الإسلامي.

٨- مشكلات الإنسان المسلم المعاصر ومعاناته الشخصية.

٩- مشكلة الصحة والرؤية الإسلامية من خلال ما أفرزته من أمراض وعلاجها.

١٠- مشكلات التحريف على مختلف المجالات الفكرية والعقائدية والفقهية

والتاريخية.

أضف إلى ذلك مشكلات التكنولوجيا الحديثة وتأثيرها على المجتمع، كاستخدام

وسائل التواصل الاجتماعي، فضلاً عن تعاطي الكحول والمخدرات وما شاكل ذلك.

لذا؛ فمن المنطقي جداً أن يواكب الخطيب الحسيني حركة العصر ومتطلباته،

ويضع النقاط على الحروف بطرحه مشكلات الواقع الحياتي، ووضع الحلول الناجحة

والناجعة؛ حتى يتمكن من التأثير جيداً في الجمهور، وكسبه لصالح عملية التغيير،

(١) أنظر: الكفيشي، عامر، مجلة رسالة الحسين، العدد ٧: ص ٢١٢-٢١٣.

- ولكي لا يفشل الخطيب الحسيني في مواكبة حركة الأمة الصاعدة - ولا يتخلف عن مسيرة ركبتها - عليه مراعاة جملة من الأمور التي يمكن تلخيصها على النحو الآتي<sup>(١)</sup>:
- ١- أن يتسلح دائماً بأصول الثقافة الإسلامية العالية، من علوم اللغة، والفقه، والأصول، والمنطق، والرجال، والفلسفة، والعقائد، والأخلاق، والتفسير.
  - ٢- أن يعكف على مواصلة دراسة التاريخ والسيرة والحديث والأدب، وربطها بالواقع الحياتي المعاصر.
  - ٣- أن يطلع على الدراسات العلمية الحديثة، ولا سيما في مجال علم النفس والاجتماع والتربية؛ لأنها تُعين الخطيب على فهم الواقع الاجتماعي، وتشخيص حاجته، ومعالجة معاناته بشكل علمي صحيح.
  - ٤- أن يطلع على حركة الفكر المعاصر، وما وصلت إليه المكتبة الإسلامية من نتاج ضخم، وما نتج من مداخلات فكرية مضادة للثقافة الإسلامية؛ لكي ينبّه الأمة الإسلامية عليها.

### الركن الثاني: الخطاب

إن القدرة على التكلّم وإن كانت ميزة طبيعية وإلهاماً تكوينياً، وهبة الخالق العظيم للإنسان دون الحيوان، لكنّ الخطابة فنٌ يُكتسب ويؤخذ بالتعلم، يحث إليه الخطي أصحاب الذوق والاستعداد والرغبة؛ لبلوغ مراحل عليا من الأدب والبلاغة وارتقاء منابر الخطابة، وثمة أمور ثلاثة تؤدي دوراً كبيراً في نجاح الخطاب، هي<sup>(٢)</sup>:

- ١- شخصية المتحدث ومكانته في أذهان الرأي العام، فكلما ازداد حبُّ المجتمع للمتحدث ورغب إليه ازداد اهتمام الناس بحديثه وأعطوه أذناً صاغية، وكان كلامه أكثر وقعاً وتأثيراً.

(١) أنظر: المصدر السابق: ص ٢١٤.

(٢) أنظر: فلسفي، محمّد تقي، البيان وفن الخطابة: ص ٢٧-٢٨.

٢- موضوع البحث المعلَن للمستمعين؛ إذ تزداد رغبة الجمهور للاستماع إلى ما يرونه مهماً في معالجة قضاياهم الدينية والسياسية، والاقتصادية والاجتماعية وأمثالها.

٣- مهارة المتحدث في كيفية إلقاء الخطاب وتكوين الكلمات، فالناطق الماهر في التحدُّث يستطيع أن يُلقي بحثه بشكل جميل يستقطب ألباب مستمعيه ما استطاع؛ لذا يقول الرسول الأكرم ﷺ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا، وَإِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةً»<sup>(١)</sup>، ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: «رُبَّ كَلَامٍ أَنْفَذَ مِنْ سِهَامٍ»<sup>(٢)</sup>.

إنَّ معرفة الخطيب بمادة حديثه وشكل الإلقاء والأداء يمنح كلامه نظماً وترتيباً، فلا يتشتت فكره، ولا يُفقد منه زمام حديثه؛ إذ يبدأ من حيث هو مطلوب، ويتوغل في البحث بمقدار ما يقتضي البحث، غير مبتعد عن هدفه، ويختتمه حيثما استلزم ذلك، ومن الأجدر بالخطيب أن يُعلم الآخرين كما يعلم هو، ويُطلع المستمعين في بداية كلامه على موضوع بحثه مهما كان هذا الإعلان مقتضباً وقصيراً، ومع اختلاف معنويات المستمعين واستعدادهم لاستيعاب البحث ينطوي هذا الإعلان على فوائد عدة، فضلاً عن أنَّ هذا الإعلان يحثُّ المستمعين على الإصغاء والمتابعة والاندماج مع الخطيب، ما لم يخرج الخطيب عن موضوع حديثه وينطلق لتناول قضايا متفرقة أخرى؛ لأنَّ المتحدث لو ابتعد عن الموضوع فسيترك المستمعون المجلس خارجين منه، أو أنهم يتركون متابعتة<sup>(٣)</sup>.

والواجب الأساسي الآخر للخطيب هو إقناع المستمعين، بمعنى كون المتحدث قادراً مسيطراً على الموضوع الذي يتناوله بالبحث؛ ليستطيع إقناع المستمعين بصحَّته وأصالته، ويجعلهم يسايرونه في الرأي والعقيدة؛ وذلك يستلزم وعي الخطيب قيمته العلمية، فيختار موضوع البحث بما يناسب كفاءته وقدرته، فضلاً عن كون الخطيب

(١) القلقشندي، أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: ج ١٥، ص ٥٧٠.

(٢) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ج ٣، ص ٢٧٣٤.

(٣) أنظر: فلسفي، محمد تقى، البيان وفن الخطابة: ص ٢٩-٣٠.

بصيراً بالحلل الذي يريد أن يتناوله؛ ليصغي المستمعون إلى خطابه ويتلقوه بقبول حسن على أسس الصلاحية العلمية والكفاءة المعرفية<sup>(١)</sup>، وهكذا كان الرسول ﷺ، فقد تحدّث عنه القرآن قائلاً: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ويُعدّ الكلام عن علم وبصيرة والسكوت عن المبهم والمجهول حقاً من حقوق الله على العباد، فقد ورد: «عن أبان، عن زرارة بن أعين قال: سألت أبا جعفر عليه السلام ما حق الله على العباد؟ قال: أن يقولوا ما يعلمون ويقفوا عند ما لا يعلمون»<sup>(٣)</sup>، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾<sup>(٤)</sup>، وقد ورد عن السجاد عليه السلام: «ليس لك أن تتكلّم بما شئت؛ لأنّ الله يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾. ولأنّ رسول الله ﷺ قال: رحم الله عبداً قال خيراً فغنم، أو صمت فسلم. وليس لك أن تسمع ما شئت؛ لأنّ الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾»<sup>(٥)</sup>. وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «إياك والكلام فيما لا تعرف طريقته ولا تعلم حقيقته؛ فإن قولك يدل على عقلك، وعبارتك تنبئ عن معرفتك»<sup>(٦)</sup>. وعنه عليه السلام أيضاً: «دليل عقل الرجل قوله، دليل أصل المرء فعله»<sup>(٧)</sup>، وكذا قوله عليه السلام: «دع القول فيما لا تعرف، والخطاب فيما لا تكلف، وأمسك عن طريق إذا خفت ضلالته»<sup>(٨)</sup>. فالخطيب الذي يتناول موضوعاً على منبر الخطابة تنقصه فيه المعرفة

(١) أنظر: المصدر السابق: ص ٣١، و ص ٤١.

(٢) يوسف: آية ١٠٨.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٤٣.

(٤) الإسراء: آية ٣٦.

(٥) علي بن جعفر، مسائل علي بن جعفر: ص ٣٤٤.

(٦) الريشهري، محمد، العقل والجهل في الكتاب والسنة: ص ١١٨.

(٧) المصدر السابق.

(٨) الحر العاملي، محمد بن الحسن، هداية الأئمة إلى أحكام الأئمة: ج ٨، ص ٣٨٥.

والمعلومات الكافية، فإنه يُلحق ضرراً بكلامه وشخصيته، ويضع نفسه في موضع المجابهة السلبية مع الآخرين، وينتج عن ذلك تضاؤل أهمية المتحدث ووزنه واستصغار شأنه، فضلاً عن الإشارة إلى الخطيب بأصابع الاتهام<sup>(١)</sup>؛ لقول أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تقل ما لا تعلم فتتهم بإخبارك بما تعلم»<sup>(٢)</sup>.

### تناسب الخطاب مع المجتمع

ينبغي أن يراعي الخطيب - فضلاً عن مراعاة الناحية العلمية في كلمته وإلقائها عن وعي وبصيرة - مستوى إدراك المستمعين والتحدّث بما يلائمهم؛ لأنّ الهدف من الخطاب الديني هو إرشاد الناس، وهدايتهم إلى الطريق الحق، ودعوتهم إلى الإيمان والاعتقاد بتعاليم السماء، وأنّ الأقلية من الجمهور خاضت غمار العلم والدرس، في حين أنّ الغالبية المتبقية يعوزها العلم، أو أنّها أمسكت ببداياته فقط؛ لذا على الخطيب أن يعتني بالآتي<sup>(٣)</sup>:

١- اختيار مادة البحث بما تتلاءم وشأن المجلس ومستوى الحاضرين، وإن لم يراع ذلك فسيقصر في مادة البحث أو المستمعين. فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قام عيسى بن مريم عليه السلام خطيباً في بني إسرائيل، فقال: يا بني إسرائيل، لا تحدّثوا الجهال بالحكمة فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلوهم»<sup>(٤)</sup>.

٢- لا تعني ضرورة معرفة الخطيب الديني بموضوع البحث أن يطلق لنفسه العنان للكلام - في كلّ مجلس وأمام أيّ مستمع - بكل ما يعلمه وتعلّمه عن الموضوع؛ لأنّ هذا ينافي البلاغة وتقدير الموقف من جهة، وقد يؤدي إلى الضرر من جهة أخرى. فعلى الخطيب أن لا يضع مستواه العلمي معياراً ويتفوّه بما يعلمه، وقد ألع الأئمة

(١) أنظر: فلسفي، محمّد تقي، البيان وفن الخطابة: ص ٤٢-٤٣.

(٢) الريشهري، محمّد، العلم والحكمة في الكتاب والسنة: ص ٣٩٠.

(٣) أنظر: فلسفي، محمّد تقي، البيان وفن الخطابة: ص ٤٤.

(٤) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٤٢.

الطاهرون إلى ذلك، كما في قول أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تقل ما لا تعلم، بل لا تقل كل ما تعلم؛ فإن الله فرض على جوارحك فرائض يحتجُّ بها عليك يوم القيامة»<sup>(١)</sup>، وعنه عليه السلام أيضاً: «ينبغي أن يكون علم الرجل زائداً على نطقه، وعقله غالباً على لسانه»<sup>(٢)</sup>. ولعلَّ مهمة الأنبياء عليهم السلام في تبليغ تعاليم الله تعالى اقترنت بمخاطبة الناس على قدر عقولهم لقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم»<sup>(٣)</sup>.

### الشيخ الوائلي نموذج الخطابة الحسينية

يُعدّ الشيخ الدكتور أحمد الوائلي رحمته الله واحداً من أعلام الخطابة الحسينية، بل هو أمير المنبر الحسيني بلا منازع؛ لتميّزه بطريقته الخاصّة في عرض أفكاره؛ إذ إنّه «تأنق ما استطاع أن يتأنق، وفي ذلك وسيلة للتأثير في نفوس سامعيه، فاستولت طريقته على قلوب معاصريه، وقلّدوه فيها، واتخذوه إماماً لهم، واستطاع أن يُعبّر عمّا يجول في نفسه من عواطف لمستمعيه، وأن يؤدي ما يحتاج إليه المنبر الحسيني من الثقافة الموسوعية العلمية»<sup>(٤)</sup>.

ومن الصعوبة بمكان تقييم الخطابة الناجحة ومعالجتها موضوعياً؛ لسببين هما<sup>(٥)</sup>:

- ١- إنّ الخطابة تتصل بالعواطف والأذواق، وقلّما تكون عناصرها موضوعية.
- ٢- إنّ الخطابة الحسينية يتفاعل معها جمهور عريض متنوّع في ثقافته وذوقه، ابتداءً من الأميين وانتهاءً بحملة الشهادات العليا والعلماء، فالخطيب الذي يُلقى

(١) خطب الإمام علي، نهج البلاغة: ج ٤، ص ٩٢.  
 (٢) الريشهري، محمّد، العقل والجهل في الكتاب والسنة: ص ١٦٢.  
 (٣) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٢٣.  
 (٤) ملف عن الدكتور الشيخ أحمد الوائلي، مجلّة الموسم: العدد ٢-٣: ص ٥١١.  
 (٥) أنظر: المصدر السابق: ص ٥١١-٥١٢.

خطابه أمام جمهوره يواجه أناسي من مختلف الطبقات والمسالك، فقد يواجه أناساً يعرفهم وآخرون لا يعرفهم ولا يعرفونه، ولهُؤلاء مشارب متنوعة وتقييم مختلف، فقد ينال خطيب إعجاب بعضهم؛ لعدوية صوته وقدرته على بثّ الحزن في النفس ليس غير، وقد يُعجب بعضهم بإحاطة الخطيب بالتاريخ، وقد يُعجب بعضهم بأدبه، وقد يُعدّ بعض الجهلة الخطيب عظيماً؛ لأنه قال أشياء لا يعرفونها ولا يفهمونها.

وقد انماز الوائلي عن سابقه بمميزات جعلته ينفرد بأسلوب خاص في خطابة المنبر الحسيني، فأصبحت تُسمّى (مدرسة الوائلي في الخطابة)؛ وذلك لتوفّره على مواصفات نقل بها المنبر نُقْلة نوعية مما كانت عليه سابقاً، ولعل أهمّ هذه المواصفات<sup>(١)</sup>:

١- التنوّع بأبعاد المعرفة المتأتي من عوامل عديدة، هي: الاستعداد الفطري، والمثابرة والصبر، وإيمانه العميق بالفكر الذي يدعو إليه، والبيئة الدينية التي نشأ فيها وهي مدينة النجف حاضرة العلم والعلماء، وذكاؤه وحافظته القويّة، ونظمه للشعر.

٢- الجرأة والصراحة في القول من دون تطاول وسباب وشتم.

٣- معرفة نفسيات السامعين والتأثير فيهم.

٤- سمو خلقه.

٥- قدرته على جعل الموضوع واحداً، ابتداءً من المقدمة ووصولاً إلى العرض وانتهاءً بالخاتمة، ومن مؤاخذات الوائلي على الخطباء الذين سبقوه أنّهم لم يلتزموا بوحدة الموضوع، وأنّهم كانوا يتطرّقون إلى مواضيع شتى في الخطبة الواحدة، ويرى أنّ على الخطيب عرض موضوعه متسلسلاً؛ وهذا سيؤدي إلى تحقيق النتيجة المطلوبة، وهي إيصال الفكرة للجمهور بطريقة واضحة بعيداً عن اللف والدوران.

## الخاتمة

بعد هذه الجولة البحثية أُسجّل مجموعة ملاحظات تمخضت من هذا البحث

(١) أنظر: الخطيب، علي عبد الله، أسلوب الوائلي في الخطابة، مجلّة الموسم العدد ٢٤-٣: ص ٥٤٩-٥٦٠.



المتواضع أو جزها على النحو الآتي:

١- لا بدّ للخطيب الحسيني أن يكون صادقاً في أقواله وأفعاله؛ ليكون تأثيره في المجتمع كبيراً.

٢- لا بدّ أن تكون في الخطبة ما يُسمى بالوحدة العضوية التي تتوافر من خلال وجود وحدة الموضوع ووحدة الجو النفسي؛ إذ لا بدّ من وجود ترابط بين المقدمة والعرض والخاتمة.

٣- مراعاة المقام ضروري في الخطبة؛ فقد يُطيل الخطيب في خطبته فيملئه الجمهور، لا سيما إذا كان المقام مجلس فاتحة والناس المعزون مستمرين بالدخول والخروج، فضلاً عن عصرنا الراهن، عصر السرعة في المأكل والمشرب والملبس وفي كل شيء.

٤- انضمام الخطباء إلى مشروع ناجح تتبناه المرجعية الدينية المباركة خاصّ بالمنبر الحسيني؛ لكي يُبنى المجتمع بناء عقائدياً ناجحاً.

٥- ضرورة تثقيف الخطيب الحسيني ثقافة متناسبة مع ثقافة العصر، بمعرفته بشؤون الحاسوب ومشكلات الحضارة المادية، ولا سيما ما يتعلق بمشكلات الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي، فضلاً عن اطلاعه الواسع على مختلف العلوم.

## المصادر والمراجع

\* القرآن الكريم

- ١- بحار الأنوار، محمّد باقر المجلسي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسّسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية المصححة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- ٢- البيان وفن الخطابة، محمّد تقي فلسفي، ترجمة: عباس حسين الأسدي، مؤسّسة البعثة، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م.



٣- تاريخ الأدب الإسلامي، عباس الترجمان، دار التبليغ الإسلامي.

٤- تاريخ يعقوبي، أحمد يعقوبي، دار صادر، بيروت - لبنان.

٥- ديوان أبي الأسود، الحسن السكري.

٦- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار

الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

٧- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: محمد حسين

شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٨- العقل والجهل في الكتاب والسنة، محمد الريشهري، تحقيق ونشر: دار الحديث للطباعة

والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

٩- العلم والحكمة في الكتاب والسنة، محمد الريشهري، تحقيق ونشر: مؤسسة دار

الحديث الثقافية، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى.

١٠- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور

إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ.

١١- عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي، تحقيق: الشيخ حسين الحسيني

البيرجندي، دار الحديث، الطبعة الأولى.

١٢- فن الخطابة وإعداد الخطيب، علي محفوظ، دار الاعتصام، دار النصر للطباعة

الإسلامية.

١٣- الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار

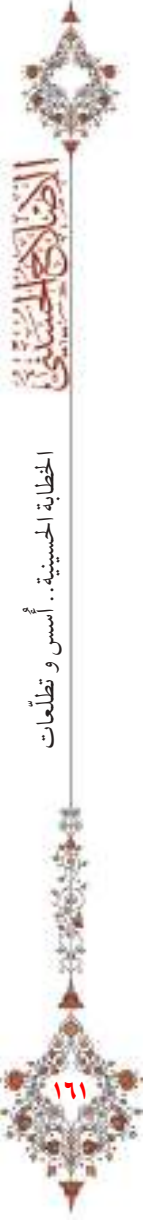
الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الرابعة، ١٣٦٥ ش.

١٤- مجلة رسالة الحسين، عامر الكفيشي، العدد ٧، السنة ٢.

١٥- مسائل علي بن جعفر، علي بن جعفر، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث،

قم المشرفة، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، مشهد المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

١٦- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرون، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق



الدولية، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤م.

- ١٧- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، تحقيق: دار الحديث، دار الحديث، الطبعة الأولى.
- ١٨- نهج البلاغة (خطب الإمام علي)، تحقيق وشرح: الشيخ محمد عبده، نشر: دار الذخائر، قم- إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ/ ١٣٧٠ ش.
- ١٩- هداية الأمة إلى أحكام الأئمة، محمد بن الحسن الحر العاملي، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد المقدّسة- إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٢٠- ملف عن الدكتور الشيخ أحمد الوائلي، مجلّة الموسم: العدد ٢-٣، مركز أهل البيت عليه السلام، هولندا.
- ٢١- أسلوب الوائلي في الخطابة، علي عبد الله الخطيب، مجلّة الموسم: العدد ٢-٣، مركز أهل البيت عليه السلام، هولندا.

## سؤال المتلقي وأثره في تطوير المنبر الحسيني

إعداد: د. الشيخ أسعد التميمي\*

### تمهيد

يُعدّ المنبر الحسيني الركن الأهمّ والأصعب والأخطر لعاشوراء الحسين عليه السلام التي لها أركان متعدّدة ومتجذّرة في الوسط الشيعي، فمن خلاله تتكوّن منظومة معرفية واجتماعية وثقافية ترتبط بعاشوراء، تتمثّل في وعي عاشوراء وحركتها وحضورها وأجيالها، باعتبارها تعكس الدين الأصيل المتمثّل بسبط النبي صلى الله عليه وآله الحسين بن علي عليه السلام، في قبال الدين المشوّه الذي أبرزته الجهة المقابلة لعاشوراء؛ فمن هذه المنطلقات يُعدّ المنبر الحسيني الرافد التعليمي والتعبوي والإرشادي للمتممين له، والممثّل لبيان الهوية الدينية والرؤى الفكرية بشكل عام.

وفي هذا الزمان يمرّ المنبر الحسيني بمرحلة تتجاوز الحدود المكانية والزمانية، فأصبح وسيلة متاحة لكلّ من أراد التعرّف على هوية هذا الفكر الإسلامي الأصيل، المتمثّل بآل محمد عليه السلام، وفي الوقت نفسه هو تحدّد لاختبار قدراته الفكرية التي ما زالت غير واضحة وخفية على الكثير ممن لا ينتمي إلى هذا الفكر، خصوصاً من ناحية المقدمات والمبادئ التي تأسّس عليها الكثير من المتبنّيات.

إنّ المنبر الحسيني يتحمّل اليوم مسؤولية ضخمة، تحتاج إلى وقفة جادة من قبل المسؤولين عليه، فالمنبر غير الواعي يجرّ الويلات على هذا الفكر، خصوصاً ونحن نمتلك ثروة هائلة، لها القدرة على صياغة الدين بأرقى صورته إذا وضعناها في قالبها المناسب.

---

\* أستاذ في جامعة المصطفى عليه السلام العالمية، من العراق.

## مدخل

بالرغم من أن الخطابة متوغلة في القدم، إلا أنّها ما زالت الأداة الإعلامية التي لها صداها البراق ودورها الفعّال، فمع التطوّر السريع والمذهل لوسائل إعلامية أخرى، نجد أنّها تمثّل المادّة الخام للإنتاج الإعلامي.

أمّا المنبر الحسيني، فهناك مثلث منظومي يتحكّم في حركته - سواء أكانت إيجابية أم سلبية -: الخطيب، والإدارة، والجمهور. والكلّ مطالب بأن يكون بمستوى رسالة المنبر الحسيني، والدور الأكبر والأكثر تأثيراً في تطوير المنبر من حصة الجماهير، فهي المحور في ترتيب هذه المنظومة؛ وذلك أنّ الخطيب والإدارة يسعيان ليكونا على قدر مذاق الجمهور ووعيه وثقافته، وإن كانا في نفس الوقت يسعيان لرفع مستوى الوعي والثقافة؛ إذ إنّ الجماهير هي التي تصنع الخطيب والإدارة، وهي الراعي الأوّل لحركة المنبر وتطويره.

ولكي نحافظ على المنبر الحسيني من الأخطار التي تواجهه - سواء أكانت خارجية متمثلة في السلطات الحاكمة، أم داخلية متمثلة في القوى المتخلفة - لا بدّ أن نعمل على تحصين هذه المكونات الثلاثة السالفة الذكر، فإنّ غياب أيّ ركنٍ منها سوف يهدّد المنبر الحسيني في بقائه ورسالته وأهدافه، فإذا غاب الخطيب المؤهّل فقد المنبر رسالته، وإذا غابت الإدارة المؤهّلة ارتبك أداء المنبر، وإذا غاب الجمهور الواعي المؤهّل لم يكن لرسالة المنبر الحسيني أيّ دور<sup>(١)</sup>.

بناء على هذا؛ لا بدّ أن تتّصف الجماهير بصفات معيّنة تؤهّلها للقيام بهذه المهمّة الكبيرة، وهذه الصفات مرتبطة بأهداف المنبر الحسيني، التي يمكن أن نلخصها ببيان الدين، وتعاليمه الحقّة، وأخلاقه الفاضلة، وردّ الشبهات والافتراءات عنه، وبيان أحقيّة أهل البيت عليهم السلام ومظلوميّتهم وأصالة نهجهم.

(١) أنظر: السلّمان، محمّد حميد، عاشوراء الحسين في سبع سنوات: ج ١، ص ١٦٥.

وبناء على ذلك؛ لا بدّ أن يتّصف الجمهور بمزايا، وهي: أن يحمل العقيدة الراسخة بالإسلام، ويلتزم بتعاليمه، وأن يحمل الولاء الصادق لأهل البيت عليهم السلام، وأن يفهم رسالة المنبر، ويعي دوره في الحياة، ويدرك أهدافه الكبيرة<sup>(١)</sup>.

إذن؛ وعي الجمهور يمثل عصب الحياة للمنبر الحسيني، ولهذا الوعي مفردات كثيرة، لا بدّ أن يتعرّف عليها أو يلتفت إليها؛ لكي يرفع من مستوى المنبر الحسيني، ويكون له دور في تطوّره، ومن أهمّ المفردات هو التفاعل والتواصل مع الخطيب من خلال إلقاء أسئلة تخصّ الموضوعات المطروحة، أو ما له صلة بالفكر الديني، عموماً؛ لما لهذا التواصل من انعكاسات إيجابية على جميع مكوّنات المنبر الحسيني، من خطيب وجمهور وإدارة؛ فمن هنا جاءت ضرورة هذا البحث: (سؤال المتلقّي وأثره في تطوير المنبر الحسيني)، ليغطّي جهة مهمّة من جهات البحث في تطوير المنبر الحسيني؛ لذلك قسّمت المقال إلى مبحثين: الأول في السؤال (الماهية والأثر)، والثاني في المتلقّي (المعنى والوظيفة)، وختمته بنتائج.

وهناك نقطة مهمّة وجديرة بالذكر، وهي: أنّ المنبر الحسيني يفوق كلّ وسائل الإعلام الأخرى من جهات:

- ١- يُعتبر أكبر رافد تعليمي ديني وثقافي مفتوح لجميع الناس على اختلاف مستوياتهم، وله أثر واضح في صياغة ثقافة المجتمع ووعي الجمهور.
- ٢- هناك انشداد عاطفي من قبل الجمهور اتجاهه؛ ممّا جعله الأبرز لنشر الدين وتعاليمه.

- ٣- جامعته بين العقل والعاطفة؛ ممّا جعل الالتفاف حوله يفوق الشكل الطبيعي، لما لهذه الصفة من جاذبية لأفراد المجتمع.
- كلّ هذه الأمور تجعل منه فرصة لنشر الوعي الديني الذي يخدم البشرية بكلّ مستوياتها.

(١) أنظر: المصدر السابق: ج ١، ص ٢٨٤-٢٨٨.

## المبحث الأول: السؤال .. الماهية والآخر

### أولاً: ماهية السؤال

عند بيان أيّ مفهوم يُدرس - عادةً - على صعيدين: اللّغوي والاصطلاحي، وبذلك تُحدّد معالم المفهوم؛ لكيلا يختلط بمفاهيم أُخرى ذات صلة به من قريب أو بعيد؛ ولكنّ المعنى الاصطلاحي في موضوع البحث متعذّر؛ لأنّه لا يخصّ علماً معيّناً؛ لذلك سوف نبحث الاستعمال القرآني والحديثي لهذا اللفظ (السؤال) من أجل إعطاء صورة واضحة حول المراد منه.

### السؤال لغةً

يقول الجوهري في صحاحه: «السؤال: ما يسأله الإنسان، وقرئ ﴿أَوْتَيْتَ سُؤْلَكَ يَمْوَسَى﴾<sup>(١)</sup> بالهمزة وبغير الهمز، وسألته الشيء وسألته عن الشيء سؤالاً ومسألة، وقوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾<sup>(٢)</sup> أي: عن عذاب. قال الأخفش، يقال: خرجنا نسأل عن فلان وبفلان. وقد تُخَفَّفَ همزته، فيقال: سال يسال، والأمر منه سل، ومن الأوّل اسأل. ورجل سؤلة: كثير السؤال، ونساءلوا، أي: سأل بعضهم بعضاً، وأسألته سؤلته ومسألته، أي: قضيت حاجته»<sup>(٣)</sup>.

أمّا أصحاب الموسوعات الجامعة مثل ابن منظور، فقد ذكر في لسانه قائلًا: «قال ابن بري: سألته الشيء: بمعنى اسْتَعْطَيْتَهُ إِيَّاهُ... وسألته عن الشيء: استخبرته»<sup>(٤)</sup>. ومما تقدّم نخلص إلى هذه النتيجة، وهي: أنّ اللّغويين أجمعوا على معنيين للسؤال، الأوّل: الاستخبار، والثاني: الاستعطاء، ولا ربط للثاني منها بموضوعنا؛ إذاً يكون معنى السؤال هو الاستخبار.

(١) طه: آية ٣٦.

(٢) المعارج: آية ١.

(٣) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ج ٥، ص ١٧٢٣.

(٤) ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب: ج ١١، ص ٣١٩.

## ثانياً: السؤال في الاستعمال القرآني والحديثي

البحث عن السؤال في القرآن والحديث يحتاج إلى دراسة مستقلة وواسعة، ولكيلا نخرج عن الغرض من عقد هذا المبحث من المقال نقتصر على ذكر بعض المطالب؛ لكي تكون مقدّمة تأسيسية لما بعدها، منها: المعنى القرآني والحديثي، والبنى التحتية للسؤال القرآني، ومميزاته، وأهميته، ووظيفته، وأغراضه البلاغية.

### المعنى القرآني

أكتفي في هذا البحث بذكر شخصيتين لهما باعها في تحقيق المفردات القرآنية، وهما: الراغب الإصفهاني قديماً، والسيد المصطفوي معاصراً.

أمّا الراغب، فقد عرفه بأنّه: «استدعاء معرفة أو ما يؤدّي إلى المعرفة، واستدعاء مال أو ما يؤدّي إلى المال، فاستدعاء المعرفة جوابه على اللسان، واليد خليفة له بالكتابة أو الإشارة، واستدعاء المال جوابه على اليد، واللسان خليفة لها إمّا بوعده أو بردّ»<sup>(١)</sup>.

أمّا العلامة المصطفوي، فقد ذكر: «أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو طلب أمر عن شخص، والمطلوب أعمّ من أن يكون خبراً أو مالاً أو علماً أو عطاءً أو شيئاً آخر، فإذا كان المطلوب خبراً يكون بمعنى الاستخبار، وإذا كان علماً يكون بمعنى الاستعلام، وإذا كان عطاءً يكون بمعنى الاستعطاء»<sup>(٢)</sup>.

### السؤال في الحديث

عندما نتصفح الكتب الخاصّة بالأحاديث لا نجد تعريفاً للسؤال، وإنّما تعرّضت الأحاديث لآثار السؤال بشكل مفصّل، فقد ذكرت أنّ السؤال نصف العلم، ومفتاح القلوب، أي: العقول، كما في قول النبي الكريم ﷺ: «العلم خزائن ومفاتيح السؤال،

(١) الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمّد، المفردات في غريب القرآن: ص ٢٥٠.

(٢) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن: ج ٢، ص ٣٢٨.

فاسألوا يرحمكم الله؛ فإنه يؤجر أربعة: السائل، والمعلم، والمستمع، والمحِبُّ لهم»<sup>(١)</sup>، أو قول أمير المؤمنين عليه السلام: «القلوب أقفال، مفاتيحها السؤال»<sup>(٢)</sup>.

وقد بيّنت الأحاديث كيفية حسن المسألة كما في قول أمير المؤمنين عليه السلام لسائل سأله عن معضلة: «سل تفقهاً، ولا تسأل تعنتاً، فإن الجاهل المتعلم شبيهه بالعالم، وإن العالم المتعسف شبيهه بالجاهل المتعنت»<sup>(٣)</sup>، وبيّنت كذلك كيفية الإجابة عن الأسئلة التي لا تُعلم، كما في قول الإمام علي عليه السلام: «لا يستحيي العالم إذا سُئل عما لا يعلم أن يقول: لا علم لي به»<sup>(٤)</sup>، وفي بعض الأحاديث يُبين سبب ذلك كما في قول الإمام الصادق عليه السلام: «إذا سُئل الرجل منكم عما لا يعلم فليقل: لا أدري، ولا يقل: الله أعلم، فيوقع في قلب صاحبه شكاً، وإذا قال المسؤول: لا أدري فلا يتهمه السائل»<sup>(٥)</sup>.

وبذلك نخلص إلى أن الاستعمال القرآني للسؤال لم يتجاوز المعنى اللغوي، فبقي معنى السؤال هو الاستعلام أو الاستخبار، وأمّا الأحاديث فقد دارت في فلك السؤال الاستعلامي والاستخباري، وهناك أحاديث في دائرة السؤال الاستعطائي لم أشر إليها؛ لأنّها خارجة عن موضوع البحث، وقد بيّنت الأحاديث آداب السؤال وما يجوز فيه وما لا يجوز، وأمّا عدم التعرّض لتعريفه وحدوده فلعلّ ذلك لوضوحه؛ لذلك سوف نقتصر على البحث القرآني في باقي مفاصل هذا المبحث.

### ثالثاً: البنى التحتية لسؤال القرآني

إنّ مكانة السؤال في القرآن الكريم ملفتة للنظر، وهذا ما حدا بالباحثين والمهتمين بالشأن القرآني أن يركّزوا عليه، ويعطوه ميزة خاصّة، ومما يزيد أهميّة أنّ

(١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ١٠، ص ٣٦٨.

(٢) الريشهري، محمّد، ميزان الحكمة: ج ٢، ص ١٢١٦.

(٣) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام: ص ٥٣١.

(٤) البرقي، أحمد بن محمّد، المحاسن: ج ١، ص ٢٠٧.

(٥) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٤٣.



دائرته غير محدودة، بل تجد استخدامه القرآني قد تجاوز دائرة التشريع إلى الدائرة العقديّة، بالإضافة إلى أنّه أحد أساليب التبليغ التي استعملها الأنبياء ﷺ، كلّ هذه الأمور تحدو بنا أن نتعرّف على البنى التحتية للسؤال في القرآن الكريم.

يذكر أحد الباحثين أنّ هناك دعامتين مهمّتين للسؤال:

«١- الدعامة البنيويّة: التي تشكّل أركان السؤال ومقتضياته، وهي: السائل الذي يستعلم إمّا على وجه التبيين والتعلّم، ممّا تمسّ الحاجة إليه، أو على وجه التكلّف والتعنّت، ثمّ إنّ السؤال يقتضي كذلك مسؤولاً، وهو الله تعالى، ونيبه محمد ﷺ، وعلماء الأمة، ويقتضي مسؤولاً عنه، وهو موضوع السؤال الذي بدوره يحتاج إلى صياغة دقيقة، تتأدّب مع المسؤول، وتحترم مشاعر الأمة، وتقاليدها ومقدّساتها، وبالتالي أن يكون السؤال مفيداً، إذ لا يكفي طرح السؤال دون نفعيّة، فإذا كان غير فائدة أو لمجرّد التعجيز والتبكيّة، فينبغي توجيه صاحبه إلى المنهج الصحيح والمقصد الصالح، قال الله تعالى في سورة النبأ: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>، فالسؤال من الكافرين عن يوم القيامة: ﴿عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾<sup>(٢)</sup>، فكان لا بدّ من استفسارهم سؤالهم، لماذا يسألون عن يوم القيامة إذا لم يؤمنوا به، ويستعدوا له بدليل أنّهم فيه مختلفون: ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، فجاء الجواب الذي يؤكّد حقيقة ذلك اليوم العظيم: ﴿كَلَّا سِعَامُونَ \* ثَوَّكَلَّا سِعَامُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، أي: أنّهم سيعلمون حقيقة أنّه يوم صدق وحق، وأنّ سؤالهم عنه هو سؤال عن حقيقة آتية لا ريب فيها، وهو سؤال شغل الناس قديماً، ويشغلهم حديثاً، ولا يجب عليه بحقّ إلاّ الله تعالى، وكذلك ما روي عن رسول الله ﷺ عندما سأله الأعرابي عن الساعة، فقال: وماذا أعددت لها؟

(١) النبأ: آية ١.

(٢) النبأ: آية ٢.

(٣) النبأ: آية ٣.

(٤) النبأ: آية ٤-٥.

فالسؤال في معماره عندما يتوفّر على هذه الأركان وجب الجواب عليه بنفس القوّة والوضوح والدقّة، وقد بيّن لنا الوحي وعلمنا منهجية صياغة السؤال، صياغة تحمل الخير، وتعين عليه، وتبعث على الاطمئنان، وتُشيع الأمن في المجتمع، وهي درس عملي لكلّ من يريد الخير للأمة، ويتساءل عن مصالح العباد، ومقاصد الشريعة.

٢- الدعامة المنهجية: والتي تُركّز أساساً على الجانب المضموني الذي يبنى عليه الجواب الصحيح والمضبوط، والذي يستوعب أسباب ورود السؤال، ويبعده عن الخصوصية، بل ويضعه في قلب تعميم الفائدة من ذكر السؤال، يقول الإمام علي (كرم الله وجهه): العلم خزائن، ومفتاحه السؤال، فاسألوا يرحمكم الله، فإنه يؤجر به أربعة: السائل، والمعلم، والمستمع، والمحبّ لهم<sup>(١)</sup>.

#### رابعاً: مميّزات السؤال في القرآن الكريم

هناك مميزات حاكمة في نطاق دائرة السؤال، هي التي تسيّر طبيعة السؤال، والمرحلة الزمنية أيضاً لها دور في سياق السؤال وتمظهراته، ويبرز هذا الأمر بعد تتبّع السؤال في القرآن الكريم، فنجد أهمّ مميّزاته هي:

«أ- الواقعية: بمعنى أن يكون له قابلية البحث...»

ب- الملاءمة: وهي أن يكون موافقاً لطبيعة الموضوع المبحوث، فلا يجوز البحث مثلاً عن الزراعة أو الفيزياء أو غيرها من العلوم التي ترك الله تعالى مجالها للعقل الإنساني كعلامة على التكريم في القرآن...

ج- الوضوح: بمعنى أن يكون دقيقاً وموجزاً<sup>(٢)</sup>.

د- الشمول، والتنوّع، والتوجيه إلى القضايا والموضوعات الهامة.

هـ- «اهتمامه بالجانب الإيماني الذي هو أهمّ جوانب الشخصية الإنسانية».

(١) اليوبي، محمّد، فقه السؤال وتدبير الشأن الديني والتربوي: ص ٤-٥.

(٢) الورزادي، ياسين، فلسفة السؤال في القرآن الكريم: ص ٣-٤.

و- «توجيه المتعلّم إلى أحسن الطرق وأصدقها في تحصيل العلوم واكتساب المعارف».

ز- «تنوع مصادره وأسلوبه الفذ في التعامل مع السائلين على اختلاف معتقداتهم ودوافعهم وأغراضهم»<sup>(١)</sup>.

وأما إذا نظرنا إلى أثر المرحلة الزمنية في سياق السؤال، فنجد عدّة فروقات بالنظر إلى نزول القرآن في مرحلتي المكي والمدني:

- إنَّ السائل في المرحلة المكيّة في الغالب لم يكن مسلماً، بينما كان في المرحلة المدنية في الغالب من المسلمين والمؤمنين، وبذلك يعلم القرآن الكريم المسلمين احترام موقف الآخر وأسئلته الفكرية والكونية وغيرها.

- إنَّ السؤال في السور المكيّة كان كونياً وعقدياً وتاريخياً وغيبياً، بينما السؤال في السور المدنية كان تشريعياً عن الحلال والحرام وما ينفع الناس، وهو بذلك يعلم بناء الإيمان والعقائد على القناعة العقلية الواضحة، وليس على القبول والتسليم فقط.

- إنَّ السؤال في السور المدنية في الغالب كان فقهياً وتشريعياً، وهو بذلك يحترم استفسارات المؤمنين، ويؤسس للوعي التشريعي الدستوري، ولا يجعل الشريعة مجرد قانون جامد ملزم للمواطنين فقط.

- إنَّ النهي عن السؤال في الإسلام هو نهي عن السؤال غير الضروري ولا اللازم، وبالأخص في المرحلة المدنية؛ لأنه يعلم المؤمنين المنهج الصحيح للسؤال، فهو نهي عن السؤال التشريعي الذي يزيد في الحرج والتحرير على المؤمنين، وليس نهياً عن السؤال الفكري أو الفلسفي الذي يحاور في قضايا الإيمان والعقيدة»<sup>(٢)</sup>.

(١) ضليبي، أحمد بن عبد الفتاح، السؤال في القرآن الكريم وأثره في التربية والتعليم: ص ٢٨٩.

(٢) نزال، عمران، منهج معرفي وتعليمي السؤال في القرآن الكريم: ص ١٤.

## خامساً: أهمية السؤال ووظيفته

يمثل السؤال وسيلة من وسائل التعلّم، ولعلّه أهمّها، وهو مفتاح العلوم، وكان الوسيلة الأولى والمدخل الأساسي لعلاقة الإنسان بالخالق والكون، فإنّه يمثل كلّ قضاياها الأساسية من البداية والوظيفة والنهاية، «فلسؤال أهمية كبيرة في طلب العلم والتعلّم، وقد قيل في المثل: إنّما شفاء العيّ السؤال، وقيل: إنّ الفلسفة هي السؤال، وإنّ الفيلسوف يقاس بمعيار سؤاله عمقاً وشمولاً»<sup>(١)</sup>.

أحياناً يعيش الإنسان حالة قلق معرفي وروحي واجتماعي نتيجة الأوضاع التي ينتهجها في حياته وتنعكس عليه بهذه الحالات، والسؤال كمفردة مهمّة في منظومة الإنسان المعرفية له تأثير في استقراره في حالة القلق المتعدّدة المستويات، فيتكون استقرار معرفي وروحي واجتماعي نتيجة أجوبة أبرزتها تلك الأسئلة الكاشفة عن طموحات الفرد من تلك النواحي.

كما تجد السؤال كاشفاً عن وعي المجتمع ورقّيه من خلال أسئلته التي يطرحها، فإذا تواجد السؤال في المجتمع فهذا كاشف عن حركة العقل عنده، ومدى توظيفه والاستفادة منه، والعكس صحيح كذلك، أي: في حال عدم حضور السؤال يكون ذلك كاشفاً عن خمول العقل وانتهاء التفكير فيه.

إذن، السؤال والجواب صيغة «تتجاوز البنية اللغوية والتركييبية، وتمنع الاختزال اللغوي، لتظهر بقوة كبناء مفهومي ونمط سلوكي، تغرينا بهذا التماهي الفكري، لنجد أنفسنا مع صاحب مفردات ألفاظ القرآن الكريم في مقارنته لهذه الصيغة حيث يقول: السؤال استدعاء معرفة أو ما يؤدّي إلى المعرفة، واستدعاء مال أو ما يؤدّي إلى المال، فاستدعاء المعرفة جوابه على اللسان، واليد خليفة له بالكتابة أو الإشارة، واستدعاء المال جوابه على اليد، واللسان خليفة لها إمّا بوعد أو برد.

(١) المصدر السابق: ص ١.

فالمال والمعرفة هما موضوع السؤال، وهما عصب الحياة، ومصدران أساسيان لاستقرار المجتمع وأمنه وازدهاره، لكن رحلتنا مع السؤال في هذا الموضوع ستكون في طلب المعرفة، هذا السؤال الذي يشكّل في مقاربة الراغب الإصفهاني مركزية الامتلاك، والرغبة فيها، من أجل معرفة أسرار الكون، ومقاصد خلق الرحمن للإنسان، وأدائه لأمانة الاستخلاف، ونشر المعرفة والأمن، وتوفير المعيش.

كما يحيلنا قول الراغب إلى ثنائية السؤال والجواب وتلازمها لتحقيق هذه المقاصد، فالعقل الإشكالي المتسائل يعيش حالة توتر وقلق معرفي أو وجودي، تتطلّب استدعاء وسائل ومعارف ومشاعر تحوّل حالة القلق والاهتزاز الوجداني والفكري إلى سكينه وطمأنينة، وهو دور العقل الحامل لخطاب الإجابة، حيث يتسم بميل جامع نحو الاستقرار، والإحساس الغريزي بالاطمئنان والأمان والوضوح، في أحضان إجابة جامعة جاهزة تعد بالخلاص والوصول لفردوس الراحة، بعيداً عن قلق السؤال وتوتراته، فهما معاً يعكسان من خلال تحققهما على مستوى العقل الفردي والجماعي صيرورة نضج من عدمه، فالحضارات قامت على أسئلة، والوجود قام على سؤال<sup>(١)</sup>.

إذاً؛ وظيفة السؤال هي: «تحريض وتحفيز وإثارة العقل من أجل تحصيل معرفة علمية وحقيقية تبني على العقل، ولا تتقيّد بالتقاليد والأحكام المسبقة، وبما ورثه الناس عن أجدادهم دون تمحيص أو تدقيق»<sup>(٢)</sup>.

### سادساً: الأغراض البلاغية والقيم التربوية للسؤال

يبين علم البلاغة عدّة أغراض للسؤال بمعناه الاستفهامي: النفي، التعجب، التمني، التقرير، التحقير، الاستبطاء، الاستنكار، الاستهزاء، الاستبعاد، التسوية،

(١) اليوبي، محمّد، فقه السؤال وتدبير الشأن الديني والتربوي: ص ٢-٣.

(٢) الورزادي، ياسين، فلسفة السؤال في القرآن الكريم: ص ٤.

الوعيد، التهويل، التشويق، التنبيه، الأمر، العرض، النهي، التخصيص، الإثبات والافتخار، التوبيخ<sup>(١)</sup>.

أما القيم التربوية التي تضمنها السؤال، فهي: عقدية، وتشريعية، وأخلاقية، وسياسية، وعلمية، واجتماعية<sup>(٢)</sup>.

### سابعاً: أثر السؤال

هناك آثار تلقي بظلالها على سؤال المتلقي، وتعدّد حدوده، فتمتد آثاره إلى الخطيب والمستمع، وسوف نتناول هذه الآثار حسب التسلسل الآتي:

#### أ- آثاره في المتلقي

هناك عدّة آثار للسؤال في المتلقي:

- ١- ينمّي السؤال حالة الحضور الواعي للمتلقي، المتمثل بالاستعداد النفسي والعقلي لاستيعاب المادة التي سيسمعها من الخطيب.
- ٢- يكرّس السؤال خصوصية الالتفات الكامل لما يُلقى على المتلقي من الكلام، وعدم الانشغال بما يضيّع عليه التلقي الصحيح، وإتمام الفائدة المرجوة مما أُلقي عليه.
- ٣- إلقاء السؤال يؤثر في التنبيه على الملاحقة العلمية لما بعد السؤال، من تحليل للمعلومة الملقاة عليه، أو التثبت منها، خصوصاً إذا كان الجواب غير مقنع أو غير تامّ، ويحتاج إلى تنمة يحيله إليها المسؤول من قبيل مراجعة مصدر ما.
- ٤- يساعد السؤال على الحدّ من حالة التغافل والتجاوز عن المعلومات غير السليمة من حيث المحتوى والمضمون.

(١) يبتنّها على نحو الاختصار، ومن دون ذكر الشواهد، للاستزادة أنظر: شومان، علي، القيم التربوية

التي تضمنها السؤال: ص ٣٩-٤٣.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٤٨-٤٩.

## ب. أثاره في الخطيب

عرض السؤال على الخطيب له بالغ الأثر في معرفة الخطيب لجمهوره من خلال التحليل التالي، ولذلك انعكاسات وتأثيرات فيما يليه الخطيب من مادة علمية مؤثرة:

١- يكشف السؤال عن الجمهور الأساسي للخطيب، من خلال تحديد شرائح المجتمع الأكثر حضوراً؛ وبالتالي سوف يحدّد الخطيب لمن يوجّه معظم الحديث.  
٢- يكشف السؤال للخطيب عن المستوى التعليمي للحضور، وحجم معلوماتهم المرتبطة بالموضوع، ولذلك انعكاساته المهمة في اختيار نوع المعلومة المقدّمة، وطريقة الإلقاء، وأسلوب التعبير.

٣- ويكشف أيضاً معلومات الجمهور المرتبطة بالخطيب، ورأيهم فيه، وتقييمهم له، فهل يعرفونه جيداً، أو هل هم معجبون به، أو أنّ معرفتهم سطحية، أو يشكّون في قدراته؟ ولكلّ من ذلك تأثيره الملحوظ في تقييم الخطيب لمكانته بين الجمهور، وما ينبغي له من خطوات لتدارك نقاط الضعف، وتأكيد نقاط القوّة.

٤- يكشف السؤال مدى احتياج الجمهور إلى الموضوع، من خلال معرفة مبادئه، أو أنّهم لا يمتلكون فكرة عن الموضوع، أو أنّ معلوماتهم متفاوتة بالنسبة إليه، مما يتيح للخطيب اختيار الموضوع المناسب، وطريقة تناوله، وحجم المعلومات التي ينبغي أن يعرضها.

٥- يكشف السؤال أيضاً مدى تفاعل الجمهور مع الموضوع، من خلال معلوماتهم حوله، فهل هي محدّدة أم واسعة؟ وهل سيغيّر من واقعهم المعرفي والعملي؟ فينتقي الخطيب في ضوء ذلك الموضوع الذي يحظى بنسبة أكبر من التفاعل، ومساحة أوسع من التغيير.

٦- يكشف الخطيب من خلال السؤال ماذا يريد الجمهور أن يتعلّمه، هل هي معلومات معيّنة أو هم بحاجة إلى تغيير مفاهيمهم؟ فيكون تعاطيه معهم على أساس



الحاجة، بعيداً عن الترف العلمي الذي لا يعود عليهم بنتائج ملموسة.  
٧- قابلية السؤال لكشف أهمّ مشاكل الجمهور، كالتخوّف من شيء أو عدم التمكنّ منه، مما يساعد على اكتشاف طرق معالجة هذه المشاكل<sup>(١)</sup>.

### ج- آثاره في المستمع

المقصود من المستمع في هذا البحث هو الجهة الثالثة في قبال السائل (المتلقّي) والمجيب (الخطيب)، فللسؤال عند المستمع عدّة آثار:  
١- الأثر العلمي: يعود الاستماع للسؤال وجوابه على المستمع بعدّة فوائد علمية، منها:

- تعلّم صياغة السؤال بطريقة صحيحة.  
- تعلّم كيفية الإجابة بالطريقة ذاتها.  
- زيادة المعلومات العلمية عن طريق السؤال وجوابه.  
- الالتفات إلى معلومات كان غافلاً عنها حين التلقّي، فأصبح السؤال وجوابه منبّهاً إليها.

- فتح آفاق جديدة لسؤال المستمع بعد السؤال وجوابه.  
٢- الأثر العملي: إن لم يكن الإنسان متكلماً فلا بدّ أن يكون مستمعاً واعياً، ولهذا الحالة آثار تنعكس إيجاباً على السامع للسؤال وجوابه، فالالتفات إلى السؤال في نفسه يعود بالنفع إلى المستمع، وينأى به عن دائرة الذي يمتلك سمعاً ولا يستفيد منه، فيصبح كمن لا سمع له.

٣- الأثر النفسي: كلّ حاسة عند الإنسان لها نوع تلذذ خاصّ بها، وحاسة السمع تتلذذ بالكلام الحسن، وكسب المعلومات، فالمستمع للسؤال وجوابه يحصل على هذه اللذة النفسية، ولذلك انعكاسات وتأثيرات نفسية أخرى تؤدّي إلى راحة الإنسان.

(١) أنظر: السويدان، طارق، فنّ الإلقاء الرائع: ص ٣٨.



## المبحث الثاني: المتلقي .. المعنى والوظيفة

### أولاً: نظرية التلقي

بالرغم من أن نظرية التلقي نشأت مع نهاية الستينيات من القرن العشرين بألمانيا، على يد كلٍّ من الأستاذين (ياوس)<sup>(١)</sup> و(آزر)<sup>(٢)</sup> من جامعة كونستانس، إلا أن هناك «من يرجع بداية هذه النظرية لحقبة قديمة من هذا الزمن، حيث استخلص (روبرت هولب) من الوظيفة الاتصالية للبلاغة نقطة بداية لنظرية التلقي حين قال: (وكتاب فنّ الشعر لأرسطو باشماله على فكرة التطهير بوصفها مقولة أساسية من مقولات التجربة الجمالية، يمكن أن يُعدّ أقدم تصوير لنظرية تقوم فيها استجابة الجمهور المتلقي بدور أساسي)، بمعنى أن تاريخ نظرية التلقي والتأويل يعود إلى (نظرية المحاكاة) عند أرسطو، لاشتمالها على فكرة التطهير التي تقوم وتنهض على استجابة المتلقين وردود أفعالهم تجاه الأثر الأدبي»<sup>(٣)</sup>.

وقد «اكتسب مصطلح التلقي بُعده التداولي في بعض الأنظمة الثقافية، منه من تداوله بمصطلح الاستقبال، نقد استجابة القارئ، وغيرها من المصطلحات، ويعود هذا الإشكال إلى تداول هذا المصطلح من بيئة إلى أخرى... تُرجمت نظرية التلقي (Theory Reception) إلى النقد العربي ترجمت عدّة: منها ترجمة (رعد عبد الجليل جواد) حيث عنون مؤلّف روبرت هولب (Holippe Ropert) بعنوان (نظرية الاستقبال)، بينما

(١) ياوس (١٩٢١-١٩٩٧م) أستاذ متخصص في الآداب الفرنسية، ممثّل مايسمي جامعة كونستانس التي تدور أعمالها حول مفهوم تلقي العمل الفني، تأثر في دراسته بأمثال جورج غادامير، حيث تبوّأ كرسي الفلسفة الألمانية، درّس بجامعة كونستانس منذ نشأتها سنة (١٩٦٦). أنظر: [ar.wikipedia.org](http://ar.wikipedia.org).  
(٢) فولفغانغ ايزر (١٩٢٦-٢٠٠٧م) أستاذ اللغة الإنجليزية والفلسفة واللغة الألمانية، اشتغل بالتدريس في عدّة جامعات داخل ألمانيا وخارجها، منها جامعة كونستانس. أنظر: [ar.wikipedia.org](http://ar.wikipedia.org).  
(٣) يوب، محمّد، نظرية التلقي والتأويل في النقد الأدبي عند العرب: مقال منشور على موقع القدس العربي:

ترجم (عزّ الدين إسماعيل) الكتاب نفسه بمصطلح (نظرية التلقّي)، كما اختار (حسين الواد) ترجمتها إلى (جمالية التقبّل)، أمّا (نبيلة إبراهيم) فقامت بتسميتها بـ(نظرية التأثير والاتصال) كما جاء في مجلّة فصول، وبالنسبة (لمحمود عباس عبد الواحد) فعنده (قراءة النصّ وجماليات التلقّي)، ونجد إلى جانب هؤلاء (سامي إسماعيل) الذي بدوره يسمّيها في كتابه (جماليات التلقّي)، هذا يؤكّد على صعوبة الفصل بين المصطلحات الدالّة على: التلقّي، الاستقبال، التقبّل، التأثير، القراءة، وتكاد تكون تسميات متعدّدة لاسم واحد، ومصطلحات متداخلة تستقي أصولها من مصدر مشترك<sup>(١)</sup>.

أمّا عند العرب، فقد «أدرك كلُّ من الجاحظ والجرجاني والقرطاجني وابن قتيبة البُعدَ المهم والمكانة الحقيقية للمتلقّي في الظاهرة الأدبية، فالنصّ الأدبي يحتاج لكي يحقّق وجوده ويؤتي أكله إلى مُبدع قادر على توظيف إمكانات اللغة والبلاغة، ومتلقّ بارع قادر هو الآخر على فكّ شفراته وتحسّس مواطن القوّة والضعف فيه.

بهذه الرؤية للدور الذي ينبغي للمتلقّي أن يلعبه في المعادلة الأدبية تتحقّق العلاقة التكاملية بين الكاتب والمتلقّي، لتصبح عملية التواصل الأدبي مرهونة بمستوى ودرجة العلاقة بين طرفي المعادلة، وهما: (المنتج) و(المتلقّي)، (ونستحبّ له أيضاً أن ينزل ألفاظه في كتبه، فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب إليه، وألا يعطي خسيس الناس رفيع الكلام، ولا رفيع الناس وضعيع الكلام). (فإذا اتفق لك في أشعار العرب التي يحتاجُ بها تشبيه لا تتلقّاه بالقبول، أو حكاية تستغربها، فابحث عنه، ونقرّ عن معناه، فإنك لا تعدم أن تجد تحته خبيثة، إذا أثرتها عرفت فضل القوم بها، وعلمت أنّهم أدقّ طبعاً من أن يلفظوا بكلام لا معنى تحته).

وقد اشترط هؤلاء النقاد الكفاءة اللغوية، والثقافة الأدبية، والذوق الصافي في المتلقّي، أمور ينبغي أن يُنظر إليها في إطارها الزماني، كعوامل استطاعت في وقت مبكّر

(١) علي حمودين، والمسعود قاسم، إشكالات نظرية التلقّي: المصطلح، المفهوم، الإجراء، مجلّة الأثر:

من البحث النقدي أن تقنن القراءة، وتحولها إلى فعل تلقى منتج، يعمل على تحرير القارئ ليصبح مُسهِماً في إنتاج معنى النص، والوقوف على جمال التعبير فيه، والاقتراب منه بصفة موضوعية»<sup>(١)</sup>.

## ثانياً: معنى التلقي

### أ. المتلقي لغة

يقول صاحب الصحاح: «وتلقاه: أي استقبله»<sup>(٢)</sup>، وعن التهذيب: «الرجل يُلقَى الكلام: أي يُلقَّنه»<sup>(٣)</sup>، وذكر الزبيدي أن معنى: «أَلْقَى إِلَيَّ سَمْعَكَ: أي تَسَمَّع»<sup>(٤)</sup>، وأخيراً بين قاموس المعاني أن المتلقي: «هو فاعل من تَلَقَّى، مُتَلَقٌّ: مَنْ يَتَلَقَّى الشَّيْءَ، مُسْتَقْبِلٌ، مُتَعَلِّمٌ»<sup>(٥)</sup>.

### ب. المتلقي اصطلاحاً

وقد عرّف بأنه:

١- «المرسل إليه الكلام، والمستقبل له، ومستهلكه»<sup>(٦)</sup>.

(١) يوب، محمد، نظرية التلقي والتأويل في النقد الأدبي عند العرب: مقال منشور على موقع القدس العربي: alquds.co.uk

(٢) الجوهرى، إسماعيل، الصحاح: ج٦، ص ٢٤٨٤.

(٣) الزبيدي، مرتضى، تاج العروس: ج٢٠، ص ١٦٠.

(٤) المصدر السابق: ص ١٦١.

(٥) أنظر: موقع قاموس المعاني على الشبكة العنكبوتية: <https://www.almaany.com>.

وقد بينت اللغة أربعة معان لهذه المفردة، وهي: الاستقبال، والتلقين، والاستماع، والتعلم، ولكي يتضح معنى المتلقي لا بد من بيان العلاقة بين هذه المعاني الأربعة، فهل هي مترادفة أو لا؟ وإذا كانت غير مترادفة فما هي النسب بينها؟ وهل توجد ترابطة بينها بحيث تعطي مراحل تقنن عملية التلقي أو لا؟ أعتقد إذا تمت الإجابة عن هذه الأسئلة فسوف نصل إلى نتيجة تكون قادرة على بيان المفردة بشكل تام، ولكن البحث لا يتحمل أكثر من هذا البيان.

(٦) مير قادري، فضل الله، كيان، حسين، نظرية التلقي في ضوء الأدب المقارن، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية: العدد ١٨، ص ١.

٢- «المستقبل والمستمع... فهو الذي يتم الاتصال به، أي: من يتلقى الرسالة، سواء كان فرداً أو جماعةً أو مؤسسةً أو جمهوراً، ولا يمكن فصلها عن المتصل؛ ذلك أنهما طرفا عملية الإلقاء، وهو يشكّل عنصراً فعلياً؛ إذ تحكمه ردود أفعاله على الرسالة بنجاح العملية أو فشلها، وقد يفهم المتلقي مقصد المرسل، ويكون ذلك كافياً للحكم على نجاح عملية الإلقاء، لكن إن كان يتمتع بكفاية لغوية ومعرفية تؤهله إلى النقد والتحليل، حمل الرسالة دلالات معرفية جديدة قد يغفل عنها المحرر أو المذيع نفسه (المتلقي)، بمعنى أنّ المتلقي في هذه الحالة يحلّل الرموز التي يتلقاها بطريقة مختلفة تؤدي إلى توليد دلالات جديدة، أي: إنه ليس عنصراً سلبياً، بل قد يشكل الجانب الإيجابي»<sup>(١)</sup>.

٣- أمّا (ياوس)، فقد أوضح «في كتابه معنى المصطلح المشكل لتسمية نظريته الجديدة، بأنّ مفهوم التلقي هنا معنى مزدوج يشمل الاستقبال أو التملك والتبادل معاً»<sup>(٢)</sup>.

٤- «هو المستمع الأساسي الذي يتوجّه إليه الخطيب بكلامه في كلّ أنواع الخطب؛ ليقنعه بما يريد، وينقل إليه أفكاره وتصورات، فهو المقصود بالوعظ، فيريده الخطيب أن يتعظ، وهو المراد بالتحميس، فيريده أن يستبسل، وهو المعنى في إلقاء الخطب العلمية، فيريده الخطيب أن يتكلّم وتزداد معرفته، وهكذا»<sup>(٣)</sup>.

٥- يرى عبد القاهر الجرجاني التلقي: «تعاملاً مع المستر، وترويضاً للعصي الدفين؛ وذلك من أسس مفهومه للمتلقى الذي يكشف الستر، ويطلب المخبوء، مستدلاً بالإشارة والإيحاء، إنه متلقٍ فوق الوضوح أو الشروح... ووفق هذا المفهوم يصبح النصّ عند عبد القاهر (شفرة) بين المبدع والمتلقي، كلّما أوغل الأوّل في تعميّتها كان الآخر أمكن في فكّها وفهمها حين يوظّف خصيصة التلقي لديه...»<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن بري، حراق، فنّ الإلقاء في ضوء عملية التواصل: ص ١٧٠.

(٢) علي حمودين، والمسعود قاسم، إشكالات نظرية التلقي: المصطلح، المفهوم، الإجراء، مجلّة الأثر: العدد ٢٥، ص ٣٠٦.

(٣) معهد سيّد الشهداء للمنبر الحسيني، دروس في فنّ الخطابة: ص ٩١.

(٤) الماجد، ماجد بن محمّد، المتلقي عند عبد القاهر الجرجاني: ص ١٠٧.

هذه زبدة التعاريف - تقريباً - في هذا المضمار، فتجد نقاط الاشتراك واضحة رغم اختلاف الألفاظ، فالأركان عند المتلقي هي: (الاستقبال) أي: التوجه والاتفات إلى الرسالة، و(الاستهلاك) سواء أكان بإنتاج دلالات جديدة، أم بكونه فاتحاً للشفرة بينه وبين المبدع (المتكلم)، هذا باختصار، ومنهم من فصل خصوصاً في التعاريف الأخيرة.

### ثالثاً: منظومة التلقي

أسس (ياوس) لمفاهيم إجرائية ثلاثية تحتوي منظومة التلقي:

#### ١. أفق التوقع (Horizon d'attente)

أبرز محاور نظرية التلقي هو (أفق توقع) السامع في تعامله مع الملقى (الرسالة)، ويتحدد أفق توقع السامع من خلال عدة مبادئ، منها:

أ- يجب على المتكلم ألا يتجاهل المتلقي وآفاه.

ب- أفق التوقعات يساعد في فهم ردود فعل المتلقين للكلام.

ج- إن جماليات التلقي تسلم بالوظيفة الاجتماعية للكلام، وترى أن سماع الفرد يؤثر في سلوكه الاجتماعي<sup>(١)</sup>.

وهذا الأفق يحتمل ثلاثة احتمالات:

- «نص يراعي أفق انتظار المتلقي».

- نص يجيب أفق انتظار المتلقي.

- نص يغير أفق انتظار المتلقي<sup>(٢)</sup>.

(١) أنظر: يوب، محمد، نظرية التلقي والتأويل في النقد الأدبي عند العرب: مقال منشور على موقع

القدس العربي: alquds.co.uk.

(٢) مير قادري، فضل الله، كيان، حسين، نظرية التلقي في ضوء الأدب المقارن، مجلة الجمعية العلمية

الإيرانية للغة العربية: العدد ١٨، ص ١٢.

ولهذه الاحتمالات انعكاسات على السامع (المتلقّي):  
 أ- الاستجابة؛ لأنّ الكلام ينسجم مع أفقه ومعايره.  
 ب- التغييب، ويترتب عليه الاصطدام؛ لأنّ الكلام قد خيب أفق توقّع المتلقّي،  
 فيخرج عن المألوف.

ج- التغير، أي: تغيير الأفق المتوقّع<sup>(١)</sup>.

وهذا ينعكس بدوره على المتكلّم (الخطيب الحسيني محلّ البحث) إذ إنّ معرفة  
 تحديد الأفق واحتمالاته التي تنعكس على السامع لها دور كبير في صياغة الرسالة  
 الملقاة للمتلقّي، فلا بدّ أن تكون دقيقة ومراعية لهذه الشروط الكفيلة بنجاحها  
 بالصورة المرجوة.

## ٢. المسافة الجمالية (Distance Esthétique)

«هي مفهوم يتمّ مفهوم الأفق ويعضّده، وهي من أهمّ المفاهيم الإجرائية المعتمدة  
 في نظرية (ياوس) حيث يعرفها بقوله: (ذلك البعد القائم بين ظهور الأثر الأدبي نفسه  
 وبين أفق انتظاره، ويمكن الحصول على هذه المسافة من خلال استقراء ردود أفعال القراء  
 على الأثر، أي: من تلك الأحكام النقدية التي يطلقونها عليه)، وهي المسافة الفاصلة بين  
 أفق الانتظار الموجود سلفاً والعمل الأدبي الجديد، وهذا الأفق الذي تتحرّك في ضوئه  
 الانحرافات عمّا هو معهود»<sup>(٢)</sup>.

إذا؛ هذا الأساس كاشف للأساس الأوّل، ومعين ومرآة للمتكلّم لحقيقة الأفق.

## ٣. اندماج الآفاق (Fusion des horizon)

«يستعمل هذا المفهوم لتفسير ظاهرة التأويلات المختلفة التي يعرفها العمل الأدبي

(١) أنظر المصدر السابق: ص ١٤.

(٢) علي حمودين، والمسعود قاسم، إشكالات نظرية التلقي: المصطلح، المفهوم، الإجراء، مجلّة الأثر:

العدد ٢٥٥، ص ٣٠٨.

خلال سيرورة تلقيّاته المتتالية»<sup>(١)</sup>، وعليه أن يكون السامع محاوراً جيّداً للرسالة الملقاة وفق منطق (السؤال والجواب)؛ إذ ينطلق السؤال من السامع إلى الرسالة يستنتقها الإجابة، من خلال تلقيّاته المتتالية، فيصبح السؤال بهذا الشكل نقطة تجمع بين الأُفقين الماضي والحاضر، ومع ذلك فإنّ الدلالات والتأويلات تتجدّد وتتغيّر في ظلّ هذا الاندماج للآفاق<sup>(٢)</sup>.

ولذلك يؤكّد الجاحظ على العلاقة بين المتكلّم والسامع، وانعكاساتها المتبادلة، حيث يقول: «إذا لم يكن المستمع أحرص على الاستماع من القائل على القول، لم يبلغ القائل في منطقه، وكان النقصان الداخِل على قوله بقدر الخلّة بالاستماع منه»<sup>(٣)</sup>. هذا الأساس هو زبدة عملية التلقّي، فهو عملية تبادلية لها مردوداتها الإيجابية على المنبر الحسيني.

#### رابعاً: أنواع التلقّي

قسّم أصحاب الاختصاص والمتبنّين لنظرية التلقّي المتلقّي إلى: «العادي، والنقدي، والمنتج»<sup>(٤)</sup>.

وهناك تقسيمات بلحاظ متلقّي المنبر الحسيني، فتجد الشيخ الوائلي عليه السلام يقسّمه إلى:  
١- من جعل المنبر «مؤسّسة تتحرّك وفق الضوابط العلمية، وتخلو من الثغرات والمفارقات، فهو معنيّ بالصفة العلمية للمنبر، لا سيّما وهو يتوفّر على ما لا يمكن قبوله بغير علم تتّصف به موادّه من العقائد والأحكام والتاريخ والنظريّات».

٢- من «ينشد من وراء الاستماع للمنبر أن يحصل على الأجر والثواب، ويستلهم

(١) المصدر السابق: ص ٣٠٩.

(٢) أنظر: المصدر السابق.

(٣) الجاحظ، عمرو بن عثمان، البيان والتبيين: ص ٣٦٩.

(٤) مير قادي، فضل الله، كيان، حسين، نظرية التلقّي في ضوء الأدب المقارن، مجلّة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية: العدد ١٨، ص ١٦.



النظرية الصائبة، والمفردة الدينية التي تتصل بمحتواه الديني».

٣- من «يرى في المنبر وجهوره متناه الذي يجمع بين الفائدة والسلوى والتواصل والتزاور في مواسم عديدة من السنة، تجيب عنده على مطالب متنوعة»<sup>(١)</sup>.  
أما الشيخ الكرباسي صاحب دائرة المعارف الحسينية، فقد قسّم المتلقّي للمنبر الحسيني إلى:

١- عالم ربّاني... فيحضر تلك المحافل، لعله يتذكّر أو يتزكّى، وبحضوره يسجّل دعماً لتلك المجالس... ويحيي بذلك أمر أئمة الهدى عليهم السلام...

٢- رجل متعلّم: يطرق أبواب هذه التجمّعات ليكتسب معرفة، ويزداد علماً... ويزكّي نفسه، ويصلح فعله، ويسير على خطى أئمة الإسلام...

٣- امرؤ معتاد: تلقّى تلك المحافل عادة موسمية جُبل عليها، وتوارثها من سلفه، فيحافظ عليها كتراث مفروض، وعمل تقليدي، قد لا يعي العوامل، ولا يدرك النتائج.

٤- إنسان مغرور: ... يحضر رياءً، ويؤدّي ديناً فرضته الأعراف في تبادل الزيارات وأداء المراسيم، فهو إلى الجهل أقرب منه إلى المعرفة...

٥- وشخص ناقد: يشترك في مثل هذه المجالس بروح ناقدة، ونظرة ساخرة، ينتقد القائمين والحاضرين والمتكلّمين، وينتقص من عمرو، ويستهزئ بزيد، ويثير حوافز من يحاوره، ويرصد آراء من يقابله...<sup>(٢)</sup>.

والتقسيم الأخير ما قدّمه معهد المعارف الحكمية في دروسه في فنّ الخطابة، حيث قسّم المتلقّي إلى:

١- العامي: ونريد منه من لا حظّ له من العلم إلّا ما قلّ وندر، وفي الغالب

(١) الوائلي، أحمد، تجاربي مع المنبر: ص ١٣.

(٢) المبارك، حميد، الخطابة في دراسة نوعية شاملة لآية الله الكرباسي: ص ١٧١-١٧٢.



لا يكون منطقياً، ولا يقبل الأمور البرهانية المعقدة، ويحبّ الكلام السهل المبسّط، وتؤثر فيه الإثارات العاطفية والأساليب الخطابية.

٢- المتعلّم: وهو مَنْ تعلّم إلى مرحلةٍ لا تجعل منه عالماً، وهو أميل إلى البرهان من العامي، ويحبّ في بعض الأحيان الأمور البرهانية المعقدة، وتؤثر فيه كذلك الإثارات العاطفية والأساليب الخطابية.

٣- العالم: وهو مَنْ عكف على الكتب دراسةً وفهماً حتّى صار له رأي صائب وإطلاع واسع، وهو يحبّ الأدلّة المحكمة المفيدة للقطع واليقين، ولا يقبل الأقيسة الظنية والمغالطات، ولا يقبل أخذ النتائج من المشهورات، ويحبّ الإيجاز وحسن الأداء، ولا يحبّ الحشو الزائد<sup>(١)</sup>.

من خلال هذه التقسيمات نجد أنّ الأخير هو الأكثر واقعية، وعلى المتلقّي أن يعي موقعه، وكيف يترقّى به من مرحلة أدنى إلى أرفع، تحقّق طموحاته العلمية والعملية.

### خامساً: وظيفة المتلقّي

توجد وظائف للمتلقّي يفعلها تواجهه في العملية التعليمية الدينية من خلال المنبر الحسيني، فوعي المتلقّي بهذه الوظائف سوف يعكس آثاراً إيجابية عليه وعلى المنبر الحسيني بمفردتيه: (الخطيب/ الإدارة)، وسنذكر هذه الآثار بعد بيان الوظائف:

١- الإبداع: يُعدّ وجود المتلقّي أساسياً في عملية إبداع المتكلّم؛ لأنّ المتكلّم لا يُبدع من أجل نفسه، وإنّما يُبدع من أجل متلقّي يعي هذا الإبداع ويفهمه ويتواصل معه، فلولا وجود المتلقّي لما وُجد أيّ إبداع، وهذا الوجود وحده يمثل دوراً فاعلاً في عملية الإبداع<sup>(٢)</sup>.

٢- تحديد الموضوعات: نشأ فنّ الخطابة في جميع المجتمعات من خلال العلاقات

(١) أنظر: معهد سيّد الشهداء، دروس في فنّ الخطابة: ص ٩١-٩٤.

(٢) أنظر: محمّد حسن، محمّد ناجح، الإبداع والتلقّي في الشعر الجاهلي: ص ١٨٧.

القائمة بين الخطيب وأبناء مجتمعه، الذين استمدّ تجاربه من علاقته معهم، وقد فرضت هذه العلاقة على الخطيب أن ينظّم ما يناسب أُفق توقُّع هذا المتلقّي، ليس من ناحية النمط والأسلوب فحسب، بل من ناحية الموضوعات التي يتضمَّنها الخطاب<sup>(١)</sup>.

إذاً؛ هذه الثنائية الوظيفية: (الإبداع/ تحديد الموضوع) لها تأثير ينعكس على الثلاثية التي تحكم المنبر الحسيني: (الخطيب/ الإدارة/ المتلقّي).

١- الخطيب: لا شكّ في أنّ الخطيب يسعى إلى الإبداع من أجل المتلقّي، ولكن تحديد نسبة هذا الإبداع والمعيّن لدرجته تتوقّف على كشف وعي المتلقّي وارتباطه بالموضوع، وهناك عدّة روافد لهذا الكشف، منها:

أ - السؤال من قبل المتلقّي، الذي يفتح مجموعة شفرات للمتكلّم، منها: سعة معلومات المتلقّي، قيمتها، مدى توظيفها من خلال صياغة السؤال وبيانه، وتحديد أفق السامع من خلال الاحتمالات التي مرّ ذكرها، والتي هي: الاستجابة، التغييب، التغيير. هذه انعكاسات إيجابية لها تأثير كبير على عملية تطوّر المنبر الحسيني في حال الالتفات إليها والعمل على توظيفها.

ب - علاقة الخطيب بالمتلقّي، التي تكشف مديات الإبداع ودرجاته، وقيمة الموضوعات المطروحة، وفي ضوئها تحدّد الموضوعات ذات الفائدة المرجوة من قبل المتكلّم.

٢- الإدارة: تسعى إدارة المنبر الحسيني الواعية دائماً إلى إيجاد منبر واعي ومحرك للمجتمع، وهذا حتماً سوف يعكس حسن إدارتها وتأديتها وظيفتها بالشكل المناسب للمهمّة الملقاة على عاتقها.

(١) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٣٢.

وإن لها دوراً كبيراً ينعكس على الخطيب بصورة أكثر وضوحاً؛ وذلك أتمها الأقرب إليه من المتلقي بحكم طبيعة عملها ودورها في عملية المنبر الحسيني، من حيث السؤال عن الخطيب، ومستوى علمه وأدائه، وقابليته للتأثير في المجتمع، ومقبوليته في الأوساط المسؤولة، لرفد المنبر الحسيني بالشخصيات المناسبة من جميع هذه الحثيات، فالإدارة هي الجهة الأكثر تواصلاً مع الخطيب، بالإضافة إلى معرفتها بالواقع الذي يعيشه المتلقي، وتزويد الخطيب به.

فهذان الأمران سوف يكون لهما دور فعال في إبداع الخطيب ومتابعة درجات الإبداع؛ حيث تكون الإدارة مقياساً لمدى الإبداع، وتحديد الموضوعات الفعالة، لتغطية حاجات المجتمع الفكرية والتعبوية.

٣- المتلقي: بالرغم من أن نفس وجود المتلقي سوف يحقق وظيفتي الإبداع وتحديد الموضوعات، فإن وعيه بتأثيرات مشاركته في هذه العملية التعليمية الدينية - سواء بمستوى الحضور فقط، أم بمستوى وعيه الأرقى من المستوى الأول، وهو المرجو من هذا البحث، أي: إدراكه ومعرفته بتأثيره في إبداع المتكلم وتحديد الموضوعات، خصوصاً من خلال السؤال - سوف يرقى بالمنبر الحسيني، ويجعله مؤسسة علمية، ترفد المجتمع معرفياً وتعبوياً وإرشادياً، فإن الوعي بأهمية هذه المساحات الثلاثة مهم جداً في تطوير المنبر الحسيني؛ لأنه لا يخلو أي حديث منبري من إحداها، ولا ينتظر المتلقي سواها، ولا تتأمل إدارة غيرها.

## نتائج البحث

١- توصلنا إلى أن معنى السؤال هو الاستعلام من خلال اللغة والاستعمال القرآني، وبيّنا أن هناك دعامتين منهجيتين للسؤال القرآني:  
الأولى: البنيوية التي تمثل أركان السؤال، من: سائل، ومسؤول، ومسؤول

عنه (موضوع السؤال)؛ لكي نصل إلى سؤال نفعي، ويأتي الجواب بنفس القوة من الوضوح والدقة.

الثانية: المنهجية التي تؤكد على الجانب المضموني المتمثل في توسيع دائرة السؤال من خلال تعميم فائدته، لتعبر السائل، وتصل إلى المستمع، والمحبّ لهم.

٢- بيّن أنّ السؤال القرآني يمتاز بخصائص تقننه وتؤطره، وهي: الواقعية، والملاءمة، والوضوح، والشمول، والتنوع، والتوجيه إلى القضايا والموضوعات الهامة، والاهتمام بالجانب الإيماني الذي هو أهمّ جوانب الشخصية الإنسانية، وتوجيه المتعلّم إلى أحسن الطرق وأصدقها في تحصيل العلوم واكتساب المعارف، وتنوّع مصادره، وأسلوبه الفذّ في التعامل مع السائلين على اختلاف معتقداتهم ودوافعهم وأغراضهم، وأكدنا أنّ الزمان له دور في طبيعة السؤال وسياقاته، وكان ذلك واضحاً من خلال التفريق بين السؤال المكّي والمدني.

٣- وضّحنا أهمية السؤال ووظيفته، وأنّ ماله آمن بكلّ أشكاله المختلفة، وأنّه يؤدّي إلى تسليم راية الحياة للعقل لا للتقليد والوراثة من دون تدقيق.

٤- بحثنا عن الأغراض البلاغية المتعدّدة، وما تعكسه من قيم تربوية تعدّدت بالتعدّد السابق، ولها أثر بالغ في الفرد والمجتمع.

٥- أمّا في بحث (الأثر)، فقد توصلنا إلى أربعة عشر أثراً، توزّعت على الثلاثية المفروضة في هذا البحث، وهي: المتلقّي، والخطيب، والمستمع.

أمّا المتلقّي، فقد أحاطت به رباعية من الآثار، ترقى به في حال الالتفات إليها إلى مستوى راقٍ يجعله بقدر المسؤولية الملقاة على عاتقه في هذه المؤسسة (مؤسسة المنبر الحسيني).

وأمّا الخطيب، فكان صاحب الحصّة الأكبر من الآثار، فوصلت به إلى سبعة آثار، لها الصدى الكبير في ترقّي مهمّته في مؤسسة المنبر الحسيني.

وأما المستمع، فقد وصلت إلى ثلاثة آثار ترقى بمستواه العلمي والعملية والنفسية.

٦- توصلنا إلى أن معنى المتلقي اصطلاحاً يتضمّن ركنين، هما: (الاستقبال)، أي: التوجّه والالتفات إلى الرسالة، و(الاستهلاك) سواء أكان بإنتاج دلالات جديدة، أم بكونه فاتحاً للشفرة بينه وبين المبدع (المتكلم).

٧- ذكرنا أن نظرية التلقي تاريخياً نشأت مع نهاية الستينيات من القرن العشرين بألمانيا، على يد كل من الأستاذين (ياوس) و(آزر) من جامعة كونستانس، إلا أن هناك من أرجعها إلى أرسطو. وأما العرب فقد كان لهم دور أيضاً، أمثال: الجاحظ، والجرجاني، والقرطاجني، وابن قتيبة، حيث قسّموا المتلقي إلى: مُبدع قادر على توظيف إمكانات اللغة والبلاغة، ومتلقّ بارع قادر هو الآخر على فكّ شفراته، وتحسّس مواطن القوّة والضعف فيه.

٨- هناك منظومة تحكم التلقي بأركان ثلاثة:

أ- أفق التوقع: الذي له مبادئ واحتمالات وانعكاسات على المتلقي.

ب - المسافة الجمالية: وهي كاشفة للأساس الأوّل، ومعينة للمتكمّم ومرآة لحقيقة الأفق.

ج- اندماج الآفاق: وهو زبدة عملية التلقي، بصفته عملية تبادلية لها مردوداتها الإيجابية على المنبر الحسيني.

٩- ذكرنا أربعة أنواع للمتلقي، ورجّحنا الأخير لواقعيته، وعلى المتلقي أن يعي موقعه، وكيف يترقى به من مرحلة أدنى إلى أرفع، تُحقّق طموحاته العلمية والعملية.

١٠- أثبتنا وظيفتين للمتلقي، هما: الإبداع، وتحديد الموضوعات، وبيننا انعكاسهما على الثلاثية التي تحكم المنبر الحسيني (الخطيب، المتلقي، الإدارة).

## المصادر والمراجع

\* القرآن الكريم.

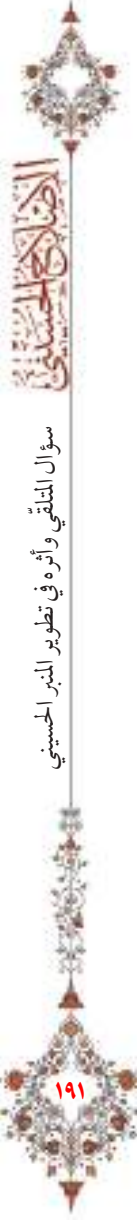
### الكتب

- ١- بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، تحقيق: يحيى العابدي الزنجاني، عبد الرحيم الرباني الشيرازي، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ٢- البيان والتبيين، عمرو بن عثمان الجاحظ، المكتبة التجارية الكبرى لصاحبها مصطفى محمد، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٤٥ / ١٩٢٦م.
- ٣- تاج العروس، مرتضى الزبيدي، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.
- ٤- تجاربي مع المنبر، أحمد الوائلي، الشريف الرضي، قم، ١٣٧٨هـ. ش.
- ٥- التحقيق في كلمات القرآن، حسن المصطفوي، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلام، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٦- الخطابة في دراسة نوعية شاملة لآية الله الكرابسي، حميد المبارك، بيت العلم للنابهين، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
- ٧- دروس في فن الخطابة، إعداد: معهد سيّد الشهداء عليه السلام للمنبر الحسيني، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، الطبعة الرابعة، ٢٠١٠م.
- ٨- السؤال في القرآن الكريم وأثره في التربية والتعليم. أحمد بن عبد الفتاح ضليمي، موقع المكتبة الشاملة في الشبكة العنكبوتية: <http://shamela.ws/browse.php/book-10396>
- ٩- الصحاح، إسماعيل الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م.
- ١٠- عاشوراء الحسين في سبع سنوات، إعداد وتحرير: محمد حميد السلطان، إصدار: المجلس الإسلامي العلمائي، مركز الإمام الحسين عليه السلام للدراسات والبحوث، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م.

- ١١- العين، أحمد بن خليل الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي / إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، إيران - قم، الطبعة الثانية، ١٤٠٩ هـ.
- ١٢- فنّ الإلقاء الرائع، طارق السويدان، شركة الإبداع الفكري، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٤ م.
- ١٣- الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الخامسة، ١٣٦٣ هـ.ش.
- ١٤- لسان العرب، محمد بن مكرم، المعروف بابن منظور الأفرقي، نشر أدب الحوزة، محرم ١٤٠٥ هـ.
- ١٥- المحاسن، أحمد بن محمد البرقي، تحقيق وتصحيح وتعليق: جلال الدين الحسيني (المحدث)، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٠ هـ.ق / ١٣٣٠ هـ.ش.
- ١٦- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ابن فارس)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤ هـ.
- ١٧- المفردات، الحسين بن محمد الراغب الإصفهاني، دفتر نشر الكتاب، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ.
- ١٨- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، تحقيق: دار الحديث، الطبعة الأولى.
- ١٩- نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، تحقيق: صبحي صالح، الطبعة الأولى، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م.

## الرسائل والأطاريح

- ٢٠- الإبداع والتلقي في الشعر الجاهلي، محمد ناجح محمد حسن، رسالة ماجستير من جامعة النجاح الوطنية - كلية الدراسات العليا - فلسطين: al-eman.com
- ٢١- فنّ الإلقاء في ضوء عملية التواصل، ابن بريك حراق، رسالة ماجستير صادرة من كلية الآداب الجزائرية - قسم اللغة العربية وآدابها، ٢٠١١ / ٢٠١٢ م.
- ٢٢- القيم التربوية التي تضمنها السؤال، علي شومان، رسالة ماجستير صادرة من جامعة اليرموك الأردنية، كلية الشريعة الإسلامية، قسم أصول الدين، ١٩٩٢ / ١٩٩٣ م.



## المقالات والدراسات

- ٢٣- إشكالات نظرية التلقي: المصطلح، المفهوم، الإجراء، علي حمودين، المسعود قاسم،  
مجلة الأثر، العدد ٢٥، سنة ٢٠١٦م، [www.asjp.cerist.dz](http://www.asjp.cerist.dz).
- ٢٤- منهج معرفي وتعليمي: السؤال في القرآن الكريم، عمران نزال، مجلة المعرفة  
الإلكترونية: [almarefh.net](http://almarefh.net).
- ٢٥- فقه السؤال وتدبير الشأن الديني والتربوي، محمد اليوبي، عضو  
المجلس العلمي المحلي لإقليم مولاي يعقوب، موقع مؤمنون بلا حدود:  
[ww.mominoun.com](http://ww.mominoun.com).
- ٢٦- فلسفة السؤال في القرآن الكريم، ياسين الوردادي، موقع مؤمنون بلا حدود:  
[www.mominoun.com](http://www.mominoun.com).
- ٢٧- المتلقي عند عبد القاهر الجرجاني، ماجد بن محمد الماجد، مجلة مجمع اللغة العربية  
الأردني، العدد ٦٨، الشبكة العنكبوتية: [www.majma.org.jo](http://www.majma.org.jo).
- ٢٨- نظرية التلقي في ضوء الأدب المقارن، سيد فضل الله مير قادري، وحسين كياني، مجلة  
الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية، العدد ١٨.
- ٢٩- نظرية التلقي والتأويل في النقد الأدبي عند العرب، محمد يوب، موقع القدس العربي:  
[alquds.co.uk](http://alquds.co.uk).

## المواقع الإلكترونية

- ٣٠- موقع قاموس المعاني على الشبكة العنكبوتية: [www.almaany.com](http://www.almaany.com).
- ٣١- موقع ويكيبيديا على الشبكة العنكبوتية: [ar.wikipedia.org](http://ar.wikipedia.org).



# الخطيب الحسيني

## محاولة استكشافية في المنطلقات والخصائص

أ. م. د. خالد حوير الشمس\*

### المقدمة

اللغة هي العامل الأساسي في التغيير إذا ابتغاه الإنسان، ولا يتم ذلك التغيير بمجرد وجودها، بل تنضم إليها طريقة التفكير، وضرورة الإيمان بمعتقدات خاصة على وفق المحرك الذي يؤدي إلى التغيير، ثم برجة تلك المعطيات بطريقة أدائية يستهويها المتلقي أو الجمهور، وقد تكون هذه مواصفات الخطابة أو الخطبة؛ ويُستحصل من هذا الكلام أنّ الخطابة عامل جوهري في بناء المقصد الذي يؤكده الفكر، وهذا ما وجد وتوافر على الفكر الإسلامي تحديداً، فلقد لجأ الرسول ﷺ إليها في مناسبات كثر، وسجلت لنا كتب السيرة النبوية خطباً متعددة، وفي مجالات شتى. ورث الإمام الحسين عليه السلام ذلك المنهج، وبمراجعة بسيطة لخطبه<sup>(١)</sup>، سنجدها شكّلت حضوراً كبيراً في ذلك الكم المتنوع من النثر، ولما خطّ سيدنا وإمامنا معالم التغيير، سلك الناس طريقته، ولجأوا إلى الخطابة أيضاً، وبرز لدى الطائفة الإمامية خطباء مشهورون أكثر من أن يُحصوا، فصارت الخطابة الحسينية فناً له قوانينه، وله خصوصيته، ومحدّداته، بل صارت الخطابة مدارس ومناهج، حتى راج واشتهر لدى العامة والخاصة تنوعها إلى قديمة وحديثة، تعتمد القديمة على الرواية، والبكاء،

\* جامعة ذي قار/ كلية الآداب.

(١) أنظر: القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين دراسة وتحليل.

ومعالجة التكوين الاجتماعي انطلاقاً من الثورة الحسينية، وتمتاز الحديثة بالموسوعية والتفسير، في ضوء المنطلق الاجتماعي والسياسي، أو بتعبير آخر: المدّ المعرفي، ورائدها الشيخ أحمد الوائلي رحمته الله.

لا أبتغي رسم صورة جديدة للخطيب الحسيني في هذا البحث، ولا أرغب بتكرار الكلام عنه، فقد كتب عنه كثيرون من أبناء طائفتنا الرشيدة، بل سأحاول أن أرصد أهمّ السبل التي ينبغي على الخطيب الحسيني أن ينطلق منها، أو أن يراعيها، أو يتجنبها، وأتمنى أن لا يفهم العامة أو الخاصة أنّي ضدّ المنبر الحسيني، إلا أنّ الموضوعية والجرأة في البحث منهجان أحبّهما.

وهنا لا بدّ من ذكر مسألة مهمّة يقوم عليها البحث، ألا وهي تنميط أو تقسيم الخطباء الحسينيين إلى قسمين:

**القسم الأول:** المستوى العالي الثقافة، والأداء، وهنا خطباء مشهورون يمثلون هذا النمط، كالشيخ الخطيب محمّد علي اليعقوبي رحمته الله، والشيخ أحمد الوائلي رحمته الله، وغيرهما من الأحياء.

**القسم الثاني:** المستوى القليل الثقافة، والمتدني الأداء، الذين يعتلون المنابر في المآتم، ومجالس العامة، وقد يكونون قليلي القراءة والمطالعة أحياناً، مما قد يساهم في إضاعة القصد، وتنفير بعض الناس من المنبر.

لذا؛ أتقرّب إلى الله، وأسجّل بعض النقاط التي لا أزعم صوابها، فقد تكون من الصواب أو من الوهم، فللمتلقي أن يقبلها، وله أن يرفضها.

### المحور الأول: الخطيب رصد في المتعلقات

يُعدّ الكلام في هذا المحور تمهيداً يبيّن معنى الخطابة بصورة عامّة، ومن ثمّ بيان الخطابة الحسينية منها بصورة خاصّة بوصفها جنساً خطابياً مستقلاً بحسب ما يتبنّى البحث، وسأتلك الخطابة، وما يتعلّق بالخطيب من جهة الوظيفة، والصفات وغيرها.

كُلُّ مَنْ درس الخطابة، وأراد معرفة مفهومها، لا أحسب أنه تجاوز أرسطو، وتعريفه لها؛ لأنه تعريف يتسم بالشمولية، والتحديد، قائم على التشخيص الدقيق، والخبرة الكبيرة، ويكفيه أنه سمى كتابه بها (الخطابة)، وأطلق عليها (الريطوريقا)، وقال في تعريفها: «قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة»<sup>(١)</sup>.

بالنظر في التعريف نجده متّسماً بالكلية، والشمول لكل أنواع الخطابة، ومُبرزاً لأهم استراتيجيتها لها، ألا وهي الإقناع، التي تمسك بها المناطق في دراستهم لحدودها، وأركانها، وبيان جدوى صناعتها، فقد عرفها الشيخ المظفر<sup>رحمته</sup>، وبين معناها مضيفاً على تعريف أرسطو: «صناعة علمية بسببها يمكن إقناع الجمهور في الأمر الذي يتوقع حصول التصديق به قدر الإمكان»<sup>(٢)</sup>.

والخطابة قديمة قدم الإنسان، فقد عُثر في كتابات الآشوريين، وآثار المصريين الهيروغليفية على خطب جاءت على ألسنة أئمتهم وملوكهم. ولدى اليونان اهتمام بها؛ بسبب منازعاتهم السياسية، وخصوماتهم، وتفشي الحروب بينهم، وقد اعتمدت تلك الحروب اليونانية على آلة الخطابة في إدراك المواقف وإحرازها<sup>(٣)</sup>، ولهم خطباء مشهورون، منهم: (سولون) الأثيني. والشأن نفسه في العصر الجاهلي؛ إذ أفرزت طبيعة الحياة الجاهلية - من كثرة الغارات المدافعة عن النفس - خطباً جاهلية، وخطباء فصحاء، منهم كعب بن لؤي، وقيس بن خارجة بن سنان<sup>(٤)</sup>.

(١) طاليس، أرسطو، الخطابة: ص ٩.

(٢) يرى المناطق أن الصناعة معناها الملكة النفسانية التي يقتدر بها على استعمال أمور لغرض معين. أنظر: المقدسي، محمد باقر، فن الخطابة الحسينية: ص ١١.

(٣) المظفر، محمد رضا، المنطق: ص ٣٥٧.

(٤) أنظر: شلبي، عبد الجليل عبده، الخطابة وإعداد الخطيب: ص ١٤٣.

(٥) أنظر: محفوظ، علي، فن الخطاب وإعداد الخطيب: ص ٢٠ - ٢١.

ثم برزت الخطابة الإسلامية وتنامت بتنامي الإسلام، وبحسب الحاجة إليها واسترسالها، وتنوّعت بتنوّع العصور التي مرّت بها، وتنوّعت سماتها، وهويّتها في تلك العصور، فصدّر الإسلام له طبعٌ انبثق من القرآن الكريم والحديث النبوي، «اتخذها النبي ﷺ وأصحابه ومَن جاء بعدهم سلاحاً ماضياً في الدعوة إلى الدين الإسلامي وتوطيد أركانه، وتناولت أيضاً الدفاع عنه، ودحض آراء المعادين، والدعوة إلى التوحيد، ورسم السياسة لأمراء الجيش والولاية...»<sup>(١)</sup>.

للعصر الأموي طبعٌ آخر مُورس على الأنواع التي شاعت في صدر الإسلام مع ابتكار أنواع جديدة أوجدتها التطوّرات الفكرية، والتوجّهات السياسية، والمسالك الاجتماعية، والفرق الدينية<sup>(٢)</sup>.

وكذلك العصر العباسي الأوّل الذي غلبت فيه الخطابة السياسية على غيرها؛ بسبب اتخاذ العباسيين لها أداةً في بيان أحقيّتهم في الحكم، وفي الجهة المقابلة نشطت الخطابة الدينية على أيدي الخلفاء والوعاظ والنسّاك<sup>(٣)</sup>.

ولم تغب الخطابة في العصر العباسي الثاني، ومن أهمّ أنواعها التي ازدهرت فيه: الخطابة الدينية التي نشطت في المساجد للوعظ والإرشاد، مستمّدة وعظها من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، مع تراجع الخطابة السياسية وضعفها<sup>(٤)</sup>.

وإذا انتقلنا بالحديث من تاريخ الخطابة إلى أقسامها، نجدها عند أرسطو ثلاثة أنواع:

النوع الأوّل: المشاجرية في القضاء والخصومة.

(١) السعيد، خالد إسماعيل، الخطابة السياسية من عصر صدر الإسلام حتّى نهاية العصر العباسي الأوّل دراسة لغوية تداولية: ص ٢٣، (أطروحة دكتوراه).

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٣.

(٣) أنظر: ضيف، شوقي، العصر العباسي الأوّل: ص ٤٤٨ - ٤٥٢.

(٤) أنظر: المصدر السابق: ص ٥٢٦ - ٥٢٧.

النوع الثاني: المشاورية في التجمعات الشعبية.

النوع الثالث: الاحتفالية في المحافل العامّة<sup>(١)</sup>.

ولو أردنا تقسيمها في مرحلة ما بعد أرسطو في مختلف الأزمان، فستكون على وفق الآتي:

فكانت عند أبي هلال العسكري على نوعين، هما: الدينية والسياسية، فقال: «ومما يُعرف أيضاً من الخطابة والكتابة أنّهما مختصّان بأمر الدين والسلطان، وعليهما مدار الدار»<sup>(٢)</sup>.

وعند غير أبي هلال، لا سيّما في العصر الحديث، قُسمت على الأنواع الآتية:

- ١- الخطابة السياسية التي تُلقى في المحافل السياسية.
- ٢- الخطابة الدينية، وتدخل فيها خطبة الجمعة والعيدين.
- ٣- الخطابة العلمية ذات الصبغة العلمية والخالية من فنّ المجاز والحماسة<sup>(٣)</sup>.
- ٤- الخطابة العسكرية التي تُلقى في سوح الحرب والوعى، أو ذات الطابع العسكري.

٥- الخطابة القضائية التي يُلقها رجال القضاة والمحاماة.

ومنهم من أوجد تقسيمات أخرى لها، تلتقي مع هذه الأقسام التي ذُكرت، فقد قسّمها الدكتور عبد الجليل شلبي إلى<sup>(٤)</sup>:

١- الخطابة السياسية.

٢- الخطابة القضائية.

٣- خطب التكريم.

(١) أنظر: طاليس، أرسطو، الخطابة: ص ٢٩.

(٢) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، كتاب الصناعتين: ص ١٢٥.

(٣) أنظر: محفوظ، علي، فنّ الخطابة وإعداد الخطيب: ص ٧٠.

(٤) أنظر: شلبي، عبد الجليل عبده، الخطابة وإعداد الخطيب: ص ٨٠.

#### ٤- الخطابة الدينية.

٥- الخطابة الاجتماعية، وهي التي تُلقى في الموضوعات التي تهتم المجتمع.  
٦- ويُضاف إلى تلك الأقسام الخطابة الحسينية؛ كونها نوعاً مستقلاً يُضاف إلى تلك الأنواع؛ لأنّها ممزجة بين تلك الأنواع السابقة، وتحوي كلّ متعلّقات المجتمع، ومن ثمّ أصبحت أمراً مهماً جديراً بالفحص والملاحظة والاهتمام، وصناعة الخطباء فيها ضرورة يتوقّف عليها بناء الإنسان، وبناء البلاد، في عصر يصعب فيه بناء الإنسان والبلاد بسبب تفشيّ الفسّادات، وترقّب العدو، وإكثاره الخطّ من شأن الإسلام. ولا أريد أن أسهب في مدى أهمّيتها لوضوح الأمر في ذلك، ويكفي أنّ الجاحظ قد أعطى مساحة واسعة للخطابة في كتابه البيان والتبيين، وأورد فيها خطاباً للرسول ﷺ، وللإمام عليّ عليه السلام، ولمن يؤمن بهم من الخطباء؛ والسبب في ذلك لأنّها تُثقف الأمة وتوعّيها وترشدها، وتعالج الأمور العقديّة، والتربويّة، والفكريّة، والاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية<sup>(١)</sup>.

في ضوء هذا التنميط ينقدح هذا السؤال: ما الخطابة الحسينية؟ وما مميّزاتها؟  
ومنّ القائم بها؟

قيل في تعريفها: «الخطبة التي يُلقيها الخطيب الحسيني في المجلس الحسيني، وتمتاز بمواصفات خاصّة بها، منها ذكر الإمام الحسين عليه السلام، أو أهل بيته عليه السلام وأنصاره، والإشادة بمواقفهم، ثمّ التخلّص بذكر مآساتهم ومصائبهم»<sup>(٢)</sup>.

وعند التعقيب على التعريف نجد أنّها تتحدّد بمحدّدات لا تتجاوز بوتقة الذكر الحسيني، وتعداد مآثر الإمام الحسين عليه السلام، وبيان مظلوميّته، وإن كان تعريفاً إجمالياً لها بناءً على تعاطيها بين المتلقّي والمتكلّم، وبناءً على أنّه كلّما ذُكر الحسين عليه السلام يُذكر معه

(١) أنظر: الروازق، صادق جعفر، أمير المنابر: ص ١٥١.

(٢) محفوظ، علي، فنّ الخطابة الحسينية: ص ١٢٧.

القرآن، والإسلام، والهداية، والرشد، والوعظ، إلا أنّ مفهومها في الآونة الأخيرة أصبح ذا اتّساع، وإضافة على ما سبق، تمازجت معها المفاهيم المتعدّدة، وأصبحت ذات مدخلات جديدة، وخليط من مرجعيات كثر، حتّى تاهّلت لأن تكون نوعاً خطائياً مستقلاً عمّا كان يُتعارف عليها من أنّها وعظية وإرشادية.

وهذا النوع الحسيني من الخطابة له مجاله الذي يشغل عليه، تجاوز قضية الإمام الحسين عليه السلام بصورتها المجرّدة إلى مستوى ربطها بمفاصل الحياة كافّة، وتجاوزت بوتقة الزمان العاشورائي الذي اقتصرت عليه فيما مضى؛ إذ ربّما كانت تُلقى في أيام عاشوراء فحسب، وما يميّزها أنّها نوعٌ مستقل من أنواع الخطابة ومقاصدها التي تتوخّاها، فتعدّدت بين كسب الثواب للمتلقّي، أو الإصلاح السياسي، أو الخوض الاجتماعي القائم على تحلّص المجتمع من الأمور الفتاكة التي تُحيط به، لا سيّما الأمراض التي شوّهت صورة المسلم والإسلام.

كما تناولت الخطابة الحسينية مجالات متعدّدة: كالمجال الفقهي، والأخلاقي، والعقدي، وغير ذلك شريطة ربطها بالقضية الحسينية. والمنهج الذي تنطلق به هو القرآن، والسنة، وطرائق الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وثورة الإمام الحسين عليه السلام.

ولهذا النوع ميّزات<sup>(١)</sup>، منها: الابتداء بنصّ قرآني أو نبوي أو غير ذلك، والتعريح على العلوم المتنوعة نحو: الفقه، والحديث، والتفسير، والتاريخ، والأدب، والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيان موقف أهل البيت عليهم السلام من الدين الحنيف، والارتكاز على علومهم، ومعاصرة الأحداث ونقدها، من قبيل: مواجهة المدّ الشيوعي لما غزا المدن الإسلامية، والقاعدة لما تعالت صيحات من نادى بها من أصحاب العقائد المنحرفة، ودعم وتأييد الحشد الشعبي في وقتنا الحالي.

(١) أنظر: محفوظ، علي، فنّ الخطابة الحسينية: ص ٢٣-٣١.

والمائز الأهمّ هنا هو المزج بين الفكر والعاطفة، حتّى أخذ ينظر مُنظّر والخطابة إلى اعتماد العبرة - إضافة إلى العبرة - مرتكزاً أساسياً في المجلس الحسيني. وفي فرضية السؤال الذي طرحته في الشق الثالث ستعلم عن القائم بالخطبة الحسينية، فهو ما يُسمّى بـ(الخطيب) الذي ينبغي أن يكون موسوعياً، مؤهلاً أكبر تأهيل؛ ليؤدّي رسالته على أتم وجه. وظيفته بناء الذات الإنسانية، والحفاظ على هويّة التشيع، وتوعية الناس، وهدايتهم، وإرشادهم، وتنظيم حياتهم، والأهم من ذلك كلّ نقد السلطة؛ تأسياً بمنهج الحسين عليه السلام.

### المحور الثاني: منطلقات الخطيب

لفظة منطلق تدلّ على المصدر من الفعل (انطلق) بمعنى الذهاب<sup>(١)</sup>، أي: المساحات التي ينطلق منها الخطيب في إلقاء خطبته. وتعبير آخر: يقصد بها المسارات التي تؤسس للخطبة الحسينية، فالفرق جلي؛ إذ تدلّ على المناهل الفكرية التي ينهل منها الخطيب رؤاه وأفكاره، وقد تكون المرجعية الأكبر لدى الخطباء الحسينيين هي الفكر الإمامي القائم على النصّ والاجتهاد، وله في مزاولته هذه المرجعية العودة إلى المراجع في إعداد خطبته، فتكون: القرآن، والحديث النبوي، والشعر، والكتب بأنواعها القديمة والحديثة، وعلوم أهل البيت عليهم السلام، ووسائل الأنترنت في عصرنا الحديث.

ومن أوّل المنطلقات هداية الناس وإرشادهم عبر الحثّ على الصبر، والزهد، والصلاة، والصوم، والخمس، والزكاة، وغير ذلك، عن طريق إيراد الآيات القرآنية، والروايات الدالة، وسير أهل البيت عليهم السلام، وشرح العقائد، وبيان الأحكام الفقهية للمتلقّي، وضرورة التنبيه بالحساب والعقاب، أي: استعمال الترغيب والترهيب. ولم يكن بمقدور المنبر الحسيني بناء الإنسان بناءً كاملاً ما لم يوجد دوالٌّ أُخر

(١) أنظر: ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب: ج ٩، ص ١٣٨.



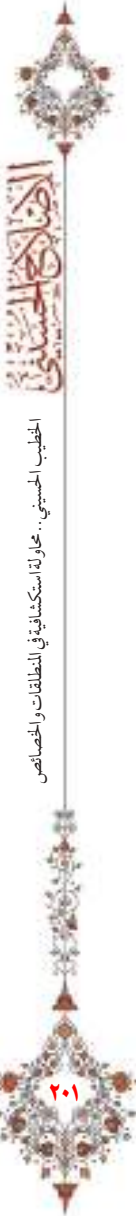
له، والسبب في ذلك تردّي الواقع الاجتماعي، وانتشار الفساد في الحقبة الأخيرة في الباحة الإسلامية لا سيّما في عصر العولمة، والحداثة، والتقنيات، فسيكون هنالك منطلق آخر للخطيب يُبنى على معالجة الانحطاط في المجتمع عن طريق التذكير بالله وبالآخرة، ويمدّى خطورة هذا الانحطاط على الإسلام، وعلى المذهب الشيعي، وتحقيق إرادات العدو المترقّب لهذه الطائفة.

ومن أهمّ تلك المنطلقات بيان فلسفة الثورة الحسينية، ومعرفة الأهداف التي جاهد من أجلها الإمام الحسين عليه السلام، وكيفية الإفادة منها، وتوظيفها في دواخلنا، وآليته التي اتخذها لمحاربة الظلم والفساد، وهنا تتقدّم قضية أساسية ومهمّة هي الحفاظ على هويّة عاشوراء، وشهر محرّم؛ لخصوصيته، وأثره في نشر الثقافة الحسينية، يقول السيّد صادق الشيرازي في هذا الأمر: «وهذا يعني أنّ لمحرّم خصوصية تُميّزه عن باقي الشهور، فبحلول هذا الشهر الحرام، وما إن يهّل هلاله يتبادر إلى الأذهان اسم الإمام الحسين عليه السلام»<sup>(١)</sup>. وحينها يتذكّر الإنسان عدم الركون إلى الظلم، وهذه من أهمّ المهام الكبرى للإمام الحسين عليه السلام؛ إذ من المجدي بقاء ثورته شعلة وهاجّة، ونبراساً يُستضاء به من لدن الأمة بعيداً عن نوعها، أي: المسلمة وغير المسلمة.

والاستمرار في تسجيل المنطلقات يقود إلى تأكيد عصرنة الإمام الحسين عليه السلام. وتعني العصرنة: «تحديث وتجديد ما هو قديم، وهو مصطلح يبرز في المجال الثقافي، والفكري، والتاريخي؛ ليدلّ على مرحلة التطوّر التي طبعت أوروبا بشكل خاصّ في مرحلة العصور الحديثة»<sup>(٢)</sup>. أي: تركيز الخطيب الحسيني على الموضوعات ذات الرواج في الساحة الثقافية، والفكرية، وإثبات وجود تلك الموضوعات في فكر الإمام الحسين عليه السلام، وتجاوز بوتقة الأرخنة في الطرح. وللتوضيح أعطي مثالين مهمّين:

(١) الشيرازي، صادق، إحياء عاشوراء: ص ٦٧.

(٢) الموسوعة الحرة ويكيبيديا.



الأول: ذكر مبدأ التعايش السلمي في خطاب الإمام الحسين عليه السلام، وإبراز الكيفية التي عنها الإمام في التعامل بسلمٍ وسلام مع الآخرين، (الأعداء والأصدقاء)، وكذلك مباحث حقوق الإنسان وتجلياتها لديه، وعنايته بالطفل، والمرأة، وبالعلاقات الاجتماعية، وهكذا التأسيس لمنظومةٍ كبرى وهي اتّساع دائرة الإمام على مرافق الحياة كلّها، ومن ثمّ قد يكون هذا تأشيراً لروح الحضارة في الفكر الإسلامي بصورة عامة، والفكر الحسيني بصورة خاصّة.

وترتبط بهذا المنطلق وبالمنطلقات السابقة قضيةٌ عالمية في فكر الإمام الحسين عليه السلام. وتُشير فكرة العالمية في نتاج أرسطو إلى العام الذي يقابل الخاص، أو الثابت التي لا تتغيّر، والتي تنطبق على جميع الحضارات، والثقافات، والأمم، بعيداً عن المحدّد الجغرافي<sup>(١)</sup>.

فيتكفّل الخطيب بسبر الرؤية العالمية في الفكر الحسيني، نحو مناقشة الفقر، وحسن الجوار، والزوجة، والموقف من السلطان، وغير ذلك. والأجدر من ذلك العمل على عالمية عاشوراء، والإسهام في انتشارها في بقاع العالم، و«من الخصائص الأخرى التي امتازت بها قضية الإمام الحسين عليه السلام أنّها تزداد انتشاراً كلّ يوم، وتصبح أكثر عالمية، وتكتسب المزيد من قلوب العالمين»<sup>(٢)</sup>.

ويعدّ التجديد في الفكر منطلقاً مهماً في المنبر الحسيني عن طريق تمحيص الروايات، ونقد السقيم منها، وعدم التسليم بها، والاستناد إلى منهج التمحيص، والأخذ بالرواة الثقات من أهل العلم، وهناك تجربة الشيخ مرتضى المطهّري في الملحمة الحسينية، ولا أريد الخوض في تقبلها أو عدم تقبلها من المتلقّي الخاصّ.

فلا بدّ أن يتّبع الخطيب منهج القارئ المثالي في اختياره وانتخابه للروايات، وأن

(١) أنظر: الرويلي، ميجان، والبازعي، سعد، دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من سبعين تياراً نقدياً معاصراً: ص ١٨٦-١٨٧.

(٢) الشيرازي، صادق، إحياء عاشوراء: ص ١٨٧.

يتجنّب الروايات القادحة بالآخر أيّاً كان، فطبيعة الظرف السياسي والوحدوي تُحتمّ التحفّظ الإعلامي في أقلّ تقدير، فمنهج المواجهة اليوم لا يُسهم في إنضاج البلاد أو السياسة بوجه عام.

وينضوي في تلك المنطلقات تقديس المنبر الحسيني، وإعلاء شأنه. وفي هذا السياق نتذكّر قول الإمام الحسين عليه السلام لعمر بن الخطاب: «انزل عن منبر أبي»<sup>(١)</sup>. ويعكس هذا الحديث الحسيني قوّة مضمرة في المنبر تتضمّن محتوى قادراً على تغيير حياة الأُمّة وإسعادها.

وكلّ منّا يعلم أنّ الثورة الحسينية جاءت ردّة فعل على السلطان الجائر، وتركت مقالتها المشهورة: (ومثلي لا يبايع مثله)، لما قالها إمامنا حين طُلب منه البيعة ليزيد. فعلى الخطيب أن يستمرّ في هذه الروح الناقدة والثائرة، ويعمل على توهّجها في ممارسة النقد السياسي، ومحاربة السلطة الظالمة، وقد مُورست هذه الموضوعات من لدن أصحاب المنابر أيام الحكومة السابقة، التي تربّع على عرشها أزلام البعث الكافر، ومن ثمّ يصبح المنبر، والخطيب، والخطبة الحسينية، منهاجاً لمعالجة الواقع في جوانبه كافة عبر الانتفاء، والإيمان بمنطلقات تنتمي إلى البعد الأخلاقي، والتربوي، والسياسي، والفلسفي، والفكري، والإصلاح، والنهضة.

الثاني: ومن تلك المنطلقات: بناء الذات الإسلامية، والحفاظ على الهوية الشيعية، تلك الهوية التي تقوم على التكوين الشخصي والاجتماعي للفرد، مع الالتزام بعدم الإقصاء للهويات الأخرى، فقد حمل مفهوم الهوية في الفكر الغربي الرؤية الأحادية، أمّا هنا، فيدعو البحث إلى تبني فكرة الهوية والانفتاح على بوتقة الآخر، بغضّ النظر عن جنسه، بوصفه نظيراً لك في الخلق كما يقول إمامنا علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولا يكتمل تحديد الهوية الشيعية بوصفه منطلقاً خطابياً لدى الخطيب إلاّ بتأزره

(١) الطوسي، محمّد بن الحسن، الأمالي: ص ٧٠٣.

وتضافه مع منطلق آخر ألا وهو معالجة موجات الإلحاد، وتفشيها في المجتمع في الأيام الأخيرة القائمة على السلوكات الجنونية، والفهم المتور للإسلام.

### المحور الثالث: خصائص الخطيب الحسيني

يدور معنى الخصائص على التفرد، وعدم الشراكة في الميزات أو الخصال<sup>(١)</sup>، ولما يقال خصائص الخطيب الحسيني يكون القصد منها ما امتاز به ذلك الخطيب من أمور، سواء أكانت سلبية أم إيجابية، لازمت الطرق البيانية أو البرهانية في الخطبة. ومن تلك الخصائص والمحامد: الأخلاق العالية، فقد قال إمامنا علي بن أبي طالب عليه السلام: «مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ إِمَامًا فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ، وَلِيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ، وَمُعَلِّمٌ نَفْسَهُ وَمُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالْإِجْلَالِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ»<sup>(٢)</sup>. وفي هذا السياق قد ركّز أرسطو على أخلاق الخطيب وذهب إلى أنها يتوقّف عليها تصديق القول، وتقبله من لدن السامع<sup>(٣)</sup>. ولعلّ الأخلاق لدى الخطيب هي الوسيلة المثلى لتحقيق الإقناع، فيقول أرسطو بهذا الصدد: «والخطيب يقنع بالأخلاق إذا كان كلامه يُلقى على نحو يجعله خليقاً بالثقة، لأننا سنستشعر الثقة على درجة أكبر وباستعداد أوسع»<sup>(٤)</sup>. وقد سجّلت لنا مدرسة أهل البيت عليهم السلام خطباء مشهورين امتازوا بالخلق العالي، والتأدّب الكبير، ولعلّ حصافة القارئ تُغنينا عن ذكر الأسماء.

ومن الخصائص اللازم توافرها على الخطيب مراعاة الآخر والإيمان به، انطلاقاً من كون الآخر شريكاً، وليس جحيماً، وضرورة الانفتاح عليه وإن كان مختلفاً معنا،

(١) أنظر: الجرجاني، علي بن محمد، كتاب التعريفات: ص ١٠٣.

(٢) خطب أمير المؤمنين عليه السلام، نهج البلاغة: الحكمة ٧٣.

(٣) طاليس، أرسطو، الخطابة: ص ٢٩.

(٤) المصدر السابق.

وكذلك الابتعاد عن الإقصاء، والتحريض، والافتضاح، فلا بدّ من استعمال سياسة الرفق، والحوار، وعدم التجريح، والتعامل معه بروح خطابية كما تعامل معه الإمام الحسين عليه السلام في يوم الطف، وخذ مثلاً واحداً وهو الحرّ بن يزيد الرياحي، كيف جذبته الإمام الحسين عليه السلام عبر أسلوب الإقناع والتودّد.

والمدرسة الإمامية يكفيها فخراً أن برز فيها خطباء مشهورون، انفتحوا على الآخر، وراعوا خصوصيته، ومن هؤلاء: الخطيب الدكتور الشيخ أحمد الوائلي، فقد كان في خطبه الكثيرة يستعمل الإشارة والإيحاء إلى المخالفين والمختلفين معه بالرأي، دون ذكر الأسماء، أو الإلحاح على نقاط الاختلاف، وكثيراً ما استعمل التورية والكناية.

وقد لا يقف مفهوم الآخر عند هذا الحدّ، بل يمتدّ إلى الآخر المنتمي إلى أبناء العقيدة الواحدة، «إنّ الآخر فكرة لا تحمل فقط المختلف عقدياً، بل نراها تطال العقيدة الواحدة، والقومية الواحدة، فالآخر ليس بالضرورة هو البعيد جغرافياً أو صاحب العداء التاريخي أو التنافس»<sup>(١)</sup>. فطبيعة التعامل معه هنا على أساس حفظ ماء الوجه، ومعالجة التقصير الحاصل على وفق الطريقة الهادئة بعيداً عن التجريح.

ويتداخل مع مراعاة الآخر مبدأ تواصلية يتمثّل بالتعاون مع المتلقّي، وقد تكون هذه خصيصة مهمّة لدى الخطيب بوساطة استعمال الكلمات اللطيفة والمحبية، من قبيل: أيّها السامع الكريم، أو أيّها الأخ الحبيب، وهذا ما يكون بحدود القوانين اللغوية التي تسمح بخلق مساحة التلقّي لدى السامع، وقد أطّرت في العصر الحديث بما يسمّى بمبادئ التعاون لدى (كرايس)، وهي أتباع قواعد الخطاب الأربعة: مبدأ الكم القائم على التحدّث بالقدر الكافي للفكرة، ومبدأ الكيف، أي: لا تقلّ ما لا

(١) الهروط، بلال سالم، صورة الآخر في أدب الرحلات الأندلسية: ص ١٧ (أطروحة دكتوراه).  
الترسي، عبد الله بن محمّد بن طاهر، ثنائية الأنا/ والآخر الصعاليك والمجتمع الجاهلي، مجلّة التراث العربي، العدد: ١٢٠-١٢١: ص ١٧٣.

تعلم صدقه، أو ليس لك عليه بيّنة، ومبدأ الخبر الذي يُفيد بمناسبة المقال للمقام، ومبدأ الجهة التي تتباعد عن الالتباس. وكذلك يدخل فيه التحرك في حدود الموضوع الواحد، وإفهام المتلقي بأجلى طريقة، وعدم هتك ماء وجهه<sup>(١)</sup>. ولو استعنا بمثال واحد مثل خطبة الوداع، لوقفنا على قيم تعاونية كثر، نحو: أوصيكم عباد الله، وأيتها الناس، وقد كرّرها مرّات كثر<sup>(٢)</sup>.

وقد يتوسّع بعض الخطباء في خطبته، وينفتح على مجالات عدّة لا تكون ردّة فعل المخاطب تجاهه إلا أن يكون شارد الذهن، أو قد يتفوّه بعض الخطباء بكلام خارج حدود التلقي لدى السامعين، انطلاقاً من الروايات الضعيفة، أو الروايات الموضوعية لاستدرار مشاعر السامعين، والذاكرة تحفظ لنا بعض الخطباء بهذه البساطات، فمثلاً قد يبالغ بعضهم في مسألة ظهور الإمام المهدي عليه السلام خلافاً للروايات الصحيحة والمعتبرة الواردة عن المعصومين عليهم السلام.

ومن أهمّ تلك الخصائص: الإقناع، ولعله هو الذي يميّز الخطابة عن غيرها من الأجناس الأدبية؛ لأنها تقوم على عرض الأفكار بأسلوب يُرغّب الناس بما ينفعهم، وإبعادهم عمّا يضرّهم<sup>(٣)</sup>، ويتمثّل الإقناع في الخطابة باستعمال الحجج القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، والشعر العربي، وغير ذلك من الوجوه الحجاجية التي سجّلها الدرس اللساني الحديث، وهذا يعود إلى ثقافة الخطيب التي تُعدّ الصفة الأهمّ، والخصيصة الأبرز توافرها على الخطيب الحسيني؛ بسبب أنّه يناقش أكبر القضايا الإنسانية، والعقدية، والفكرية، والثورية ألا وهي نهضة الإمام الحسين عليه السلام، فينبغي أن يُقدّمها بالصورة الأنضج، والأكمل للمتلقّي العربي، مع اقتران الخصائص

(١) أنظر: طه، عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ص ٢٣٧-٢٣٨.

(٢) الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين: ج ٢، ص ١٩ وما بعدها.

(٣) أنظر: صليبا، جميل، المعجم الفلسفي: ج ١، ص ٥٣١.

كلّها، وغيرها، بمسألة ذات أهمّية وهي اعتقاد الخطيب بالقضية الحسينية، ولا يتمّ التغيير ولا الحسم ولا الإقناع إلا بوجود تلك العقيدة، وأيّ عقيدة تُعلى على الاعتقاد بأهل البيت عليهم السلام؟!<sup>(١)</sup>

ولا يكون الخطيب مفوّهاً ما لم يكن لديه ثقافة عالية ينطلق منها، وتمثّل تلك الثقافة بالدراسة المكثّفة من العلوم المتعدّدة التي تنسجم مع تعدّد المتلقّين المتنوّعين، فقد يجلس أسفل المنبر الحسيني أناسٌ مثقّفون بين الثقافتين الأكاديمية والحوزوية<sup>(٢)</sup>. وإذا تجاوزنا بوتقة المحاسن، وانتقلنا إلى بوتقة العيوب التي توافرت على الخطباء في هذه الأيام، مع التنويه على أنّ هذه العيوب لا يعني وجودها لدى الخطباء كلّهم، بل قد تكون المسألة نسبية، ومن ذلك الإلحاح على الجانب العاطفي، وهذا لا ينفى أنّ سمة الخطابة الحسينية إثارة العاطفة والوجدان، بل أحياناً يؤكّد بعض الخطباء النعي والبكاء أكثر من تأكيدهم أيّ موضوع في الخطبة على حساب بقية أهداف الثورة الحسينية، وإن كان هذا الجانب مهمّاً لدى المتلقّي بشكل عام.

وقد ارتكز بعض الخطباء على الجانب الروائي، وعلى ذكر المصيبة الحسينية، كما في الطراز القديم للخطابة التي مثلها الشيخ محمّد الكاشاني<sup>(٣)</sup>، ولا ضير في هذه الحالة؛ لأنّها تدخل في باب العظة، والاعتبار، والاستثابة، إلّا أنّ المرحلة تتطلّب طريقة أخرى في الطرح تتلاءم والمرحلة الراهنة، وإلّا نكون قد جرّدنا الثورة الحسينية من التبلور، والتجدّد، والشمول، كما جرّدها بعضهم من البعد السياسي، وحاول عزل الحسين عليه السلام عنها. وتعبير أدق: عزل الخطابة الحسينية عن الجنبه السياسية، والتردّد في نقد الحاكم.

(١) يفترض أن يكون تعبيرنا: الحوزي وليس الحوزوي؛ لأنّ حوزة يكون النسب منها حوزي، إلّا أنّ إثارتنا لهذا الخطأ الشائع خشية الخلط لدى المتلقّي.

(٢) أنظر: الروازق، صادق، أمير المنابر: ص ١٥٩.



ومن تلك العيوب التي لا بدّ أن يجتنبها الخطباء: اللحن في اللفظ، وفي قراءة القرآن الكريم، وفي الحديث الشريف، وفي الشعر، وينبغي على الخطيب أن يستحضر ما ورد في كتاب البيان والتبيين بأن «اللحن هجنة على الشريف»<sup>(١)</sup>.

إلى غير ذلك من العيوب، من قبيل: التشدّد، والتفهيق، والعجلة، وكثرة الحركة، والارتعاش، ناهيك عن عدم الالتزام بأجواء الخطبة، والميل نحو الدرس والمحاضرة في الأداء، كما ينبغي للخطيب أن يجتنب استعمال المجالس الجاهزة، والمكتوبة، وهذه الخطوة تُذهب نشوة الخطابة، وتشوّه صورتها.

ولم يعن بعض الخطباء بترتيب أجزاء الخطبة وتنظيمها نحو حسن الابتداء، وحسن التخلص، وطريقة الربط بين فقراتها، وحسن الاختتام، وقد تعرف على الخطابة الحسينية أنّها تبدأ بنصّ، وتنتهي بذكر المصيبة الحسينية، والدعاء، ولا يفوتني أن أذكر بإعجاب طريقة أداء الشيخ الوائلي في هذا الصدد.

والذي ينبغي التنبيه عليه هو سلوك بعض الخطباء وطرحهم الذي ينبغي أن يُعاد النظر فيه، وهو بساطة التفكير، وسرد بعض الحكايات والحوادث التي يفعلها بعض أتباع أهل البيت عليهم السلام، دون مستند شرعي؛ وهذا ممّا يوفّر على الأعداء فرصة النيل من المذهب الشيعي.

## النتائج والتوصيات

بعد الإجابة البسيطة في الفكر الخطابي الحسيني اتّضح أنّ خطاب المنبر الحسيني خطابٌ متكامل الأبعاد، ولم نسّمه خطاباً ما لم تتوافر عليه معالم الخطاب، أعني: الموضوع، والقصد، والخصائص، والنصّ. والموضوع هنا هو الحسين عليه السلام، وما يتعلّق به من إدارة حياة على نهج الهوية الإسلامية. والقصد هو التنمية، والتنشئة، والتغيير.

(١) الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين: ج ٢، ص ١٣٧.



والخصائص كثر؛ إذ تقوم على الإقناع والقرآنية، والثقافة، والموسوعية. والنص ما يتفوه به الخطيب انطلاقاً من التنظيم في الطرح، ذلك التنظيم القائم على البلاغة لتتم رباطة الجأش، وسكون الجوارح التي يركّز عليها النقاد في الخطيب.

وقد أنجبت مدرسة أهل البيت عليهم السلام خطباءً انصهروا في منهجين، أحدهما: قديم قائم على ذكر المصيبة، والنوح، والنعي. والمنهج الآخر: قائم على الموسوعية بدءاً من القرآنية إلى التفسير إلى الاجتماعية، إلى السياسية إلى أن تنتهي بالحسين وبمصيبته عليه السلام، وقد برع في هذا اللون الشيخ أحمد الوائلي، واستمرّ على هذه المدرسة خطباء كثيرون. ولا تقوم الخطابة الحسينية، ولا تكون نوعاً من أنواع الخطابة ما لم يكن لدى الخطباء منطلقات تُحرّكهم، بدءاً من الاعتقاد بالقضية الحسينية، والانفتاح على الآخر، وممارسة دور الهداية، والإرشاد، وبيان أثر الإمامة في إدارة المجتمع، مع التحلي ببعض الصفات، وتجنّب بعضها.

وفي هذا السياق يُستحسن أن تحظى الخطابة الحسينية بوافر الرعاية من لدن المؤسسة الحوزية، أو الدينية في العراق - في النجف وكربلاء - عبر فتح مدارس الخطابة، ومعايها، ويجذب فتحها في كلّ محافظة في أقلّ تقدير بفعل الحاجة الماسّة إليها، وقساوة الظرف الذي يمرّ به بلدنا العزيز.

وكذلك ضرورة إلقاء الخطب الحسينية في المساجد والابتعاد عن الأماكن غير المتخصّصة نحو الساحات العامّة، والبيوت، وغير ذلك؛ والحجّة في ذلك تعزيز العلاقة بين الناس والمسجد، مع تجنّب قضية المأكّل والمشرب قبل الخطبة، وهذا ما يحدث كثيراً.

ولن تُتوّج الخطابة بالنجاح ما لم يكن الخطيب مزوّداً بثقافة عالية وموسوعية تمدّه بالطرح المتسع لحظة الخطابة؛ ليستميل قلوب الناس، فضلاً عن مراعاة روح الثورة في هذا النوع من الخطابة.

## المصادر

- ١- إحياء عاشوراء، السيّد صادق الحسيني الشيرازي، منشورات الرشيد، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ.
- ٢- الأمالي، الشيخ الطوسي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسّسة البعثة، دار الثقافة، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٣- أمير المنابر، صادق جعفر الروازق، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ٤- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
- ٥- ثنائية الأنا والآخر الصعاليك والمجتمع الجاهلي، عبد الله بن محمّد بن طاهر التريسي، بحث منشور في مجلّة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد: ١٢٠ - ١٢١، ٢٠١١م.
- ٦- الخطابة السياسية من عصر صدر الإسلام حتّى نهاية العصر العباسي الأول.. دراسة لغوية تداولية، خالد إسماعيل صاحب، (أطروحة دكتوراه)، جامعة القادسية، كلية الآداب، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
- ٧- الخطابة وإعداد الخطيب، عبد الجليل عبده شلبي، دار الشروق، القاهرة - مصر، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- ٨- الخطابة، أرسطو طاليس، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت - لبنان، ١٩٧٩م.
- ٩- دليل الناقد الأدبي إضاءة لأكثر من سبعين تياراً ومصطلحاً نقدياً معاصراً، ميجان الرويلي، والدكتور سعد البازعي، المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٢م.

١٠- صورة الآخر في أدب الرحلات الأندلسية، بلال سالم الهروط، (أطروحة دكتوراه)،  
جامعة مؤتة، ٢٠٠٨م.

١١- العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر- القاهرة، الطبعة السادسة  
عشر، ١٩٦٦م.

١٢- العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر- القاهرة الطبعة الثانية،  
١٩٧٣م.

١٣- فنّ الخطابة الحسينية، محمد باقر المقدسي، مؤسّسة التاريخ العربي للطباعة والنشر  
والتوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

١٤- فنّ الخطابة وإعداد الخطيب، علي محفوظ، دار الاعتصام، ١٩٨٤م.

١٥- كتاب التعريفات، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: محمد باسل  
عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان،  
الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

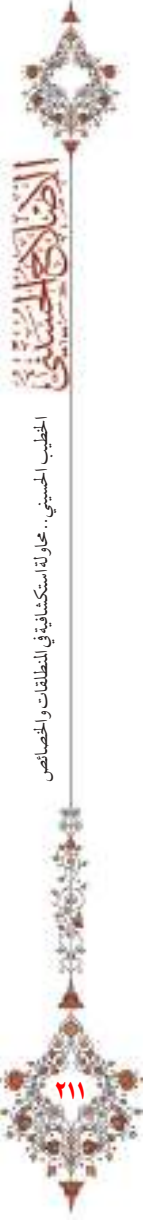
١٦- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي،  
ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م  
- ١٤٢٧هـ.

١٧- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار  
البيضاء- المغرب، الطبعة الثانية، ٢٠٠٦م.

١٨- المعجم الفلسفي، جميل صليبا، منشورات ذوي القربى، قم- إيران، الطبعة الأولى،  
١٣٨٥هـ.

١٩- المنطق، محمد رضا المظفر، دار الغدير، قم- إيران، ١٤٢٦هـ.

٢٠- الموسوعة الحرة ويكيبيديا، موقع على الشبكة العنكبوتية.





## نظرة عامة حول المنبر الحسيني والقائمين عليه<sup>(١)</sup>

م. د. فاطمة السلامي\*

### المقدمة

من أقدس المفاهيم وأجملها عند المؤمنين مفهوم (المنبر الحسيني)، هذا المنبر الذي طالما اعتلاه أغلب أئمة الهدى عليه السلام؛ لبيان مظلومية الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته<sup>(٢)</sup>، فأصبح منبراً لذكر المصيبة وإقامة العزاء، وكان أول من نصب مجلساً على الإمام الحسين عليه السلام - في رأي من الآراء - هو ولده الإمام زين العابدين عليه السلام في الجامع الأموي، وأخذ ينعى أباه، ويعدد صفاته، ويبين مظلوميته، والناس من حوله تبكي<sup>(٣)</sup>.

وأخذ الحال يتطور عملاً بتوصيتهم عليه السلام لشيعتهم ومحبيهم أن أقيموا المجالس باستمرار<sup>(٤)</sup>، حتى أصبح هناك منبر يعتليه الناعي والذاكر للإمام الحسين عليه السلام وأهل

---

(١) هذا المقال عبارة عن بحث قدّمته الباحثة في ندوة علمية عُقدت في مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، يوم الأحد: ٢٥/٩/٢٠١٦ م. \* دكتوراه في اللغة العربية، والمعاون العلمي في كلية العلوم الإسلامية - الجامعة الإسلامية، النجف الأشرف.

(٢) يقول السيد محسن الأمين: «أما أئمتهم [أي: أئمة أهل البيت عليه السلام] بكوا على الحسين، وعدّوا مصيبيته من أعظم المصائب، وأمروا شيعتهم ومواليهم وأشباعهم بذلك، وحثّوا عليه، واستشددوا الشعر في رثائه، وبكوا عند سماعه، وجعلوا يوم قتله يوم حزن وبكاء... فالأخبار فيه مستفيضة عنهم، تكاد تبلغ حدّ التواتر، روتها عنهم ثقات شيعتهم ومحبيهم بأسانيدھا المتصلة إليهم». الأمين، محسن، إفتاح اللاتم على إقامة المآتم: ص ١٣٤.

(٣) أنظر: سيّد الأهل، عبد العزيز، زين العابدين بن الحسين: ص ٢٩.

(٤) قال الإمام الصادق عليه السلام لفضيل: «إنّ تلك المجالس أحبّها، فأحيوا أمرنا يا فضيل، فرحم الله من أحيّا أمرنا. يا فضيل، من ذكرنا، أو ذكرنا عنده، فخرج من عينه مثل جناح الذباب، غفر الله له ذنوبه، ولو كانت أكثر من زبد البحر». الحميري، عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد: ص ٣٦.

بيته وفضائلهم، ثم تطوّر الحال أكثر، وأصبح هذا المنبر يُذكر فيه جميع الأئمة عليهم السلام، ويُذكر فيه أيضاً الوعظ والإرشاد، فأضحى منبراً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وباختصار: أصبح المنبر الحسيني القناة الصافية للقلوب الإيمانية للتزوّد الديني والمعرفي والاجتماعي والسياسي... فللمنبر الآن المكانة السامية بسمو صاحبه عليه السلام، وفي نفس الوقت هو مهم جداً؛ إذ إنه أصبح يغذي الأفكار والقلوب، ويؤثر في التصرفات الاجتماعية ككل، فلا بد أن يُراعى ويُحافظ عليه، بأن يكون الخطيب الذي يعتليه مؤهلاً تمام التأهل لأن يعظ الناس ويرشدهم لدينهم، ويبيّن الدين الحق عن دراية وأهلية.

من هنا ينبغي أن يكون هذا المنبر - ليعطي ثماره - محاطاً بأجواء خاصّة، من ناحية الخطيب، والحضور، والجهة التي تنظّم هذا المجلس، وهذه الأجواء هي من أهمّ الركائز للمنبر الحسيني، وستحدّث عنها لاحقاً.

ابتداءً نرى أنّه من الضروري أن نعمل إطلاقة على مفهوم المنبر، وكيف تطوّر المنبر الحسيني بالخصوص، ثم نعرّج بالكلام على المبحث المهم، وهو أهمّ ركائز المنبر الحسيني، فهنا مباحث ثلاثة:

### المبحث الأول: مفهوم المنبر

(المنبر): اسم يُطلق على المنصّة التي يصعد عليها الخطيب من إمام وغيره؛ لیسمعه ويراه الناس، والجمع (منابر)<sup>(١)</sup>، وقد رأينا على مرّ التاريخ منابر متنوّعة لكلّ منها أهمّيّته ومكانته بالنسبة لأبناء المجتمع الإنساني، فهناك منبر للقضاء، ومنبر للحكم، ومنبر للرأي وغيرها.

ومن بين هذه المنابر اكتسب (المنبر الحسيني) قدسية خاصّة في أفكار محبّي أهل البيت عليهم السلام وسلوكهم، وأحيط بهالة من الرفعة والعزّة شملت القائمين عليه أيضاً،

(١) أنظر: معجم المعاني، على العنوان الإلكتروني التالي: <https://www.almaany.com>.

فمن أين جاءت هذه القداسة؟ ولم اكتسب الخطيب - الرجل أو المرأة - ذلك الاحترام وتلك الهيبة في أذهان شيعة أهل البيت عليهم السلام؟

من الواضح أنّ المنبر الحسيني قد اكتسب قداسته من الإمام الحسين عليه السلام، فالناظر إلى (المنبر الحسيني) لا ينظر إلى منصّة اعتيادية يرتقيها أيّ شخص ليخطب في الناس، وإنّما يستحضر في نفسه جميع صور التضحية والكرامة والإباء والفداء التي تمثّلت في شخصية الإمام الحسين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام، إذأ فهي قدسية (الإمامة) التي تقودنا إلى قدسية (النبوة) المتمثلة في شخص الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله، ومن ثمّ فالنبوة تقودنا إلى الله سبحانه وتعالى، وبهذا نجد (المنبر الحسيني) قد اكتسب هذه القدسية من قداسة أصول ثلاثة هي: الإمامة، ثمّ النبوة، ثمّ التوحيد.

ولهذا يجب على خطيب المنبر مطلقاً - رجلاً كان أو امرأة - أن يعي هذه القداسة ويعطيها حقّها، فالمنبر الحسيني يمثل فكراً وثقافة ومدرسة ومعلماً للأجيال في كلّ وقت وحين.

## المبحث الثاني: تطوّر المنبر الحسيني

لقد ذكروا عدّة مراحل لتطوّر المنبر والعزاء الحسيني تاريخياً إلى عصرنا الحاضر<sup>(١)</sup>، كما يشهد بذلك الوجدان والواقع، فبعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته في كربلاء، أقام آل البيت عليهم السلام مجالس عزاء جرى فيها استذكار واقعة كربلاء، ومقتل الإمام الحسين عليه السلام وأهله وأصحابه<sup>(٢)</sup>، وقد شمل هذا الاستذكار

(١) أنظر: الكرباسي، محمد صادق، معجم خطباء المنبر الحسيني: ج ١، ص ٣٧-٧٧.

(٢) روي عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: «إنّ يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل عيوننا، وأذلّ عزيزنا، بأرض كرب وبلاء، وأورثنا الكرب والبلاء إلى يوم الانتضاء، فعلى الحسين فليك الباكون، فإنّ البكاء عليه يحطّ الذنوب العظام». الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، الأمالي: ص ١١١.

جانبي النثر والشعر على حد سواء<sup>(١)</sup>، ومن ثمّ توسّعت هذه المجالس إلى أن وصلت إلى ما أصبحت عليه اليوم.

والذي يهنا هنا أن نسلط الضوء على قضية مهمّة نشأت في (المنبر الحسيني) أثناء تطوّره التاريخي هذا، ألا وهي قضية (المآتم والمجلس الحسيني).

(المآتم): كلمة تطلق أساساً على جماعة من الناس في حزن أو فرح، ولكن الغالب استعمالها في الدلالة على الحزن إثر وفاة، أو في مراسم الجنّازة، والجمع (مآتم)<sup>(٢)</sup>، أما (المجلس): فهو مكان يخصص لطائفة من الناس يجتمعون فيه<sup>(٣)</sup> للنظر فيما يخصهم من أعمال وأفكار وعلوم.

وعندما نتبّع تاريخ (المنبر الحسيني) سنلاحظ أن أغلب الأماكن والمشاهد التي أُقيم فيها العزاء الحسيني كانت عبارة عن (مآتم)، يقوم فيه الخطيب باستذكار فاجعة الطف بصوت عذب شجي؛ لإبكاء المستمعين، وإثارة عواطفهم ومشاعرهم نحو القضية الحسينية، إذن كان (الجانب العاطفي) هو البارز في المآتم الحسينية.

وقد استمرّت إقامة المآتم على ذكرى سيّد الشهداء عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام في أماكن عدّة من العالم الإسلامي، إلى أن دخل العالم في القرن العشرين الذي شهد تطوّراً وثقافة بارزة ميّزته من القرون السابقة<sup>(٤)</sup>، فتطوّرت فكرة (المآتم) لتحلّ محلها تسمية (المجلس الحسيني).

(١) عن أبي عمارة المُشَد حينما دخل على الإمام جعفر بن محمّد، قال: قال لي: «يا أبا عمارة، أنشدني في الحسين عليه السلام، قال: فأنشدته، فبكي، ثمّ أنشدته فبكي، ثمّ أنشدته فبكي. قال: فوالله، ما زلت أنشده ويبيكي، حتّى سمعت البكاء من الدار، فقال لي: يا أبا عمارة، من أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فأبكي خمسين، فله الجنّة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكي أربعين، فله الجنّة...». ابن قولويه، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص ٢٠٩.

(٢) أنظر: الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القواميس: ج ١٦، ص ٤.

(٣) أنظر: المصدر السابق: ج ١٥، ص ٥١١.

(٤) أنظر: الكرباسي، محمّد صادق، معجم خطباء المنبر الحسيني: ج ١، ص ٣٧-٧٧.



والمجلس الحسيني شعيرة حسينية تتطلب من القائم عليها تقديم خطبة ذات أهداف عقائدية أو سياسية أو اجتماعية... يفيد منها أبناء المجتمع، ثم ينهي كلامه بذكر أبيات في مصاب آل البيت عليهم السلام، وهنا نرى تطوراً ملحوظاً في (المنبر الحسيني)، فبعد أن كان التأكيد على البعد العاطفي للقضية الحسينية، صار الحديث في المجلس الحسيني الآن يشمل البعدين (الفكري والعاطفي).

ومن أكثر الأماكن التي نشطت فيها المجالس الحسينية هي (إيران والعراق) في القرنين التاسع عشر والعشرين، خصوصاً في (قم وطهران ومشهد، والنجف وكربلاء وبغداد)، فقد ظهرت فكرة (الحسينية)، وهي مكان كبير يتسع لعدد كبير من الناس، يجتمع فيه محبو أهل البيت عليهم السلام، وتجرى فيه برامج تثقيفية، ومحاضرات فكرية، فضلاً عن المهرجانات والمسابقات الشعرية والأدبية، وما إلى ذلك.

ومن أوائل الحسينيات التي شُيّدت هي: (الحسينية الحيدرية) في الكاظمة عام (١٢٩٧هـ/١٨٧٦م)، وأول حسينية شُيّدت في النجف هي (الحسينية الشوشترية) عام (١٨٨٤م)، وأول حسينية بنيت في كربلاء عام (١٩٠٦م)<sup>(١)</sup>، أمّا في إيران فمن أقدم الحسينيات فيها حسينية (سيد إبراهيم سادات أخوان)، وقد بُنيت في زمن مقارب لبناء (الحسينية الحيدرية) في الكاظمة.

وكذلك نشطت فكرة المجالس الحسينية في (الكويت)، وكانت حسينية (سيد علي الخباز) أول حسينية رسمية عام (١٨٥٦م)، ثم تعددت بمساهمة أهل الكويت وتشجيعهم، وتركت أثراً كبيراً في واقع الكويت السياسي والديني والاجتماعي<sup>(٢)</sup>.

ومن الملاحظ في (العراق) أن أغلب الأماكن التي أُقيم فيها العزاء كانت تابعة لبيوتات معروفة من وجهاء المجتمع العراقي، حيث لم تلق الحسينيات في العراق

(١) أنظر: الحيدري، إبراهيم، تراجمديا كربلاء: ص ٦٨-٦٩.

(٢) أنظر: عبد المحسن يوسف جمال، لمحات من تاريخ الشيعة في الكويت: ص ٥٩.

الانتشار ذاته في إيران مثلاً؛ وذلك نتيجة للتضييق السياسي الذي مارسته الحكومات المتعسفة ضدّ الشعب العراقي؛ ولهذا كانت أغلب التعزيات الحسينية عبارة عن (مآتم) يؤكد القارئ فيها على الجانب العاطفي أكثر مما يؤكد على الجانب الفكري أو النهضوي أو العقائدي؛ خوفاً من المنع والتعسف والجور الذي يتعرّض له من قبل الحكومات الجائرة.

وقد استمر هذا الأمر إلى سقوط النظام البائد في العراق عام (٢٠٠٣م)، إذ فُتِحَ المجال أمام محبّي آل البيت عليهم السلام، فانتشرت الحسينيات في أكثر محافظات العراق، ولاقت إقبالاً واسعاً من قِبَل أبناء المجتمع، وقد تصدّت العتبات المقدّسة والقائمون عليها لخدمة المنبر الحسيني، وتطوير الوعي الفكري والثقافي للناشئة، وكذلك نشط الجانب المؤسّساتي الفكري لخدمة المذهب الإمامي في شتى المجالات.

### المبحث الثالث: ركائز المنبر الحسيني

نظراً للتطور الثقافي الذي يشهده العصر الحالي، ونظراً للمكانة المقدّسة (للمنبر الحسيني) والقائمين عليه، يجب علينا أن نبيّن أنّ عملية تطوير المجلس الحسيني والارتقاء به لا تتمّ إلا بالعمل على تطوير ركائزه الأساسية جميعاً، وهذه الركائز هي:

- ١- الشخص (خطيب المنبر).
- ٢- الجهة المنظمة للمجلس الحسيني.
- ٣- الحضور.

وسنذكر هنا مجموعة من الخصائص التي ينبغي توفرها في كلّ ركيزة من ركائز المجلس الحسيني اليوم، حتّى يحقق غايته المنشودة، وينقل رسالة الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته إلى العالم أجمع، نقلاً ينبع من وعي وفكر صادقين.

## أولاً: خصائص الشخص المنبري

لا بدّ أن تتوفر في الخطيب المنبري خصائص محدّدة تجعل منه شخصاً جديراً بالمكان الذي يرتقيه، وتصنع منه قدوة يتعلّم منها أبناء المجتمع، فهو لا يمثل نفسه فقط، وإنّما هو سفير للإمام الحسين عليه السلام، ومن أهمّ هذه الخصائص ما يأتي:

١- أن يتمتّع الشخص - رجلاً كان أو امرأة - بمستوى علمي ديني وعقائدي رفيع، فضلاً عن الثقافة العامّة، فلا يعتمد على جمال صوته فحسب؛ ففي الآونة الأخيرة ظهر عدد من الرجال والنساء ممّن يرتقون المنبر الحسيني، وهم معتمدون على أصواتهم فقط، أمّا الجانب المعرفي فنجدّه ضئيلاً عندهم.

وأهمّ قضية في الجانب المعرفي هي معرفته للإمام عليه السلام؛ ذلك لأنّ الإمام عليه السلام هو «النموذج الأعلى الذي كانت الإنسانية على طول تاريخها تشعر بالحاجة إليه»<sup>(١)</sup>، فالبشر يبحثون باستمرار وبدافع الحاجة الملحة عن المثال والقدوة والنموذج الأعلى للفضائل الإنسانية، فوجدوا في هذه النخبة المعروفة بـ(الأئمة) غايتهم.

ويجب على المنبري أن لا يغفل قضية مهمّة وهي أنّ (الإمام) قد اكتسب هذه القدسية والمكانة في قلوب الناس؛ لأنّه (إنسان) سعى في طريق تكامله حتّى وصل إلى مرتبة جليلة عُرِفَت بـ(الإمامة)؛ فهو ليس أسطورة من الأساطير، بل هو حقيقة عاشت وتعاملت مع الناس مدّة من الزمن.

وقد كان مع ذلك مثالياً في كلّ شيء؛ مثالياً في أبوّته، ومثالياً في أخوّته، وفي تعامله مع أسرته، ومع الناس، وفي عبادته لرّبّه، وفي علمه وتقواه، وفي إصلاحه للفرد والمجتمع، ولهذا كان الحسين عليه السلام الإنسان الأسمى، والمصلح الحقيقي؛ فصار في روح كلّ مصلح، وفي ضمير كلّ مجاهد قبس من ضيائه عليه السلام<sup>(٢)</sup>.

٢- أن يسهم المنبري في إصلاح الفرد والمجتمع.

(١) شريعتي، علي، الإمام علي في محنه الثلاث: ص ٩٨ - ٩٩.

(٢) أنظر: العلابي، عبد الله، تاريخ الحسين، نقد وتحليل: ص ٨.

لا يخفى علينا جميعاً ما وصل إليه التواصل الاجتماعي اليوم، فقد بلغ ذروته عبر شبكات الإنترنت، فضلاً عن أجهزة التواصل الأخرى، وكذلك لسنا بغافلين عن قضية استغلال المجتمعات بوسيلة العولمة، وما تدعو إليه بقناع التحرر والحضارة والديموقراطية، ممّا يمكّنها من السيطرة على عدد كبير من عقول شباب جيلنا المسلم. ليس هذا فحسب، بل أصبح لدى كثير من شباب هذا الجيل نفور كبير من الدين والإنسان المتدين، وهذا لا يرجع إلى الدين طبعاً، بل إلى الطريقة الخاطئة التي يتبعها بعض المنبرين والمبلّغين في الوقت الحالي؛ وهي طريقة يمكن تسميتها بطريقة (افعل كذا، ولا تفعل كذا)، من دون معرفة ووعي كاملين بطريقة التعامل مع أبناء المجتمع، مع أنّ الدين المعاملة! فهذه الطريقة بهذه الصفة لا تُصلح الفرد ولا المجتمع، بل تعمل على هدمها أكثر، ولهذا يجب العمل على إصلاح الناس من منطلق التفهم، واحتواء الآخرين، والتفاهم معهم، كلٌّ بحسب مستواه الفكري وبيئته الاجتماعية. وينبغي للمنبري أو المبلّغ تعريفهم بـ(المثال السامي) الذي يقتدون به معرفة حقيقية، فلا يكتفي بالتأكيد على الجانب العاطفي لهذه الشخصيات السامية فقط، ولا يقف عند الجانب التاريخي لهذه الشخصيات، ثمّ يطلب منهم أن يكونوا مثلهم، كأن يقول مثلاً: (كن مثل الحسين عليه السلام)، و(كوني مثل زينب عليها السلام)، وإنّما يُعرّفهم من هو الحسين عليه السلام، ومن هي زينب عليها السلام، فالتأكيد على الجانب المعرفي أكثر من الجانبين (العاطفي والتاريخي) يزيد من تأثر أبناء المجتمع بقدوته وبمثاله السامي.

وهكذا سيسهم المنبري في إعطاء هذا المثال وهذا النموذج الأعلى حقّه ومكانته الحقيقية في المجتمع، فالشخص المنبري لا يقدم خدمة للمجتمع، وإنّما يسعى لإصلاحه، ولهذا لا بدّ لنا من وضع أساس صحيح لعملية الإصلاح هذه، وهذا الأساس يتمثل في تعريف مفهوم: (القدوة)، (المثال)، (الإمام) في أذهان أبناء الجيل الإنساني الناشئ.

وخير مثال للإنسانية والقدوة والإمام بعد النبي ﷺ هو الإمام الحسين عليه السلام، فهو مثال للإنسانية كلها لا للمسلمين فحسب، ولهذا نرى قضية الإمام الحسين عليه السلام الإصلاحية قد أخذت بُعداً عالمياً، وقد أدّى ذلك إلى أن يتأثر بشخصيته العظيمة مجموعة كبيرة من شخصيات العالم، من أمثال: غاندي، وتوماس كاريل، وفرديريك جيمس، وإدوارد براون، وآخرين.

وهذا البُعد العالمي للإمام عليه السلام يكشف لنا عن أن إنسانيته عليه السلام المنفردة والمثالية كانت السبب وراء تأثير هذه الشخصيات به عليه السلام، فمنطلق تأثرهم به ليس عقائدياً مثلنا، بل هو منطلق إنساني، فالحسين عليه السلام وارث آدم عليه السلام.

٣- أن يمتلك المنبري كفاءة لغوية، ومعرفة بمنهجية البحث التاريخي والروائي؛ فلا ينبغي أن نراه يستشهد بوقائع تاريخية من دون دليل، أو اعتماد على سند صحيح لها، أو يستشهد بروايات من دون التفحص في دقة سندها وصحتها، فيذكرها أمام الملأ بلا تمحيص؛ مما يسبب الفهم السلبي لبعض فئات المجتمع الإسلامي<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: خصائص الجهة المنظمة للمجلس الحسيني

لقد تنوّعت الجهات المنظمة لمجالس الإمام الحسين عليه السلام، فلا تختص إقامة المجالس بمحبّي أهل البيت عليهم السلام من أبناء المذهب الإمامي فحسب، بل شملت الطوائف الأخرى، من عموم المسلمين والمسيحيين والصابئة، سواء أكانت هذه الجهات من رجال الدين، أو الأكاديميين، أو شعراء، أو من أصحاب الحرف والمهارات، فضلاً عن باقي أبناء المجتمع.

(١) لقد فضّل الشيخ مرتضى المطهري القول في هذه الخبيصة، وأكّدها كثيراً في كتابه (الملحمة الحسينية)، خاصّة في القسم الأوّل من الكتاب، الذي يحمل عنوان: (التحريف في واقعة كربلاء: أنواعه وعوامله): ج ١، ص ٨٥-٧، وكذلك في القسم الثالث من الكتاب، وعنوانه: (عامل التبليغ في النهضة الحسينية): ج ١، ص ١٣٩-٢٧٩.

وبرغم هذا التنوع والاختلاف الثقافي والمذهبي لجميع هذه الجهات المنظمة للمجالس الحسينية نجدها قد اجتمعت على قضية واحدة، وهي قضية الإمام الحسين عليه السلام، ولهذا ينبغي لها التحلي بخصائص مهمة، تُظهر المجلس الحسيني بأبهى صورة، وتجعله يسهم في إصلاح أبناء المجتمع، ويوحدتهم تحت راية الحق، ونصرة المظلوم على الظالم، ومن أهم هذه الخصائص:

### ١. اختيار الشخص المنبري

يجب أن يكون للجهة المنظمة دور واضح في اختيار الشخص المنبري، فعليها البحث عن أفضل الأشخاص المنبريين ديناً وخلقاً وعلماً وثقافة، فضلاً عن قدرته على مراعاة طبقات المستمعين إليه في المجلس؛ ذلك لأنّ المستمعين من طبقات ثقافية واجتماعية متنوّعة، فهناك العامّة، وهناك الخواص من الناس، فالمنبري الجيّد هو القادر على مراعاة هذا التنوع أثناء محاضرته؛ بغية الحصول على الفائدة المرجوة من إقامة المجلس الحسيني.

### ٢. عدم تسييس المنبر الحسيني

يجب على صاحب المجلس الحسيني وضع ميوله أو انتمائه السياسي والحزبي جانباً عند إقامته للمجلس، ولا يجعل من المنبر الحسيني وسيلة تخدم مصالحه وأهدافه السياسية أو الحزبية، فالإمام الحسين عليه السلام إمام الجميع، وليس خاصاً بفئة معيّنة من المسلمين.

### ٣. مشاركة المنبري في إصلاح المجتمع

بيّنا سابقاً أنّ من أهمّ خصائص المنبري هو إسهامه في إصلاح المجتمع؛ لما يتمتع به من مكانة بينهم، بصفته خطيب المنبر الحسيني، فيجب أن يكون ذا دور فاعل في إصلاح بعض الأعراف والتقاليد التي تظهر في المجتمع من وقت إلى آخر.

وبما أن الشخص المنبري يتنقل من بلد إلى آخر، ومن مدينة إلى أخرى فهو بحاجة إلى معرفة أهم المشاكل التي يتعرّض لها أبناء هذه المجتمعات، ولهذا ينبغي للجهة المنظمة لهذه المجالس التي تستضيف المنبري لإلقاء محاضراته على مسامح أبناء مجتمعاتها، أن تقدّم له دراسة مفصّلة عن الظروف التي يعيشها أبناء المجتمع، والمشاكل التي يعانونها؛ لكي يستفيد منها في محاضراته الدينية، ويذكّرهم بها، ويعرض أفضل الحلول لهذه المشاكل، حتّى تكون المحاضرة واقعية، مرتبطة بما يعيشه أبناء المجتمع.

### ٤. تنظيم المجلس الحسيني

نتيجة لتطوّر وسائل الإعلام وانتشارها عبر بلدان العالم، صارت معظم المجالس الحسينية مجالس مصوّرة، تصوّر وتبث عبر التلفزيون أو الإنترنت، ولكي تقدّم هذه المجالس بأفضل صورة، يجب على صاحب المجلس تنظيم مجلسه من حيث الإنارة، وأجهزة الصوت، وسعة المكان، وأماكن جلوس الحضور، وما يتبع ذلك، فكلّما كان المجلس أكثر تنظيماً أدّى ذلك إلى نقل الشعائر الحسينية وسعة انتشارها عالمياً.

### ثالثاً: خصائص الحضور

لا يقتصر دور الحضور في المجالس الحسينية على الاستماع فقط، فلكلّ شخص حاضر وجهة نظره الخاصّة فيما يسمعه أثناء المجلس، ولهذا ينبغي للمنبري والجهات المنظمة للمجالس الحسينية إشراك الحضور، والاستماع إلى آرائهم فيما يقال أثناء المحاضرة .

ولا أقصد بهذا قطع كلام الخطيب أثناء محاضراته، أو تبادل الآراء أثناء المجلس الحسيني، فهذا أمر غير محمود، ولكن أن يتم تمكينهم من إبداء آرائهم، والتعبير عن وجهات نظرهم فيما يستمعون إليه؛ لكي يكون المجلس فاعلاً ومصلاً للمجتمع بحق.



وهناك طرائق متنوّعة لجمع آراء الحضور في المجلس، ومن أبسطها: وضع صندوق في إحدى زوايا المجلس، تجمع فيه آراء الحضور بعد أن توزّع عليهم قصاصات ورقية، ثمّ تتم قراءتها في وقت لاحق من قبل الجهة المنظمة أو الشخص المنبري، ثمّ التصديّ لعرضها ومناقشتها في المجلس اللاحق، فتعمّ الفائدة الجميع.

## الخاتمة

نعرف جميعاً أنّ الإمام الحسين عليه السلام (عبرة وعبرة) في جميع مراحل حياته الشريفة، وقد كان للمجالس الحسينية التي تقام في شهري محرم وصفر - فضلاً عن باقي أشهر السنة - أثر كبير في بيان ذلك، مع أنّ جانب (العبرة) هو الغالب في أكثر الأحيان، أما جانب (العبرة) فيغلب عليه التأكيد على الجانب الأخلاقي والتربوي، في حين يندر الحديث عن الجانب الاجتماعي، والإنساني خصوصاً.

ولهذا ارتأيت أن أسلط الضوء على قضية مهمّة في هذه الدراسة، وهذه القضية تتمثّل في السؤالين الآتيين: ما الذي نحتاج إليه في المجلس الحسيني اليوم؟ وكيف نعمل على الارتقاء به وتطويره؟

وقد بيّنت وجهة نظري المتواضعة فيما نحتاج إليه اليوم في المجالس الحسينية، من خلال تقديم مجموعة من الخصائص التي ينبغي لكلّ ركيزة من ركائز المجلس الحسيني أن تتحلّى بها، وهذه الركائز هي: (الشخص المنبري، الجهة المنظمة للمجلس، الحضور).

## المصادر والمراجع

- ١- إقناع اللائح على إقامة المآتم، محسن الأمين، دار الصفا للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
- ٢- الأمالي، محمد بن علي بن بابويه المعروف بـ (بالشيخ الصدوق)، مركز الطباعة والنشر في مؤسّسة البعثة، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.



- ٣- الإمام علي في محنة الثلاث: محنة التاريخ، محنة التشيع، محنة الإنسان، علي شريعتي، ترجمة: علي الحسيني، دار الأمير للثقافة والعلوم، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- ٤- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، سنة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- ٥- تاريخ الحسين (نقد وتحليل)، عبد الله العلايلي، دار الجديد، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٤م.
- ٦- تراجم كربلاء، سيسولوجيا الخطاب الشيعي، إبراهيم الحيدري، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- ٧- زين العابدين بن الحسين، عبد العزيز سيّد الأهل.
- ٨- قرب الإسناد، عبد الله بن جعفر الحميري، مؤسسة آل البيت للإحياء التراث - قم، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.
- ٩- كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، لجنة التحقيق، مؤسسة نشر الفقاهة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ١٠- لمحات من تاريخ الشيعة في الكويت، عبد المحسن يوسف جمال، دار النبأ للنشر، الكويت، سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- ١١- معجم المعاني، على العنوان الإلكتروني التالي: [www.almaany.com](http://www.almaany.com).
- ١٢- معجم خطباء المنبر الحسيني، محمد صادق الكرباسي، المركز الحسيني للدراسات، لندن - المملكة المتحدة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- ١٣- الملحمة الحسينية، مرتضى مطهري، تعريب: السيّد محمد صادق الحسيني، الدار الإسلامية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.



## مزايا الخطابة الحسينية في ضوء خطبة السيدة زينب عليها السلام

حسن جميل الربيعي\*

### تمهيد

ينقل لنا التأريخ صوراً وأحداثاً قامت في ماضي الزمان، كان لها أثر في التأريخ كلّه، ففي الجانب المنير من التأريخ علمٌ ينتشر، أو عالمٌ يبزغ، أو مصلحٌ يدعو الناس إلى الهدى؛ وفي الجانب الآخر (المظلم) مُفسدٌ يدعو الناس إلى الردى، أو ظالمٌ يُطغى نوراً، وأما الجانب الثالث فهو يحمل الجانبين المظلم والنير معاً، كمعركة حقّ تحدّث، فيها جانب الخير والعدل، وجانب الظلم والبغي والعدوان. وكذلك غيرها من الأحداث المختلفة التي تكفّلت كتبُ التأريخ بنقلها للأجيال.

ومن هذه الأحداث التاريخية ما يأخذُ بعداً عالمياً وكونياً؛ ليُحدث هزةً في دنيا الوجود، فلا يموت هذا الحدث، بل تبقى جذوته مستعرةً يوماً بعد يوم، يفيد من هذه الجذوة كلّ طالبٍ للحقيقة سواء أكان عالماً أم جاهلاً، كبيراً كان أم صغيراً، متخصصاً كان أم غير متخصص، ذكراً كان أم أنثى؛ فهو حدثٌ للجميع، يأخذ منه الناس كلّهم بمختلف طبقاتهم وقومياتهم وألوانهم وألستهم، فهو حدثٌ بمستوى الكون.

ولا أحسب أن هناك حدثاً له هذه الجذوة التاريخية الكبيرة بمقدار النهضة التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام في الطفّ، هذه الواقعة التي حصلت فيها مواجهة بين من

\* ماجستير في اللغة العربية، كلية الآداب/ جامعة الكوفة

يَجَسِّدُ الْإِسْلَامَ بِدَمِهِ وَنَفْسِهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَيَبِينُ مَنْ يَدَّعِي حَمْلَ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ يَكْتَفِي بِقَوْلِ مَنْهُ؛ لَكِي يَحْصُلَ عَلَى نَصِيبِ فِي الدُّنْيَا.

### خصائص النهضة الحسينية

إنَّ النهضة الحسينية بما مثَّلته من مواجهة حقيقية بين الحقِّ والباطل، وبين الصدق والكذب، سوف تكون عامل قوَّة وحيوية للمطلَّع عليها، وستبقى حيَّةً لا تموت أبداً، تتجدَّد مع توالي الأيام، ولعلَّ هذه النقطة هي من أظهر ما يميِّز هذه النهضة المباركة؛ ولذا خاطبت السيِّدة زينب عليها السلام ابن أخيها الإمام السَّجَّاد عليه السلام بعد استشهاده أبيه عليه السلام قائلة له: «لا يُجزِّعُكَ ما ترى؛ فوالله أنَّ ذلك لعهدٌ من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جدِّك وأبيك وعمِّك، ولقد أخذ الله ميثاق أناسٍ من هذه الأمة... أمَّهم يجمعون هذه الأعضاء المنفترقة فيُوارونها، وهذه الجسوم المضرَّجة، وينصبون لهذا الطفَّ علماً لقبر أبيك سيِّد الشهداء، لا يُدرِّس أثره، ولا يعفو رسمه على كُرور اللَّيالي والأيام...»<sup>(١)</sup>.

وها نحن اليوم بعد أربعة عشر قرناً من شهادة الإمام الحسين عليه السلام، نرى الحبَّ والعشق والاتباع للإمام الحسين عليه السلام يزداد في قلوب الموالين، بل وحتى غير الموالين من الديانات الأخرى، واللغات الأخرى، ولا يُذكر الإمام الحسين عليه السلام على لسانٍ إلاَّ وجرت له الدموع بحرارة.

ومن الأمور التي تميَّزت بها هذه النهضة المباركة، أنَّها كانت تريد إرجاع الروح للإسلام بعدما عمل معاوية وبنو أمية على إرجاع الناس إلى جاهليتهم، وغيروا صورة الإسلام من النقاء والطهر والإنسانية إلى التسلُّط والإثرة والعنف والوحشية، فكان لا بدَّ من وقفة تُعيد الجذوة الأولى للإسلام التي عمل بها رسول الله صلى الله عليه وآله وانتشر بها الإسلام.

كما تميَّزت هذه النهضة كذلك بأسلوب إعلامي منظم منذ اليوم الأوَّل لحركتها

(١) ابن قولويه القمي، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: هامش ص ٤٤٤.

من المدينة إلى مكة، ثم إلى كربلاء، وبعد استشهاد قائدها استمرّ هذا الجانب الإعلامي في مسيرة السبايا إلى الكوفة، والشام، والمدينة. فقد امتازت بالتخطيط المسبق من قائدها؛ ليجعلها صوتاً ناطقاً محرّكاً، ولم يردّها أن تكون منحصرة في جانب صغير، فقد أراد عليه السلام إحداث نقلة جوهرية في محيطه ومجتمعها تصل إلى العالم أجمع، وعلى طول حركة التاريخ<sup>(١)</sup>.

ولذا فلم يكن حمل الإمام الحسين عليه السلام لتلك العائلة المباركة اعتباطاً، بل كان لهدف إلهي قد خطّط عليه السلام من أجله؛ ولذا حين سُئل عن حمل العائلة أجاب قائلاً: «إنّ الله قد شاء أن يراهنّ سبايا»<sup>(٢)</sup>، وهذه المشيئة الإلهية التي خطّط لها الإمام عليه السلام كانت من أجل إظهار الحقّ على أظهر ألْسنة تبقى على وجه المعمورة؛ لتَهزّ الكيان الظالم، وتُعيد إلى الإسلام الذي يُراد اجتثاث جذوره الحيوية الفاعلة<sup>(٣)</sup>.

### دور أهل البيت عليهم السلام في بقاء النهضة الحسينية

لقد كان للأئمّة المعصومين عليهم السلام دورٌ واضحٌ في الحثّ على إحياء ذكرى سيّد الشهداء عليه السلام في كلّ عام، بل في كلّ أمر يذكّر بالحسين عليه السلام كشرب الماء؛ حتى وردت في ذلك مختلف الروايات، وعلى مختلف الصُّعد:

١- الزيارة: عن يونس بن عبد الرحمن، عن حنان، عن أبيه، قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: يا سدير، تزور قبر الحسين عليه السلام في كلّ يومٍ؟ قلت: جُعلت فداك، لا. قال: فما أجفاكم! قال: فتزورونه في كلّ جمعة؟ قلت: لا. قال: فتزورونه في كلّ شهر؟ قلت: لا. قال: فتزورونه في كلّ سنة؟ قلت: قد يكون ذلك. قال: يا سدير، ما أجفاكم للحسين عليه السلام، أما علمت أنّ الله عزّ وجلّ ألّف ملك شعثٍ غبرٍ، سيكون، ويزورون لا يفترّون؛ وما عليك

(١) أنظر: الربيعي، جميل، الإمام الحسين عليه السلام شمس لن تغيب: ص ٥٧٣ - ٥٧٤.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٢٨.

(٣) أنظر: السهاوي، محمد نعمة، موسوعة الثورة الحسينية: ج ٧، ص ١٨٢.

يا سدير أن تزور قبر الحسين عليه السلام في كل جمعة خمس مرّات، وفي كل يوم مرّة؟ قلت: جعلت فداك، إن بيننا وبينه فراسخ كثيرة. فقال لي: اصعد فوق سطحك، ثمّ تلتفت يميناً ويسرة، ثمّ ترفع رأسك إلى السماء، ثمّ تنحو نحو القبر، وتقول: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك ورحمة الله وبركاته؛ تُكتب لك بذلك زورة، والزورة حجة وعمرة»<sup>(١)</sup>.

٢- إقامة المجالس: عن علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه، قال: «قال الرضا عليه السلام: من تذكّر مصابنا وبكى لما ارتكب منّا، كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن ذكّر بمصابنا، فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلساً يُحيا فيه أمرنا لم يمض قلبه يوم تموت القلوب»<sup>(٢)</sup>.

٣- الجزع والبكاء: قال الإمام الصادق عليه السلام: «كلّ الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحسين عليه السلام»<sup>(٣)</sup>.

وبناءً على ما تقدّم كان الأئمّة عليهم السلام يحثّون على إحياء هذه المآتم، مراعين في ذلك الأسلوب الجمعي الجماهيري في إحيائها؛ لإعطائها جانباً إعلامياً محفّزاً للآخرين.

### إعلامية الخطابة الحسينية

من أهمّ الجوانب الإعلامية التي استعملت لإحياء الثورة الحسينية هو أسلوب الخطابة الحسينية، وهو من أوضح السبل الإعلامية المتبعة لإحياء هذه الفاجعة الأليمة، منذ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وإلى يومنا الحاضر. إن أصل وجود الخطابة هو من أجل إيجاد الدافع الإعلامي الجماهيري مورد ما،

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٩، ص ٣٤٨ - ٣٥٠. وأنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٨٠ - ٤٨١. وأيضاً: الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٥٩٩. وأيضاً: الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ١٢٨ - ١٢٩.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ١٣١.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص ٢٥٤.

فإذا أتينا إلى الأصل اللُّغوي الذي جاءت منه هذه المفردة فهو يدلُّ على الحضور والتكلم في قبال فرد أو أفراد<sup>(١)</sup>؛ وأما اصطلاحاً فالخطابة «هي فنُّ مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته»<sup>(٢)</sup>، والملاحظ في التعريفين اللُّغوي والاصطلاحي هو الجانب الإعلامي من حيث وجود الجماعة والجمهور، أي: أكبر عدد ممكن، والهدف منها هو إقناعه واستمالته نحو الفكرة التي يُريد الخطيب أن يوصله إليها ويقنعه بها.

وإذا خصّصنا الخطابة بالحسين عليه السلام، فلا بدّ أن نعطي هذا الإمام العظيم حقّه ولا نظلمه، وذلك بأن نوضح الحقائق الإلهية التي كان عليه السلام يسعى إليها، ويحاول أن يفعلها في المجتمع، لكي يُحيي الإسلام، وقد بذل لها كلّ شيء حتى استشهد في رمضاء كربلاء؛ وحينئذٍ ستؤدّي الخطابة دورها الفاعل الذي يريده المعصومون عليهم السلام من خلال هذا الإحياء، وتكون وسيلة مفيدة في مقام بناء الشخصية الإسلامية، وتربية أجيال واعية<sup>(٣)</sup>.

ولو رجعنا إلى تأريخية الخطابة الحسينية لوجدناها بدأت منذ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، حين وصل ركب السبايا إلى الكوفة؛ إذ استثمر أهل بيت الحسين عليهم السلام الفرصة إعلامياً لبيان الحقيقة للناس، فخطب الإمام السجاد عليه السلام في الناس، وخطبت زينب الحوراء عليها السلام فيهم، وكذلك غيرهما من بنات الرسالة، خطبن بما أخرجت به الألسن.

### خطبة السيّدة زينب عليها السلام في الكوفة

وبحثنا هنا يستهدف إظهار المعالم الرئيسة لخطبة السيّدة زينب عليها السلام في الكوفة؛ لأنّها أوّل خطبة حول الإمام الحسين عليه السلام وثورته، قد خرجت ممّن عرفت الحسين عليه السلام

(١) أنظر: المصطفيّ، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ج ٣، ص ٩٢.

(٢) الحوفي، أحمد محمّد، فنّ الخطابة: ص ٥.

(٣) أنظر: المقدسي، محمّد باقر، دور المنبر الحسيني في التوعية الإسلامية: ص ٢٦٥-٢٦٦.

حق معرفته، وعرفت أهدافه، وأسراجه الإلهية، من التي تربت وعاشت في بيت النبوة، وتميزت بكونها «لسان دار ببلاغة نهج البلاغة، وفكر تشبع بحكمة أمير الكلمة الحقّة، وتدبر آيات القرآن بالذوق والإلهام، المتبصر بلغته الفريدة، وإمامه بوجوه الخطاب والحنكة في سياسة المنطق»<sup>(١)</sup>، وهي بهذا من أفضل من يؤدّي هذه الوظيفة الإعلامية حقّها بما يريده أهل البيت عليهم السلام من هذا الإحياء.

وسبب إظهار معالم هذه الخطبة؛ لكي يكون الأسلوب الخطابي الزينبي - الذي هو امتداد لمدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام - مثلاً يقتدي به الخطباء الحسينيون في خطبهم؛ لأنّ هذا الأسلوب هو الأسلوب الأمثل في المعالجة الخطابية للقضية الحسينية.

وهذه الخطبة القيمة علاوة على ما تقدّم تحمل الصدق الإيباني، والحرارة الملتهبة، والقوة الرصينة، والبلاغة العالية، ولا يخفى ما فيها من عاطفة جياشة، وهي تصاحب تلك المصيبة الكبرى، فهذه الأمور كلّها وغيرها أعطتها هذه الأهميّة الكبيرة. ولأهميّة الخطبة ولكونها محلّ البحث نوردها كلّها كما رُويت مع شرح لغوي لبعض مفرداتها في الهامش.

روى الخوارزمي عن بشير بن حذيم الأسدي، قال: «نظرتُ إلى زينب بنت عليّ يومئذٍ، ولم أرَ خفرةً قطّ أنطق منها، كأنّها تنطق عن لسان أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وتفرغ عنه، أو مأت إلى الناس أن اسكتوا! فارتدّت الأنفاس، وسكنت الأجراس، فقالت: الحمد لله، والصلاة على أبي محمّد رسول الله، وعلى آله الطيبين الأخيار آل الله.

وبعد؛ يا أهل الكوفة! ويا أهل الختل، والخذل، والغدر! أتبكون؟ فلا رقأت

(١) باراء، أنطون، زينب صرخة أكملت مسيرة: ص ٢٦٦.



الدمعة، ولا هدأت الرنة<sup>(١)</sup>، إننا مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً،  
 أتتخذون أيانكم دخلاً بينكم، ألا وهل فيكم إلا الصلف<sup>(٢)</sup>، والطنف<sup>(٣)</sup>، والشنف<sup>(٤)</sup>،  
 والنفط<sup>(٥)</sup>، وملق<sup>(٦)</sup> الإماء، وغمز<sup>(٧)</sup> الأعداء، أو كمرعى على دمنة<sup>(٨)</sup>، أو كقصبة<sup>(٩)</sup>  
 على ملحودة<sup>(١٠)</sup>! ألا ساء ما قدّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم، وفي العذاب  
 أنتم خالدون. أتبيكون وتنتحبون؟ إي والله، فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً؛ فلقد ذهبتم  
 بعارها وشنارها<sup>(١١)</sup>، ولن ترخصوها<sup>(١٢)</sup> بغسلٍ بعدها أبداً.

وأنى ترخصون قتل سليل خاتم الأنبياء، وسيّد شباب أهل الجنة، وملاذ خيرتكم،  
 ومفزع نازلتكم، ومنار حجتكم<sup>(١٣)</sup>، ومدره<sup>(١٤)</sup> ألسنتكم؟! ألا ساء ما تزرون، ويُعدّأ

(١) «الرنة: الصيحة الحزينة». الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: ج ٨، ص ٥٤.

(٢) «الصلف: قلة الخير». الأزهرى، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة: ج ١٢، ص ١٩٠.

(٣) «الطنف: نفس التهمة، ورجل مطنّف: أي متهم». الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين:  
 ج ٧، ص ٤٣٥.

(٤) «الشنف: شدة البغض». المصدر السابق: ج ٦، ص ٢٦٧.

(٥) «الطنف: التلطيخ بالغيّب». المصدر السابق: ج ٧، ص ٤٣٦.

(٦) «الملق: الوذ واللف الشديد». المصدر السابق: ج ٥، ص ١٧٤.

(٧) «غمز بالرجل: سعى به شراً، وغمز فيه: طعن». ابن معصوم المدني، علي بن أحمد بن محمد، الطراز  
 الأول: ج ١٠، ص ٢٣٢.

(٨) «الدمنة: الموضع الذي يجتمع فيه الغنم، فتتلبد أبوالها وأبعارها فيه». ابن دريد، محمد بن الحسن،  
 كتاب جمهرة اللغة: ج ٢، ص ٦٨٣.

(٩) «القص والقصة، بفتحهما: لغة في الجصّ والجصّة - بكسرهما - وليس أحد الحرفين بدلاً من صاحبه،  
 لاستواء التصرف، ولكنّ الفصحاء على القاف، وهي لغة الحجاز، ومنه: نهى عن تقصيص

القبور، أي تجصيصها». ابن معصوم المدني، علي بن أحمد بن محمد، الطراز الأول: ج ١٢، ص ٢٣٧.  
 (١٠) «اللحد: ما حُفّر في عرض القبر». الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: ج ٣، ص ١٨٢.

(١١) «الشنار: العيب والعار». المصدر السابق: ج ٦، ص ٢٥١.

(١٢) رخص: «أصل يدل على غسل الشيء». ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ٢، ص ٤٩٦.

(١٣) «الحجّة: وجه الظفر عند الخصومة». الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: ج ٣، ص ١٠.

(١٤) «مدرّة القوم، أي: الدافع عنهم». المصدر السابق: ج ٤، ص ٢٤. وعن أبي زيد: «المدرّة: لسان  
 القوم والمتكلّم عنهم». الأزهرى، محمد بن أحمد، تهذيب اللغة: ج ٦، ص ١٩٨.

لكم وسحقاً! فلقد خاب السعي، وتبت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضبٍ من الله، وضربت عليكم الذلّة والمسكنة.

ويلكم، يا أهل الكوفة! أتدرون أيّ كبدٍ لرسول الله ﷺ فريتم؟ وأيّ دمٍ له سفكتم؟ وأيّ كريمةٍ<sup>(١)</sup> له أبرزتم؟ وأيّ حريمٍ<sup>(٢)</sup> له أصبتم؟ وأيّ حُرمةٍ<sup>(٣)</sup> له انتهكتم؟ ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا \* تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَخَجَرُ الْجِبَالِ هَذَا﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) «الكريمة: الرجل الحسيب، تقول: هو كريمة قومه». الأزهرى، محمد بن أحمد، تهذيب اللّغة: ج ١٠، ص ٢٣٩. وقال الزبيدي: «الكريمة: الأهل، وقيل: شقيقة الرجل، والجمع الكرائم». الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج ٣٣، ص ٣٤٩. والظاهر أنّ المعنى المراد هو الأهل بدلالة فعل الإبراز الذي تعلق به هذه المفردة.

(٢) «الحريم: الذي حرّم مسّه فلا يُدنى منه». الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: ج ٣، ص ٢٢٢.

(٣) «قال يحيى بن ميسرة الكلّابي: الحرمة: المهابة. قال: وإذا كان للإنسان رَحِمٌ، وكُنّا نستحي منه قلنا: له حرمة. قال: وللمسلم على المسلم حرمةٌ ومهابةٌ». الأزهرى، محمد بن أحمد، تهذيب اللّغة: ج ٥، ص ٤٢.

(٤) مريم: آية ٨٩-٩٠. إنّ اقتباس السيّدة زينب ؑ لهذه الآية المباركة في خطبتها، كأنه تشبيه بين ما فعله أهل الكوفة بالإمام الحسين ؑ وأهل بيته، وبين ادّعاء المشركين بأنّ للرحمن ولداً، فتفطّر السماوات وانشقاق الأرض وخرّ الجبال هو استعظام لتلك الكلمة العظيمة، قال الزمخشري فيها: «استعظماً للكلمة، وتهويلاً من فظاعتها، وتصويراً لأثرها في الدين، وهدمها لأركانها وقواعده». الزمخشري، محمود بن عمر، الكشّاف: ج ٣، ص ٤٥. وفي عاشوراء وما تلاها حصل ما هو أفظع وأكبر من هذه الكلمة؛ لذا ناسبت السيّدة زينب ؑ بين هذه الآية والموقف. ثمّ إنّ الأثر الكوني - المشار إليه في الآية - قد حصل بالفعل مع مقتل الإمام الحسين ؑ، وقد ذكرته السيّدة زينب ؑ في خطبتها أيضاً، وهو ما يروى من أنّ السّماء بكت دماً، واضطربت الأرض ومن عليها وما فيها، قال السيوطي: «ولمّا قُتِلَ الحسين ؑ مكثت الدُّنيا سبعة أيّام، والشمس على الحيّطان كالملاحف المصفرة، والكواكب يضرب بعضها بعضاً، وكان قتله يوم عاشوراء، وكسفت الشمس ذلك اليوم، واحمرت آفاق السّماء ستّة أشهر بعد قتله، ثمّ لا زالت الحمرة تُرى فيها بعد ذلك، ولم تكن تُرى فيها قبله». السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء: ص ١٦٥.

إِنَّ مَا جِئْتُمْ بِهَا لَصَلْعَاءٌ<sup>(١)</sup>، عِنْقَاءٌ<sup>(٢)</sup>، سُوءَاءٌ<sup>(٣)</sup>، فِقْمَاءٌ<sup>(٤)</sup>، خِرْقَاءٌ<sup>(٥)</sup>، شَوْهَاءٌ<sup>(٦)</sup>،  
كَطِلَاعٍ<sup>(٧)</sup> الْأَرْضِ، وَمَلَاءٌ<sup>(٨)</sup> السَّمَاءِ.

أَفْعَجِبْتُمْ أَنْ قَطَرَتِ السَّمَاءُ دَمًا؟! وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَخْزَى، وَأَنْتُمْ لَا تَنْصَرُونَ.  
فَلَا يَسْتَخْفِنُكُمْ الْمَهْلُ؛ فَإِنَّهُ جَرٌّ لَا يَجْفِزُهُ الْبِدَارُ، وَلَا يَخَافُ فُوتَ الثَّارِ. كَلَا، إِنَّ رَبَّكُمْ  
لِبِالْمُرْصَادِ، فَتَرَقَّبُوا أَوَّلَ النَّحْلِ<sup>(٩)</sup>، وَآخِرَ صَادٍ<sup>(١٠)</sup>.

قال بشير: فوالله، لقد رأيتُ الناسَ يومئذٍ حيارى، كأنَّهم كانوا سُكَّارَى، يَبْكَونَ  
ويجْزَنونَ، ويتفجَّعونَ ويتأسفونَ، وقد وضعوا أيديهم في أفواههم<sup>(١١)</sup>.

### خصائص الخطبة ومزاياها

إذا دققنا النظر في بنية هذه الخطبة العصماء خرجنا بنقاط عدّة امتازت بها:

- (١) «الصلع: ذهاب شعر الرأس من مقدّمه إلى مؤخره، وإن ذهب وسطه فكذلك، والنعث: أصلع وصلعاء». الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: ج ١، ص ٣٠٢.
- (٢) «العُنُقُ: معروف [الرقبة]... العنقاء: الداهية». المصدر السابق: ج ١، ص ١٦٨ - ١٦٩.
- (٣) «السُّوَاءُ: كلُّ عملٍ وأمرٍ شائنٍ... والسُّوَاءُ السُّوءَاءُ: المرأةُ المخالفة». المصدر السابق: ج ٧، ص ٣٢٨.
- (٤) «الفَقَمُ: ردّة في الذّقن، والنَّعْتُ: أقغم وبقم». المصدر السابق: ج ٥، ص ١٨٢. وهذا الأصل يدلُّ على اعوجاج وقلة استقامة». ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللّغة: ج ٤، ص ٤٤٢.
- (٥) «الخرق: وهو مزق الشيء... والخرقاء: المرأة لا تحسن عملاً». ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللّغة: ج ٢، ص ١٧٢.
- (٦) «الشوّة: مصدر الأشوّه والشوهاء، وهما القبيحا الوجه والخلقة». الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: ج ٤، ص ٦٨.
- (٧) «الطّلاع: ما طلعت عليه الشمس، وطلاع الأرض: ملء الأرض». المصدر السابق: ج ٢، ص ١٢.
- (٨) «الملاء: جماعة من الناس... الملاء: من الامتلاء». المصدر السابق: ج ٨، ص ٣٤٦. والظاهر أنّ المعنى هنا هو الساعات مجتمعة بها فيها.
- (٩) أي: بداية سورة النحل: ﴿أَنَّهُ أَمْرٌ لِلَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.
- (١٠) أي: آخر سورة ص: ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ نِبَاهُ بَعْدَ حِينٍ﴾.
- (١١) الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ٤٥ - ٤٧.

أولاً: القوّة الخطابية لدى عقيلة بني هاشم عليهم السلام، وهذا الأمر يظهر واضحاً من قول الراوي في بداية الخطبة: «إذ ارتدت الأنفاس، وسكنت الأجراس»، وأثناء الخطبة يرتفع البكاء والنحيب من الجمهور كما هو واضح من كلامها عليها السلام، وهذا يدل على مدى التأثير العالي الذي أحدثته الخطبة في نفوسهم، والتفاعل والانشداد الموجود بين الخطيب والمتلقّي. يظهر أيضاً من وصف الراوي بعد انتهاء الخطبة، لحالهم بالحيرة وقوله: (كأثمهم سكارى يبكون ويحزنون، ويفجعون ويتأسّفون)، فإنّ هول المصاب وشدة وقع الخطبة عليهم لا يدرون ما يفعلون، أما الحوراء عليها السلام وإن كان المصاب مصابها، والفجيعة فجيعتها إلا أنّ قوتها الخطابية - وهي منبثقة من قوتها النفسية المستمدّة من إيمانها بالله تعالى إيماناً حقيقياً - سيطرت على جميع قواهم، حتّى جعلتهم في حالة نفسية صعبة تصل إلى الانهيار النفسي.

ومّا يؤكّد هذه القوّة الألفاظ والصيغ والتراكيب العالية في بنائها ومضمونها؛ إذ لا يستطيع أيّ خطيب أن يأتي بها إلا حين تمكّنه من زمام اللّغة، وهذا إذا نظرنا إلى حال زينب الحوراء عليها السلام، وهي فاقدة لإخوتها وبنيتها وأحبّتها، وهي في حال السبي والأسر، والأغلال في يديها، وهي واقفة بين أيدي العتاة المجرمين.

ومن هذا نعرف أنّ على الخطيب أن يكون واثقاً من نفسه، جريئاً في قوله، صلباً في موقفه، لا تفقده العاطفة القوّة، بل تكسبه الحيوية ويمزجها بفكرته؛ ليجعل الجمهور متفاعلاً معه، ومن هنا لا بدّ أن يعرف نقاط القوّة والضعف عند الجمهور ويحرّكها فيه؛ لكي يكسب قلوبهم وعواطفهم، ومتى كسب الخطيب القلب ملك العقل، وأثر فيه، وترك بصماته عليه، وحينئذٍ تؤدّي الخطابة أثرها، وتعمل على تغيير المتلقّي بما يهدف إليه الخطيب، وهنا يتحقّق تعريف الخطابة بكونها أسلوب إقناع.

ثانياً: الأسلوب الخطابي المثالي؛ لقد جاءت الخطبة بأسلوبها المثالي المتبع عند العرب في الإسلام مبتدئة بحمد الله والصلاة على رسوله وآله، ثمّ الانتقال إلى كلمة

(وبعدُ) أو (وأما بعدُ)، وهذه العبارة ترد في بدايات خُطب العرب، فقد أُثِرَ عن سبحان - الذي يُضرب به المثل في الخطابة - قوله: [من الطويل]

لقد عَلِمَ الحَيُّ اليَمانونَ أَنني إذا قُلْتُ (أما بعدُ) أَني خَطيبتها<sup>(١)</sup>

فالواضح من هذا البيت أن هذه الجملة تفتتح بها الخطبة بعد الحمد والثناء؛ ومن ثمَّ بدأت زينب الحوراء عليها السلام بنداء الحاضرين، وقد كرّرت النداء لاحقاً لكي تعيد إلى الأذهان الانتباه إلى الخطبة، هذا مع الانتقال بين الأساليب بين نداء واستفهام وخبر، إلى أن أنهت الخطبة، والمتلقّي شاعرٌ بنهايتها غير محتاج إلى مزيد، وقد كانت الخطبة معتدلة في طولها، فلم تكن قصيرة مخلّة ولا طويلة ممّلة، بل كانت مستوفيةً للمكان والزمان والموقف.

ونستفيد من هذه النقطة بأنّ على الخطيب أن يلتزم بالأسلوب الأمثل المتبع في الخطابة في عصره، وأن يكون ملائماً للنهضة الحسينية، فلا يكون شاذاً، ولا غريباً، بل يكتسب من التراث نقاط القوّة، ويعمل على إضافتها، ويواكب عصره مواكبةً ممنهجةً لا تخالف التراث، ولا تخرج عن الذوق العام، ولا تحيد عن الأسلوب الحسيني في الخطاب، فلا يجدّد تجديداً مفاجئاً يرفضه المتلقّي، بل يبثّ ما يريد تجديده وتغييره أثناء الكلام محافظاً على الأسلوب الأمثل، ولا بدّ له أن لا ينسى المكان الذي هو فيه، فلكلّ مكان أسلوب خاص لا يلائم غيره.

وفي الوقت نفسه لا بدّ له ألا يطيل فيمِلّ، ولا يوجز فيخلّ، بل يكون كلامه فصلاً لا نذر ولا هذر، يكتفي من القول بما يفيد المتلقّي، ويتسلسل معه في الأفكار والرؤى حتّى يوصله إلى النهاية.

ثالثاً: كان الاستشهاد بالقرآن الكريم حاضراً في جميع الخطبة من بدايتها إلى نهايتها، والألفاظ والأساليب القرآنية هي الحاكمة في النص، فقد اقتبست في خطبتها

(١) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، جمهرة الأمثال: ج ١، ص ٢١٢.

آيتين بالنص كما هو واضح في الخطبة، وخمس مرّات أوردت الأساليب والألفاظ القرآنية في أثناء الخطبة، وذلك كما في قولها:

١- «ألساء ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون»، وقد استوحته من قوله تعالى: ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَبْسُ مَا قَدَّمْتَهُمْ أَنفُسَهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

٢- «فابكوا كثيراً، واضحكوا قليلاً»، وقد استوحته من قوله تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>.

٣- «وبؤتم بغضبٍ من الله، وضربت عليكم الذلّة والمسكنة»، وقد استوحته من قوله تعالى: ﴿ ... وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾<sup>(٣)</sup>.

٤- «ولعذاب الآخرة أشدّ وأخرى، وأنتم لا تُنصرون»، وقد استوحته من قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحْسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْرَىٰ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾<sup>(٤)</sup>.

٥- «إن ربكم لبالمرصاد»، وقد استوحته من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لِبَالِمِرْصَادٍ ﴾<sup>(٥)</sup>.

إضافة إلى الإشارة في آخر الخطبة إلى بداية سورة النحل وآخر سورة ص. ومن خلال هذا الاستشهاد القرآني نعرف أن السيّدة زينب عليها السلام عاشت مع القرآن، فامتزج القرآن بروحها وقلبها وضميرها، وهي متعمّقة في النصّ القرآني

(١) المائدة: آية ٨٠.

(٢) التوبة: آية ٨٢.

(٣) البقرة: آية ٦١.

(٤) فصلت: آية ١٦.

(٥) الفجر: آية ١٤.



بشكله، وألفاظه، وتراكيبه، ودلالاته، ومن خلال هذا التعمق فيه استطاعت توظيف الصياغات والأساليب القرآنية في الخطبة، فكان الأسلوب القرآني يجري على لسانها كشلال متدفق من أعالي الجبال؛ بسلامة طبع، وبلاغة تعبير، وعمق معانٍ، وشمول جامع مانع لكل مقتضيات الحال، وهذا يؤيد ما نقله الشيخ جعفر النقدي عن بعض كُتّاب السير أمّهم عليها السلام: «كان لها مجلس في بيتها أيام إقامة أبيها عليه السلام في الكوفة، وكانت تفسّر القرآن للنساء»<sup>(١)</sup>. ولا عجب من هذا، فقد نزل القرآن في البيت الذي تربّت فيه، فتشربت بالقرآن، وانصهرت روحها فيه.

والاقتباس القرآني الذي استعملته زينب الحوراء عليها السلام، هو أحد فنون البلاغة العربية، وله «أهمية مشهودة في السمو بأساليب المقتبسين ورفعته فنون قولهم؛ لأنّ المقتبس من القرآن الكريم الذي هو أعلى رتبة من البلاغة... يزيد قدر ثمار قريحته، ويزيّنها بأجمل العبارات وأبلغ الصياغات»<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا؛ فعلى الخطيب أن يجعل ثقافته تدور في رحاب القرآن، ويتقني الألفاظ القرآنية؛ ليعطي القوّة والفاعلية لنصه، فضلاً عمّا في النصوص القرآنية من فاعلية حركية في الوجدان الإنساني تدفعه إلى السير في النهج الأقوم، الذي أَرادَه اللهُ سبحانه وتعالى وبينّه من خلال كتابه الكريم الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ<sup>(٣)</sup>؛ وفوق هذا كلّه فإن ربط الكلام بالقرآن يعمّق من صلة الجمهور بهذا الكتاب العظيم، فهو انطلاقة من القرآن وعودة إلى القرآن، ومتى ما التزمنا القرآن منهجاً في الفعل والقول تغيّر حالنا بما تهدف إليه النهضة الحسينية المباركة.

رابعاً: كانت زينب الحوراء عليها السلام مبيّنة لمنزلة أهل البيت عليهم السلام، فقد ابتدأت كلامها بالصلاة على (أبيها) رسول الله صلى الله عليه وآله، فبيّنت الانتماء النسبي إلى الرسول المصطفى، ثم

(١) النقدي، جعفر، زينب الكبرى: ص ٣٥.

(٢) مطلوب، أحمد، والبصير، كامل حسن، البلاغة والتطبيق: ص ٤٤٣.

(٣) فضّلت: آية ٤٢.

صَلَّتْ عَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الْأَخْيَارِ وَهُمْ (آلِ اللَّهِ)، وَهِيَ بِهَذَا بَيَّنَّتْ عَظَمَ الْجُرِيمَةِ الَّتِي ارْتَكَبَهَا النِّظَامُ الْقَائِمُ بِقَتْلِهِمُ الطَّيِّبِينَ الْأَخْيَارِ آلِ اللَّهِ مِنْ ذُرِّيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ بَيَّنَّتْ مَنْزِلَةَ الْحُسَيْنِ الشَّهِيدِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالنِّسْبَةِ لِلْأُمَّةِ؛ فَهُوَ فَضْلًا عَنْ كَوْنِهِ ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْوَحِيدِ آنَذَاكَ، فَهُوَ سَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَلَاذُ خَيْرَتِهِمْ، وَمَفْزَعُ نَازِلَتِهِمْ، وَمَنَارُ حُجَّتِهِمْ، وَمُدْرَهُ أَلْسِنَتِهِمْ؛ وَفِي هَذَا تَقْرِيعٌ وَتَأْنِيبٌ لَهُمْ عَلَى مَا اقْتَرَفُوهُ مِنْ ذَنْبٍ لَا يُغْفَرُ لَهُمْ، قَدْ بَكَتْ عَلَيْهِ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ دَمًا، حَتَّى أَنَّ «السَّمَاءَ اسْوَدَّتْ اسْوَدَادًا عَظِيمًا حَتَّى رَوَّيْتَ النُّجُومَ نَهَارًا، وَلَمْ يَرْفَعْ حَجَرًا إِلَّا وَجَدَ تَحْتَهُ دَمًا عَيْبُطًا»<sup>(١)</sup>.

وَمِنْ هَذِهِ النِّقْطَةِ لَا بَدَّ لِلخَطِيبِ أَنْ يَعْرِفَ النَّاسَ بِأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فِي جَوَانِبِهِمْ كُلِّهَا وَمِنْ خِلَالِ أَحَادِيثِهِمْ، وَمِنْ أَهَمِّ الْجَوَانِبِ هِيَ عِلَاقَتُهُمْ بِاللَّهِ تَعَالَى؛ إِذْ إِنَّ مَصْدَرَ قُوَّتِهِمْ، وَسَبَبَ عَظَمَتِهِمْ هُوَ عِلَاقَتُهُمْ بِاللَّهِ تَعَالَى، تِلْكَ الْعِلَاقَةُ الَّتِي اسْتَحْوَذَتْ عَلَى كُلِّ كِيَانِهِمْ، فَغَدَوْا مَتَخَلِّقِينَ بِخَلْقِ اللَّهِ، لَا يَرَاهُمْ الرَّائِي حَتَّى يَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى، وَكَانَتْ مَجْرَدَ رُؤْيَتِهِمْ تَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ<sup>(٢)</sup>؛ وَإِذَا عَرَفَ الْمُخَاطَبُ هَذَا الْجَانِبَ الرَّئِيسَ الْمَكُونِ لِشَخْصِيَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالْجَوَانِبِ الْأُخْرَى، تَمَسَّكَ بِهِمْ تَمَسَّكَ «عَقِيدَةً رَاسِخَةً، وَأَعْمَالَ صَحِيحَةً بَنِيَّةً خَالِصَةً، وَقَلْبَ طَاهِرًا سَلِيمًا، وَأَخْلَاقَ فَاضِلَةً، الَّتِي هِيَ رُوحُ الدِّينِ، وَجَوْهَرُ الْإِسْلَامِ، وَالَّتِي طَفَحَ بِهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ»<sup>(٣)</sup>.

وَمِنْ الْجَوَانِبِ الْأُخْرَى الْمُتَعَلِّقَةِ بِأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ التَّعْرِيفُ بِدَوْرِهِمْ وَأَثَرِهِمْ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ، وَكَيْفَ يُوَدِّي الْإِلْتِمَامُ بِنَهْجِهِمْ إِلَى النِّجَاةِ فِي الْآخِرَةِ، وَمَاهِيَّةُ هَذَا

(١) ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الصواعق المحرقة: ص ١٩٢. والدم العبيط: الدم الطري.

أنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: ج ٢، ص ٢١.

(٢) قال ابن الأثير: «إِنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ إِذَا بَرَزَ قَالَ النَّاسَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مَا أَشْرَفَ هَذَا الْفَتَى! لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مَا أَعْلَمَ هَذَا الْفَتَى! لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مَا أَكْرَمَ هَذَا الْفَتَى! - أَي: مَا أَتَقَى - لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مَا أَشْجَعَ هَذَا الْفَتَى! فَكَانَتْ رُؤْيَتُهُ تَحْمِلُهُمْ عَلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ». ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج ٥، ص ٧٧.

(٣) كاشف الغطاء، محمد الحسين، الآثار الكلامية جنة المأوى: ج ٦، ص ٢١١ - ٢١٢.



المنهج الإلهي، وحجم الخسران الذي يؤدي إليه ابتعاد الموالي عنه.

خامساً: تعدد الألفاظ والصياغات والتراكيب وتنوعها، مع فصاحتها وكونها من لسان العرب، مما يدل على المنزلة العلمية والأدبية لها عليه السلام، فهذا الكم من المفردات المتنوعة والصياغات المختلفة والاستشهاد بالقرآن لا يستطيع أي خطيب أن يلم به إلا إذا كان موسوعياً جامعاً للمعارف والعلوم، وهذا يذكرنا بقول الإمام زين العابدين عليه السلام لعتمته الحوراء زينب عليها السلام: «وأنت بحمد الله عالمة غير معلّمة، فهمة غير مُفهمّة»<sup>(١)</sup>.

ومع هذا التعدد في الألفاظ إلا أنّها تتميز بدقّة استعمالها، فهي عليها السلام عندما قالت: «فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنة» جاءت بالدمعة والرنة مفردتين، وكان باستطاعتها أن تقول: (فلا رقأت الدموع ولا هدأت الرنات)، ولكنها بقولها هذا زادت التقريع والتأنيب عليهم، ودعت عليهم ألا تحفّ دمعة واحدة منهم، ولا تهدأ لهم صيحة واحدة، بل تزداد وتستمر، ولو قالتها جمعاً لم يكن لها الوقع الذي هو عليه بهذه الصورة؛ وحينما قالت: «تبّت الأيدي»، فهي، أشارت إلى اجتماع القوم على خذلان الإمام الحسين عليه السلام، وهذا ما نلمسه من قولها: «فريتم، أبرزتم، سفكتم، انتهكتهم...» فهي تتكلّم بصيغة الجمع؛ لتبيّن أنّ المتخاذلين عن القتال مع الإمام الحسين هم مشتركون مع ابن زياد وشمر وابن سعد في الجريمة.

ومن هذه المزيّة نفيّد أنّ الخطيب يراعي آلية استعمال الألفاظ بدقّة؛ لكي يوصل مراده من خلال ألفاظ صحيحة، فيطابق لفظه المعنى الذي يقصده، ولا يكون لفظه غير دالّ على معناه، فيفهم منه المتلقّي غير ما يقصد، بل يكون معناه ملء لفظه.

ومن ناحية أخرى لا بدّ أن يُشعر الخطيبُ المخاطبَ بالوجهة الصحيحة التي لا بدّ له أن يكون فيها، وكيف يمارس دوره في المجتمع، وما هو المطلوب منه، وكيف

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٤٨.

يكون الإنسان عاملاً على تصحيح خطأ المجتمع، ولا يكون عاملاً سلبياً فيه، بل عامل إيجابي ينتفع به من يراه ويسمع قوله، وتذكره بالله رؤيته. وهذا كله يتبع الأسلوب في الخطاب، والأسلوب هو وليد المكان والزمان والحدث والمخاطب؛ فإن السيدة زينب عليها السلام حينما استعملت الأسلوب التقريعي كان مناسباً مع واقع المخاطب، ومع الزمان والمكان وقرب وقوع الحدث وتقصير الأمة؛ ولذا أدى فعله. أمّا في موطن آخر فقد لا ينفع هذا الأسلوب، بل يكون منقراً للسامع؛ إذ ظروف الخطابة تملي على الخطيب أن يتبع أسلوب التذكير والنصح، أو غيرها مما يراه مناسباً بعد دراسته لتلك الظروف الموضوعية.

سادساً: الفنون البلاغية العالية والمتنوعة في أرجاء الخطبة مما لا يأتي به إلا كبار أدباء البيان والمعاني والبديع؛ فهي عليها السلام على نهج أبيها في خطبه، تفيض بلاغة وأدباً جمّاً؛ فقد تنوّعت الأغراض البلاغية على لسانها بكل يسر. واستكمالاً لهذا البحث أعرض هنا بعض الأمثلة البيانية في هذه الخطبة.

### الأمثلة البيانية في الخطبة

كلامنا هنا عن جزء من بلاغة زينب الحوراء عليها السلام في هذه الخطبة، وبلاغتها هي سمة بارزة فيها، فقد امتازت ببلاغة عالية رفيعة المستوى، فكلامها «يشبه إلى حدّ بعيد كلام السيدة فاطمة عليها السلام من حيث جزالته، وقوة أسره، وشدة وقعه»<sup>(١)</sup>.

وكانت عليها السلام تتفوّه بكلامها بانسيابية كاملة من دون تكلف ولا مبالغة ولا عي؛ تتفجّر البلاغة من جوانب كلامها تفجّراً؛ لأنّ البلاغة الكامنة في كلامها أصبحت ملكة راسخة عندها ورثتها من جدّها وأبيها وأُمّها وإخوتها، وحسبها بأبيها عليه السلام؛ «إذ كان أمير المؤمنين عليه السلام مشرّع الفصاحة وموردّها، ومنشأ البلاغة ومولدها، ومنه عليه السلام ظهر مكنونها،

(١) الأرنؤوط، عبد اللطيف، سمات الأدب النسائي في بلاغات النساء لأحمد بن طيفور، مجلّة التراث العربي، العدد ٥٠، ص ١٠٧.

وعنه أُخِذَتْ قَوَانِينُهَا، وَعَلَى أُمَّثَلَتِهِ حَذَا كُلُّ قَائِلٍ خَطِيبٍ، وَبِكَلَامِهِ اسْتَعَانَ كُلُّ وَاِعْظِمِ بَلِيغٍ»<sup>(١)</sup>؛ فَكَلَامُهُ دُونَ كَلَامِ الْخَالِقِ، وَفَوْقَ كَلَامِ الْمَخْلُوقِينَ، وَقَدْ اسْتَمَدَّتِ الْحَوْرَاءُ عَلَيْهَا السَّلَامُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَكَانَتْ «تَتَلَاعَبُ فِي قُلُوبِ سَامِعِيهَا، وَأُسْلُوبُهَا يَشْبَهُ إِلَى حَدٍّ بَعِيدٍ أُسْلُوبَ وَالِدِهَا عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ)، وَكَأَنَّ الْبَلَاغَةَ إِرْثٌ تَحَدَّرَ إِلَيْهَا مَعَ الدَّمِ»<sup>(٢)</sup>. وَلِذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أَلْقَتْ خَطْبَتَهَا وَقَفَ النَّاسُ حِيَارَى مِنْ كَلَامِهَا الَّذِي أَشْبَهَ كَلَامَ أَبِيهَا حُسْنًا، وَذَكَرَتْ النَّاسَ بِخَطْبَةِ عَلَيْهَا السَّلَامُ بِلَاغَةً وَعِلْمًا وَأَدْبًا وَأُسْلُوبًا، مِمَّا كَمَّمِ الْأَفْوَاهَ، وَأَدْهَشَ الْعُقُولَ، وَأَخْرَسَ الْأَلْسِنَةَ، وَأَجْرَى الدَّمُوعَ؛ لِذَلِكَ انْبَرَى اللَّعِينُ ابْنُ زِيَادٍ قَائِلًا: «هَذِهِ سَجَاعَةٌ، وَلِعَمْرِي، لَقَدْ كَانَ أَبُوهَا سَجَاعًا شَاعِرًا. فَقَالَتْ [عَلَيْهَا السَّلَامُ] مَا لِلْمَرْأَةِ وَالسَّجَاعَةِ؟! إِنَّ لِي عَنِ السَّجَاعَةِ لَشَغْلًا، وَلَكِنْ نَفَثَ صَدْرِي بِمَا قُلْتَ»<sup>(٣)</sup>.

وَلِعَمْرِي، إِنْ كَانَتْ خَطْبَتُهَا تِلْكَ مَجْرَدَ نَفْثَةٍ<sup>(٤)</sup>، فَمَاذَا كُنَّا سَنَسْمَعُ لَوْ كَانَتْ غَيْرَهَا؟! مَاذَا كُنَّا سَنَسْمَعُ لَوْ حَلَّقَتْ فِي فِضَاءِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَالْأَدَبِ؟! تَنْهَلُ مِنْ مَعِينِ الْإِسْلَامِ مِنْ آهْلِ الْأَطْهَارِ، مَذْكُورَةَ بِاللَّهِ، وَمُعَلِّمَةَ لِأَحْكَامِ الْإِسْلَامِ، وَدَاعِيَةَ إِلَى الْأُسْلُوبِ الْأَمْثَلِ فِي الْأَخْلَاقِ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ كَائِنٌ فِي بَعْضِ الْمَجَالِسِ الْخَاصَّةِ الَّتِي لَمْ يَنْقَلِهَا التَّأْرِيخُ؛ أَقُولُ: لَوْ وَصَلْنَا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا لَوْ صَلَّتْنَا بِلَاغَةَ أَرْقَى، وَخُطْبًا أَسْمَى، وَلَقَرْنَا أَدْبًا يَقِفُ بِإِجْلَالِ أَمَامِهِ الْأَدْبَاءُ وَالْبَلْغَاءُ، كَمَا وَقَفُوا بِإِجْلَالِ أَمَامِ خَطْبَتِهَا فِي مَجْلِسِ ابْنِ زِيَادٍ، وَقَدْ وَصَفَ الْمُبَرِّدُ (٢٨٥هـ) خَطْبَتَهَا عَلَيْهَا السَّلَامُ حِينَ دَخَلَتْ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ قَائِلًا: «وَكَانَتْ أَسَنَّ مَنْ هُمِّلَ إِلَيْهِ مِنْهِنَّ، وَقَدْ كَلَّمْتَهُ، فَأَفْصَحَتْ وَأَبْلَغَتْ، وَأَخَذَتْ مِنَ الْحِجَّةِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) الشريف الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة: المقدمة ص ٣٤.

(٢) الأرنؤوط، عبد اللطيف، سمات الأدب النسائي في بلاغات النساء لأحمد بن طيفور، مجلّة التراث العربي، العدد ٥٠، ص ١٠٧.

(٣) الإربلي، علي بن أبي الفتح، كشف الغمّة: ج ٢، ص ٢٧٦.

(٤) التفتة: هي ما يخفّف به عن الصدر، ويروّح به عن النفس. أنظر: الزيات، أحمد حسن وآخرون، المعجم الوسيط: ج ٢، ص ٩٣٧.

(٥) المبرّد، محمد بن يزيد، الكامل في الأدب: ص ١١٨٥ - ١١٨٦.

وفي هذه الخطبة مواضع بلاغية جميلة تدهش السامع والقارئ وتأخذ بلبه، نأخذ هنا بعضاً منها باختصار، فلا نستطيع أن نفي بحقها كلها:

١- قولها عليه السلام: «كمرعى على دمنة، أو كقصبة على ملحودة».

في هذا الموضوع شبّهت موقف أهل الكوفة في حالهم التي هم عليها عند مقتل الإمام الحسين عليه السلام، بصورة مرعى على دمن، وصورة جصّ موضوع على لحد، واستثمرت هاتين الصورتين لتوصل من خلالها أنّ حال هؤلاء في انتسابهم إلى الدين والأخذ منه، ما هو إلا كمرعى على دمن، فإذا كان المنبتّ وبيلاً فلا بدّ على الإنسان أن لا يغترّ بالمظهر؛ لأنّ الأساس هو المنبت، وما لم يكن طيباً فلا يؤتي ثمرأً صالحاً؛ وكذلك لا فائدة من جصّ يوضع فوق قبر أو لحد، فلا فائدة مرجاة من شيء جميل أو شيء نفيس يوضع على مكان لا نفع من ورائه، فما نفع اللحد بالجصّ، وكذلك ما فائدة المرعى الذي يكون فوق أكوام من النفايات، فإنّ منبته وبيء، وكذلك حال أهل الكوفة؛ فإنّهم لم يطهّروا ضمايرهم من الغلّ، والحسد، والحقد، والدغل؛ فباتت نفوسهم منابت وبيئة قذرة، أمّا ظاهرهم فكان جميلاً يخدع الناظر إليه؛ وذلك لأنّه يراهم قوم دين، وهم يرتدون الدين جلباباً لأجل منافعهم، ويأخذون منه بمقدار ما يخدم مصالحهم، «إنّ الناس عبيد الدنيا، والدين لعقّ على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معائشهم، فإذا مُحّصوا بالبلاء قلّ الديّانون»<sup>(١)</sup>، فإذا وصل وقت المال، والجاه، والثروة، وطاعة السلطان الظالم لنيل رضاه، فلا حاجة لهم بالدين؛ لأنّ هؤلاء القوم يتمظّهرون للدين، ولا يفقهون منه شيئاً، فلا يملكون إلاّ ألسن النفاق المزينة للأشياء بزينة الشيطان بالصدّ من باطنهم المريض بالأضغان، والحقد المشابه للدمنة والملحودة

(١) ابن شعبة الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص ١٧٤.

التي يسودها البياض من الخارج إلا أنّ داخلها (جيفة)، فمنحت الصورة التشبيهية إيضاحاً للمعنى، وتثبيتاً له، وتعميقاً للنظر في معانيه ورفعها، وتضعيف قواها في تحريك النفوس، واستمالة القلوب»<sup>(١)</sup>.

وكانت السيّدة زينب عليها السلام في تشبيهها هذا قد قارنت بين صورتين، بين عطاء وإتلاف، وبين جمال وقبح، وبيّنت أنّ هاتين الصورتين لا يمكن أن تجتمعا معاً، فإمّا أن يكون الإنسان كلّه جميلاً، أو يكون كلّه قبيحاً؛ أمّا أن يحاول أن يجمع بينهما، فلا بدّ أن يأتي اليوم الذي يظهر فيه على حقيقته. وقد بيّنت عليها السلام هذا المعنى من خلال إشارتها إلى فائدة المرعى الحقيقيّة لو كانت نافعة، وكذلك إشارتها إلى الجصّ؛ ف«إذا أشار المرعى إلى قوّة الخير والعطاء التي كان يمكن أن يمثلها الكوفيّون لو وقفوا الموقف السليم، [و] أشارت الدمنة إلى قوّة الإتلاف والتخريب التي حولت ذلك المرعى من مصدر للخير إلى نفاية مؤذية...»<sup>(٢)</sup>.

٢- قولها عليها السلام: «وفي العذاب أنتم خالدون».

ذكرت عليها السلام هنا العذاب، والخلود فيه، وهذا النصّ هو اقتباس قرآني جميل كما تقدّم، فضلاً عن كونه يحمل معنى مجازياً، فهي أرادت هنا الخلود في النار، وقالت: (في العذاب)، أي: ذكرت الحال، وهي تريد المحلّ، وهذا هو مصداق العلاقة الحالية في المجاز المرسل.

وقد نستطيع تأويل النصّ بشكل آخر، فإنّ العذاب الحقيقي هو عذاب النار في يوم القيامة، إلا أنّ هناك عذاباً في الدنيا سيعانونه، هذا العذاب هو العذاب النفسي، والشعور بفظاعة الأمر، والشعور بالتقصير الدائم.

(١) هتون، هادي سعدون، التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية: ص ٤.

(٢) مجموعة من الباحثين، الإمام الخميني وثقافة عاشوراء: ص ٨٩.

وقد أكدت هذا الأمر باستعمالها الجملة الاسمية التي أثبتت الأمر، أي: لا مفرّ هناك لهم إلا الخلود في العذاب؛ لأنهم لا يستطيعون أن يغسلوا العار الذي لحق بهم بقتلهم ابن بنت رسول الله ﷺ؛ فمقتل الإمام الحسين عليه السلام ذنبٌ ليس كمثله ذنب.

٣- قولها عليه السلام: «وأني ترخصون قتل سليل خاتم الأنبياء، وسيّد شباب أهل الجنة».

في هذا النصّ نوع من الكناية جميلة، قال الدكتور عليّ زيتون: «تلمّست السيّدة الحادث من خلال شهادته، ونظرت إلى النبي من خلال أهميّة النبوة والإسلام، فهي لم تذكر النبي ﷺ باسمه، بل كنت عنه بكنايتين هما: (خاتم النبوة) و(معدن الرسالة) (١)؛ لتبرز مقام الرسول ﷺ المتفوق على سائر الأنبياء عليهم السلام، وهي لم تعتمد إلى هاتين الكنايتين بشكل عفوي، ولكنها قصدتها لتحمل كلمة (سليل) التي أضيفت إليها، الدلالة التي تراها لذلك السليل. فلم تعد سلالة دموية جسدية فحسب، بل صارت سلالة عقيدية إيمانية، وانتماءً إلى أرقى ما في النبوة منذ وجدت النبوة أيضاً. وتأتي جملة (سيّد شباب أهل الجنة) المعطوفة على (سليل خاتم النبوة)، لا لتذكّر برأي الرسول ﷺ في الحسين عليه السلام فحسب، ولكن لتقدّم مظلومية هذا الإمام ومقامه عند ربّ العالمين أيضاً، ولتضيء كلمة (سليل) إضاءة جديدة فتجعلها (سليلاً مميّزاً) تؤمى إلى العصمة، وإلى الدور الذي ترتبه العصمة على المعصوم في الحياة الدنيا» (٢).

٤- قولها عليه السلام: «وملاذ خير تكم، ومفرع نازلتمكم، ومنار حجّتكم، ومدره ألسنتكم».

في النصّ المتقدّم مجموعة صفات جاءت بها السيّدة زينب عليها السلام؛ لكي تشبّه بها أخاها الإمام الحسين الشهيد عليه السلام، وتقرّع الكوفيين بها؛ إذ كلّ هذه الصفات هي ممّا يحتاجه

(١) هذا الوصف غير موجود في الخطبة التي نقلها الكاتب. نعم، هو مذكور في نقل آخر للخطبة.

أنظر: الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٠٤.

(٢) مجموعة من الباحثين، الإمام الخميني وثقافة عاشوراء: ص ٨٤ - ٨٥.

الكوفيون في شخصية كالحسين عليه السلام ترعى شؤونهم، وتهديمهم إلى الصراط المستقيم، ولكنهم فرطوا بها أيّ تفريطٍ حين انتهكوا حرمة في أعظم واقعة شهد بها التاريخ. وكان المجيء بهذه الصفات بصورة بالغة الدقة، إذ جاءت بها متساوية كامل التسوية بينها وبين الإمام الحسين عليه السلام، وقد قامت بحذف المشبه به وهو الإمام الحسين عليه السلام، واكتفت بالمشبه (ملاذ، مفرع...)، فصار التشبيه بليغاً، وقد حوّلت الصورة من المعقول إلى المحسوس، فهم لم يقتلوا الشخص، بل قتلوا الملاذ والمفرع والمنار والمدّره، فأصبحت الصورة استعارية «لتغني صورة الإمام الحسين عليه السلام بأبعاد جديدة، هي: قوّة الشفاء، والرأي، والهداية، فتخرجه من هويته البشرية مضافاً عليه بُعداً روحياً يصير معه قضية إيمانية كبرى تُعيد الضائع إلى رشده، وتقوّي منطقته في مواجهة الآخرين، يعني كلّ ذلك أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان محور القضية بالنسبة إلى السيّدة زينب عليها السلام يختصر كلّ الشهداء، ويعبر عنهم، ويظلّ علامة فارقة لا تلتبس بمن ينتمي إليها»<sup>(١)</sup>، وهو عليه السلام لم يكن محوراً لها في خطبتها لعلاقتها النسبيّة به، بل هو محور لها لما يمثله في الواقع الإسلامي على الأرض، فهو حجّة الله تعالى على أرضه.

٥- قولها عليها السلام: «إنّ ما جئتم بها لصلعاء، عنقاء، سوءاء، فقهاء، خرقاء، شوهاء».

في هذا القول استعارة جميلة لطيفة جاءت بها الحوراء زينب عليها السلام في غاية الروعة والبلاغة، قال الباحث هادي سعدون: «جاء التصوير الاستعاري في الخطاب متمثلاً بالاستعارة المكنية بحذف المستعار منه (الأفعال)، وصرّحت بالمستعار له (القوم)، فتعاقد في سموّ التصوير حسن الاختيار ورفعة التوظيف، أمّا حسن الاختيار يتجلّى بالأوصاف المساقاة (شوهاء خرقاء)؛ إذ يكاد مدلولها اللّغوي أن ينعقد على معنى شناعة

(١) المصدر السابق: ص ٨٥.



الخُلُق، أي: إنَّ النَّصَّ قصد إلى توظيف هذه المفردات، الدالّة على تلك المعاني واقتراب  
مستواها منها»<sup>(١)</sup>.

وهنا لا بدّ أن يفيد الخطيب من الجانب البلاغي في الخطبة في تنمية الجانب الأدبي  
عنده، فمتى ما كان أديباً في قوله، استطاع التأثير أكثر؛ ولذا فمما يُنقل عن أحد العلماء  
أنّه كان يوصي الخطباء بقوله: كونوا أدباء لتُبكو الناس على الحسين عليه السلام.

ومهما يطول الكلام في هذه الخطبة فإنّه يبقى ناقصاً؛ إذ هي من أمّهات الخطب،  
فهي قصيرة السطور، ولكنها عظيمة الحضور.. تلك الخطبة التي كانت من الزلازل  
الأولى التي هدّمت عرش بني أمية وأسقطته... فقد كانت السيّدة زينب عليها السلام في  
موقفها عند خطبتها ومواقفها الأخرى في مسيرة السبايا ضاربةً للكيان الأموي،  
مزلزلةً أركانها، محطّمةً بنيانه، بكلماتها وسكناتها، بعزّتها وإبائها، بصبرها وتحديها، والله  
درّ الدكتور بنت الشاطي إذ تقول: «لم تمض زينب إلّا بعد أن أفسدت على ابن زياد  
ويزيد وبني أمية لذّة النصر، وسكبت قطرات من السمّ الزعاف في كؤوس الظافرين!  
فكانت فرحة لم تطل... وكان نصراً مؤقتاً لم يلبث أن أفضى إلى هزيمة قضت آخر الأمر  
على دولة بني أمية»<sup>(٢)</sup>.

وكانت هذه الخطبة التقريريّة تحاول إرجاع الناس إلى الله تعالى من خلال  
تقريرهم، وتعنيفهم، وتذكيرهم، فالهدف الأوّل والأخير من الثورة الحسينية هو  
الإصلاح، وهو ما قامت به السيّدة زينب عليها السلام في خطبتها التي بعثت روحاً مغيرةً  
في النفوس من خلالها، وكانت تُريد أن تُعيد للإسلام اسمه ورسمه، بعد أن أبقى  
الطغاة من الإسلام اسمه فقط.

(١) هنّون، هادي سعدون، التصوير الفنّي في خطب المسيرة الحسينية: ص ١٠٤.

(٢) بنت الشاطي، عائشة عبد الرحمن، السيّدة زينب عقيلة بني هاشم: ص ١٥٨.



## المصادر والمراجع

\* القرآن الكريم.

- ١- الاحتجاج، أحمد بن علي الطبرسي، دار الأندلس، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- ٢- الأمالي، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٣- الإمام الحسين عليه السلام شمس لن تغيب، جميل الربيعي، دار البلاغة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.
- ٤- الإمام الخميني وثقافة عاشوراء، مجموعة من الباحثين، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، الشؤون الدولية، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- ٥- البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب، وكامل حسن البصير، مطابع بيروت الحديثة، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
- ٦- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.
- ٧- تاريخ الخلفاء، الحافظ جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.
- ٨- تحف العقول عن آل الرسول، الحسن بن علي بن شعبة الحرّاني، منشورات المكتبة والمطبعة الحيدرية في النجف، الطبعة الخامسة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.
- ٩- التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، القاهرة، لندن، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- ١٠- التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية من مكة إلى المدينة، هادي سعدون هنون، العتبة العلوية المقدّسة، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

- ١١- تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، محمد بن الحسن بن علي الطوسي، صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاري، مكتبة الصدوق، تهران، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ١٢- تهذيب اللّغة، محمد بن أحمد الأزهري، حقّقه وقدم له: عبد السلام محمد هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- ١٣- دور المنبر الحسيني في التوعية الإسلامية، محمد باقر المقدسي، المؤتمر الدولي حول التجديد في المنبر الحسيني، العتبة العباسية المقدّسة، معهد العلمين، الطبعة الثالثة، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.
- ١٤- زينب الكبرى، جعفر النقدي، دار جواد الأئمّة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
- ١٥- زينب صرخةٌ أكملت مسيرة، أنطون بارا، العتبة الحسينية المقدّسة، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ/٢٠١٢م.
- ١٦- سمات الأدب النسائي في بلاغات النساء لأحمد بن طيفور، عبد اللّطيف الأرنبوط، مجلّة التراث العربي، العدد ٥٠.
- ١٧- السيّدّة زينب عقيلة بني هاشم عليها السلام، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي، منشورات الشريف الرضي، قم.
- ١٨- الصواعق المحرقة في الردّ على أهل البدع والزندقة، أحمد بن حجر الهيتمي، حقّقه: عبد الوهاب عبد اللّطيف، دار الطباعة المحمّدية، درب الأتراك بالأزهر بالقاهرة.
- ١٩- الطراز الأوّل والكناز لما عليه من لغة العرب المعوّل، علي بن أحمد بن محمد معصوم الحسيني المعروف بابن معصوم المدني، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التّراث، مشهد - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
- ٢٠- فنّ الخطابة، أحمد محمد الحوفي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، الطبعة الرابعة.

٢١- الكافي، محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، تحقيق: قسم إحياء التراث، مركز بحوث دار الحديث، قم، الطبعة الثالثة، ١٤٣٤هـ.

٢٢- كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمي، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة.

٢٣- الكامل في الأدب، محمد بن يزيد المبرد، حققه وعلّق عليه وصنع فهراسه: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٢٤- كتاب الأمالي، محمد بن الحسن بن علي الطوسي، تحقيق وتصحيح: بهراد الجعفري، وعلي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الأولى، ١٣٨٠هـ. ش.

٢٥- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م.

٢٦- كتاب جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، حققه وعلّق حواشيه ووضع فهراسه: محمد إبراهيم، وعبد المجيد قطايش، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٢٧- كتاب جمهرة اللّغة، محمد بن الحسن بن ذرّيد، حققه وقدم له: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٢٨- كتاب من لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق، صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدّسة، الطبعة الثانية.

٢٩- كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، علي بن أبي الفتح الإربلي، منشورات الشريف الرضي، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٣٠- اللهوف في قتلى الطفوف، رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، تحقيق وتقديم: الشيخ فارس تبريزيان (الحسّون)، دار الأسوة للطباعة والنشر، الطبعة

الرابعة، ١٤٢٥هـ.

- ٣١- المعجم الوسيط، قام بإخراجه: أحمد حسن الزيّات، وآخرون، دار الدعوة، استانبول - تركيا، ١٩٨٩ م.
- ٣٢- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.
- ٣٣- مقتل الحسين عليه السلام، الموفق محمد بن أحمد المكي الخوارزمي، تحقيق: الشيخ محمد السماوي، انتشارات أنوار الهدى، الطبعة الثانية، ١٤٢٣ هـ.
- ٣٤- موسوعة الإمام محمد الحسين آل كاشف الغطاء، الآثار الكلامية، إعداد: مركز إحياء التراث الإسلامي، طهران، الطبعة الأولى، ١٤٣٩ هـ/ ٢٠١٨ م.
- ٣٥- موسوعة الثورة الحسينية، محمد نعمة السماوي، دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١ م.
- ٣٦- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، مؤسسة إسماعيليان، قم، الطبعة الرابعة.
- ٣٧- نهج البلاغة، المختار من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، لجامعه: محمد بن الحسين بن موسى المعروف بالشريف الرضي، تحقيق: السيّد هاشم الميلاني، العتبة العلوية المقدّسة، مكتبة الروضة الحيدرية، ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠ م.

# كلمات حنينية

◆ دور أهل البصرة في النهضة الحسينية

◆ سفراء الإمام الحسين عليه السلام



## دور أهل البصرة في النهضة الحسينية

أ. د. جواد كاظم النصر الله \*

توفي معاوية بن أبي سفيان في رجب سنة (٦٠هـ) بعد أن مهد الطريق لولده يزيد، الذي بدوره حالماً تولى الحكم كتب لوالي المدينة أن يأخذ البيعة من الإمام الحسين عليه السلام، لكن الإمام رفض ذلك قائلاً: «إنّ مثلي لا يبايع مثله»<sup>(١)</sup>. وهذا الموقف يُعدّ إعلاناً لبداية نهضته المباركة، بعدها ارتحل عليه السلام بأهل بيته من المدينة في (٢٨/ رجب/ سنة ٦٠هـ) إلى مكة التي وصلها في (٣/ شعبان).

بقي الإمام في مكة من (٣/ شعبان) وحتى (٨/ ذي الحجة)، أي: ما يقارب (١٢٥) يوماً، وهي أطول فترات النهضة الحسينية<sup>(٢)</sup>، وفي مكة علّم أهل الكوفة

---

\* جامعة البصرة - كلية الآداب، من العراق.

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٧.

(٢) امتدّت النهضة الحسينية بين أربع مدن:

الأولى: المدينة المنورة، التي لم يبق بها الإمام الحسين عليه السلام سوى أياماً معدودة بعد إعلانه النهضة، ولم يجد له من نصره إلا أفراداً يُعدّون بالأصابع، وهم من اشترك بواقعة كربلاء.

الثانية: مكة المكرمة، التي بقي فيها الإمام (١٢٥) يوماً، وهي أطول فترات النهضة الحسينية، ومنها كان الإمام الحسين عليه السلام يتحرّك، فيستقبل الرسل ويرسلهم نحو الكوفة والبصرة.

الثالثة: البصرة، إذ أرسل الإمام الحسين عليه السلام لرؤوس الأشراف كتاباً يدعوهم لنصرته، ورغم أنّه كانت هناك إجابة، لكنّ اليد الحديدية للدولة الأموية في البصرة، وسرعة إحاطة جيوشهم بالإمام عليه السلام، واستشهاده، حال دون المشاركة الواسعة، ما خلا تسعة رجال تمكّنوا من الوصول والمشاركة في كربلاء.

الرابعة: الكوفة، التي كان لها الحظّ الأوفر في كربلاء بدعوتها الإمام الحسين عليه السلام، وعلى أرضها جرت دماء النهضة الأولى متمثلة بمسلم بن عقيل ومن معه من أنصار الإمام الحسين عليه السلام، ثمّ خروج الجيش الأموي من الكوفة الذي استباح الأسرة النبوية وأنصارها في أرض كربلاء يوم العاشر من المحرم سنة (٦١هـ). أنظر: الريشهري، محمّد، موسوعة الإمام الحسين عليه السلام في الكتاب

برفض الإمام الحسين عليه السلام لبيعة يزيد فأخذوا بمكاتبتة<sup>(١)</sup>، ودعوته للقدوم إلى الكوفة؛ لغرض مبايعته بالخلافة، فأجابهم الإمام الحسين عليه السلام بكتاب، وأرسل إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل؛ ليستخبر حالهم. ولكن الأمر اللافت للنظر أن الإمام الحسين عليه السلام وهو في مكة قام بنفسه بمكاتبة أهل البصرة من دون الأمصار الإسلامية؛ إذ لم نجد ما يشير إلى أنه عليه السلام كاتب مصر آخر.

فقد جاء في (تاريخ الطبري) ما نصّه: «وقد كان حسين كتب إلى أهل البصرة كتاباً، قال هشام: قال أبو مخنف: حدّثني الصقعب بن زهير، عن أبي عثمان النهدي، قال: كتب حسين مع مولى لهم يقال له: سليمان، وكتب بنسخة إلى رؤوس الأخصاس بالبصرة، وإلى الأشراف، فكتب إلى مالك بن مسمع البكري، وإلى الأحنف بن قيس، وإلى المنذر ابن الجارود، وإلى مسعود بن عمرو، وإلى قيس بن الهيثم، وإلى عمرو بن عبيد الله بن معمر، فجاءت منه نسخة واحدة إلى جميع أشرافها:

أما بعد، فإن الله اصطفى محمداً (صلّى الله عليه وآله وسلّم) على خلقه، وأكرمه بنبوته، واختاره لرسالته، ثم قبضه الله إليه، وقد نصح لعباده، وبلغ ما أرسل به صلّى الله عليه وآله وسلّم، وكنا أهلهم، وأولياءهم، وأوصيائهم، وورثتهم، وأحقّ الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا الفرقة، وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنا أحقّ بذلك الحق المستحق علينا ممّن تولّاه، وقد أحسنوا، وأصلحوا، وتحروا الحق، فرحمهم الله، وغفر لنا ولهم. وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلّى الله عليه وآله وسلّم، فإنّ السنة قد أميتت، وإنّ البدعة قد أُحييت، وأن تسمعوا قولي، وتطيعوا أمري، أهدكم سبيل الرشاد. والسلام عليكم ورحمة الله»<sup>(٢)</sup>.

والسنة والتاريخ: ج ٣، حيث تناول عبر فصوله السبعة الأحداث والوقائع التاريخية للنهضة الحسينية في البلاد الإسلامية.

(١) وهذا ينفي الشبهة القائلة: إنّ أهل الكوفة هم من بدأ بمراسلة الإمام عليه السلام، وإنّ نهضته جاءت استجابة لدعوتهم ومن ثمّ غدروا به وقتلوه.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٦٥ - ٢٦٦.



من خلال النصّ أعلاه يمكن الإشارة إلى جملة أمور:

أولاً: لماذا كاتب الإمام عليه السلام أهل البصرة؟

ثانياً: من هو رسول الإمام عليه السلام؟

ثالثاً: من هم الذين كاتبهم الإمام عليه السلام؟

رابعاً: ما الذي كان يريدُه الإمام عليه السلام؟

خامساً: ما هي ردود أفعالهم؟

وللإجابة عن الأسئلة حسب الترتيب نقول:

### أولاً: لماذا كاتب الإمام عليه السلام أهل البصرة؟

يمكن القول: إنّ مراكز القوى في العالم الإسلامي يومذاك تكمن في مدن عدّة، وهي: مكّة، والمدينة، والبصرة، والكوفة، ودمشق، ومصر، وخراسان، واليمن. فبالنسبة إلى مكّة والمدينة، فإنّهما لم يعد لهما ذلك الدور القيادي، ما خلا الإرث الديني بكونهما منطلق الإسلام الأوّل، وفيهما البيت الحرام ومرقد النبي صلى الله عليه وآله. أمّا من الناحية الاستراتيجية، فلم تعد لهما القدرة على إحداث التغيير، ولذلك فإنّ أيّ ثورة فيها سيؤول مصيرها إلى الفشل<sup>(١)</sup>. فضلاً عن ذلك، فإنّ غالبية أهل المدينتين كان موقفهما سلبياً من أهل البيت عليهم السلام<sup>(٢)</sup>؛ ومن هنا فإنّ الإمام الحسين عليه السلام ومن قبله أمير المؤمنين عليه السلام لم يعتمدا على المدينتين<sup>(٣)</sup>.

(١) كما هو الحال في ثورة محمّد ذي النفس الزكية ضدّ المنصور سنة (١٤٥هـ)، وثورة فخر ضدّ المهدي العباسي سنة (١٦٩هـ). للمزيد من التفاصيل عنها أنظر: أبو الفرج الإصفيهاني، عليّ بن الحسين، مقاتل الطالبين: ص ١٠٥-١٢٦، وص ١٩١-٢٠٤.

(٢) روى أبو عمر النهدي، قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: «ما بمكّة والمدينة عشرون رجلاً يحبّتنا». ابن أبي الحديد المعتزلي، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج ٤، ص ١٠٤.

(٣) لم يطل الإمام عليه السلام البقاء في المدينة بعد تولّيه الخلافة إلا أربعة أشهر. أنظر: ابن الأثير، عليّ بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٢، ص ٥٨٣. النصرالله، جواد كاظم، أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام في رحاب البصرة: ص ٥٧.

وبالنسبة إلى مصر وخراسان، فإنَّهما بعيدتان نسبياً ودورهما دون دور الكوفة والبصرة.

وأما اليمن، فمع بعدها النسبي فإنَّه لم يكن لها الدور الاستراتيجي كما هو الحال بالنسبة للكوفة والبصرة، وكان الثَّوار يلجؤون إلى هاتين المدينتين للعمل فيهما على المدى البعيد<sup>(١)</sup>.

ويبقى الأمر بالنسبة للشام، فهي بيد الأسرة الأموية والإمام عليه السلام لا يأمل فيها خيراً البتَّة، فلم يبقَ أمامه سوى الكوفة والبصرة، وموقف الكوفة كان واضحاً وأهلها بدأوا بمراسلة الإمام عليه السلام، ويظهر أنَّ تولي الكوفة من قِبَل والٍ كالنعمان ممَّا شجَّع أهل الكوفة على التحرك ومكاتبة الإمام عليه السلام؛ إذ كان النعمان بن بشير<sup>(٢)</sup> من الأنصار الذين خذلوا الإمام علياً عليه السلام يوم صفين، ومع ذلك فالنعمان لا يمتلك حقد ووحشية القرشيين والثقفين ضدَّ أهل البيت عليهم السلام.

أما البصرة، فإنَّ وجود والٍ شرسٍ عليها وهو عبید الله بن زياد، ممَّا لم يعطِ الفرصة لأهل البصرة في التحرك ومكاتبة الإمام الحسين عليه السلام والالتحاق به إلاَّ بجهود استثنائية.

ويلاحظ أنَّ البصرة والكوفة هما ثقل العالم الإسلامي يومذاك، ومنهما تنطلق الجيوش لنشر مبادئ الإسلام في الخليج والمشرق، فضلاً عن معرفة أهل المدينتين بالإمام الحسين عليه السلام، ففي البصرة قدم الإمام الحسين عليه السلام مع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام في أحداث الجمل، وبقيَ بينهم (٧٢) يوماً، واستمرَّت هذه المعرفة والتواصل مع

(١) أنظر: المقرئزي، أحمد بن عليّ، اتَّعاظ الحنفاء في أخبار الأئمَّة الخلفاء: ج ١، ص ١٠٥-١٤٧.

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: ج ٢، ص ١٥٨.

(٢) بشير بن سعد الخزرجي هو مَنْ طعن بالأنصار حسداً لسعد بن عبادة ودعا لبيعة أبي بكر؛ لذا أصبح موضع رضا الخلفاء، وقربوا ابنه النعمان الذي كان يوم صفين مع معاوية ضدَّ الإمام عليه السلام.

أنظر ترجمته: ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، الاستيعاب: ج ١، ص ١٧٢-١٧٣. ابن الأثير، عليّ ابن أبي الكرم، أسد الغابة: ج ١، ص ١٩٥-١٩٦. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن عليّ، الإصابة:

ج ١، ص ٣٢٧. النصر الله، جواد كاظم، مرويات الجوهرى عن يوم السقيفة: ص ٢٥.

الإمام عليه السلام؛ إذ كانوا يرأسونه ويسألونه في أمور الدين، منها على سبيل المثال: سؤالهم حول معنى الصمد، إذ ذكر الشيخ الصدوق رحمته الله: «قال وهب بن وهب القرشي: وحدثني الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه الباقر، عن أبيه عليه السلام، أن أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن علي عليه السلام، يسألونه عن الصمد، فكتب إليهم: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فلا تخوضوا في القرآن، ولا تجادلوا فيه، ولا تتكلموا فيه بغير علم، فقد سمعت جدِّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: مَنْ قال في القرآن بغير علم فليتبوء مقعده من النار، وإنَّ الله سبحانه قد فسّر الصمد فقال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ \* اللَّهُ الصَّمَدُ﴾<sup>(١)</sup>، ثم فسره فقال: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ \* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾<sup>(٢)</sup>. ﴿لَمْ يَكِدْ﴾ لم يخرج منه شيء كثيف كالولد وسائر الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين، ولا شيء لطيف كالنفس، ولا يتشعب منه البدوات كالسنّة والنوم والخطرة، والهَم والحزن والبهجة، والضحك والبكاء، والخوف والرجاء، والرغبة والسأمة، والجوع والشبع، تعالى أن يخرج منه شيء، وأن يتولد منه شيء كثيف أو لطيف. ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لم يتولد من شيء ولم يخرج من شيء كما يخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها، كالشيء من الشيء، والدابة من الدابة، والنبات من الأرض، والماء من الينابيع، والثمار من الأشجار، ولا كما يخرج الأشياء اللطيفة من مراكزها، كالبصر من العين، والسمع من الأذن، والشم من الأنف، والذوق من الفم، والكلام من اللسان، والمعرفة والتمييز من القلب، والناور من الحجر، لا بل هو الله الصمد الذي لا من شيء ولا في شيء ولا على شيء، مبدع الأشياء وخالقها، ومنشئ الأشياء بقدرته، يتلاشى ما خُلِقَ للفناء بمشيئته، ويبقى ما خُلِقَ للبقاء بعلمه، فذلكم الله الصمد الذي لم يلد ولم يولد، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال، ولم يكن له كفوًا أحد»<sup>(٣)</sup>.

(١) الإخلاص: آية ١-٢.

(٢) الإخلاص: آية ٣-٤.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، التوحيد: ص ٩٠ - ٩١.

وأما الكوفة، فقد عاش الإمام بين أظهرهم أربع سنين ونيّف، حينما اتخذها أمير المؤمنين عليه السلام عاصمة للدولة الإسلامية. ففيها الكثير ممّن يعتقد بالمكانة المقدّسة لأمير المؤمنين وولده الحسين عليه السلام.

## ثانياً: مَنْ هو رسول الإمام عليه السلام؟

يظهر أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد أرسل رسولين من مكّة:

الأول: مسلم بن عقيل إلى الكوفة.

والثاني: سليمان بن رزين إلى البصرة.

لكنّ مسؤوليّة الرسولين تباينت، ففي الوقت الذي كان مسلم ممثلاً للإمام الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة، اقتضت مهمّة سليمان على إيصال رسالة الإمام عليه السلام إلى أهل البصرة.

لكن مَنْ هو سليمان هذا؟ من المؤسف أنّ المصادر قد بخلت عن تقديم صورة عن هذه الشخصية الرسالية التي كانت موضع ثقة الإمام الحسين عليه السلام، فكلّ ما ورد عنه أنّه سليمان بن رزين، ويظهر أنّ أباه كان مولى للإمام الحسين عليه السلام؛ لذا تزوج من كبشة، وهي جارية للسيدة أمّ إسحاق زوجة الإمام الحسين عليه السلام، فولدت له سليمان الذي بقي مولى للإمام الحسين عليه السلام<sup>(١)</sup>، ويظهر أنّه ممّن سار مع الإمام عليه السلام من المدينة إلى مكّة، ولعلّه كان ذا مكانة متميّزة عند الإمام الحسين عليه السلام؛ لذا اختاره عليه السلام ليوصل رسالته إلى أهل رؤوس الأخماس وأشرف البصرة.

(١) أنظر: الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٦٥. ابن الأثير، عليّ بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١٣٥. ابن خلدون، عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون: ج ٥، ص ٥٠. المامقاني، عبد الله، تنقيح المقال: ج ٣٣، ص ٢٨١.

## ثالثاً: مَنْ هم الذين كاتبهم الإمام عليّ؟

من خلال نصّ كتاب الإمام عليّ إلى أهل البصرة يتّضح أنّ كتابه كان مرسلًا إلى مجموعتين:

الأولى: زعماء الأخماس.

والثانية: الأشراف.

فما المقصود بالأخماس؟ ومَنْ هم أولئك الزعماء والأشراف؟

لقد كانت البصرة أوّل مدينة تُبنى على الطراز الإسلامي سنة (١٤ هـ)، لكنّها لم تخرج عن إطار الجانب القبلي، فلقد قُسمت أرضها حسب القبائل التي نزلتها<sup>(١)</sup>، فقد أمر عمر بن الخطاب أبا موسى الأشعري<sup>(٢)</sup> حينما ولّاه إيّاها «بالخروج إليها - يعني البصرة - وأن يصرف الخطط لمن هناك من العرب، ويجعل كلّ قبيلة في محلّها، وأن يأمر الناس بالبناء، وأن يبني لهم مسجداً جامعاً»<sup>(٣)</sup>. ولكن لا نعلم على وجه الدقّة كيف كان تقسيم أبي موسى للبصرة قبلياً؟ لا سيّما وأنّها لا زالت تستقبل القبائل، ومنهمكة في الفتوحات، ولكننا نجد عند المنقري إشارة إلى أنّ أهل البصرة خرجوا إلى النخيلة<sup>(٤)</sup> للمشاركة في صفّين مع أمير المؤمنين عليّ حسب نظام الأخماس<sup>(٥)</sup>.

(١) أنظر: الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٣، ص ٥٩٣. العميد، طاهر، تخطيط المدن العربية الإسلامية: ص ٢١٢.

(٢) هو أبو موسى عبد الله بن قيس بن سليم الأشعري، قدم مكّة فحالف سعيد بن العاص بن أميّة، ثمّ أسلم بمكّة، وقيل: هاجر إلى الحيشة، وفي عهد عمر بن الخطاب ولّاه البصرة بعد عزل المغيرة ابن شعبه، وفي عهد عثمان بن عفّان ولّاه الكوفة، حتّى عزله أمير المؤمنين عليّ، وكان موقفه سلبياً من الإمام عليّ، واختاره أهل العراق للتحكيم، توفي سنة (٤٢ هـ). أنظر: ابن سعد، محمّد، الطبقات الكبرى: ج ٤، ص ١٠٥. ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، الاستيعاب: ج ٢، ص ١٧٦٢.

(٣) الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص ١١٣.

(٤) النخيلة: موضع بين الكوفة والأنبار. أنظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان: ج ٥، ص ٢٧٨.

(٥) أنظر: المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفّين: ص ١١٧.

وفي عهد ولاية زياد أيام معاوية - ولغرض السيطرة عليها - أُعيد تقسيمها خمسة أقسام إدارية تُدعى الأُخماس<sup>(١)</sup>. ولا يُعلم هل أجرى زياد تغييراً؟ وهذا ما يمكن الركون إليه تماشياً مع ما يُخدم الدولة الأموية، وكان كلّ خمس يضمّ عدداً من العشائر، وتوزّعت القبائل على هذه الأُخماس، سواء كانوا من العرب أم الموالي<sup>(٢)</sup>. وهم كالآتي:

١- خمس بني تميم: استقرت تميم في البصرة منذ بداية تمصيرها، وكانت متميزة من ناحية عدد أفرادها ومكانتها الاجتماعية والاقتصادية<sup>(٣)</sup>. ويقع خمس بني تميم جنوب غرب البصرة، إذ يحتوي على عدد من المحلات والخطط، فضلاً عن بطون تميم والقبائل المتحالفة معها<sup>(٤)</sup>. وقد وقفت تميم موقف الحياد في معركة الجمل، لكنّها شاركت مع الإمام عليّ<sup>(٥)</sup> في صفّين والمواقف التي تلتها<sup>(٦)</sup>. وكان موقف زعيمها الأحنف سلبياً في فتنة ابن الحضرمي.

٢- خمس الأزدي<sup>(٧)</sup>: يقع جنوب شرق البصرة، وضمّ خمسها عدداً من المحلات والخطط الفرعية وتفرّعات قبائل الأزدي كبنو مالك وبنو نصر وغيرهم<sup>(٨)</sup>، وقد وقفت الأزدي موقفاً سلبياً يوم الجمل من الإمام عليّ<sup>(٩)</sup>، لكنّه فيما بعدُ تغير موقفها إيجاباً من الإمام عليّ<sup>(١٠)</sup>، ووقفت إلى جانبه في فتنة ابن الحضرمي.

(١) أنظر: ماسنيون، لويس، خطط الكوفة: ص ٣٨.

(٢) أنظر: ابن الفقيه الهمداني، أحمد بن محمّد، مختصر البلدان: ص ١٩١.

(٣) أنظر: الحازمي، محمّد بن موسى، عجالة المبتدى وفضالة المنتهى في النسب: ص ٤٦، ٤٨، ٨٥، ٩٥، ٩٨. ناجي حسن، القبائل العربية في المشرق خلال العصر الأموي: ص ٩٤.

(٤) أنظر: عبد الجبار ناجي، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية: ص ١٣٨.

(٥) أنظر: المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفّين: ص ٥٧، و ٩٢.

(٦) الأزدي - وتكتب بالسين أيضاً الأسدي أو الأزدي - وهم ينسبون إلى الأزدي بن غوث بن مالك، سكنوا عُمان والبصرة في زمن عمر بن الخطاب. أنظر: السمعاني، عبد الكريم بن محمّد، الأنساب:

ج ١، ص ١٣٩. ابن الأثير، عليّ بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ١١١.

(٧) أنظر: الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٢٣٧. الحموي، ياقوت بن

عبد الله، معجم البلدان: ج ٢، ص ٣٢٤ و ج ٤، ص ٣٤٦.

٣- خمس عبد القيس: يقع شمال شرق البصرة<sup>(١)</sup>، نزلت عبد القيس البصرة في أواخر عهد عمر بن الخطاب، بعد أن نزحت من موطنها في البحرين<sup>(٢)</sup>، وكان أفرادها يتداخلون مع غيرهم من القبائل في السكن، ومن محلاتهم: محلة الجاروديين، ومحلة بني عامر، وخطط ربيعة بن نزار<sup>(٣)</sup>. ولما كان والي البصرة مسؤولاً عن الخليج ومنه البحرين، فقد ساعد هذا على توثيق صلة البصرة بالبحرين، مما شجّع قبائل عبد القيس على التوجّه نحو البصرة والاستيطان فيها<sup>(٤)</sup>. ويعدّ خمس عبد القيس من الأخماس الموالية للإمام عليّ عليه السلام؛ إذ وقفت قبائل عبد القيس منذ الوهلة الأولى إلى جانب الإمام عليّ عليه السلام، وهذه المواقف سبقت مجيء الإمام عليّ عليه السلام إلى البصرة في سنة (٣٦هـ/ ٦٥٦م)، وظلّت محافظة على ذلك الولاء في حياته وبعد مماته<sup>(٥)</sup>.

٤- خمس بكر بن وائل: يقع شرق وشمال شرق المسجد الجامع في البصرة<sup>(٦)</sup>، وتعدّ قبيلة بكر بن وائل ثاني أكبر قبيلة استقرّت في البصرة بعد تمصيرها، وهي لا تقل عن تميم من حيث العدد والنفوذ<sup>(٧)</sup>؛ مما يدلّل على قوّة ومكانة قبيلة بكر بن وائل في المدينة، وقيل في هذا الصدد: إنّ الغلبة حليف كلّ من كانت معه عبد القيس وبكر بن وائل<sup>(٨)</sup>.

٥- خمس أهل العالية: وهو من أخماس البصرة التي شغلت أطراف المسجد الجامع فيها، وامتدّت إلى الجنوب الشرقي منه<sup>(٩)</sup>، وضمّ هذا الخمس مجموعة من العشائر

(١) أنظر: العلي، صالح أحمد، خطط البصرة: ص ٩٦.

(٢) أنظر: ناجي حسن، القبائل العربية في المشرق خلال العصر الأموي: ص ٩٧.

(٣) أنظر: عبد الجبار ناجي، دراسات في تاريخ المدن الإسلامية: ص ١٣٩.

(٤) أنظر: العلي، صالح، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة: ص ٤٢.

(٥) أنظر: المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين: ص ٤٢.

(٦) أنظر: العلي، صالح أحمد، خطط البصرة: ص ٩٣.

(٧) أنظر: السوداني، رباب، جبهة البصرة: ص ١١٤.

(٨) أنظر: الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٥٠١.

(٩) أنظر: العلي، صالح أحمد، خطط البصرة: ص ٨٢.



التي لا تنتمي إلى قبيلة واحدة، بيدَ أنّها ترجع في أصلها إلى الحجاز، كقبائل باهلة، وبنو عامر، وغطفان، وسليم، وغيرهم<sup>(١)</sup>. ومّا يدلُّ على قِدَم خمس أهل العالية أنّ بعض أفرادهم كانوا ممّن اشترك في جيش عتبة بن غزوان في أثناء تمصير البصرة سنة (١٤هـ/ ٦٣٥م)<sup>(٢)</sup>.

أمّا زعماء الأخماس، فهم:

١- مالك بن مسمع البكري: هو أبو غسان مالك بن مسمع بن شيبان بن شهاب شيخ بكر بن وائل<sup>(٣)</sup>، كان معروفاً بالميل إلى الأمويين، فقد وقف يوم الجَمَل إلى جانب أصحاب الجَمَل ضدّ الإمام عليّ<sup>(٤)</sup>، وهو الذي لجأ إليه مروان بن الحكم يوم الجَمَل بعد هزيمته، قال سيف: «وأوى مروان بن الحكم إلى أهل بيت من عنزة يوم الهزيمة، فقال لهم: أعلموا مالك بن مسمع بمكاني. فأتوا مالكا فأخبروه بمكانه، فقال لأخيه مقاتل: كيف نضنع بهذا الرجل الذي قد بعث إلينا يُعلمنا بمكانه؟ قال: ابعث ابن أخي فأجره والتمسوا له الأمان من عليّ، فإن آمنه فذاك الذي نحبّ، وإن لم يؤمنه خرجنا به وبأسيافنا، فإن عرض له جالدنا دونه بأسيافنا، فإنما أن نسلم، وإنما أن نهلك كراماً. وقد استشار غيره من أهله من قبل في الذي استشار فيه مقاتلاً فنهاه، فأخذ برأي أخيه، وترك رأيهم، فأرسل إليه فأنزله داره، وعزم على منعه إن اضطر إلى ذلك، وقال: الموت دون الجوار وفاء، وحفظ لهم بنو مروان ذلك بعد، وانتفعوا به عندهم، وشرفوهم بذلك»<sup>(٥)</sup>.

(١) أنظر: الكلبي، هشام بن محمّد، جمهرة النسب: ص ٣٣٥.

(٢) أنظر: العلي، صالح، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة: ص ٢٦. السوداني، رباب، جبهة البصرة: ص ١١٥.

(٣) أنظر: ابن عساكر، عليّ بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٦، ص ٤٩٧ - ٤٩٩. الزركلي، خير الدين، الأعلام: ج ٥، ص ٢٦٥.

(٤) أنظر: الأسدي، سيف بن عمر، الفتنة ووقعة الجَمَل: ص ١٥٤.

(٥) المصدر السابق: ص ١٧٦.



وحيثما قدم ابن الحضرمي البصرة وأثار الفتنة فيها أظهر تلكاً في نصرة والي الإمام علي عليه السلام على البصرة<sup>(١)</sup>، وقدم على معاوية فأكرمه<sup>(٢)</sup>، وبعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام كان يأمر أهل البصرة بتجديد البيعة ليزيد وإعادة عبيد الله بن زياد لولاية البصرة<sup>(٣)</sup>. ثم اشترك مع مصعب بن الزبير في قتال المختار<sup>(٤)</sup>، وفي صراع الزبيريين والأمويين كان مالك بن مسمع مع الأمويين<sup>(٥)</sup>. توفي سنة (٧٣ أو ٧٤هـ)<sup>(٦)</sup>.

٢- الأحنف بن قيس: هو أبو بحر الضحّاك بن قيس السعدي التميمي، وقيل له الأحنف لحنف برجله، زعيم بني تميم، وُلِدَ في أيام النبي ﷺ ولم يدركه<sup>(٧)</sup>، تباينت الروى في موقفه من أمير المؤمنين عليه السلام، فهناك روايات تشير لروايته فضائل أمير المؤمنين عليه السلام<sup>(٨)</sup>، وروى عن أمير المؤمنين عليه السلام<sup>(٩)</sup>، وأنه اتخذ موقفاً متشدداً من أصحاب الجمل<sup>(١٠)</sup>، مع أنه لم يشارك فيها واعتزل القتال<sup>(١١)</sup>، لكنه شارك في صفين، وكان قائد تميم يومها<sup>(١٢)</sup>، ولكنه جزع من الحرب وقال: (هلكت العرب) مما ترك أثراً سيئاً في أصحابه<sup>(١٣)</sup>، وأراد أن يكون ممثلاً للإمام في التحكيم<sup>(١٤)</sup>. لكن من جانب آخر هناك

- 
- (١) أنظر: الثقفى، إبراهيم بن محمد، الغارات: ج ٢، ص ٣٨٩. المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ٤، ص ٤١. الخوئي، حبيب الله، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ج ١٩، ص ٣٦٦.
- (٢) أنظر: ابن عساکر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ٥٦، ص ٤٩٨.
- (٣) أنظر: ابن خيَّاط، خليفة، تاريخ خليفة: ص ١٩٨.
- (٤) أنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٦، ص ٤٣٧.
- (٥) أنظر: ابن عساکر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٦، ص ١٢٣.
- (٦) أنظر: المصدر السابق: ج ٥٦، ص ٤٩٩.
- (٧) أنظر ترجمته: ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى: ج ٧، ص ٩٣.
- (٨) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٣٨، ص ١٠٦.
- (٩) أنظر: ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى: ج ٧، ص ٩٣.
- (١٠) أنظر: القاضي المغربي، النعمان بن محمد، شرح الأخبار: ج ١، ص ٣٨١.
- (١١) أنظر: الأسدي، سيف بن عمر، الفتنة ووقعة الجمل: ص ١٥٢.
- (١٢) أنظر: ابن خيَّاط، خليفة، تاريخ خليفة: ص ١٤٦.
- (١٣) أنظر: ابن أبي الحديد المعتزلي، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج ٨، ص ٥٢.
- (١٤) أنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٢، ص ٣٣٠.

ما يسجل عليه أنه لم يشارك في الجمل، واعتزل القتال بدعوى أنه قال لأمر المؤمنين عليه السلام: «إن شئت أتيتك فكنت معك، وإن شئت اعتزلت بني سعد فكففت عنك ستة آلاف سيف - أو قال: أربعة آلاف سيف - فاختار اعتزاله، فاعتزل بناحية وادي السباع»<sup>(١)</sup>. وقد قال فيه الإمام عليه السلام وفيمن اعتزلوا: «خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل»<sup>(٢)</sup>، وهذا بحد ذاته دليل على ضعف اعتقاده بأمر المؤمنين عليه السلام، ويظهر أنه لم يتبين له خاتمة أحداث الجمل؛ لذا أثر الاعتزال. لكن موقفه كان واضحاً في فتنة الحضرمي في البصرة؛ إذ اعتزل الأمر قائلاً: «لا ناقة لي ولا جمل»<sup>(٣)</sup>. وحينما بويع معاوية قدم إليه الأحنف فأكرمه غاية الإكرام<sup>(٤)</sup>، وكان موقفه سلبياً من دعوة الإمام الحسين عليه السلام<sup>(٥)</sup>، وشارك مع مصعب في قتال المختار، فكان قائد تميم<sup>(٦)</sup>، مات سنة (٦٧هـ)، وصلى عليه مصعب، ومشى في جنازته بلا رداء، وكان يترحم عليه<sup>(٧)</sup>.

٣- مسعود بن عمرو بن عدي الأزدي<sup>(٨)</sup>: هو أحد قادة الأزدي في معركة الجمل إلى جانب أصحاب الجمل<sup>(٩)</sup>، وهو من أجار عبيد الله بن زياد بعد وفاة معاوية وانتفاضة أهل البصرة ضده، وبعث معه مائة من الأزدي بقيادة فروة بن عمرو البصري أوصلوه إلى الشام، وقد استخلفه ابن زياد على البصرة حينما خرج إلى الشام<sup>(١٠)</sup>، وقُتل مسعود سنة (٦٤هـ) على يد تميم<sup>(١١)</sup>.

(١) المصدر السابق: ج ٢، ص ٢٣٧.

(٢) البيهقي، علي بن زيد، معارج نهج البلاغة: ص ٤٠٢.

(٣) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٢، ص ٤٢٥.

(٤) أنظر: المصدر السابق: ج ٥، ص ٩٣.

(٥) أنظر: ابن نهار الحلي، جعفر بن محمد، مثير الأحرار: ص ١٧.

(٦) أنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٧، ص ٨٦.

(٧) أنظر: ابن خياط، خليفة، تاريخ خليفة: ص ٢٠٣.

(٨) أنظر: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، فتح الباري: ج ١٣، ص ٦٢.

(٩) أنظر: الطبري، نجم الدين، مع الركب الحسيني: ج ٢، ص ٣٤.

(١٠) أنظر: ابن خياط، خليفة، تاريخ خليفة: ص ١٩٨.

(١١) أنظر: ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، أسد الغابة: ج ٤، ص ١٩٤.

٤- قيس بن الهيثم السلمي: هو قيس بن الهيثم بن أسماء بن الصلت السلمي، اختلف هل هو من الصحابة أم من التابعين<sup>(١)</sup>، وكان من أعوان عثمان بن عفان<sup>(٢)</sup>، وواليه ابن عامر في أقاليم الشرق<sup>(٣)</sup>، والبصرة<sup>(٤)</sup>، ومن ثم معاوية<sup>(٥)</sup>، ويزيد<sup>(٦)</sup>، ثم صار إلى الزبيريين وساند مصعباً ضد المختار<sup>(٧)</sup>، ثم انضم إلى الأمويين أيام عبد الملك<sup>(٨)</sup>.

٥- المنذر بن الجارود العبدي: هو زعيم عبد القيس، وهو ابن الجارود الذي قدم على رسول الله ﷺ، وكان أبوه صالحاً، وعلى يديه بدأ تشييع عبد القيس كما سنرى، ولد المنذر أيام النبي ﷺ، وشارك في حرب الجمل إلى جانب أمير المؤمنين علي<sup>(٩)</sup>، ثم ولّاه اصطخر إحدى ولايات المشرق فخان الأمانة، عندها كتب له الإمام علي<sup>(١٠)</sup>: «أما بعد، فإن صلاح أهلك غرني منك، وظننت أنك تتبع هديته، وتسلك سبيله، فإذا أنت فيما رقي إليّ عنك لا تدع لهُواك انقياداً، ولا تُبقي لآخرتك عتاداً، تعمر دنياك بخراب آخرتك، وتصل عشيرتك بقطيعة دينك، ولئن كان ما بلغني عنك حقاً، لجمل أهلك وشسع نعلك خير منك، ومن كان بصفتك، فليس بأهل أن يُسدّ به ثغراً، أو يُنفذ به أمرٌ أو يُعلَى له قدرٌ، أو يُشرك في أمانةٍ أو يؤمن على جبايةٍ، فأقبل إليّ حين يصل إليك كتابي هذا إن شاء الله»<sup>(١١)</sup>.

(١) أنظر: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن عليّ، فتح الباري: ج ٥، ص ٣٨٤.

(٢) أنظر: اليعقوبي، أحمد، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٦٧.

(٣) أنظر: ابن خياط، خليفة، تاريخ خليفة: ص ١٢٢.

(٤) أنظر: المصدر السابق: ص ١٥٥.

(٥) أنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان: ج ٣، ص ٥٠٥.

(٦) أنظر: ابن عساکر، عليّ بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ٣٤، ص ٣٤٣.

(٧) أنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٦، ص ٤٣٧.

(٨) أنظر: المصدر السابق: ج ٧، ص ٢٤١.

(٩) أنظر: ابن حجر العسقلاني، أحمد بن عليّ، الإصابة: ج ٦، ص ٢٠٩.

(١٠) خطب الإمام علي<sup>(عليه السلام)</sup>، نهج البلاغة: ص ١٣٢ - ١٣٣.

قال الشريف الرضي: والمنذر بن الجارود هذا هو الذي قال فيه أمير المؤمنين عليه السلام:  
«إنه لنظّار في عطفه، مختال في برديه، تَفال في شراكيه»<sup>(١)</sup>.

قال ابن أبي الحديد: «فأما الكلمات التي ذكرها الرضي عنه عليه السلام في أمر المنذر، فهي دالة على أنه نسبه إلى التيه والعجب، فقال: (نظّار في عطفه)، أي جانبه، ينظر تارة هكذا وتارة هكذا، ينظر لنفسه، ويستحسن هيئته ولبسته، وينظر هل عنده نقص في ذلك أو عيب فيستدركه بإزالته، كما يفعل أرباب الزهو ومن يدّعي لنفسه الحسن والملاحه.  
قال: (مختال في برديه): يمشى الخيلاء عجباً. قال محمد بن واسع لابن له وقد رآه يَختال في برد له: ادنْ. فدنا، فقال: من أين جاءتك هذه الخيلاء؟ ويلك! أمّا أمك فأمة ابتعتها بما تبيي درهم، وأمّا أبوك فلا أكثر الله في الناس أمثاله.

قوله: (تَفال في شراكيه)، الشراك: السير الذي يكون في النعل على ظهر القدم. والتفل بالسكون: مصدر تفل، أي: بصق، والتفل محرّكاً البصاق نفسه، وإنما يفعله المعجب والتائه في شراكيه ليذهب عنهما الغبار والوسخ، يتفل فيهما ويمسحهما ليعودا كالجليدين»<sup>(٢)</sup>.  
وكان أمير المؤمنين عليه السلام ولّى المنذر بن الجارود ولاية اصطخر من إقليم فارس، فاحتاز مالاً من الخراج مقداره أربعمئة ألف درهم، فحبسه أمير المؤمنين عليه السلام، فشفع فيه صعصعة بن صوحان العبدي وقام بأمره وخلصه. وكان صعصعة من خلّص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وهرب المنذر إلى معاوية ومنه بدأ وجهه الأموي<sup>(٣)</sup>. وقد عدّه ابن أبي الحديد ممن يرى رأي الخوارج<sup>(٤)</sup>، وزوّج ابنته (بحرية) من ابن زياد؛ لذا حينما أتاه كتاب الإمام الحسين عليه السلام قام بتسليم الرسول لابن زياد، وقد كافأه ابن

(١) خطب الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة: ص ١٣٣. وأنظر: الزمخشري، محمود، ربيع الأبرار: ج ٤، ص ١٨٥.

(٢) ابن أبي الحديد المعتزلي، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج ١٨، ص ٥٩.

(٣) أنظر: الثقفى، إبراهيم بن محمد، الغارات: ج ٢، ص ٥٢٢. وأيضاً البلاذري، أحمد بن يحيى،

أنساب الأشراف: ج ٢، ص ١٦٣.

(٤) أنظر: ابن أبي الحديد المعتزلي، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج ٥، ص ٧٦.

زياد على ذلك، فولّاه ثغر قنديل في الهند، فلم ينعم طويلاً؛ إذ سرعان ما هلك سنة (٦١هـ) أو مطلع (٦٢هـ)<sup>(١)</sup>.

أمّا من الأشراف، فلم تذكر كتب التاريخ إلا واحداً وهو يزيد بن مسعود النهشلي<sup>(٢)</sup>، الذي سنقف عند سيرته فيما بعد.

### رابعاً: ما الذي كان يريده الإمام عليّ؟

أشارت النصوص التاريخية التي أوردت رسالة الإمام إلى هدف الإمام عليّ من دعوته أهل البصرة، فجاء عند البلاذري: «وقد كان الحسين بن عليّ كتب إلى وجوه أهل البصرة يدعوهم إلى كتاب الله، ويقول لهم: إنّ السنّة قد أمّيت، وإنّ البدعة قد أُحييت ونعشت»<sup>(٣)</sup>.

وذكر الدينوري: «وقد كان الحسين بن عليّ (رضي الله عنه) كتب كتاباً إلى شيعته من أهل البصرة مع مولى له يسمّى (سلمان)، نسخته: بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن عليّ إلى مالك بن مسمع، والأحنف بن قيس، والمنذر بن الجارود، ومسعود ابن عمرو، وقيس بن الهيثم، سلام عليكم، أمّا بعد، فإنّي أدعوكم إلى إحياء معالم الحق، وإماتة البدع، فإن تجيبوا تهتدوا سبل الرشاد، والسلام»<sup>(٤)</sup>.

أمّا الطبري، فقد ذكر الكتاب أكثر تفصيلاً: «أمّا بعد، فإنّ الله اصطفى محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) على خلقه، وأكرمه بنبوته، واختاره لرسالته، ثم قبضه الله إليه، وقد نصح لعباده، وبلغ ما أرسل به (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكنّا أهله وأولياءه وأوصيائه وورثته وأحقّ الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا الفرقة، وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنّا أحقّ بذلك الحقّ المستحقّ علينا

(١) أنظر: ابن سعد، محمّد، الطبقات: ج ٥، ص ٥٦١. وابن خيّا، خليفة، تاريخ خليفة: ص ١٨٠.

(٢) أنظر: ابن نهار الحليّ، جعفر بن محمّد، مثير الأحران: ص ١٧.

(٣) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٢، ص ٧٨.

(٤) الدينوري، أحمد بن داوود، الأخبار الطوال: ص ٢٣١.

مَنْ تَوَلَّاهُ، وَقَدْ أَحْسَنُوا وَأَصْلَحُوا وَتَحَرَّوْا الْحَقَّ، فَرَحِمَهُمُ اللَّهُ وَغَفَرَ لَنَا وَهُمْ، وَقَدْ بَعَثَ رَسُولِي إِلَيْكُمْ بِهَذَا الْكِتَابِ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَأَلِهِ] وَسَلَّمَ)، فَإِنَّ السُّنَّةَ قَدْ أُمِّيتَتْ، وَإِنَّ الْبِدْعَةَ قَدْ أُحْيِيَتْ، وَإِنْ تَسْمَعُوا قَوْلِي وَتَطِيعُوا أَمْرِي أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>.

وجاء عند ابن نما: «وكتب عليه السلام كتاباً إلى وجوه أهل البصرة... فيه: إني أدعوكم إلى الله وإلى نبيه، فإنَّ السُّنَّةَ قَدْ أُمِّيتَتْ، فإنَّ تَجَبُّوا دَعْوَتِي وَتَطِيعُوا أَمْرِي أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ»<sup>(٢)</sup>.

واكتفى السيّد ابن طاووس بالإشارة إلى فحوى الكتاب: «وكان الحسين عليه السلام قد كتب إلى جماعة من أشرف البصرة كتاباً مع مولى له اسمه سليمان ويكنى أبا رزين، يدعوهم إلى نصرته ولزوم طاعته»<sup>(٣)</sup>.

من خلال ما جاء في النصوص أعلاه يمكن القول: إنّ رسالة الإمام تضمّنت الآتي:

أ- الإشارة إلى جهود النبي صلى الله عليه وآله في القيام بتبليغ الدعوة الإلهية خير قيام.

ب- أكد عليه السلام أنّ أهل البيت عليهم السلام هم الأحقّ بمقام النبي صلى الله عليه وآله؛ إذ هم:

١- أهله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾<sup>(٤)</sup>.

٢- أوليائه: ﴿إِنَّهَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

٣- أوصيائه: فلكلّ نبيّ وصيّ وهم أوصيائه، كما تواترت الأحاديث النبويّة

بالأسانيد الحسان.

٤- ورثته: يرثونه مادياً، كما يرثون مقامه في القيام بأمر الشريعة.

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٦٦.

(٢) ابن نما الحليّ، جعفر بن محمد، مثير الأحرار: ص ١٦.

(٣) ابن طاووس، عليّ بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٢٦.

(٤) الأحزاب: آية ٣٣.

(٥) المائدة: آية ٥٥.

٥ - طبقاً لما مرّ فهم أحقّ الناس بمقامه في الناس، سواء بالقرابة القريبة أم بالنصّ الإلهي.

ج - مظلومية أهل البيت عليهم السلام: أشار عليه السلام إلى الظلم الذي لحق أهل البيت عليهم السلام حالما توفي النبي صلى الله عليه وآله، كما وثق ذلك أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته الشقشقية، مانعين أهل البيت عليهم السلام من أداء دورهم الرسالي، ليس في قيادة الأمة فقط، بل حتّى في القيام على الشريعة، فاضطروا إلى الاجتهاد في أمر الشريعة لمعالجة ما كان يواجههم من أمور الحياة.

د - موقف أهل البيت عليهم السلام: اضطرّ أهل البيت عليهم السلام إلى قبول الأمر الواقع حياةً للإسلام: «فرضينا وكرهنا الفرقة وأحببنا العافية»، ويضيف الإمام مؤكداً: «ونحن نعلم أنّا أحقّ بذلك الحقّ المستحقّ علينا ممّن تولّاه».

هـ - الموقف من منهج المتقدّمين: ورد في رسالة الإمام عليه السلام التي أوردتها الطبري، كأنّ الإمام عليه السلام يشيد بدور من تقدّم على أهل البيت عليهم السلام من الخلفاء الثلاثة، فهل هذا الكلام صدر صحيحاً من الإمام عليه السلام، أم أنّه دسّ في نصّ رسالة الإمام عليه السلام؟ وإذا كان صحيحاً فهل الإمام فعلاً يشير لواقع صحيح، أو أنّه إذ يخاطب هؤلاء التابعين لهم فيستحسن مراعاتهم عند ذكر أسلافهم؟!!

و - الواقع الإسلامي: أكّد عليه السلام أنّ سنّة النبي الكريم محمد صلى الله عليه وآله قد أميتت ولم يعد يُعمل بها، وتمّ استحداث أمور ليست من الدين بشيءٍ وأسموها سنّة، وما هي إلا بدعة.

ز - الدعوة للعمل بالكتاب والسنة: من هنا يجب الرجوع للعمل بكتاب الله تعالى والسنة النبويّة الصحيحة التي لا يوجد لها مصداق متكامل إلا عند أهل البيت عليهم السلام إذ هم أدرى بالشريعة؛ لأنّها نزلت عليهم، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي. فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»<sup>(١)</sup>.

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ١، ص ٢٣٣.



ح - إن استجابة أولئك لدعوة الإمام عليه السلام يعني: الهداية والسداد وبناء المجتمع الإسلامي الأمثل، الذي أشار القرآن الكريم إلى خصائصه، وسعى النبي محمد صلى الله عليه وآله ومن بعده أمير المؤمنين عليه السلام إلى إرساء قواعده.

### خامساً: ما هي ردود أفعالهم؟

من المؤسف أنّ تلك المواقف كانت مخيبة للآمال، ولم تكن بالمستوى المطلوب - ما عدا موقفاً واحداً، ألا وهو موقف يزيد بن مسعود النهشلي - فكانت مواقفهم:

الأول: اكتفى بالصمت السلبي كلٌّ من: مالك بن مسمع البكري زعيم بكر بن وائل، ومسعود بن عمرو الأزدي زعيم الأزدي، وقيس بن الهيثم السلمي، فلم يكن لهم أيُّ ردٍّ، بل إنهم استمروا على موقفهم العدائي من أهل البيت عليهم السلام ومؤازرتهم لبني أمية والزبيريين ضدّ أهل البيت عليهم السلام.

الثاني: اكتفى الأحنف بن قيس برسالة موجزة غامضة المعنى؛ إذ ذكر البلاذري: «كتب الأحنف بن قيس إلى الحسين وبلغه أنّه على الخروج: اصبر إن وعد الله حق، ولا يستخفّنك الذين لا يوقنون»<sup>(١)</sup>.

الثالث: موقف المنذر بن الجارود: يظهر أنّ المنذر اعتاد على خيانة الأمانة، فقد خان أمير المؤمنين عليه السلام لِمَا ولّاه اصطخر، والآن خان الإمام الحسين عليه السلام بقيامه بتسليم سفير الإمام عليه السلام إلى ابن زياد، ويظهر أنّه أراد التغطية على هذه الجريمة، فزعم أنّه تخوّف أن يكون هذا الرسول مدسوساً من قبل ابن زياد<sup>(٢)</sup>، والملاحظ أنّ المنذر كان مقرباً من ابن زياد؛ إذ كان متزوجاً ابنته بحرية بنت المنذر<sup>(٣)</sup>، وقيل: اسمها هند<sup>(٤)</sup>، وكذلك أنّه الوحيد من بين أولئك الزعماء من خان ذلك؛ إذ كلّهم كتموا أمر الرسالة

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ١٦٣.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ج ٢، ص ٧٨.

(٣) أنظر: ابن نهار الحلي، جعفر بن محمد، مثير الأحرار: ص ١٧ - ١٨.

(٤) أنظر: الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص ٢٣١.



والرسول رغم مواقفهم السلبية من أهل البيت عليهم السلام<sup>(١)</sup>، ونتيجة لذلك فقد كافأه ابن زياد بأن ولّاه نجراناً في الهند، لكنه لم يهنأ طويلاً؛ إذ سرعان ما مات نهاية سنة (٦١هـ) أو مطلع سنة (٦٢هـ)<sup>(٢)</sup>.

### شَهِيدُ النُّهْضَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ الْأَوَّلِ

لقد قدّمت النهضة الحسينية - ولا زالت إلى اليوم - أعداداً لا حصر لها من الشهداء، ويعدّ سليمان بن رزين الشهيد الأوّل لهذه النهضة، وقد تباينت أقوال المؤرّخين في اسمه، فهل هو سلمان<sup>(٣)</sup>، أم سليمان<sup>(٤)</sup>؟ والذين قالوا: أنّه سليمان اختلفوا: هل رزين أبوه<sup>(٥)</sup>، أم أنّ كنيته أبو رزين؟ وهناك من ذهب إلى القول: أنّ اسمه ذراع السدوسي<sup>(٦)</sup>، أو زراع السدوسي<sup>(٧)</sup>. وانتهى الشيخ السماوي للقول: إنّهُ سليمان بن رزين<sup>(٨)</sup>.

وكان رزين والد سليمان مولى للإمام الحسين عليه السلام، وقد تزوّج من كبشة جارية أمّ إسحاق زوجة الإمام الحسين عليه السلام<sup>(٩)</sup>، ويظهر أنّ سليمان رافق الإمام الحسين عليه السلام في تحرّكه من المدينة المنورة إلى مكّة. ونستدلّ من اختيار الإمام الحسين عليه السلام له رسولاً

(١) أنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٢، ص ٧٨.

(٢) أنظر: ابن سعد، محمّد، الطبقات الكبرى: ج ٥، ص ٥٦١.

(٣) أنظر: الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص ٢٣١.

(٤) أنظر: الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٦٥.

(٥) أنظر: السماوي، محمّد بن طاهر، إِبْصَارُ الْعَيْنِ: ص ٩٤.

(٦) أنظر: ابن نهار، الحليّ، جعفر بن محمّد، مثير الأحرار: ص ١٧.

(٧) أنظر: المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٤٠. ويظهر أنّه تصحيف؛ لأنّ المجلسي

نقل عن ابن نهار، والأخير ذكره بلفظ ذراع. والغريب أنّ عبد الله البحراني تابعه على ذلك رغم أنّه

نقل عن ابن نهار. أنظر: البحراني، عبد الله، العوالم: ص ١٨٩.

(٨) أنظر: السماوي، محمّد بن طاهر، إِبْصَارُ الْعَيْنِ: ص ٩٤.

(٩) أنظر: الطبري، نجم الدين، مع الركب الحسيني: ج ٢، ص ٣٨.

إلى أهل البصرة على أنه كان موضع ثقة الإمام عليه السلام ولهذا اختاره لهذه المهمة، ويظهر أنه أرسل في الوقت الذي أرسل الإمام عليه السلام فيه مسلم بن عقيل إلى الكوفة، فانطلقا كل إلى وجهته، مع اختلاف مهمة كل منهما؛ إذ إن مهمة مسلم أنه كان ممثلاً عن الإمام الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة، أما سليمان فيظهر أن مهمته اقتضت على إيصال رسالة الإمام عليه السلام إلى أهل زعماء الأخماس وأشرف البصرة، وكما لاحظنا أن الزعماء والرؤوس كان موقفهم سلبياً، لكنهم كتموا أمر الرسالة ما عدا المنذر بن الجارود الذي كانت تربطه علاقة مصاهرة مع عبيد الله بن زياد، إذ كان مزوجاً ابنته بحرية<sup>(١)</sup> أو هند<sup>(٢)</sup> من ابن زياد؛ لذا فإنه قام بإبلاغ ابن زياد بأمر الرسالة، ثم قام بتسليمه رسول الإمام عليه السلام، مدعياً فيما بعد أنه خشي أن يكون هذا الرسول مندساً من قبل ابن زياد<sup>(٣)</sup>.

### إجراءات ابن زياد

لقد قام ابن زياد بجملة إجراءات:

**الأول:** أمر بالقبض على رسول الإمام وضرب عنقه<sup>(٤)</sup>، وقيل: إنه صلبه<sup>(٥)</sup>. ويظهر أن المتوَّي لقتله شخص يُدعى سليمان بن عوف الحضرمي<sup>(٦)</sup>. ولعله ضرب عنقه ثم صلبه لإرهاب الناس وتخويفهم، وهو أمر اعتاد الأمويون على فعله مع أهل البيت عليهم السلام.

- (١) أنظر: ابن نهار الحلي، جعفر بن محمد، مثير الأحران: ص ١٧ - ١٨.
- (٢) أنظر: الدينوري، أحمد بن داوود، الأخبار الطوال: ص ٢٣١.
- (٣) أنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٢، ص ٧٨.
- (٤) أنظر: الدينوري، أحمد بن داوود، الأخبار الطوال: ص ٢٣٢.
- (٥) أنظر: ابن نهار الحلي، جعفر بن محمد، مثير الأحران: ص ١٨.
- (٦) أنظر: المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٤٩١.

الثاني: ألقى خطبة هدد فيها أهل البصرة، كما روى البلاذري قائلاً: «فخطب عبيد الله بن زياد الناس بالبصرة، فأرعد وأبرق وتهدد وتوعد، وقال: أنا نكل لمن عاداني، وسام لمن حاربنى. وأعلمهم أنه شاخص إلى الكوفة، وأنه قد ولي عثمان بن زياد أخاه خلافته على البصرة، وأمرهم بطاعته والسمع له، ونهاهم عن الخلاف والمشاقة»<sup>(١)</sup>.

وجاء عند الدينوري: «فأمر عبيد الله بن زياد بطلب الرسول، فطلبوه، فأتوه به، فضربت عنقه. ثم أقبل حتى دخل المسجد الأعظم، فاجتمع له الناس، فقام، فقال: أنصف القارة من رامها. يا أهل البصرة، إن أمير المؤمنين قد ولاني مع البصرة الكوفة، وأنا سائر إليها، وقد خلفت عليكم أخي عثمان بن زياد، فإياكم والخلاف والإرجاف، فوالله الذي لا إله غيره، لئن بلغني عن رجل منكم خالف أو أرجف لأقتلته ووليته، ولاخذن الأدنى بالأقصى، والبريء بالسقيم حتى تستقيموا، وقد أعدد من أنذر. ثم نزل وسار»<sup>(٢)</sup>.

أما الطبري، فقد ذكر أنه قال: «أما بعد، فوالله ما تقرن بي الصعبة، ولا يقعق لي بالشنان، وإني لنكل لمن عاداني، وسم لمن حاربنى، أنصف القارة من رامها. يا أهل البصرة، إن أمير المؤمنين ولاني الكوفة، وأنا غاد إليها الغداة، وقد استخلفت عليكم عثمان بن زياد بن أبي سفيان، وإياكم والخلاف والإرجاف، فوالذي لا إله غيره، لئن بلغني عن رجل منكم خلاف لأقتلته وعريفه ووليه، ولاخذن الأدنى بالأقصى حتى تستمعوا لي، ولا يكون فيكم مخالف ولا مشاق، أنا ابن زياد أشبهته من بين من وطئ الحصى، ولم ينتزعني شبه خال ولا ابن عم»<sup>(٣)</sup>.

ويمكن تحديد أهم ما جاء في خطبة ابن زياد:

- ١ - أكد ابن زياد على طبيعة وماهية شخصيته، وهي شخصية إرهابية، دموية.
- ٢ - أوضح ابن زياد أنه ورث أباه زياد في طبيعته الإرهابية الدموية، وأنه لم

(١) البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٢، ص ٧٨.

(٢) الدينوري، أحمد بن داوود، الأخبار الطوال: ص ٢٣٢.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٦٦.

يتأثر وراثياً إلا به؛ إذ يقول: «أنا ابن زياد أشبهته من بين مَنْ وطئ الحصى، ولم ينتزعني شبه خالٍ ولا ابن عمٍّ»، وهو هنا يذكرهم بمجازر زياد فيهم، وأنه لا مانع لديه من إعادتها.

- ٣ - أبان ابن زياد أن العقوبة لا تقتصر على الشخص الجاني برأيه، وإنما تشمل أوليائه، بل وعريفه، بل إنه يلاحق القريب بجزيرة البعيد، والبريء بجزيرة قريبه.
- ٤ - أعلمهم أن يزيد ولّاه الكوفة إضافةً إلى البصرة، وكأنّه يريد الإشارة إلى مكانته عند يزيد؛ لذا فإنه يستنيب عليهم أخاه عثمان، الذي أشار إليه أنه عثمان بن زياد بن أبي سفيان، وكأنّه يريد أن يبيّن أنّه من الأسرة الحاكمة.
- ٥ - ختم كلامه: «وقد أعذر مَنْ أنذر».

الثالث: أخلى البصرة من وجوهها الذين يتخوّف منهم، إذ انتخب منهم خمسمائة وساروا معه إلى الكوفة - في صبيحة اليوم الذي قتل فيه سليمان بن رزين - التي وصلها بأقصى سرعة، بحيث لم يستطع أولئك المواصلة معه، فتساقطوا في الطريق، حتّى أن شريك بن الأعور مرض إثر ذلك<sup>(١)</sup>.

الرابع: مع وصوله إلى الكوفة فإنّه لم يترك البصرة، وكان يكتب لواليتها أن يأخذ الطرق، ويفرض حصاراً أميناً على البصرة، ليمنع أيّ بصري من الخروج أو الدخول إليها<sup>(٢)</sup>.

### الموقف البصري من النهضة الحسينية

من خلال ما وصلنا من النصوص التاريخية، نجد أنّ الموقف البصري تمثّل بقبيلتي عبد القيس وتميم:

(١) أنظر: المصدر السابق: ج ٤، ص ٢٦٧.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ج ٣، ص ٢٦٣.

## أولاً: مؤتمر عبد القيس

تشير النصوص التاريخية أن شيعة البصرة أخذوا يتجمعون في بيت إحدى نساء البصرة، وتسمى مارية ابنة منقذ أو ابنة سعد، وهي من قبيلة عبد القيس، يتباحثون في أمر نصره الإمام الحسين عليه السلام، ويمكن وصف هذا الاجتماع أنه مؤتمر سرّي حضره شيعة البصرة من عبد القيس، وقد استمرّ أياماً، فمن هي مارية؟ ولماذا كان الاجتماع في بيتها؟

من المؤسف أن كتب التاريخ ترضنّ علينا بأيّ معلومات عن هذه المرأة سوى أنّها من قبيلة عبد القيس، وأنها كانت من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، وقد اتخذ من بيتها مكاناً لتداول الرأي في كيفية نصره الإمام الحسين عليه السلام. ويظهر أنّ الأسباب التي دعت لذلك هي:

١ - إنّها شخصية ذات مكانة مرموقة وجاه وشرف في مجتمعها آنذاك.

٢ - لعلّ اختيارهم لدارها مكاناً للاجتماع والتباحث يدلّ على الحذر والتكتم الذي كانت تعيشه شيعة البصرة؛ لذا اختاروا تلك الدار للتمويه على السلطة التي وضعت العيون للتضييق عليهم.

ويظهر أنّ المجتمعين واجهتهم صعوبة الخروج من البصرة واللحاق بالإمام الحسين عليه السلام، وذلك للإجراءات الصارمة التي اتخذت من قبل الحكومة المحلية في البصرة؛ إذ كتب ابن زياد إلى أخيه عثمان (عامله على البصرة) - أن يضع المناظر ويأخذ الطريق؛ لذا لم يستطع أهل البصرة الخروج واللحاق بالإمام عليه السلام، إلّا على شكل فردي، وفيه كثير من المجازفة، فيذكر أنّ أحد المؤتمرين ويسمّى يزيد بن نبيط العبدي من قبيلة عبد القيس، قرر المجازفة والخروج، وكان له عشرة من الأولاد، فقال لهم: أيكم يرافقني؟ فخرج معه اثنان من أولاده، وهما عبد الله وعبيد الله، ثمّ أطلع باقي المؤتمرين على قراره، لكنّهم حدّروه من المسالحي التي نشرها ابن زياد في

كلّ مكان، فأجابهم قائلاً: «إني والله، لو قد استوت أخفافهما بالجدد<sup>(١)</sup> لهان عليّ طلب منّ طلبني»<sup>(٢)</sup>، وفعلاً خرج مع ولديه وتمكّن من التخفيّ والإفلات من أيدي تلك المسالح والوصول إلى الإمام الحسين عليه السلام في الأبطح<sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup>.

ويظهر أنّ الأمر لا يقتصر على يزيد وولديه، وإنّما خرج آخرون من هذا المؤتمر، وكلّهم من عبد القيس، فتمكّنوا من الوصول والالتحاق بالإمام عليه السلام وهو في الأبطح، وهم: يزيد بن نبيط العبدي، وولده عبد الله وعبيد الله، ومعهم الأدهم بن أمية من عبد القيس، وعامر بن مسلم العبدي، وسالم مولى عامر بن مسلم، وسيف بن مالك العبدي<sup>(٥)</sup>.

من هنا يتبيّن أنّ الاجتماع خاصّ بقبيلة عبد القيس، فقد عقد في بيت امرأة من عبد القيس، فضلاً عن ذلك أنّ الذين خرجوا عن هذا الاجتماع كلّهم من عبد القيس، ولكن لماذا عبد القيس؟

**عبد القيس والتشيع:** تعدّ قبيلة عبد القيس<sup>(٦)</sup> من أهمّ القبائل العربية التي كانت

(١) الجدد: الطرق والخطط التي أرضها مستوية وصلبة، الخالية من الجبل والأكمة، ويقول المثل: (من سلك الجدد من العثار). أنظر: ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب: ج ٣، ص ١٠٨.

(٢) الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٦٣.

(٣) والأبطح: هو كلّ موضع متّسع، أو هو مسيل واسع من الرمل ودقائق الحصى الناعمة. أنظر: الشرتوني، سعيد، أقرب الموارد: ج ١، ص ١٧٥. وهو يقع ما بين مكّة ومنى، وتارةً يضاف إلى مكّة وأخرى إلى منى، ويكون إلى الشمال الغربي من مكّة، وبينه وبين مكّة أربعة أميال، وهو ميقات المعتمرين من مكّة، وهو أقرب حدود الحرم إلى مكّة، وأول منزل مرّ به الإمام الحسين عليه السلام في طريقه من مكّة إلى كربلاء. أنظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان: ج ١، ص ٩٥.

(٤) أنظر: الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٦٣.

(٥) أنظر: البوهاللة، حسين نعمة، موسوعة أنصار الإمام الحسين عليه السلام: ص ١٧٥ - ١٧٦.

(٦) من أكبر القبائل العربية قبل الإسلام وبعده، تنتسب إلى عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. كانت مواطنهم بتهامة، ثمّ خرجوا إلى البحرين، وبها بشر كثير من بكر بن وائل، وتميم، فلما نزل بها عبد القيس، زاحمهم في تلك الديار، وقاسموهم

تقطن البحرين، وفي عهد الفتوحات أيام عمر بن الخطاب نزحت واستوطنت البصرة<sup>(١)</sup>، وشاركت في فتوحات المشرق سنة (١٩هـ)<sup>(٢)</sup> بقيادة زعيمها الجارود العبدي<sup>(٣)</sup>. وكانت عبد القيس معروفة بالتشيع، قال ابن قتيبة: «وكانت عبد القيس تشيع»<sup>(٤)</sup>، ولعل تشيع عبد القيس يرجع إلى أيام النبي محمد ﷺ، وهو مقترن مع إسلامها؛ إذ وفد زعيمها الجارود العبدي على النبي محمد ﷺ مع قومه؛ ليعلنوا دخولهم الإسلام سنة (٦هـ)، ويظهر أن الجارود وهو نصراني سابقاً، سأل النبي ﷺ عمّن هو وصيه؟ فقال النبي ﷺ: «يا جارود، ليلة أُسري بي إلى السماء، أوحى الله عزّ وجلّ إليّ، أن سل من أرسلنا من قبلك من رسلنا على ما بُعثوا. فقلت: على ما بُعثتم؟ فقالوا: على نبوتك وولاية عليّ بن أبي طالب والأئمة منكم». ثم أوحى إليّ أن التفت إلى يمين العرش، فالتفتُ فإذا عليّ، والحسن، والحسين، وعليّ بن الحسين، ومحمد بن عليّ، وجعفر ابن محمد، وموسى بن جعفر، وعليّ بن موسى، ومحمد بن عليّ، وعليّ بن محمد، والحسن ابن عليّ، والمهدي في ضحضاح من نور يصلون. فقال لي الربّ تعالى: هؤلاء الحجج

في المواطن. اتصلت بنو عبد القيس بإمارة اللخمين، وكانت أكثر علاقاتهم سلمية أكثر منها حربية، فاتصلوا بعمر بن هند، وقابوس بن هند، والنعمان بن المنذر. ومن أيامهم قبل الإسلام: يوم عينين، كان بين بني منقر وعبد القيس. وملك عليهم عبد الله بن الحارث بن عمرو. وقدم وفد من عبد القيس على رسول الله ﷺ سنة (٩هـ) معلنين دخولهم الإسلام، ولم ترتد مع من ارتد بعد وفاة النبي ﷺ، ونزلت البصرة، وشاركت عبد القيس في فتوحات المسلمين، وانتشر فيها التشيع، ووقفوا مع الإمام عليّ عليه السلام من يوم الجمل وسائر حروبه. أنظر: السمعاني، عبد الكريم بن محمد، الأنساب: ج ٤، ص ١٣٥-١٣٩. كحالة، عمر، معجم قبائل العرب: ج ٢، ص ٧٢٦-٧٢٧.

الربيعي، عبد الهادي، قبيلة بني عبد القيس: ص ١-٩٣.  
(١) أنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان: ص ٣٧٨.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٣٧٩.

(٣) أنظر: ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى: ج ٥، ص ٥٥٩ وما بعدها. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة: ج ١، ص ٥٥٢.

(٤) الدينوري، ابن قتيبة، المعارف: ص ٣٣٩.



لأوليائي، هذا المنتقم من أعدائي. قال الجارود: ... فانصرفت بقومي وقلت لهم:

أتيتك يا بن آمنة الرسولاً  
فقلت وكان قولك قول حق  
وبصرت العمى من عبد قيس  
وأبأناك عن قس الإيادي<sup>(١)</sup>  
وأسماء عمت عنا فآلت  
إلى علمٍ وكنت به جهولاً<sup>(٢)</sup>  
لكي بك أهتدي النهج السبيلا  
وصدق ما بدالك أن تقولوا  
وكل كان من عمه ضليلاً  
مقالاً فيك ظلت به جديلاً

ويظهر أن عدداً من أفراد هذه القبيلة تعرّضوا للنفي إلى الشام في أيام عثمان ابن عفان إبان ولاية عبد الله بن عامر بن كريز على البصرة بسبب مواقفهم الراضية لسياسة والي البصرة، ولعلّ الوالي أدرك ميولهم العلوية<sup>(٣)</sup>، فقام سنة (٣٣هـ) بتهجير عددٍ من أهالي البصرة بضمنهم مجموعة من شيعة عبد القيس<sup>(٤)</sup>، وقد ظهرت ميول عبد القيس العلوية بشكل جلي في رفضه لوجود أصحاب الجمل في البصرة<sup>(٥)</sup>، ثمّ الدخول معهم في مواجهة عسكرية فيما عُرفت باسم الجمل الأصغر<sup>(٦)</sup>، التي قاد فيها

(١) هو قس بن ساعدة بن حذافة بن زهير بن إياد بن نزار، كان من حكماء العرب وهو أول من كتب: (من فلان إلى فلان)، وأقرّ بالبعث من غير علم، وأول من قال: «البيّنة على من ادعى، واليمين على من أنكر». وقيل: إنّه عمّر مائة وثمانين سنة. قيل: كان يقول بالتوحيد ويؤمّن بيوم الحساب، توفي قبل بعثة الرسول ﷺ. أنظر: الشهرستاني، عبد الكريم، الملل والنحل: ج ٢، ص ٢٤٢. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الإصابة: ج ٥، ص ٥٣

(٢) ابن عياش الجوهري، أحمد بن عبيد الله، مقتضب الأثر في النصّ على الأئمة الاثني عشر: ص ٣٨-٣٩.

(٣) أنظر: الأسدي، سيف بن عمر، الفتنة ووقعة الجمل: ج ١، ص ٢٧٩.

(٤) أنظر: ابن كثير، إسماعيل، البداية والنهاية: ج ٧، ص ١٨٦.

(٥) أنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٣، ص ٢٨.

(٦) هي المعركة التي وقعت بين أنصار الإمام علي عليه السلام من أهل البصرة بقيادة حكيم بن جبلة وبين أصحاب الجمل بقيادة عائشة، إذ كانت عائشة تركب جملاً، فقُتِل حكيم وثلاثمائة من أصحابه؛ لذا سُمّيت بالجمل الأصغر تمييزاً عن معركة الجمل الأكبر التي قادها الإمام علي عليه السلام ضدّ أصحاب الجمل. أنظر: ابن أبي الحديد المعتزلي، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج ٩، ص ٣٢٢.



حكيم بن جبلة العبدي جموع البصريين من عبد القيس وغيرها في سبعمائة<sup>(١)</sup>، ولقد استشهد منهم ثلاثمائة<sup>(٢)</sup>، منهم سبعون من عبد القيس<sup>(٣)</sup>، وبعد ذلك خرجت عبد القيس في ألفين منهم للقاء أمير المؤمنين عليه السلام في ذي قار<sup>(٤)</sup>، وكانوا من أهم أنصاره في الجمل بقيادة عمرو بن مرجوم العبدي<sup>(٥)</sup>، حتى أن أمير المؤمنين عليه السلام اختار أحد عبد القيس ليرفع القرآن<sup>(٦)</sup> ويدعوهم إليه، فكان أن قتله أصحاب الجمل<sup>(٧)</sup>، وكذلك في صفين<sup>(٨)</sup>.

ولقد أكد أمير المؤمنين عليه السلام على تشييع عبد القيس، ولما علم بمجازر البصرة، ومقتل حكيم بن جبلة العبدي ومن معه، قام خطيباً، وقال: «... قتلوا شيعتي وعمالي، وقتلوا أخا ربعة العبدي (رحمة الله عليه) في عصابة من المسلمين، قالوا: لا ننتكث كما نكتهم، ولا نغدر كما غدرتم. فوثبوا عليهم فقتلوهم، فسألتهم أن يدفعا إليّ قتلة إخواني اقتلهم بهم، ثم كتاب الله حكم بيني وبينهم، فأبوا عليّ، فقاتلوني وفي أعناقهم بيعتي ودماء قريب من ألف رجل من شيعتي، فقتلتهم بهم، أي شك أنت من ذلك؟»<sup>(٩)</sup>.

كذلك حدث الإمام عليه السلام جماعته قائلاً لهم: «أتوا البصرة [يعني جماعة الجمل]

(١) أنظر: ابن عبد البر، يوسف، الاستيعاب: ج ١، ص ٣٢٤-٣٢٥، و٣٢٧.

(٢) أنظر: ابن أبي الحديد المعتزلي، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج ٩، ص ٣٢٢.

(٣) أنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٢، ص ٢٢٨-٢٢٩.

(٤) أنظر: الأسدي، سيف بن عمر، الفتنة ومعركة الجمل: ص ١٣٨، و١٤٤.

(٥) عمرو بن مرجوم العبدي: كان سيّداً شريفاً في الإسلام، ومن رجالات عبد القيس، شارك في حروب الإمام عليه السلام. أنظر: المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين: ص ١١٧. وأيضاً: البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٢، ص ٢٣٧.

(٦) لقد استفاد عمرو بن العاص من خطوة الإمام عليه السلام هذه يوم صفين، فبعد أن انهزم أهل الشام دعا معاوية لرفع المصاحف، ولكن ليس للغرض الذي أراده الإمام عليه السلام.

(٧) أنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٢، ص ٢٤٠.

(٨) أنظر: المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين: ص ١١٧.

(٩) المصدر السابق: ص ٥.

وأهلها مجتمعون على بيعتي وطاعتي، وبها شيعتي، وخزان بيت مال الله ومال المسلمين، فدعوا الناس إلى معصيتي، وإلى نقض بيعتي وطاعتي، فمن أطاعهم أكفروه، ومن عصاهم قتلوه...»<sup>(١)</sup>.

وكان على الشيعة من قبيلة عبد القيس أن يحملوا ضريبة ولأئهم لأمر المؤمنين عليه السلام، فلاقوا لذلك اضطهاداً سياسياً واجتماعياً على مرّ الأوقات، وتعاقب السلطات الإسلامية المخالفة لمذهب آل البيت عليهم السلام، فبعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام وتولي معاوية الحكم، ولّى على البصرة حكاماً قساة، يحملون عداً لأمر المؤمنين عليه السلام، ومن أشهرهم: زياد ابن أبيه، الذي قام بتهجير أربعين ألفاً من مقاتلة أهل البصرة مع عيالاتهم إلى خراسان، ليس إلا لرفضهم الحكم الأموي، ولا سيما أن زياداً كان في البصرة أيام أمير المؤمنين عليه السلام، فهو عارف بتوجهاتهم<sup>(٢)</sup>. ولما جاء ابنه عبيد الله بن زياد استمرّ على السياسة العدائية لأمر المؤمنين عليه السلام وشيعته؛ إذ بنى عدّة مساجد في البصرة تقوم على بغض الإمام علي عليه السلام والوقعة به، منها: مسجد بني عدي، ومسجد بني مجاشع، ومسجد في الأزد<sup>(٣)</sup>.

ومن جملة إجراءات ابن زياد أن قرّب زعيم عبد القيس وصاهره بالزواج من ابنته، مستغلاً ضعف شخصيته، ومن هنا؛ نجد أن موقف عبد القيس من الإمام الحسين عليه السلام لم يتمثل بشخص زعيمها الذي تمّ شراؤه من قبل الوالي الأموي، وإنما من قبل أفراد من قبيلة عبد القيس اضطروا للتخفي والاجتماع في بيت إحدى نساء عبد القيس، وهي مارية العبديّة، وقد أسفر عن هذا الاجتماع خروج سبعة من عبد القيس واللقاء بالإمام الحسين عليه السلام والاستشهاد بين يديه عليه السلام. ولكنّ هذا لا يعني أنّ

(١) الطبري، محمد بن جرير، المسترشد في الإمامة: ص ٤٢٠.

(٢) أنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان: ص ١٠٩.

(٣) أنظر: الثقفني، إبراهيم بن محمد، الغارات: ج ٢، ص ٥٥٨.

أولئك السبعة هم فقط من خرج لنصرة الإمام عليه السلام، وإنما لا يبعد خروج آخرين، ولكن قد وقعوا بقبضة المسالحة الأموية وتم القضاء عليهم أو إعادتهم إلى البصرة.

## ثانياً: مؤتمر تميم

أشارت المدونات التاريخية أنّ الشخصية الوحيدة التي استجابت لنداء الإمام الحسين عليه السلام من أشرف البصرة، هو يزيد بن مسعود النهشلي، الذي اتخذ قراراً بنصرة الإمام الحسين عليه السلام؛ لذا جمع جموع بني تميم، وأشهر بطونها بنو حنظلة، وبنو سعد، وبنو عامر، وقام خطيباً: «يا بني تميم، كيف ترون موضوعي فيكم، وحسبي منكم؟ فقالوا: بخ بخ، أنت والله، فقرة الظهر، ورأس الفخر، حللت في الشرف وسطاً، وتقدمت فيه فرطاً. فقال: فإنّي قد جمعتكم لأمرٍ أريد أن أشاوركم فيه، وأستعين بكم عليه. فقالوا: إنا والله، نمنحك النصيحة، ونحمد لك الرأي، فقل حتى نسمع. فقال: إن معاوية مات، فأهون به والله هالكاً ومفقوداً، ألا وإنّه قد انكسر باب الجور والإثم، وتضعضت أركان الظلم، وقد كان أحدث بيعة عقد بها أمراً ظنّ أنّه قد أحكمه، وهيئات والذي أراد، اجتهد والله ففشل، وشاور فخذل، وقد قام ابنه يزيد شارب الخمر، ورأس الفجور، يدعي الخلافة على المسلمين، ويتأمر عليهم بغير رضئ منهم، مع قصر حلم، وقلة علم، لا يعرف من الحق موطن قدمه. فأقسم بالله قسماً مبروراً! لجهاده على الدين أفضل من جهاد المشركين، وهذا الحسين بن عليّ، ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، ذو الشرف الأصيل، والرأي الأتيل، له فضل لا يوصف، وعلم لا ينزف، وهو أولى بهذا الأمر؛ لسابقته وسنته وقدمه وقربته، يعطف على الصغير، ويحنو على الكبير، فأكرم به راعي رعية، وإمام قوم وجبت لله به الحجة، وبلغت به الموعدة، فلا تعشوا عن نور الحق، ولا تسكعوا في وهدة الباطل، فقد كان صخر بن قيس انخذل بكم يوم الجمل، فاغسلوها بخروجكم إلى ابن رسول الله ونصرته، والله، لا يقصر أحد عن نصرته إلا أورثه الله الذلّ في ولده، والقلة

في عشيرته، وها أنا ذا قد لبست للحرب لامتها، وأدّرت لها بدرعها، مَنْ لم يُقتل يمّت، ومَنْ يهرب لم يفّت، فأحسنوا رحمكم الله ردّ الجواب»<sup>(١)</sup>.

لقد كان موقف كلّ من بني حنظلة وبني عامر إيجابياً، أعجب يزيد بن مسعود، لكنّه تأسّف لموقف بني سعد، وحذّره من وخيمة ذلك، فقد قالت حنظلة: «يا أبا خالد، نحن نبيل كنانتك، وفرسان عشيرتك، إن رميت بنا أصبت، وإن غزوت بنا فتحت، لا تحوض والله غمرة إلّا خضناها، ولا تلقى والله شدة إلّا لقيناها، ننصرك بأسيفنا، ونقيك بأبداننا، إذا شئت فافعل.

وقالت بنو عامر بن تميم، فقالوا: يا أبا خالد، نحن بنو عامر، بنو أبيك وحلفاؤك، لا نرضى إن غضبت، ولا نقطن إن طعنت، والأمر إليك، فادعنا نُجَبِّك، وأمرنا نُطْعُك، والأمر لك إذا شئت.

فيما قالت بنو سعد بن زيد: يا أبا خالد، إن أبغض الأشياء إلينا خلافاً والخروج من رأيك، وقد كان صخر بن قيس أمرنا بترك القتال، فحمدنا أمرنا وبقي عزّنا فينا، فأمهلنا نراجع المشورة ويأتيك رأينا.

هذا الموقف من بني سعد أغضب يزيد بن مسعود، فقال لهم: والله، يا بني سعد، لئن فعلتموها لا رفع الله السيف عنكم أبداً، ولا زال سيفكم فيكم»<sup>(٢)</sup>.

ثمّ كتب يزيد بن مسعود إلى الإمام الحسين عليه السلام: «بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد، فقد وصل إليّ كتابك، وفهمت ما ندبتني إليه، ودعوتني له، من الأخذ بحظّي من طاعتك، والفوز بنصيبي من نصرتك، وإنّ الله لم يُجِلّ الأرض قطّ من عامل عليها بخير، أو دليل على سبيل نجاة، وأنتم حجّة الله على خلقه، ووديعته في أرضه، تفرّعتم من زيتونة أحمديّة، هو أصلها، وأنتم فرعها، فأقدم سعادت بأسعد طائر، فقد ذللت لك

(١) ابن نهار الحليّ، جعفر بن محمّد، مشير الأحرار: ص ١٨.

(٢) المصدر السابق: ص ١١٨.

أعناق بني تميم، وتركتهم أشدّ تتابعاً في طاعتك من الإبل الظاء لورود الماء يوم خمّسها وكضّها، وقد ذلّت لك رقاب بني سعد، وغسلت درن صدورها بماء سحابة مزن حين استهلّ برقها فلمع.

وقد أرسل الكتاب بيد أحد رجالات بني تميم وهو الحجاج بن بدر التميمي السعدي، فلّمّا قرأ الإمام الحسين عليه السلام الكتاب، دعا ليزيد قائلاً: ما لك آمنك الله يوم الخوف، وأعزّك وأرواك يوم العطش.

ثمّ أخذ يزيد يتجهّز للخروج للقاء الإمام ونصرته، لكن ممّا يؤسف له: أنّ الإجراءات الأمنية المتشدّدة التي اتّخذتها الحكومة المحلية في البصرة، فضلاً عن تسارع الأحداث، وسرعة تحرّك الجيش الأموي، ولقائه بالإمام قبل أن تصله أنصاره من البصرة والكوفة، سارع بقتل الإمام عليه السلام؛ لذا فوجئ يزيد النهشلي بقتل الإمام فجزع لذلك جزعاً شديداً<sup>(١)</sup>. أمّا بالنسبة إلى الحجاج بن بدر التميمي فقد لحق بالإمام عليه السلام وبقي معه حتّى استشهد بين يديه في كربلاء<sup>(٢)</sup>.

### بنو نهشل أصحاب الإمام علي عليه السلام

لقد تزوّج أمير المؤمنين عليه السلام إبّان إقامته في البصرة من ليلي بنت مسعود بن جابر ابن مالك بن ربيعي بن سلم بن جندل بن نهشل؛ لذا تُعرف بالنهشلية<sup>(٣)</sup>، واتّخذ لها بيتاً في بني مازن، استقرّ فيه عليه السلام (٧٢) يوماً، وغدا هذا البيت مشهداً يؤمّه الزوار، وقد رآه الرحالة ناصر خسرو لما مرّ بالبصرة في القرن الخامس الهجري<sup>(٤)</sup>.

ذكر الثقفني أنّ ليلي بنت مسعود قالت: «ما زلت أحبّ أن يكون بيني وبينه سبب

(١) ابن نما الحليّ، جعفر بن محمّد، مثير الأحزان: ص ١٨ - ١٩.

(٢) الأسيدي، الفضيل بن زبير، تسمية من استشهد مع الحسين عليه السلام: ص ١٥٦.

(٣) أنظر: ابن سعد، محمّد، الطبقات الكبرى: ج ٣، ص ١٩.

(٤) أنظر: ناصر خسرو، سفرنامه: ص ١٤٨.

منذ رأته قام مقاماً من رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>، وقيل: إنها ضربت حجلة في بيت الإمام بعد زواجها، ف جاء الإمام فهتكها، وقال: «حسب أهل علي ما هم فيه»<sup>(٢)</sup>.

وكانت ليلي قد ولدت لأmir المؤمنين عليّ أبابكر وعبيد الله<sup>(٣)</sup>، وقد استشهد أبو بكر واسمه محمد الأصغر مع أخيه الإمام الحسين عليّ في كربلاء سنة (٦١ هـ)<sup>(٤)</sup>. أمّا عبيد الله، فقتل في حروب مصعب بن الزبير والمختار بن أبي عبيد الثقفي وقبره بالمدار<sup>(٥)</sup>، ولكن الشيخ المفيد عدّه خطأً ممن استشهد في كربلاء<sup>(٦)</sup>.

أمّا الشيخ المجلسي فقد عدّهما شخصاً واحداً، فقال: «ثم تقدّمت إخوة الحسين عازمين على أن يموتوا دونه، فأول من خرج منهم أبو بكر بن عليّ، واسمه عبيد الله، وأمّه ليلي بنت مسعود بن خالد بن ربيعي التميمية، فتقدّم وهو يرتجز:

شيخ عليّ ذو الفخار الأطول      من هاشم الصدق الكريم المفضل  
هذا حسين ابن النبي المرسل      عنه نحامي بالحسام المصقل

تفديده نفسي من أخ مبجل

فلم يزل يقاتل حتّى قتله بدر بن زحر النخعي، وقيل: عبد الله بن عقبة الغنوي، قال أبو الفرج: لا يُعرف اسمه، وذكر أبو جعفر الباقر عليّ في الإسناد الذي تقدّم أن رجلاً من همدان قتله، وذكر المدائني: أنه وجد في ساقية مقتولاً، لا يُدرى من قتله»<sup>(٧)</sup>.

(١) الثقفي، محمد بن إبراهيم، الغارات: ج ١، ص ٩٣.

(٢) ابن أبي الحديد المعتزلي، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج ٢، ص ٢٠٢.

(٣) أنظر: البلاذري، أحمد بن يحيى، أنساب الأشراف: ج ٢، ص ١٩١ - ١٩٢.

(٤) أنظر: ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى: ج ٣، ص ١٩.

(٥) أنظر: المصدر السابق: ج ٣، ص ١٩، ج ٥، ص ١١٧.

(٦) أنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ص ١٣١ و ١٧٤. وتابعه: الطبرسي، الفضل بن الحسن، تاج المواليد: ص ١٩. وأيضاً: الحليّ، الحسن بن يوسف، المستجد من الإرشاد: ص ١٣٩. وأيضاً:

المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٢، ص ٩٠.

(٧) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٣٦. وتابعه: البحراني، عبد الله، العوالم (الإمام

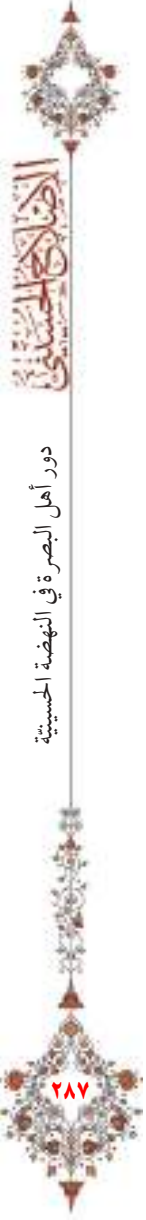
وهناك شخصية بصرية لا نعلم شيئاً عن كيفية علمها بنهضة الإمام الحسين عليه السلام، ولا كيف تمكنت من الخروج واللحاق بالإمام الحسين عليه السلام، وذلك هو الهفهاف بن مهند الأزدي الراسبي، الذي خرج من البصرة والتحق بالإمام عليه السلام في كربلاء، فوصلها في اليوم العاشر بعد الظهر، فسأل عن الإمام الحسين عليه السلام، فقال له جماعة ابن سعد: أما ترى رأسه فوق الرمح. فانتضى سيفه وأخذ يقاتلهم قتالاً لم يشهده أحدٌ بشهادة الإمام علي بن الحسين عليه السلام، حيث قال عن شجاعته: «فما رأى الناس منذُ بعث الله محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم فارساً... قتل بيده ما قتل»<sup>(١)</sup>.

خلاصة القول: إنَّ مَنْ استشهد مع الإمام الحسين عليه السلام من أهل البصرة هم تسعة فقط، منهم: خمسة من عبد القيس، وواحد من تميم، وواحد من الأزد، وهم<sup>(٢)</sup>:

- ١ - يزيد بن نبيط العبدي.
- ٢ - عبد الله بن يزيد بن نبيط العبدي.
- ٣ - عبيد الله بن يزيد بن نبيط العبدي.
- ٤ - الأدهم بن أمية العبدي البصري.
- ٥ - عامر بن مسلم العبدي.
- ٦ - سالم مولى عامر بن مسلم العبدي.
- ٧ - سيف بن مالك العبدي البصري.
- ٨ - الحجاج بن بدر التميمي السعدي.
- ٩ - الهفهاف بن مهند الأزدي الراسبي.

الحسين عليه السلام): ص ٢٨٠. الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص ١٧٧. العسكري، مرتضى، معالم المدرستين: ج ٣، ص ١٢٧.

- (١) الأسدي، الفضيل بن زبير، تسمية مَنْ استشهد مع الحسين عليه السلام: ص ١٥٦.
- (٢) البوهلاله، حسين نعمة، موسوعة أنصار الإمام الحسين عليه السلام: ص ١٧٥-١٧٦.





## المصادر والمراجع

\* القرآن الكريم.

- ١- إِبصار العين، محمد بن طاهر السماوي، تحقيق: الشيخ محمد جعفر الطبسي، مركز الدراسات الإسلامية لممثلية الولي الفقيه في حرس الثورة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٣٧٧ش.
- ٢- ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف، أنوار الهدى، قم- إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٣- اتّعاظ الحنفاء في أخبار الأئمّة الخلفاء، أحمد بن علي المقرئزي (ت ٨٤٥هـ)، تحقيق: جمال الشيبال، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- ٤- الأخبار الطوال، أحمد بن دواد الدينوري، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربي- عيسى البابي الحلبي وشركاه، منشورات شري، الطبعة الأولى، ١٩٦٠م.
- ٥- الإرشاد، محمد بن محمد المعروف بالشيخ المفيد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام، لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م.
- ٦- الاستيعاب، يوسف بن عبد الله ابن عبد البر، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجليل، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- ٧- أسد الغابة، علي بن أبي الكرم المشهور بابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، انتشارات إسماعيليان، طهران.
- ٨- الإصابة، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.



٩- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠م.

١٠- أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام في رحاب البصرة، جواد كاظم النصر الله، مركز تراث البصرة، البصرة- العراق، الطبعة الثانية، ٢٠١٤م.

١١- أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري، تحقيق: الشيخ محمد باقر محمودي، مؤسسة الأعلمي للطبوعات، الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

١٢- الأنساب، عبد الكريم بن محمد السمعاني، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٣- بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، مؤسسة الوفاء، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.

١٤- البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

١٥- تاج المواليد، الفضل بن الحسن الطبرسي، مكتب آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٦هـ.

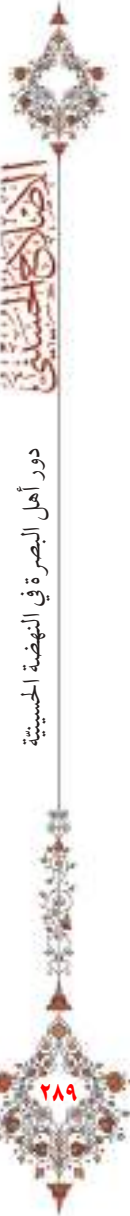
١٦- تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون عبد الرحمن (ت٨٠٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الثالثة.

١٧- تاريخ اليعقوبي، أحمد اليعقوبي، دار صادر، بيروت- لبنان.

١٨- تاريخ خليفة، خليفة ابن خياط، تحقيق: الدكتور سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان.

١٩- تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن المعروف بابن عساكر، تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ.

٢٠- تخطيط المدن العربية الإسلامية، طاهر مظفر العميد، جامعة بغداد، ١٩٨٦م.



- ٢١- تسمية من استشهد مع الحسين، الفضيل بن زبير الأسدي، تحقيق: السيد محمد رضا الحسيني، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م.
- ٢٢- التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، صالح أحمد العلي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٣ م.
- ٢٣- تنقيح المقال في علم الرجال، عبد الله المامقاني (ت ١٣٥١ هـ)، تحقيق: محيي الدين المامقاني، ومحمد رضا المامقاني، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ.
- ٢٤- التوحيد، محمد بن علي الصدوق، تحقيق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- ٢٥- جبهة البصرة (دراسة في أحوالها العسكرية والإدارية والاجتماعية والمالية للفترة من ١١-٤١ هـ)، رباب جبار السوداني، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، كلية الآداب - قسم التاريخ، ١٩٨٩ م.
- ٢٦- جمهرة النسب، هشام بن محمد بن السائب الكليبي (ت ٢٠٤ هـ)، تحقيق: ناجي حسن، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م.
- ٢٧- خطط البصرة (دراسة في أحوالها العمرانية والمالية في العهود الإسلامية الأولى، صالح أحمد العلي، المجمع العراقي، بغداد، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
- ٢٨- خطط الكوفة وشرح خريطتها، لويس ماسنيون، ترجمة وتعليق: تقي بن محمد المصعبي، دار الوراق للنشر.
- ٢٩- دراسات في تاريخ المدن الإسلامية، عبد الجبار ناجي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م.
- ٣٠- ربيع الأبرار، محمود الزمخشري، تحقيق: عبد الأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.

٣١- سفرنامه، ناصر خسرو (ت ٤٨١هـ)، تحقيق: يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.

٣٢- سلسلة القبائل العربية في العراق (بنو عبد القيس)، عبد الهادي الربيعي، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٣٣- شرح الأخبار، القاضي النعمان بن محمد المغربي، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلاي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٣٤- شرح نهج البلاغة، عبد الحميد المعروف بابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٥- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: نخبة من العلماء الأجلاء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.

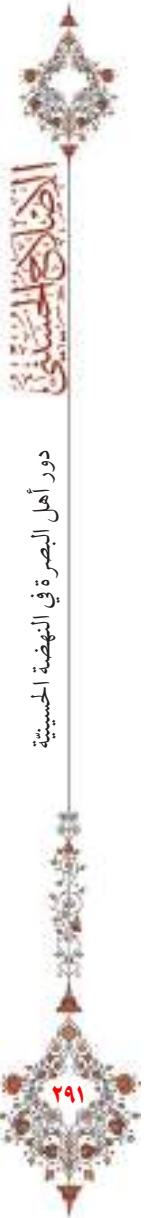
٣٦- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، دار صادر، بيروت.

٣٧- عجاله المبتي وفضاله المتتهي في النسب، محمد بن موسى الهازمي الهمداني (ت ٥٨٤هـ)، تحقيق: عبد الله كنون، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٧٣هـ/ ١٩٧٣م.

٣٨- العوالم (الإمام الحسين عليه السلام)، عبد الله البحراني، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام بالحوزة العلمية، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٣٦٥ش.

٣٩- الغارات، إبراهيم بن محمد الثقفي، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، طبع على طريقة أوفست في مطابع بهمن.

٤٠- فتح الباري، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية.



- ٤١- الفتنة ووقعة الجمل، سيف بن عمر الأسدي، تحقيق: أحمد راتب عرموش، دار  
النفايس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ.
- ٤٢- فتوح البلدان، أحمد بن يحيى البلاذري، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة  
المصرية، القاهرة.
- ٤٣- القبائل العربية في المشرق خلال العصر الأموي (٤٠-٦٦٠هـ)، ناجي حسن، اتحاد  
المؤرخين العرب، ١٩٨٢م.
- ٤٤- الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم المشهور بابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، دار صادر،  
بيروت، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.
- ٤٥- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ.
- ٤٦- لواجع الأشجان، محسن الأمين، منشورات مكتبة بصيرتي، قم، مطبعة العرفان-  
صيда، ١٣٣١هـ.
- ٤٧- مثير الأحزان، جعفر بن محمد المعروف بابن نما الحلّي، المطبعة الحيدرية، النجف  
الأشرف، ١٩٥٠م.
- ٤٨- مختصر كتاب البلدان، أحمد بن محمد، المعروف بابن الفقيه الهمداني، طُبع في مدينة  
ليدن، مطبعة برييل، سنة ١٣٠٢هـ.
- ٤٩- مرويات الجوهرى عن يوم السقيفة، جواد كاظم النصر الله، مجلّة دراسات البصرة،  
العدد ٣، لسنة ٢٠٠٧م.
- ٥٠- المزار، محمد بن جعفر المشهدي، تحقيق: جواد القيومي الإصفهاني، نشر القيوم، قم  
- إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- ٥١- المستجد من الإرشاد، العلامة الحسن بن يوسف الحلّي، مكتب آية الله العظمى  
المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٦هـ.
- ٥٢- المسترشد في الإمامة، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: الشيخ أحمد المحمودي،  
مؤسسة الثقافة الإسلامية لكوشانبور، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٥٣- مع الركب الحسيني، نجم الدين الطبسي، الدراسات الإسلامية لمثلية الولي الفقيه، مديرية دراسات عاشوراء، قم، الطبعة الثالثة، ١٤٢٨هـ.

٥٤- معارج نهج البلاغة، علي بن زيد البيهقي، تحقيق: محمد تقي دانش پڑوه، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩م.

٥٥- المعارف، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: دكتور ثروت عكاشة، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، ١٩٦٩هـ.

٥٦- معالم المدرستين، مرتضى العسكري، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٩٩٠م.

٥٧- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

٥٨- معجم قبائل العرب، عمر كحالة، دار العلم للملايين، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

٥٩- مقاتل الطالبين، أبو الفرج علي بن الحسين الإصفهاني، تحقيق: كاظم المظفر، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الأشرف، الطبعة الثانية، ١٩٦٥م.

٦٠- مقتضب الأثر في النصّ على الأئمة الاثني عشر، أحمد بن عبيد الله بن عيَّاش الجوهري (ت ٤٠١هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، طهران، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

٦١- الملل والنحل، عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيّد كيلاي، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٦٢- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، حبيب الله الخوئي، تحقيق: سيّد إبراهيم الميانجي، بنیاد فرهنگ الإمام المهدي عليه السلام، الطبعة الرابعة.

٦٣- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي المقرئ (ت ٨٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

- ٦٤- موسوعة الإمام الحسين عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري، دار الحديث للطباعة والنشر، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ.
- ٦٥- موسوعة أنصار الإمام الحسين عليه السلام، حسين نعمة البوهلاله.
- ٦٦- نهج البلاغة، تحقيق وشرح: محمد عبده، دار الذخائر، قم- إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
- ٦٧- وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٢ هـ.

## سفرء الإمام الحسين ؑ

الشيخ عبد الرزاق النداءى\*

المشهور أنّ الإمام الحسين ؑ كان له سفرء علة؛ أشهرهم مسلم بن عقيل ؑ، ثمّ قيس بن مسهر الصيداوى، وعبد الله بن يقطر، وسليمان بن رزين أو أبو رزين، وحبيب بن مظاهر الأسدى.

وفى هذا البحث المختصر نريد أن نسلط الأضواء على أهمية هؤلاء النفر، والمهام التى كلفوا بها من قبل المولى أبى عبد الله الحسين ؑ، ومحاولة حلّ بعض الملبسات والاضطراب فى كلمات المؤرخين فى شأنهم، والتعرض إلى شيء من سيرهم، وما يرتبط بمهمّتهم.

### أهمية هؤلاء النفر

نستطيع ببعض القرائن الاستدلال على أهمية هؤلاء الأشخاص ضمن النقاط الآتية:

النقطة الأولى: قيل فى الحكمة: إنّ عقل المرء يُعرف «بإحدى ثلاث: إمّا برسوله، وإمّا بكتابه، وإمّا بهديته، فإنّ رسوله قائم مقام نفسه، وكتابه يصف نطق لسانه، وهديته عنوان همّته»<sup>(٢)</sup>.

\* باحث إسلامى، من العراق.

(٢) الأبيهي، محمد بن أحمد، المستطرف فى كلّ فنّ مستطرف: ج ١، ص ٣٦.

فالرسول ممثّل عمّن أرسله، فهو كالوكيل عمّن وكّله، فلا بدّ أن يكون بمستوى تمثيل المرسل، فيكون حكيماً، خيراً بمهمّته.. كما قيل:

إذا كنت في حاجة مُرسلاً فأرسل حكيماً ولا توصه<sup>(١)</sup>

ولهذا نجد أنّ الله تعالى اختار خيرة الخلق لحمل رسالات السماء، فكانوا في أعلى درجات العلم، والحلم، والحكمة، والشجاعة، والكمال المعنوي، بل حتّى الكمال المادي، فلم يبعث الله تعالى رسلاً فيهم نقص مادّي يوجب نفور النفوس منهم، بل هم في أعلى درجات الجمال، وبهاء الطلعة، وكمال الجسم.

ولذا فإنّ اختيار الإمام الحسين عليه السلام لهؤلاء الرجال يدل على علو همّتهم، وسمو مقامهم، وقدرتهم على حمل الرسالة، وأداء الأمانة، وإنجاز المهمّة.

**النقطة الثانية:** أنّ المهامّ التي أوكلت إلى هؤلاء النفر مهامّ خطيرة، تجعلهم في مواجهة السلطة، ونفهم من قبولهم لتلك المهامّ أنّهم على مرتبة عالية من الشجاعة والاستعداد للتضحية، وقد بدا ذلك واضحاً في مواقفهم؛ إذ تحمّلوا القتل والتنكيل، ولم يشوا بشيء يضرب بحركة سيّد الشهداء عليه السلام.

**النقطة الثالثة:** أنّهم بلا شكّ رجال في أعلى درجات الوثاقة والدين؛ لأنّ السبط الشهيد عليه السلام انتخبهم لمهامّ جليّة وخطيرة، وقد صرح الإمام عليه السلام بوثاقة بعضهم بما لا يدع مجالاً للشكّ، كما هو الحال في الكتاب الذي بعثه مع مسلم؛ حيث جاء فيه: «وقد بعثت إليكم أخي، وابن عمّي، وثقتي...»<sup>(٢)</sup>.

**النقطة الرابعة:** أنّ النهاية التي انتهى إليها أولئك الرجال جميعاً هي السعادة، والفوز بمرتبة الشهادة في سبيل الله تعالى، بنفوس مطمئنة، وقلوب مفعمة بالإيمان، وراضية بقضاء الله تعالى، ويحتمل قوياً أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد أخبرهم بهذه النهاية

(١) الإصفهاني، علي بن الحسين، كتاب الأغاني: ج ١٧، ص ٢١٤.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٦٢.



المجيدة، وخيرهم بين القبول بهذه المهمة ونتيجتها وبين الترك، فاختراروا السعادة الأبدية، وستأتي الإشارة إلى ما يدل على ذلك.

وهذا شبيه بما أعلنه عليه السلام عند خروجه من مكة، بأن مشروعه هو مشروع شهادة، وأخبر أتباعه قائلاً: «مَنْ لِحَقِّ بِي اسْتَشْهَد...»<sup>(١)</sup>، وهكذا خير أصحابه ليلة العاشر من المحرم بين السلامة والانصراف آمين، وبين الثبات والصبر على ملاقة الحتوف، بل كان يحثهم على الانصراف، ولكنهم أبوا واختاروا مجاورته والدار الآخرة.

النقطة الخامسة: قد صدرت كلمات الأسف والتفجع من السبط الشهيد عليه السلام على هؤلاء النفر حين وصلته أنباء استشهادهم، تدل على عظمة المقام والمكانة التي يحضون بها لدى أبي عبد الله عليه السلام، وسيأتي بيانها في محلها.

### السفير الأول: مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام

أرسله الإمام الحسين عليه السلام من مكة إلى الكوفة ليستطلع الحال - بعد تكاثر كتب الكوفيين عليه - يوم (١٥) رمضان سنة (٦٠هـ)، وأرسل بمعيته ثلاثة نفر، وهم:

١- قيس بن مسهر الصيداوي.

٢- عمار بن عبد الله السلولي.

٣- عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي<sup>(٢)</sup>.

وفي طريقه نحو العراق مال إلى المدينة؛ ليجدد عهداً بمرقد رسول الله عليه السلام، ويودع أهله هناك، ثم إنَّه عليه السلام دخل الكوفة يوم (٥) شوال سنة (٦٠هـ).

كان حاكم الكوفة يوم ذاك (النعمان بن بشير)، وهو صحابي أنصاري، فأغلق باب قصره عليه، وقال: «إني لم أقاتل مَنْ لم يُقاتلني، ولا أثب على مَنْ لا يشب علي»<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن نما الحلي، جعفر بن محمد، مشير الأحرار: ص ٢٧.

(٢) أنظر: المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ١٦٠.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٦٤.

فلم يرتضِ جماعة ممن لهم هوى في بني أمية فعله هذا، واعتبروا ذلك تواطؤاً أو ضعفاً، فكتبوا إلى يزيد بالأمر، فأوعز هذا الأخير لعبيد الله بن زياد - وكان حاكماً على البصرة - بالتوجه إلى الكوفة، وقد أمر بضمها مع البصرة إلى حكمه. فخرج منها مُسرِعاً نحو الكوفة على أمل دخولها قبل وصول الحسين عليه السلام، فدخلها في العشرة الثانية من شهر ذي القعدة سنة (٦٠ هـ)، أي: بعد وصول مسلم ابن عقيل إليها بشهر وبضعة أيام<sup>(١)</sup>.

### تراجع حركة الثوار

وبعد دخول عبيد الله إلى الكوفة بدأت الأمور بالتراجع والانهيار؛ نتيجةً لسياسة البطش والإرهاب، والأخذ على الظنة والتهمة، وكثرة الاعتقالات التي مارسها ابن مرجانة.

كان مسلم عليه السلام قد نزل دار المختار بن أبي عبيد الثقفي عند وصوله الكوفة، ولما ورد ابن مرجانة الكوفة ترك مسلم دار المختار وتحوّل إلى دار هانيء بن عروة مختفياً، وبقي هناك حتى اكتشف مكانه واعتقال هانيء، فانتفض لأجل تخليص هانيء من مخالب ابن مرجانة، إلا أنّ الناس تفرّقوا عنه سوى نفر قليل لا يتجاوزون الثلاثين، وهم خلّص أصحابه، وفيهم حبيب بن مظاهر، ومسلم بن عوسجه وآخرون، فأمرهم بالتفرّق واللاحق بالحسين عليه السلام<sup>(٢)</sup>؛ لأنّه علم أنّ حركته ستُجهض بسبب تفرّق الناس وتخاذلهم، فاكتفى بتضحية واحدة، وهي تقديم نفسه الشريفة قرباناً أمام نهضة سيّد الشهداء عليه السلام، بعد أن أيقن أن داعي لتقديم المزيد من التضحيات في تلك اللحظة الحرجة.

(١) أنظر: المحمودي، محمّد باقر، عبرات المصطفين في مقتل الحسين عليه السلام: ج ١، هامش ص ٣٠٦.  
(٢) قد فصلنا القول في هذه المسألة، والأسباب التي دعت مسلماً عليه السلام لتفريق أصحابه في كتابنا: (أصحاب النبيّ الشهداء في نهضة كربلاء).

وكانت النتيجة اعتقال مسلم عليه السلام يوم (٨) من ذي الحجة سنة (٦٠ هـ)، وقتله مع هانئ في ذلك اليوم، وإرسال رأسيهما إلى الشام، ثم سحبهما في الطرقات والشوارع بالحبال، وصلبهما منكوسين بالقرب من المسجد الأعظم<sup>(١)</sup>.

ثم إن الإمام الحسين عليه السلام كان قد خرج من مكة متوجّهاً نحو العراق في اليوم الذي قُتل فيه مسلم عليه السلام؛ استجابة لكتب أهل الكوفة أولاً، واعتماداً على رسالة مسلم عليه السلام بالقدوم ثانياً، وقد جاء في الرسالة: «أما بعد، فإنّ الرائد لا يكذب أهله، وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً، فعجل الإقبال حين يأتيك كتابي...»<sup>(٢)</sup>.

### مصير من رافقوا مسلماً عليه السلام

تقدّم أن الإمام الحسين عليه السلام بعث مع مسلم ثلاثة رجال، وهم: قيس بن مسهر الصيداوي - وسيأتي الكلام عنه مفصلاً - وعمارة بن عبد الله السلولي، وهو أحد الأشخاص الذين حملوا كتب أهل الكوفة إلى الإمام الحسين عليه السلام<sup>(٣)</sup>، وعاد مع مسلم عليه السلام إلى الكوفة، وهو الذي اقترح على هانئ بن عروة اغتيال عبيد الله بن زياد<sup>(٤)</sup> لما جاء لعيادة هانئ أو شريك.. ولم يُذكر عنه شيء في التاريخ أكثر من ذلك، ولم تعرف عاقبة أمره، وعبد الرحمن بن عبد الله الأزدي، وهو أيضاً ممن حملوا كتب أهل الكوفة إلى الإمام الحسين عليه السلام وهو في مكة، وعاد إلى الكوفة بمعية مسلم وبتوجيه من الحسين عليه السلام، فلما قُتل مسلم، لحق بمولانا الحسين عليه السلام، ولازمه حتى نال شرف الشهادة<sup>(٥)</sup>، وقد ورد التسليم عليه في زيارتي الناحية والرجبية<sup>(٦)</sup>.

(١) أنظر: المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ١٧٨.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٨١.

(٣) أنظر: الشاهرودي، علي النازي، مستدركات علم رجال حديث: ج ٦، ص ٢٠.

(٤) أنظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ٧، ص ٣٤٤.

(٥) أنظر: الشاهرودي، علي النازي، مستدركات علم رجال حديث: ج ٤، ص ٤٠٥.

(٦) أنظر: المصدر السابق.

## حقيقة مهمة مسلم ﷺ

وها هنا سؤال يطرح نفسه، وهو: ما هي المهمة التي أرسل مسلم ﷺ لتحقيقها؟

- هل هي إسقاط حكومة الكوفة؟

- هل هي أخذ البيعة؟

- هل هي مجرد استطلاع؟

وفي هذا الصدد لا بدّ من الرجوع إلى أوراق اعتماد مسلم ﷺ؛ لنرى ماذا قال الإمام الحسين ﷺ في الكتاب الذي بعثه مع مسلم، وهل خاطب الإمام ﷺ أهل الكوفة؟ وإذا كان كذلك، فماذا طلب منهم ﷺ؟

## نصّ الكتاب الذي حمّله مسلم ﷺ

«بسم الله الرحمن الرحيم، من حسين بن علي إلى الملائم من المؤمنين والمسلمين، أمّا بعد، فإنّ هائناً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، وقد فهمت كلّ الذي اقتصصتم وذكّرتم، ومقالة جلّكم: إنّّه ليس علينا إمام، فأقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق. وقد بعثت إليكم أخي، وابن عمّي، وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم، فإن كتب إليّ أنّه قد أجمع رأي ملتكم وذوي الفضل والحجى منكم على مثل ما قدمت عليّ به رسلكم، وقرأت في كتبكم، أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله - فلعمري - ما الإمام إلّا العامل بالكتاب، والأخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله والسلام»<sup>(١)</sup>.

وبنظرة أولية لهذا النصّ يمكننا أن نسجل النقاط الآتية:

أولاً: أنّ المهمة الرئيسة التي بُعث من أجلها مسلم ﷺ، هي مهمة استطلاعية، هدفها الوقوف على جليّة الحال، واستكشاف مواقف الرجال، ثمّ إبلاغ الإمام ﷺ

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٦٢.

بذلك، ولم يكن من مهمته القيام بالثورة أو إسقاط الحكومة هناك، ويدلنا على ذلك أن إسقاط الحكومة بوجود النعمان بن بشير حاكم الكوفة يومئذٍ، وقبل وصول ابن مرجانة، كان أمراً ميسوراً... ولكن مسلماً لم يفعل ذلك.

ثانياً: لم يكن من وظيفة مسلم عليه السلام أخذ البيعة؛ لأن الإمام عليه السلام لم يقل ذلك لا شفاهاً ولا كتابةً، غير أن أهل الكوفة تدافعوا على بيعته عليه السلام؛ لأنهم فهموا من إرسال مسلم أن مهمته أخذ البيعة، فنستطيع القول: إن بيعة الحسين عليه السلام كانت بيعة شعبية، كبيعة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وليست بطلب منه؛ إذ الجماهير تدافعت على ذلك حباً وكرامة.

ويؤيد هذه الفكرة أن الإمام عليه السلام - بحسب ما ذكره المؤرخون - بعث كتابين إلى أهل الكوفة: الأوّل مع مسلم، وهو الذي نحن الآن بصدد التعليق عليه، وفيه: «وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم»، ولم يطلب منهم البيعة، والثاني بعثه وهو في طريقه إلى العراق، وقد جاء فيه: «أما بعد، فقد ورد كتاب مسلم بن عقيل يُخبرني باجتماعكم على نصرنا... فانكمشوا في أمركم فإني قادم في أيامي هذه»<sup>(١)</sup>، فطلب الإمام عليه السلام من أهل الكوفة بقوله: (فانكمشوا) واضح، يدلّ على عدم صدور الأوامر من الحسين عليه السلام بأيّ فعلٍ قبل وصوله، ويؤيد ما ذهبنا إليه من أن مسلم بن عقيل عليه السلام انزوى بعد دخول ابن مرجانة إلى الكوفة، وتخفى في دار هانئ، ولم تصدر منه أيّ ردّة فعل<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: بناء على ما جاء في النقطة السابقة، يتبيّن أن ثورة مسلم عليه السلام وقيامه ضدّ ابن مرجانة، كانت ردّة فعل على اعتقال هانئ وإيداعه في السجن، فلم يكن بإمكان مسلم - من الناحية الأخلاقية - القعود عن نصره هانئ، وهو رجل استضافه في بيته، وقد تعرّض للتعذيب والتنكيل لأجله، وحسب فهمي لو أن رسالة الحسين عليه السلام التي

(١) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢٠٤، وسيأتي نصّ الكتاب كاملاً.

(٢) المصدر السابق: ص ١٦٨.

تأمر بالانكماش قد وصلت مسلماً ﷺ قبل قيامه، لتربصّ وصبر حتى تأتيه أوامر الحسين ﷺ منها كانت المضاعفات والتداعيات.

رابعاً: ويؤيد ما ذهبنا إليه - من أنّ المهمة استطلاعية - ما روي من أنّ الحسين ﷺ، قال لمسلم: «يا ابن عم، قد رأيت أن تسير إلى الكوفة، فتنظر ما اجتمع عليه رأي أهلها، فإن كانوا على ما أتنني به كتبهم، فعجل عليّ بكتابك؛ لأسرع القدوم عليك، وإن تكن الأخرى، فعجل الانصراف»<sup>(١)</sup>، فيتضح هنا جلياً أنّ الحسين ﷺ يطلب من مسلم مغادرة الكوفة إذا رأى الأمور غير متسقة، ولم يطلب منه أكثر من اطلاعه على الحال. خامساً: إنّ الإمام الحسين ﷺ ذكر في ذيل رسالته التي حملها مسلم إلى أهل الكوفة مواصفات الإمام العادل، فقال ﷺ: «فلعمري، ما الإمام إلا العامل بكتاب الله، والأخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله»، وهذه العبارة - وإن كان فيها إشارة بالكناية والرمز - رفض لحكم يزيد، والسعي لاستبداله بإمام يحمل هذه الصفات، إلا أنّها ليس فيها أمر بالتحرك نحو تحقيق ذلك.

هذا ولكن ابن أعثم الكوفي أضاف في نسخته: «فإن كنتم على ما قدمت به رسلكم، وقرأت في كتبكم، فقوموا مع ابن عمي وبايعوه وانصروه ولا تخذلوهم...»<sup>(٢)</sup>، ومثله في مقتل الخوارزمي<sup>(٣)</sup>، ولكن يمكن تسجيل أكثر من ملاحظة على هذا الكلام:

الملاحظة الأولى: أنّ هذا ما لم يثبته غيرهما من المؤرخين، وبما أنّ الخوارزمي أخذ من ابن أعثم، فالنتيجة أنّ مصدر الرواية واحد، وهو يخالف ما اشتهر بين المؤرخين.

الملاحظة الثانية: أنّ هذا يخالف ما طلبه الإمام الحسين ﷺ من أهل الكوفة في كتابه الذي بعثه مع مسلم، وكذا كتابه الذي بعثه في الطريق؛ حيث أمرهم بالانكماش، وقد تقدّمت الإشارة إليه، فكيف يأمرهم بالقيام ثمّ الانكماش!؟

(١) الدينوري، أحمد بن داود، الأخبار الطوال: ص ٢٣٠.

(٢) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ٣١.

(٣) أنظر: الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الحسين ﷺ: ج ١، ص ٢٨٤.

الملاحظة الثالثة: قد تقدّم أن ثورة مسلم عليه السلام، كانت ردّة فعل على اعتقال هانئ، ولم تكن بمبادرة منه، فلو لم يُعتقل هانئ لبقِيَ مسلم يتربّص حتّى وصول الإمام عليه السلام.  
 الملاحظة الرابعة: أنّ طلب البيعة يعني إعلان الحرب على السلطة، وهذا ما لا يُريده الإمام الحسين عليه السلام؛ لأنّه كان يؤكّد دائماً أنّه لا يجب أن يبدأهم بقتال<sup>(١)</sup>.

### الوجه الآخر لمسلم عليه السلام العالم العامل

لا ريب في أنّ المساجلة والحوار الذي دار بين مسلم بن عقيل عليه السلام وعبيد الله بن زياد - والذي سننقل فقرات منه لاحقاً - يكشف لنا عن المستوى العالي الذي يمتلكه مسلم عليه السلام من الشجاعة والثبات، والبصيرة والعلم، والفضل والوعي، لحجم المهمّة التي نهض بها، ولولا ذلك الحوار لبقِيَ هذا الجانب من شخصيته غائباً، خصوصاً بعد ملاحظة أمرين:

الأمر الأوّل: أنّ الأخبار عنه عليه السلام قليلة ونادرة، بحيث أنّنا نجد مؤلّفين كباراً عندما يترجمون له يستهلكون الكثير من الترجمة في الحديث عن قبيلته وأسرته.  
 الأمر الثاني: أنّ معاصره للأئمّة الطاهرين (علي، والحسن، والحسين عليهم السلام) جعلت نجمه يغيب في أنوار شمسهم، كما قيل:

ولو أنّ شمساً أرسلت أنوارها      غابت بذاك النور كل الأنجم

المهم أنّ هذا الحوار يُبيّن أنّ مسلماً عليه السلام كان عالماً من علماء آل محمد صلى الله عليه وآله، وهو بحقّ أحد طلاب الجامعة العلوية؛ حيث كان ملازماً للأئمّة الثلاثة عليهم السلام، ونهل من علومهم حتّى قوي ساعده، واشتدّ عوده، وأصبح قادراً على المناظرة والمحاورّة في المسائل العقدية، والشرعية، والاجتماعية، والسياسية.

ولأجل التدليل على ما قلنا سنذكر هنا ومضات من الحوار الذي دار بينه وبين

(١) أنظر: الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص ١٢٣.



ابن مرجانة، مع التعليق على هذا الحوار بنقاط عدّة، بعد الالتفات إلى أن مصادر الفريقين قد روت هذه المحاوره، مع فوارق بسيطة وتقارب في الألفاظ.

**النقطة الأولى:** أن مسلماً عليه السلام لم يبدأ بالسلام على الطاغية رغم أنه هو الداخل، ومن المعروف فقهيّاً أنّ الابتداء بالسلام مُستحب، بل يُستحب مؤكّداً من القادم، ولكنّه - وهو الفقيه الأملعي - قدّر أنّ أمثال ابن مرجانة من أئمة الظلم والجور لا يستحقّون السلام، بل قد لا يجب ردّه فيما لو ابتدأوا به، كما فعلت الصديقه الطاهرة (صلوات الله عليها) مع مَنْ سلّم عليها<sup>(١)</sup> في أواخر أيام حياتها؛ وذلك أنّ السلام في معناه العرفي والاجتماعي أنّك تقول لمن تُسلّم عليه: إنّ دمك ومالك وعرضك في سلام منّي. وكيف يستحق هذا المعنى مَنْ هتك حرّات المسلمين، وفتك بالمؤمنين باسم الدين؟!

وإن قلت: أما كان الأجدر بمسلم أن يُسلّم ولو تقيّةً؛ حفاظاً على نفسه ودمه؟ قلنا: لا مورد للتقيّة هنا؛ ذلك أنّ مسلماً عليه السلام يعلم بالقطع واليقين بغدر ابن مرجانة، وأنّه لا ذمام له ولا دين؛ ولذلك حين سُئل: «ألا تُسلّم على الأمير؟ فقال: إن كان يُريد قتلي فما سلامي عليه...»<sup>(٢)</sup>، وقد أكّد ابن مرجانة رؤية مسلم هذه بقوله: «العمرى لتقتلن»<sup>(٣)</sup>، وقيل: إنّهُ قال للسائل: «اسكت ويحك، ما هو لي بأمر. فقال عبيد الله: لا عليك، سلّمت أم لم تُسلّم، فإنّك مقتول. قال: إن تقتلني، فلقد قتل مَنْ هو شرّ منك مَنْ هو خير منّي»<sup>(٤)</sup>.

**النقطة الثانية:** فيما يخصّ وصية مسلم، وفيها أمور:

**الأمر الأوّل:** أنّها تدلّ على أنّ مسلماً عليه السلام كان في أعلى درجات النزاهة؛ إذ إنّهُ

(١) أنظر: ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة: ص ٢٠.

(٢) الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٨٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) أنظر: ابن نهار الحلي، جعفر بن محمّد، مثير الأحرار: ص ٢٥.



أوصى بأن عليه ديناً، وطلب قضاءه من ثمن درعه<sup>(١)</sup>، في حين أنه كان رسولاً ووكيلاً عن الإمام الحسين عليه السلام، وكانت تجبى له الأموال، فلم يكن ليستخدمها لأغراضه الشخصية، كما أنه كان بإمكانه أن يطلب المال، أو يأمر بجمع المال لإنجاز مهمته، والشيعه كثر في الكوفة، وفيهم الميسورون، ولكنه أبقى؛ لأن ذلك قد يكون منافياً للعزة والعفاف، فمحل الشاهد: أنه عليه السلام كان حريصاً على إفراغ ذمته من ذلك الدين. الأمر الثاني: كما أنه كان حريصاً على احترام جثته، وعدم إبداء عورته بعد الموت؛ وإن كان ذلك خارجاً عن تكليفه، وداخلياً في ذمة قاتليه.

وقد وقع ما كان يتوقعه عليه السلام، فقد قطعوا رأسه مع رأس هانئ، وأرسلوا لطاغية الشام يزيد، وشدوا الحبال برجليهما، وأخذوا يسحبونهما في الطرقات والشوارع، ثم صلبوهما منكوسين<sup>(٢)</sup>، وفي ذلك يقول عبد الله بن الزبير الأسدي:

إذا كنت لا تدري ما الموت فانظري      إلى هانئ في السوق وابن عقيل  
إلى بطل قد هشم السيف وجهه      وآخر يهوي من طمار قتيل<sup>(٣)</sup>

الأمر الثالث: - وهو المهم - أن مسلماً عليه السلام كان شديد الحرص على سلامة سيده وقائده الإمام الحسين عليه السلام، فكان يحاول إيصال رسالة إلى الحسين عليه السلام بما آلت إليه الأمور في الكوفة، وكانت إحدى تلك المحاولات وصيته لعمر بن سعد بأن يكتب للحسين عليه السلام بذلك، وله محاولتان أخريان ستأتي الإشارة إليهما في الحديث عن قيس ابن مسهر الصيداوي.

الأمر الرابع: أن هذه الوصية قد بينت حسنة ودناءة عمر بن سعد؛ إذ ذهب من وقته وكشف تلك الوصية للطاغية ابن مرجانة؛ إما خوفاً أو طمعاً.

(١) وفي بعض المصادر من ثمن سيفه ودرعه، أنظر: المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ١٦٢.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ١٧٨.

(٣) أبو الفرج الإصفيهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبين: ص ٧٢. المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد:

النقطة الثالثة: ثم إنَّ ابن زياد اتَّهم مسلماً عليه السلام بأنَّه جاء إلى الكوفة، ففرَّق كلمتها بعد أن كانت واحدة، فأجابه مسلم عليه السلام بأنَّه لم يبادر بالمجيء، وإنما أهل الكوفة هم الذين بادروا وطلبوا من الحسين عليه السلام المجيء، فقال عليه السلام في ذلك: «كلا، لست أتيت لذلك، ولكن أهل المصر زعموا أنَّ أباك قتل خيارهم، وسفك دماءهم، وعمل فيهم أعمال كسرى وقيصر، فأتيناهم لنأمر بالعدل، وندعو إلى حكم الكتاب»<sup>(١)</sup>.

وكم هي رائعة هذه الالتفاتة من مسلم عليه السلام؛ إذ إنَّ الطاغية يسأله عن الزمن الحاضر المعاش، فيردّ عليه بأبعد من ذلك، فكأنَّه يُريد أن يقول: إنَّ ظلمك وظلم أبيك، وظلم مَنْ وُلَّاك وظلم أبيه، هو الذي جاء بنا إلى هذه الديار بطلب من أهلها؛ لنرفع الحيف عنهم، وهو عليه السلام يُشير بذلك إلى أنَّ الظلم والطغيان متأصل في عبيد الله من أبيه زياد بن أبيه، الذي حكم الكوفة بالظلم والتعسف حين وُلَّاه معاوية عليها.

ثمَّ إنَّ عبيد الله أراد الهروب من هذه الفضيحة، فردّ عليه بقوله: «وما أنت وذاك يا فاسق، أو لم تكن تعمل بذاك فيهم، إذ أنت بالمدينة تشرب الخمر؟»<sup>(٢)</sup>.

فيا عجباً لهذا الأرعن! كيف يفترى على أولياء الله الكذب؟! في الوقت الذي زعم أنَّه يعمل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نراه ينسب لمسلم عليه السلام شرب الخمر، فما كان من مسلم عليه السلام إلا أن يزأر في حضرته زئير الأسد، فيقول: «أنا أشرب الخمر؟! والله؛ إنَّ الله ليعلم إنَّك غير صادق، وإنَّك قلت بغير علم، وإنِّي لست كما ذكرت، وإنَّ أحق بشرب الخمر منِّي، وأولى بها من يلعن في دماء المسلمين ولغاً، فيقتل النفس التي حرَّم الله قتلها، ويقتل النفس بغير النفس، ويسفك الدم الحرام، ويقتل على الغضب والعداوة وسوء الظنِّ، وهو يلهو ويلعب، كأن لم يصنع شيئاً»<sup>(٣)</sup>.

(١) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ١٦٢.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٨٣.

(٣) المصدر السابق.

وفي هذا الردُّ أمورٌ عدَّة:

الأمر الأول: نفي تهمة شرب الخمر عن نفسه، وللمؤمن الحق في الدفاع عن نفسه وردَّ الافتراءات والأكاذيب عنه حين تلتصق به.

الأمر الثاني: إظهار كذب ابن مرجانة وتعريته أمام الناس.

الأمر الثالث: الكشف عن مخازي بني أمية وولاتهم، وعلى رأسهم الطاغية يزيد؛ إذ وصف هذه الزمرة بـ:

١- إثمهم (أحقُّ بشرب الخمر)، فقد كان الأمويون يتاجرون بالخمر<sup>(١)</sup>، ويشربونها جهاراً نهاراً<sup>(٢)</sup>.

٢- الولوغ في دماء المسلمين، وهو بذلك يُشير إلى الإسراف في الدماء.

٣- ثمَّ إنَّ التعبير بـ (الولوغ) يُشير من طرف خفي إلى تشبيه الحاكم الأموي بأنَّه كالكلب من حيث النجاسة؛ لأنَّ الذي يلغ هو الكلب.

٤- قتل النفس التي حرَّم الله.

٥- قتل النفس بغير النفس.

٦- سفك الدم الحرام.

٧- القتل على الغضب والعداوة وسوء الظنِّ، وذلك يعني أنَّ الأحكام التي كانوا يصدرونها ويستحلُّون بها الدماء، لم تكن قائمة على أساس القسط والعدل، بل بمقاييس الهوى وشهوة الملك والسلطان.

والتأكيد على ظاهرة القتل في كلام مسلم هذا، وبأكثر من فقرة، يدلُّ على أنَّ الأمويين قد أسرفوا في إراقة دماء المسلمين إلى حدِّ لا يصدِّق.

٨- ولذلك ختم ﷺ كلامه بأنَّ الحاكم يفعل ذلك، وهو غير مبالٍ (يلهو ويلعب،

(١) أنظر: أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، الأوائل: ص ١٨٨.

(٢) أنظر: الأميني، عبد الحسين بن أحمد، الغدير: ج ١٠، ص ١٨٣.

كأن لم يصنع شيئاً)، وهو دليل صارخ على عدم إيمان الحكّام بالله واليوم الآخر. النقطة الرابعة: ثم إن ابن مرجانة نعت مسلماً عليه السلام بالفسق؛ حيث قال: «يا فاسق، إن نفسك تمنّيك ما حال الله دونه، ولم يرك أهله. قال: فمن أهله يا ابن زياد؟ قال: أمير المؤمنين يزيد. فقال: الحمد لله على كلّ حال، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم. قال: كأنك تظنّ أنّ لكم في الأمر شيئاً. قال: والله ما هو بالظنّ، ولكنّه اليقين»<sup>(١)</sup>.

وفي هذا المقطع من الحوار أمور:

الأمر الأوّل: يعود هذا الطاغية إلى غيّه، فينعت مسلماً عليه السلام بالفسق، وهو من العجائب، وكأنّ القائل: (رمتني بدائها وانسلت) أراد به ابن مرجانة، فهو الفاسق ابن الفاسق، ويرمي بالفسق رجلاً قال عنه سيّد شباب أهل الجنّة: «أخي وابن عمّي، وثقتي من أهل بيتي»<sup>(٢)</sup>.

الأمر الثاني: أنّ الطاغية يقول لمسلم عليه السلام: (إنّ نفسك تمنّيك ما حال الله دونه، ولم يرك أهله)، يعني: أنّك تتمنّى موقع الخلافة، والله حال بينك وبينها، ولم يرك أهلاً لها، فيجيبه مسلم عليه السلام: (فمن أهله يا ابن زياد؟)، فيقول ابن زياد: (أمير المؤمنين يزيد). أقول: عجباً وتعساً لابن مرجانة؛ إذ يرضى بيزيد الفاسق أميراً له، ويرفض سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام ويجهز عليه، خدمة لأmirه يزيد، وها هنا يفترى للمرأة الثالثة على مسلم؛ حيث إنّ مسلماً عليه السلام لم يدع الإمامة والخلافة، وإنّما هو مبعوث سيّد الشهداء عليه السلام، ليستطلع حال أهل الكوفة، ولذلك قال: (الحمد لله على كلّ حال، رضينا بالله حكماً بيننا وبينكم)، يعني بين آل محمّد عليه السلام وآل أبي سفيان.

قال ابن مرجانة: (كأنّك تظنّ أنّ لكم في الأمر شيئاً)، وهنا يعدل ابن زياد بالخطاب من الـ (الكاف) إلى الـ (الكاف والميم) علامة الجمع، فبينما كان يقول في العبارة السابقة: (إنّ نفسك تمنّيك...)، قال هنا: (كأنّك تظنّ أنّ لكم في الأمر شيئاً)،

(١) أنظر: المصدر السابق: ج ١٠، ص ١٨٣.

(٢) ابن شهر آشوب، محمّد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٤٢.

فأجابه مسلم عليه السلام جواب الرجل الثابت العزيمة، النافذ البصيرة، العالم بالعقيدة، الموقن بالقضية: (والله، ما هو بالظن، ولكنه اليقين)، فبعد القسم بالله ينفي الظن ويؤكد اليقين، وكأنه يريد أن يقول: فمن أهل هذا الأمر إن لم يكن آل محمد (صلوات الله عليهم) أهله ومحوره، وقطب رحاه.

**النقطة الخامسة:** لم يعبأ ابن زياد بجواب مسلم عليه السلام المتقدم؛ وحيث وجد نفسه محصوراً في زاوية ضيقة، أخذ يُعربد ويهدّد ويقول: «قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام»<sup>(١)</sup>.

ولم يبال مسلم عليه السلام بتهديده ووعيده، وتكلّم بكلام يدلّ على أنه لا يرهب الموت، وأنه قد أعدّ نفسه للشهادة، ولما بعدها من التنكيل قائلاً: «أما إنك أحقّ من أحدث في الإسلام ما لم يكن، وإنك لا تدع سوء القتلة، وقُبِح المثلة، وحُبث السيرة، ولؤم الغلبة»<sup>(٢)</sup>.

وهذا الكلام يكشف عن بصيرة ثاقبة، تدلّ على عظمة ابن عقيل، وشجاعته، وعلمه بخبث خصمه؛ حيث وصمه بأنّه:

- ١- من الذين أحدثوا في الإسلام الموبقات التي لم تكن من قبل.
- ٢- وأنه سيقتله قتلة سيئة.
- ٣- وسيُمثّل به مثلة قبيحة.
- ٤- وأنّ ذلك يدلّ على خبث سريره ولؤمه.
- ٥- وأنه أحقّ الناس بهذه الرذائل.

وسبحان الله! قد وقع ذلك كلّهُ كما أخبر به ذلك الشهيد العظيم.. وماذا يُنتظر من جلف جاف غير ذلك، فهو أحقّ الناس بذلك كما قال عليه السلام.

**النقطة السادسة:** لما ضيق مسلم عليه السلام الخناق على ابن مرجانة، وكشف له عمّا

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٦٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٦٣.

يجول في نفسه من الخبث واللؤم، والنوايا السيئة التي يضمورها، عاد إلى عربدته ولم يستطع جواباً غير السباب والشتائم، كما قال الطبري: «وأقبل ابن سمية<sup>(١)</sup> يشتمه ويشتم حسيناً وعلياً وعقيلاً، وأخذ مسلم لا يكلمه...»<sup>(٢)</sup>.  
وهاهنا أمران:

الأمر الأول: أن قيام هذا اللعين بسبِّ أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو خير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وسبِّ الحسين عليه السلام الذي هو سيّد شباب أهل الجنة، هو خير دليل على فسقه، بل كفره، وكفر سيّده يزيد بن معاوية؛ لأنّ هذا الأخير لم يتخذ أيّ إجراء تجاهه بالرغم من كلّ هذا التعديّ على أولياء الله، ونقول عوداً على بدء: إذا كشف هذا الأمر عن كفر هذا الطاغية اللعين؛ فإنّه لا يستحق السلام، بل لا يجب ردّ السلام عليه لو ابتدأ به، كما تقدّم في النقطة الأولى.

الأمر الثاني: أنّ مسلماً عليه السلام رأى أنّ خير جواب على هذا التعديّ هو السكوت؛ لأنّ الردّ عليه يعني النزول والتسافل إلى المستنقع الذي هو فيه، فأثر الصمت ترفعاً عن الردّ والتسافل.

### أسباب فشل ثورة مسلم عليه السلام

انتفض الكوفيون ضدّ الطاغية ابن مرجانة مرّتين، وقد فشلت كلتا الانتفاضتين:  
الأولى: انتفاضة المذحجين عندما سمعوا خبر اعتقال زعيمهم هانئ بن عروة رضي الله عنه، والمذحجيون ليسوا بالقليلين، فهم يزيدون على أربعة آلاف دارع<sup>(٣)</sup>.

الثانية: انتفاضة مسلم بن عقيل، فبعد فشل ثورة المذحجين، ثار مسلم عليه السلام لذات السبب، أيّ دفاعاً عن هانئ رضي الله عنه.

ونحن هنا لا نريد الخوض في التفاصيل كثيراً، بل لا نريد حشد الشواهد على

(١) سمية جدّته أمّ أبيه زياد.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٨٣.

(٣) المصدر السابق: ج ٢، ص ١٨٠.

صحّة ما نزعهم وما نُريد ذكره من أسباب، وإنّما نُشير إشارات سريعة، ونترك التوسّع إلى مقام آخر.

### أسباب فشل الثورتين

أولاً: نفّسِي الجهل في الأمة، فإنّ بني أمية عملوا على تجهيل المسلمين وإقصائهم عن تاريخهم المشرق، الأمر الذي يؤدّي إلى سهولة انقياد المجتمع، وتأثره بالإشاعة والإعلام المضللّ، فكان للإعلام المضللّ والإشاعات الكاذبة الدور الكبير في إحباط العزائم وتثييط الرجال.

ثانياً: دموية السلطة، والعنف الوحشي الذي مارسه ضدّ المعارضين، من قتل واعتقال، وتغييب في السجون، وتهجير، وتجويع، و... كلّ ذلك أدّى إلى كسر إرادة الأمة، وتراجعها عن دورها ومسؤوليتها.

ثالثاً: التخاذل والمحابات من قبل رؤساء القبائل تجاه السلطة، والمجتمع كان - ولما يزل - قليلاً، ورئيس القبيلة كان مؤثراً في المشهد السياسي شئنا أم أبينا، وهؤلاء عادةً ما ينشون بالترغيب والترهيب.

رابعاً: الدور السيئ الذي لعبه وعاظ السلاطين والمتجلببين بجلباب الدين، كشريح بن الحارث بن قيس الكندي قاضي القضاة، وعبد الملك بن عمير اللخمي قاضي الكوفة الذي ذبح رسول الحسين عليه السلام، وغيرهم ممّن هم كمثل الحماري يحمل أسفاراً. خامساً: غياب بعض قيادات الثورة، فقد اتفق مسلم عليه السلام مع كبار الشيعة في الكوفة على أنّه إذا انطلق نداء (يا منصور أمت) في حالات الطوارئ وانكشف مهمّته الاستطلاعية؛ فذلك يعني أنّها ساعة الصفر التي يجب فيها الانقضاض على ابن مرجانة.. ولكن الذي حصل هو أنّ انطلاق ذلك الشعار كان مفاجئاً عقب الاعتقال غير المتوقع لهانئ بن عروة، وكان بعض الزعماء خارج الكوفة، كالمختار بن أبي عبيد الثقفي الذي وصل متأخراً واعتقل وأودع السجن، وعبيد الله بن الحارث



ابن نوفل الهمداني الذي كانت له راية حمراء، ووصل متأخراً أيضاً، واعتقل وقتل بعد مسلم عليه السلام بأيام<sup>(١)</sup>، وكان رجلاً شريفاً صحابياً، طلبه الطاغية بالاسم.

### الحسين عليه السلام يبكي لوداع مسلم ويبشّره بالشهادة

قال ابن أعثم - بعد أن ذكر نصّ كتاب الحسين عليه السلام إلى الكوفيين -: «ثم طوى الكتاب وختمه، ودعا مسلم بن عقيل عليه السلام، فدفع إليه الكتاب، وقال له: إني موجّهك إلى أهل الكوفة، وهذه كتبهم إليّ، وسيقضي الله من أمرك ما يحبّ ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء، فامض على بركة الله حتّى تدخل الكوفة، فإذا دخلتها، فانزل عند أوثق أهلها، وادع الناس إلى طاعتي، وأخذلهم عن آل أبي سفيان، فإنّ رأيت الناس مجتمعين على بيعتي، فعجّل لي بالخبر حتّى أعمل على حسب ذلك إن شاء الله تعالى، ثمّ عانقه وودعه، وبكى جميعاً»<sup>(٢)</sup>.

ويمكن التعليق على هذا الكتاب بأمر هي:

الأول: أنّ هذه الإشارة من الإمام عليه السلام لمسلم بقوله: (وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء...) كافية لمسلم عليه السلام كمؤشر إلى نتيجة مهمّته.

الثاني: أنّ هذا الكلام قاله الإمام عليه السلام أمام الرواة؛ بدليل أنّهم سجّلوه ونقلوه، ولا يستبعد أنّه عليه السلام خلا بمسلم، وسارّه بكلام أصرح من هذا حول مهمّته واستشهاده.

الثالث: لم يكتفِ أبو الشهداء عليه السلام بتلك الوصية، بل ودّعه وداع من لا يلقاه بعدُ أبداً، فلم يتمالك نفسه وترقرقت عيناه.

الرابع: ويقابل مسلم عليه السلام الإمام عليه السلام بالشعور ذاته، فعانق الحسين عليه السلام وبكى، وعلى حدّ تعبير الخبر: (عانقه وودّعه، وبكى جميعاً).

(١) أنظر: البراقي، حسين بن أحمد، تاريخ الكوفة: ص ٣٠٣.

(٢) ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ٣١.



## الجندي الحريص على قائده

لقد كان مسلم عليه السلام حريصاً على إيصال رسالة إلى الحسين عليه السلام بانهيار الأوضاع، وسيطرة ابن مرجانة، وقد حاول إيصال الرسالة من خلال الأعداء، فضلاً عن الأصدقاء أكثر من مرة:

المحاولة الأولى: بطلب من محمد بن الأشعث بعد اعتقاله عليه السلام، قال المؤرخون: «ثم أقبل مسلم على محمد بن الأشعث، فقال: يا عبد الله، إني أراك والله ستعجز عن أمانى، فهل عندك خير؟ تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً على لساني يبلغ حسيناً عليه السلام، فإني لا أراه إلا قد خرج إليكم اليوم مقبلاً، أو هو خارج غداً هو وأهل بيته، وإن ما ترى من جزعي لذلك، فيقول: إن ابن عقيل بعثني إليك، وهو في أيدي القوم أسير، لا يرى أن تمشي حتى تقتل، وهو يقول: ارجع بأهل بيتك، ولا يغرك أهل الكوفة، فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل، إن أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني، وليس لمكذب رأي. فقال ابن الأشعث: والله لأفعلن، ولأعلمن ابن زياد أنني قد آمنتك...»<sup>(١)</sup>.

المحاولة الثانية: بطلب من عمر بن سعد في مجلس ابن زياد، قال المقرّم: «ثم طلب مسلم أن يوصي إلى بعض قومه، فأذن له، ونظر إلى الجلساء فرأى عمر بن سعد، فقال له: إن بني وبينك قرابة، ولي إليك حاجة، ويجب عليك نصح حاجتي، وهي سرٌّ. فأبى أن يُمكنه من ذكرها، فقال ابن زياد: لا تمتنع أن تنظر في حاجة ابن عمك. فقام معه بحيث يراهما ابن زياد، فأوصاه مسلم أن يقضي من ثمن سيفه ودرعه ديناً استدانه منذ دخل الكوفة يبلغ ستمائة درهم، وأن يستوهب جثته من ابن زياد ويدفنها، وأن يكتب إلى الحسين عليه السلام بخبره، فقام عمر بن سعد إلى ابن زياد وأفشى كل ما أسره إليه، فقال ابن زياد: لا يخونك الأمين، ولكن قد يؤتمن الخائن»<sup>(٢)</sup>.

(١) الريشهري، محمد، الصحيح من مقتل سيّد الشهداء وأصحابه عليهم السلام: ص ٤٠١.

(٢) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ١٨٤.

ولا يُستبعد أن يكون مسلم عليه السلام قد حاول محاولات أخرى لإيصال الخبر إلى الحسين عليه السلام عبر الأصدقاء ولو شفويًا، والرسائل الشفوية أفضل من الناحية الأمنية للرسول في ظرف كالذي عاشته الكوفة؛ لأنَّ مَنْ يُعثر عنده على كتاب من مسلم للحسين عليه السلام، فإنَّ مصيره قطعاً سيكون الموت.

### السفير الثاني: (أول شهداء النهضة الحسينية) سليمان بن رزين <sup>(١)</sup> ويكنى بـ (أبي رزين) <sup>(٢)</sup>

شهيد البصرة، سليمان بن رزين <sup>(٣)</sup>، ويكنى بـ: (أبي رزين) <sup>(٤)</sup>، وهو (أول شهداء النهضة الحسينية)، في الوقت الذي وجّه الحسين عليه السلام مسلماً إلى المجتمع الكوفي، وجّه مولاه سليمان بن رزين <sup>(٥)</sup> إلى وجوه أهل البصرة وأشرفها؛ يطلب منهم النصرة. والجماعة الذين خاطبهم الحسين عليه السلام يُسمّى بعضهم في التاريخ برؤساء الأخماس، ويبدو أنّ معنى رؤساء الأخماس أتهم رؤساء أكبر خمسة قبائل في البصرة، وأصحاب السطوة فيها، وأهل الحل والعقد.. قال ابن منظور: «وأخماس البصرة خمسة: فالخمس الأول العالية، والخمس الثاني بكر بن وائل، والخمس الثالث تميم، والخمس الرابع عبد القيس، والخمس الخامس الأزدي» <sup>(٦)</sup>.

(١) السماوي، محمد بن طاهر، إِبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام: ص ٩٤.

(٢) أنظر: الشاهرودي، علي النمازي، مستدركات علم رجال الحديث: ج ٨، ص ٣٨٤.

(٣) السماوي، محمد بن طاهر، إِبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام: ص ٩٤.

(٤) الشاهرودي، علي النمازي، مستدركات علم رجال الحديث: ج ٨، ص ٣٨٤.

(٥) وفي بعض المصادر ذراع السدوسي، وبعض المصادر ردّدت الاسمين معاً، وربّما يكون الإمام الحسين عليه السلام وجّه الاثني معاً كما هو الظاهر من عبارة السيّد الأمين، حيث قال: «وكتب الحسين إلى رؤساء الأخماس بالبصرة وإلى أشرفها مع ذراع السدوسي ومع مولى للحسين عليه السلام اسمه سليمان، ويكنى أبا رزين». الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٥٩٠. ولكن التاريخ لم يحدّثنا عن هذا الرجل بأكثر من ذكر اسمه في هذا الموضع.

(٦) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٦، ص ٧١.

وهؤلاء الجماعة سبعة نفر، هم:

- ١- مالك بن مسمع البكري.
- ٢- الأحنف بن قيس التميمي.
- ٣- المنذر بن الجارود بن المعلّى العبدي.
- ٤- مسعود بن عمر.
- ٥- يزيد بن مسعود النهشلي.
- ٦- قيس بن الهيثم السلمي.
- ٧- عمرو بن عبّيد الله بن معمر.

ويبدو أنّ بعض هؤلاء القوم لم يكن من رؤساء القبائل، وإنّما اختصّه الحسين عليه السلام بنسخة من الكتاب لموقعه العلمي، أو الديني، أو الاجتماعي، وعلى آية حال، فقد نصّ المؤرّخون على أنّ الكتاب جاء بنصّ واحدٍ إلى جميع هؤلاء القوم مع تكثير النسخ على عددهم<sup>(١)</sup>، ونصّ الكتاب هو:

«أما بعد، فإنّ الله اصطفى محمّداً (صلى الله عليه وآله وسلّم) على خلقه، وأكرمه بنبوّته، واختاره لرسالته، ثمّ قبضه الله إليه، وقد نصح لعباده، وبلغ ما أرسل به (صلى الله عليه وآله وسلّم)، وكنا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته، وأحقّ الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك فرضينا، وكرهنا الفرقة، وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنّنا أحقّ بذلك الحقّ المستحقّ علينا ممّن تولّاه... قد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله، وسنّة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلّم)، فإنّ السنّة قد أمّيت، وإنّ البدعة قد أُحييت، وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله»<sup>(٢)</sup>.

(١) أنظر: الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٦٦.

(٢) المصدر السابق.

## ردود الأفعال

أمّا الأحنف، فإنّه كتب إلى الحسين عليه السلام جواباً بارداً، جاء فيه: «أمّا بعد، فاصبر إنّ وعد الله حقّ، ولا يستخفّنك الذين لا يوقنون»<sup>(١)</sup>.

أقول: عجيب أمر هذا الرجل، والأعجب منه جوابه، وهو الموصوف بالعلم، وله مواقف جيدة ضدّ معاوية، وقاتل مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في صفين، فكيف ينثلم سيفه هنا، ويحدّ سنان قلمه، ويخاطب سيّد الشهداء بهذا القول، إنّ هذا الجواب يُعبّر عن أخلاقية الهزيمة، «فإنّ الأمة في حالة تعرّضها للهزيمة النفسية، وفي حالة فقدانها لإرادتها، وعدم شعورها بوجودها كأمة، تنشأ لديها بالتدرّج أخلاقية معينة، هي أخلاقية الهزيمة... ويصبح العمل الشجاع تهوراً، والتفكير في شؤون المسلمين استعجالاً، ويصبح الاهتمام بما يقع على الإسلام والمسلمين من مصائب وكوارث نوعاً من الخفة، واللا تعقل، نوعاً من العجلة وقلة الأناة، نوعاً من التسرّع في العمل أو التفكير»<sup>(٢)</sup>.

«وأمّا يزيد بن مسعود النهشلي، فإنّه أحضر بني تميم وبني حنظلة وبني سعد، وقال: يا بني تميم، كيف ترون موضعي منكم وحسبي فيكم؟ فقالوا: أنت فقرة الظهر، ورأس الفخر، حللت في الشرف وسطاً، وتقدّمت فرطاً. قال: قد جمعتكم لأمر أشاوركم فيه، وأستعين بكم عليه. قالوا: نمحضك النصيحة، ونجهد لك الرأي. قال: إنّ معاوية هلك، فأهون به هالكاً ومفقوداً، انكسرت باب الجور، وكان قد عقد لابنه بيعة ظنّ أنّه أحكمها، وقد قام يزيد شارب الخمر ورأس الفجور، وأنا أقسم بالله قسماً مبروراً لجهاده على الدين أفضل من جهاد المشركين، وهذا الحسين بن علي، ابن رسول الله صلى الله عليه وآله،

(١) ابن نما الحليّ، جعفر بن محمّد، مشير الأحران: ص ١٩.

(٢) الصدر، محمّد باقر، التخطيط الحسيني لتغيير أخلاقية الهزيمة (الحسين يكتب قصته الأخيرة)،

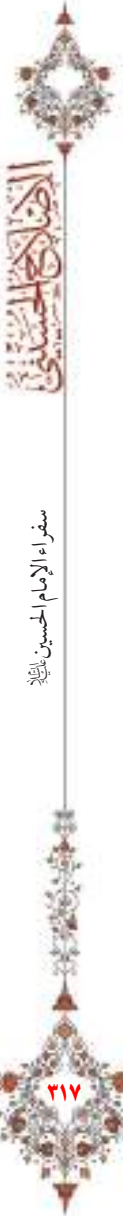
تقرير آية الله السيّد كاظم الحائري: ص ٦٣ - ٦٤.

ذو الشرف الأصيل، والعلم والسابقة، والسنّ والقرابة، يعطف على الصغير، ويجنو على الكبير، فأكرم به راعي رعيته، وإمام قوم وجبت لله به المحبّة، وبلغت به الموعدة، فلا تعشوا عن نور الحقّ، ولا تسكعوا في وهد الباطل، فقد كان صخر بن قيس انخذل بكم يوم الجمل، فاغسلوها مع ابن رسول الله ونصرته، ولا يقصّر أحد عنها إلا ورثه الله الذلّ في ولده، والقلة في عشيرته، وها أنا ذا قد لبست للحرب لامتها، وأدرعت بدرعها، من لم يُقتل يموت، ومن يهرب لم يفوت، فأحسنوا رحمكم الله ردّ الجواب.

فتكلّم بنو حنظلة، فقالوا: يا أبا خالد، نحن نبيل كنانتك، وفرسان عشيرتك، إن رميت بنا أصبت، وإن غزوت بنا فتحت، لا تحوض والله غمرة إلا خضناها، ولا تلقى والله شدة إلا لقيناها، نصرك بأسيافنا، ونقيك بأبداننا، إذا شئت فقم.

وتكلّمت بنو سعد بن يزيد، فقالوا: يا أبا خالد، إن أبغض الأشياء إلينا خلافك، والخروج من رأيك، وقد كان صخر بن قيس أمرنا بترك القتال، فحمدنا رأيه، وبقي عزّنا فينا، فأمهلنا تراجع الرأي، ونحسن المشورة، ويأتيك خبرنا واجتماع رأينا.

وتكلّمت بنو عامر بن تميم، فقالوا: أبا خالد، نحن بنو أبيك وحلفائك، لا نرضى إن غضبت، ولا نغضب إن رضيت، ولا نقطن إن طعنت، ولا نظعن إن قطنت، والأمر إليك، والمعول عليك، فادعنا نجبك، وأمرنا نطعك، والأمر لك إذا شئت. فقال: والله يا بني سعد، لئن فعلتموها لا رفع عنكم السيف أبداً، ولا زال سيفكم فيكم. ثم كتب إلى الحسين عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فقد وصل إلينا كتابك، وفهمت ما ندبتني إليه، ودعوتني له من طاعتك، وبنصبي من نصرتك، وإن الله لم يخل الأرض قطّ من عامل عليها بخير، أو دليل سبيل نجاة، وأنتم حجّة الله على خلقه، ووديعته في أرضه، تفرعتم من ديونية [زيتونة] أحمدية، هو أصلها وأنتم فرعها، فأقدم سعادت بأسعد طائر، فقد ذللت لك أعناق بني تميم، وتركتهم أشدّ تهافتاً في طاعتك من الإبل الظماء لورود الماء يوم خامسها، وقد ذللت لك بني سعد، وغسلت درن صدورها بهاء سحابة مزن، حتّى استهلّت برقها فلمع.



فلما قرأ الحسين عليه السلام الكتاب، قال: ما لك آمنك الله يوم الخوف، وأعزك وأرواك يوم العطش الأكبر، فلما تجهز المشار إليه للخروج إلى الحسين (صلوات الله وسلامه عليه) بلغه قتله قبل أن يسير، فجزع لذلك جزعاً عظيماً لما فاتته من نصرته»<sup>(١)</sup>.

وأما باقي القوم فلما وصلتهم كتب الحسين عليه السلام أخفوها، وكتمووا على الرسول، إلا المنذر بن الجارود، فإنه أمسك الرسول وجاء به وبالكتاب إلى عبيد الله؛ لأنه خاف أن يكون الكتاب قد دسّه عبيد الله إليهم، ليختبر حالهم مع الحسين عليه السلام.<sup>(٢)</sup>

أقول وقد كان المنذر بن الجارود ميلاً لبني أمية، ويدلنا على ذلك أمور:

الأول: أنه كان قد زوج ابنته من الطاغية ابن مرجانة<sup>(٣)</sup>.

الثاني: أنه خرج مع ابن مرجانة مرافقاً له في سفره من البصرة إلى الكوفة<sup>(٤)</sup>.

الثالث: - وهو الأفظع - أنه سلّم رسول الإمام الحسين عليه السلام إلى الطاغية ابن

مرجانة، وقام هذا الأخير بضرب عنقه وصلبه<sup>(٥)</sup>.

ثم إن عبيد الله «صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أما بعد، يا أهل البصرة، إنّي لتكلّل لمن عاداني، وسمّ لمن حاربني، فقد أنصف القارّة من رامها»<sup>(٦)</sup>، يا أهل البصرة، إن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية قد ولّاني الكوفة، وأنا سائر إليها غداً إن شاء الله تعالى، وقد استخلفت عليكم أخي عثمان بن زياد، فإياكم والخلاف والإرجاف، فو

(١) ابن نما الحلّي، جعفر بن محمّد، مثير الأحزان: ص ١٧ - ١٩. وأنظر: ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتل الطفوف: ص ٢٦. الأمين، محسن، لواعج الأشجان: ص ٤٠.

(٢) أنظر: ابن نما الحلّي، جعفر بن محمّد، مثير الأحزان: ص ١٩.

(٣) أنظر: ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ٣٧. وأيضاً: الدينوري، أحمد بن داوود، الأخبار الطوال: ص ٢٣١.

(٤) أنظر: ابن أعثم الكوفي، أحمد، الفتوح: ج ٥، ص ٣٨.

(٥) أنظر: المصدر السابق: ص ٣٧.

(٦) «القارّة قوم رماة من العرب، وفي المثل: قد أنصف القارّة من رامها، وقد زعموا أن رجلين التقيا أحدهما قاري والآخر أسدي، فقال القاري: إن شئت صارعتك، وإن شئت سابقتك، وإن شئت راميتك. فقال: اخترت المراماة. فقال القاري: قد أنصفتني». المصدر السابق: ص ٣٨. (الهامش).

الذي لا إله إلا هو، لو بلغني عن رجل منكم خلاف لأقتلنه ولأقتلن عريفه، ولاأخذن الأدنى بالأقصى حتى يستقيموا لي، فاحذروا أن يكون فيكم مخالف أو مشاق، فأنا ابن زياد الذي لم ينازعني عم ولا خال، والسلام»<sup>(١)</sup>، ثم مضى إلى الكوفة مُسرِعاً.

### السفير الثالث: عبد الله بن يقطر الحميري

رسول الإمام الحسين عليه السلام إلى مسلم عليه السلام، قلنا فيما تقدّم من البحث: إنّ مسلماً عليه السلام بعث للحسين عليه السلام كتاباً يُخبره ببيعة أهل الكوفة، وقد وصل الكتاب أوائل شهر ذي الحجة تقريباً.

فأرسل الحسين عليه السلام جواباً لمسلم يُخبره فيه بأنّه قادم برحله إلى الكوفة وشيكاً، وهنا وقع الخلط واللبس العجيب من المؤرّخين فيمن هو الرسول، وماهية الرسالة، فبعض قال: إنّ عبد الله بن يقطر. وبعض قال: إنّ قيس بن مسهر الصيداوي، الذي سيأتي الكلام عنه لاحقاً، وهذا ما حدا بالشيخ المفيد أن يردّد الاسمين في هذه المسألة، قائلاً: «ولمّا بلغ الحسين عليه السلام الحاجز من بطن الرّمة، بعث قيس بن مسهر الصيداوي، ويقال: بل بعث أخاه من الرضاعة عبد الله بن يقطر إلى أهل الكوفة...»<sup>(٢)</sup>.

وهكذا نجد السيّد المقرّم يقول: «ولمّا بلغ الحاجز من بطن الرّمة، كتب إلى أهل الكوفة جواب كتاب مسلم بن عقيل، وبعثه مع قيس بن مسهر الصيداوي...»، وفي هامش الصفحة ذاتها قال: «وفي روضة الواعظين لعلي بن محمّد الفتال النيسابوري ص ١٥٢ يقال: بعثه مع عبد الله بن يقطر...»<sup>(٣)</sup>.

وسائر المؤرّخين انقسموا، فتارةً يذكرون هذا، وتارةً يذكرون ذلك، والذي جعل المؤرّخين يختلفون في هذه المسألة أمور:

(١) المصدر السابق: ص ٣٧ - ٣٨.

(٢) المفيد، محمّد بن محمّد، الإرشاد: ج ٢، ص ٧٠.

(٣) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢٠٤.



الأمر الأوّل: أنّ كلا الرجلين أُلقي القبض عليه، وكلّ منهما يحمل رسالة.  
 الأمر الثاني: أنّهما أُلقي القبض عليهما من قبل الحصين بن نمير في القادسية، وهي أحد المنازل التي يمرّ بها الذهاب إلى الحجاز والقادم منه إلى الكوفة.  
 الأمر الثالث: أنّها انتهيا إلى النتيجة ذاتها؛ حيث قُتلا في الكوفة بأمر ابن زياد.  
 الأمر الرابع: أنّهما قُتلا في الفترة التي كان الحسين عليه السلام فيها في طريقه إلى العراق.  
 الأمر الخامس: يبدو من بعض الروايات أنّهما قُتلا بنفس الطريقة، وهي الإلقاء من شاهق، إيغالاً في التنكيل، وتأكيداً للإرهاب في التعامل مع المعارضين، قال الريشهري: «ومّا يبعث على الغموض والإبهام تشابه مصير عبد الله بن يقطر استناداً إلى الروايات المذكورة، مع مصير قيس بن مسهر... ويبدو أنّه لم يستطع أحد حتّى الآن رفع هذا الإبهام»<sup>(١)</sup>.

ومّا زاد في تعقيد المسألة أكثر أنّ قيس بن مسهر الصيدائي عاد مع مسلم إلى الكوفة بعد أن أوصل كتب الكوفيين للحسين عليه السلام، فكيف يرسله الحسين إلى الكوفة؟

### محاولة رفع الإبهام

ويبدو أنّ رسول الحسين عليه السلام من مكّة الذي حمل جواباً على كتاب مسلم، هو عبد الله بن يقطر، وأمّا الرسول الذي أرسله الحسين عليه السلام في الطريق، من منطقة الحاجز من بطن الرمة، فهو قيس بن مسهر الصيدائي، الذي سيأتي الحديث عنه، ويؤيد ذلك أمور:  
 الأمر الأوّل: أنّ الإمام الحسين عليه السلام أراد أن يصل خبر قدومه إلى الكوفة قبل أن يصلها هو عليه السلام؛ لتهيئة المجتمع هناك للحدث، وعليه فبمجرد أن وصل كتاب مسلم كتب جوابه وأرسله مع عبد الله بن يقطر؛ لأنّ سفر القافلة بطيء نوعاً ما، وعادةً يكون على الإبل، في حين أنّ الرسل يسرون على الخيل، فيوصلون الأخبار بسرعة، فأراد من عبد الله أن يوصل خبر قدومه، قبل وصوله.

(١) الريشهري، محمّد، الصحيح من مقتل سيّد الشهداء وأصحابه عليهم السلام: ص ٤٣٣.



الأمر الثاني: إن كان قيس بن مسهر الصيداوي قد رجع مع مسلم بن عقيل عليه السلام إلى الكوفة بعد إيصال كتب الكوفيين إلى الحسين عليه السلام، فإن بعض المصادر ذكرت أن مسلماً عليه السلام أرسله مع عابس بن شبيب الشاكري بكتابه الذي يطلب فيه من الحسين عليه السلام القدوم<sup>(١)</sup>، وهذا هو الذي يفسر لنا أن الحسين عليه السلام بعثه ثانية من الطريق إلى كربلاء كرَسُول له إلى أهل الكوفة.

الأمر الثالث: وهو المهم، أن قيس بن مسهر استشهد بعد عبد الله بن يقطر، كما احتمله الريشهري<sup>(٢)</sup>، ويُؤيد ذلك أن خبر مقتل مسلم وهانئ بلغ الحسين عليه السلام وهو في زروود<sup>(٣)</sup>، وبعده بمنزليْن - أي: في زباله - وصل نبأ مصرع عبد الله بن يقطر<sup>(٤)</sup>، في حين أن نبأ مقتل الصيداوي بلغ الحسين عليه السلام، وهو في عذيب المهجانات<sup>(٥)</sup> أي: بعد زباله بستة منازل، وهي: (قاع، بطن العقبة، وفيها يدخل أراضي العراق الحديث)، واقصة، شراف، ذو حسم، البيضة، ثم عذيب المهجانات).

### النهاية المشرفة

وأقبل ابن يقطر يجدد السير إلى الكوفة حتى بلغ القادسية، فألقى القبض عليه الحصين بن نمير، وبعث به إلى عبيد الله بن زياد، وكان وصوله إلى الكوفة بعد مصرع مسلم وهانئ<sup>(٦)</sup>، فلما جعلوه بين يدي ابن زياد قال: «اصعد فوق القصر فالعن الكذاب ابن الكذاب، ثم انزل حتى أرى فيك رأيي». قال: فصعد فلما أشرف على الناس قال: أيها

(١) أنظر: السهاوي، محمد بن طاهر، إِبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام: ص ٦٥.

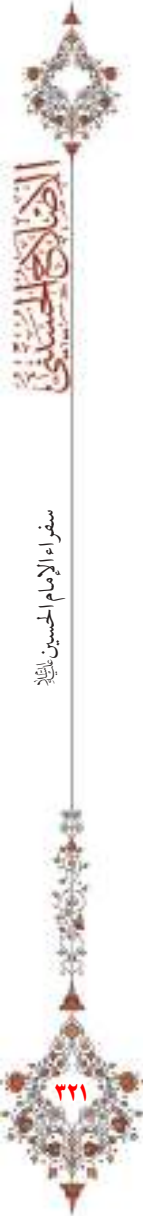
(٢) أنظر: الريشهري، محمد، الصحيح من مقتل سيّد الشهداء وأصحابه عليهم السلام: ص ٤٣٥.

(٣) أنظر: المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢٠٨.

(٤) أنظر: المصدر السابق: ص ٢١١.

(٥) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٠٦.

(٦) لأنّ الحسين عليه السلام خرج يوم (٨) من ذي الحجة من مكة، وقطع ثلث الطريق تقريباً، ثم أرسل ابن يقطر بهذا الكتاب، في حين أنّ مسلماً عليه السلام قُتل في اليوم الذي خرج فيه الحسين عليه السلام من مكة، فوصول ابن يقطر مخفوراً إلى الكوفة بعد مصرع مسلم بما لا يقل عن خمسة عشر يوماً.



الناس، إني رسول الحسين ابن فاطمة بن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لتنصروه وتوازره على ابن مرجانة ابن سمية الدعي. فأمر به عبيد الله فألقي من فوق القصر إلى الأرض فكسرت عظامه، وبقي به رمق، فأتاه رجل يقال له: عبد الملك ابن عمير اللخمي فذبحه، فلما عيب ذلك عليه قال: إننا أردت أن أريجه»<sup>(١)</sup>.

### أهمية هذا السفير

ويمكننا الاستدلال على قيمة هذا المجاهد وما قام به بأمر عدة:  
 الأمر الأول: أنه وُلِدَ في بيت رسول الله ﷺ، وهذا يعني أنه نال قسطاً من رعاية رسول الله ﷺ وتربيته؛ ولذا عدّوه من الصحابة.

الأمر الثاني: يبدو أنه لازم الأئمة الطاهرين (علي والحسن والحسين عليهم السلام) بعد رسول الله ﷺ، ولكن لا نعلم لماذا أغفل التاريخ اسمه في تلك الحقبة، ويكفي أنه لازم الحسين عليه السلام في خروجه من المدينة إلى مكة، ثم أرسله من مكة إلى العراق.

الأمر الثالث: اختيار الحسين عليه السلام له للقيام بمهمة حمل الرسالة وإيصالها إلى المجتمع الكوفي، وقد نجح (رضوان الله عليه) في إيصال الرسالة شفاهاً بالرغم من إلقاء القبض عليه، كما سمعنا في الخبر المتقدم.

الأمر الرابع: إن ما قام به من تبليغ المجتمع الكوفي على رؤوس الأشهاد - حيث ذكر الإمام الحسين وأباه أمير المؤمنين عليه السلام بخير، وصلى عليهما، ثم لعن الطاغية وأباه - يدل على أن هذا المجاهد العظيم كان في قمة الشجاعة، وقد وطن نفسه للتضحية في سبيل الله على طريق سيّد الشهداء عليه السلام.

الأمر الخامس: ومما يدل على أهمية الرجل، نعي سيّد الشهداء عليه السلام له، وإذاعة خبر مقتله، ووصفه للحادث بأنه فضيع، حيث كان وصول نبأ مصرع مسلم وهانئ في زرود، ثم في زباله - وهي بعد زرود بمنزلة - وصل نبأ مصرع عبد الله بن يقطر،

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٠٠.

(٢) أنظر: البراقبي، السيد حسين بن أحمد، تاريخ الكوفة: ص ٢٩٢.

وهنا قام الحسين عليه السلام خطيباً في الناس، وقد تجمهر الكثير حوله من الأعراب ظناً منهم أنه يرد على الكوفة فاتحاً، فقال في خطابه عليه السلام: «أتانا خبر فضيع، قُتل مسلم بن عقيل، وهاني بن عروة، وعبد الله بن يقطر، وقد خذلنا شيعتنا، فمن أحبّ منكم الانصراف، فليصرف غير حرج، ليس عليه ذمام»<sup>(١)</sup>، فتفرّق عنه أغلب الناس يميناً وشمالاً، ولم يبقَ معه إلا أهل بيته ونفر قليل ممن وطّئوا أنفسهم على الموت<sup>(٢)</sup>.

### السفير الرابع: قيس بن مسهر الصيداوي

وهو من شباب الكوفة، وواحدٌ من رجالها المتحمّسين لحركة سيّد الشهداء عليه السلام، وهو مثال الشيعي العقائدي والنموذج الذي يرغب أهل البيت عليهم السلام في وجوده بين شيعتهم وأتباعهم، وقد قام بمهمّات جليلة عدّة، تدلّ على وثاقته وشجاعته، منها:

أولاً: حمل جملة من كتب الكوفيين وإيصالها إلى أبي عبد الله عليه السلام.

ثانياً: وبأمر من الحسين عليه السلام عاد إلى الكوفة برفقة مسلم عليه السلام؛ ليقوم بخدمته.

ثالثاً: وبعد أيام من وصول مسلم عليه السلام إلى الكوفة ومبايعة أهلها له، حمّله مسلم رسالة إلى الحسين عليه السلام يُخبره فيها أنّ الرائد لا يكذب أهله، وأنّ أهل الكوفة بايعوه.

رابعاً: وبعد أن أوصل كتاب مسلم عليه السلام للإمام عليه السلام - وهو ما يزال في مكّة - بقي في خدمة الإمام عليه السلام حين خروجه من مكّة، وكان أحد الخارجين معه عليه السلام.

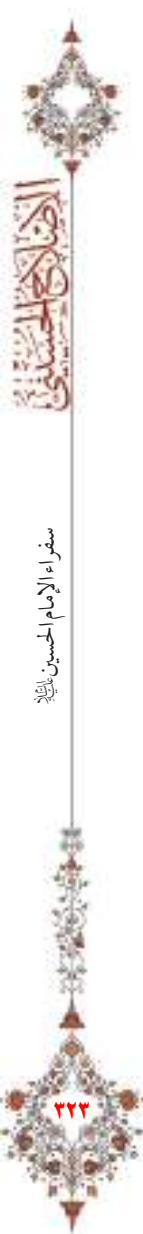
خامساً: وفي الطريق عندما بلغ الحسين عليه السلام منطقة الحاجز من بطن الرمة، سرّحه بكتاب للمجتمع الكوفي، قال السماوي: «ولمّا رأى مسلم اجتماع الناس على البيعة في الكوفة للحسين كتب إلى الحسين عليه السلام بذلك، وسرّح الكتاب مع قيس وأصحابه عابس الشاكري وشوذباً مولاهم، فأتوه إلى مكّة ولازموه، ثمّ جاؤوا معه»<sup>(٣)</sup>.

سادساً: ولمّا ألقى القبض عليه ووُجد معه الكتاب، أخذ للطاغية ابن مرجانة،

(١) المفيد، محمّد بن محمّد، الإرشاد: ج ٢، ص ٧٥.

(٢) أنظر: المصدر السابق.

(٣) السماوي، محمّد بن طاهر، إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام: ص ٦٥.



فأمره اللعين بسبّ الحسين عليه السلام على رؤوس الأشهاد، فاستغل الفرصة، فصعد المنبر، وأبلغ رسالة الحسين عليه السلام للناس شفهاً كما سيأتي.

ولك أن تتصوّر حجم المشقّة والمعانات التي تحمّلها هذا الرجل في كلّ هذه الأسفار، خصوصاً بعد ملاحظة أنّ السفر في ذلك الوقت على الدواب، وأنّ الطريق بين مكّة والكوفة أغلبه صحراء، وقد مات فيه الكثير من الخلق، وأن مسافته تصل إلى قرابة (١٥٠٠) كم، ولا تقطع بأقلّ من عشرين يوماً، يعتريها الكثير من المخاطر، كالتيه، ونفاد الطعام، أو الماء، أو مهاجمة السباع الضواري في البراري، ومواجهة الأنواء الجويّة من حرّ وبرد وغيره.. هذا كلّه فضلاً عن المخاطر الأمنية؛ لأنّه يعمل لمصلحة المعارضة في ظلّ حكومة لا تعرف معنى للرحمة، وتعتقل على الظنّة والتهمّة.

### رسول إلى المجتمع الكوفي

وبقيّ قيس - كما تقدّم - في الركب الحسيني حتّى بلغ الحسين عليه السلام منطقة الحاجز من بطن الرمة، وفيها يكون قد قطع تقريباً ثلث المسافة، فكتب الإمام عليه السلام رسالة إلى المجتمع الكوفي جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم، فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أمّا بعد، فإنّ كتاب مسلم بن عقيل جاءني يُخبر فيه بحسن رأيكم، واجتماع ملئكم على نصرنا، والطلب بحقنا، فسألته أن يُحسن لنا الصنيع، وأن يُثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخصت إليكم من مكّة يوم الثلاثاء لثمان مضيّن من ذي الحجة يوم التروية، فإذا قدّم عليكم رسولي فانكمشوا في أمركم وجدّوا، فإنّي قادم عليكم في أيّامي هذه، والسلام عليكم ورحمة الله»<sup>(١)</sup>.

قال المفيد: فأقبل قيس بن مسهر إلى الكوفة بكتاب الحسين عليه السلام، حتّى إذا انتهى إلى القادسية أخذه الحصين بن نمير، فأنفذه إلى عبيد الله بن زياد، فقال له عبيد الله:

(١) المفيد، محمّد بن محمّد، الإرشاد: ج ٢، ص ٧٠.

«اصعد فسيب الكذاب الحسين بن علي. فصعد قيس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إن هذا الحسين بن علي خير خلق الله، ابن فاطمة بنت رسول الله، وأنا رسوله إليكم، فأجيبوه. ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه، واستغفر لعلي بن أبي طالب عليه السلام، وصلى عليه، فأمر به عبيد الله أن يرمى به من فوق القصر. فرموا به فتقطع»<sup>(١)</sup>.

### إشكال مع جوابه

وقد تقول: كيف يرسل الحسين عليه السلام - وهو في الطريق وقد قطع ثلث المسافة بين مكة والكوفة - رسولاً إلى مسلم، في حين أن مسلماً قُتل في اليوم الذي خرج فيه الحسين عليه السلام من مكة؟! ألا يتنافى هذا مع علم الإمام الذي تدعيه الشيعة للمعصوم عليه السلام؟ وهذا السؤال له أكثر من جواب:

الجواب الأول: من قال: إن الإمام عليه السلام بعث الكتاب لمسلم، فهذا أول الكلام، كما يقولون، فإننا إذا رجعنا إلى نص رسالة الحسين عليه السلام، نجد الخطاب موجّهاً للمجتمع الكوفي؛ حيث يقول عليه السلام: (من الحسين بن علي إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين)، والطلب بالانكماش موجّه للمجتمع الكوفي، وليس فيها أي طلب خاص بمسلم أو كلام مباشر معه، وإنما ذكر مسلم بشكل عرضي، فمن هذه الناحية يندفع الإشكال، ويمكن القول: إن الإمام عليه السلام عمل بعلمه، من دون أن يلفت نظر الآخرين. وبعبارة أخرى: إنه يعلم أن مسلماً قُتل فلم يخاطبه، وهذا تدبير في غاية الروعة والدقة من الإمام الحسين عليه السلام، وكيف لا وهو الإمام بنص سيد الأنام صلى الله عليه وآله.

الجواب الثاني: أن الإمام الحسين عليه السلام كان يتعامل مع الأمور بحسب الظواهر، وبحسب طبيعته البشرية، وليس على أساس علمه الغيبي الذي أخذه عن جدّه الرسول صلى الله عليه وآله، فإنه عليه السلام مثلاً بالرغم من أنه كان يعلم بتخاذل الناس عن نصرته سابقاً، وأنه سيستشهد - كما صرح بذلك في خطبته التي ألقاها يوم خرج من مكة - كان

(١) المصدر السابق: ص ٧١.

ينادي بالإصلاح، فقبل كتب أهل الكوفة، وخرج استجابة لمراسيلهم، و«إن ذلك القبول كان وفق تكليفه الظاهري، الذي لو تخلف عنه لأشكل عليه ألف مشكل، بما معناه: أن الحسين دعت الأمة للإمامة، وندبته لمناجزة الطغاة، ولكنه قعد عن واجبه، وترك الأمة تروح تحت سياط الطغاة، فقبوله بتلك الدعوة لا يتناقض مع علمه بأن الأمة سوف تتراجع عن نصرته أمام سياط الجلادين، وأن نهايته سوف تكون مأساوية؛ لأنه أساساً كان يسير نحو هذه النهاية التي أرادها بمحض إرادته.. وعلى حدّ تعبير السيّد الطباطبائي: فإن: علم الإمام عليه السلام - بإذن الله - بكلّ جزئيات الحوادث الماضية والآتية لا تأثير له على أعماله الاختيارية...»<sup>(١)</sup>، فلو كان الخطاب موجهاً لمسلم، فلا ضير في ذلك من هذه الناحية.

### الرجل الذي بكاه الحسين عليه السلام

قلنا: إن نبأ استشهاد قيس بن مسهر بلغ الحسين عليه السلام، وهو في عذيب المهجانات، ولم يبقَ بينه وبين كربلاء غير أربعة منازل، وهي: (القادسية - الرهيمة - قصر بني مقاتل - قرى الطف)، ثم كربلاء، حيث لقي هناك الطرماح ومعه ثلاثة نفر، وهم قادمون من الكوفة، فقال عليه السلام «أخبروني خبر الناس وراءكم. فقال له مجمع بن عبد الله العائذي - وهو أحد النفر الأربعة الذين جاؤوه -: أما أشراف الناس، فقد أعظمت رشوتهم، ومُلئت غرائرهم، يُستمال ودّهم، ويُستخلص به نصيحتهم، فهم ألب واحد عليك، وأما سائر الناس بعدُ، فإنّ أفئدتهم تهوى إليك، وسيوفهم غداً مشهورة عليك. قال: أخبرني فهل لكم برسولي إليكم؟ قالوا: من هو؟ قال: قيس بن مسهر الصيداوي. فقالوا: نعم، أخذه الحصين بن نمير، فبعث به إلى ابن زياد، فأمره ابن زياد أن يلعنك ويلعن أباك، فصلّى عليك وعلى أبيك، ولعن ابن زياد وأباه، ودعا إلى نصرتك، وأخبرهم بقدمك، فأمر به ابن زياد، فألقي من طهار القصر، فترقرقت عينا حسين عليه السلام، ولم يملك

(١) النداوي، عبد الرزاق، أهداف نهضة سيّد الشهداء في كلمات الفقهاء: ص ٢٧٨.

دمعه، ثم قال: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا بُدِيلًا﴾، اللهم اجعل لنا ولهم الجنة نزلًا، واجمع بيننا وبينهم في مستقر من رحمتك، ورغائب مذخور ثوابك<sup>(١)</sup>.

### السفير الخامس: حبيب بن مظاهر الأسدي

بنو أسد من القبائل العربية التي سكنت العراق منذ القدم، وهم يكثرون في الكوفة والغازية<sup>(٢)</sup>، فكانوا يسكنون بالقرب من أرض المعركة، ومن هنا اغتنم حبيب الفرصة لدعوتهم لسعادة الدارين، قال المؤرخون: ولما رأى حبيب قلة أنصار الحسين عليه السلام وكثرة عدوه، استأذن الحسين عليه السلام، قائلاً: «إن هاهنا حيًّا من بني أسد، فلو أذنت لي لسرت إليهم ودعوتهم إلى نصرك، لعل الله أن يهديهم وأن يدفع بهم عنك. فأذن له الحسين عليه السلام، فسار إليهم حتى وافاهم، فجلس في ناديهم ووعظهم، وقال في كلامه: يا بني أسد، قد جئتكم بخير ما أتى به رائد قومه، هذا الحسين بن علي أمير المؤمنين، وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد نزل بين ظهرانيكم في عصابة من المؤمنين، وقد أطافت به أعداؤه ليقتلوه، فأتيتكم لتمنعه، وتحفظوا حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله فيه، فوالله لئن نصرتموه ليعطينكم الله شرف الدنيا والآخرة، وقد خصصتكم بهذه المكرمة؛ لأنكم قومي وبنو أبي، وأقرب الناس مني رحماً. فقام عبد الله بن بشير الأسدي، وقال: شكر الله سعيكم يا أبا القاسم، فوالله لجتنا بمكرمة يستأثر بها المرء الأحبّ فالأحبّ! أما أنا فأول من أجاب. وأجاب جماعة<sup>(٣)</sup> بنحو جوابه، فنهّدوا مع حبيب، وانسلّ رجل

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٠٦.

(٢) الغازية: غاضرة، زعيم من زعماء بني أسد، وتنسب له قرية بني غاضرة، وهي قرية من نواحي الكوفة قريبة من كربلاء. وغاضرة هم بطن من بني أسد، اشترى منهم الحسين عليه السلام أرض كربلاء، وهي أرض منبسطة، كانت مزرعة لهم، وتعرف بأراضي الحسينية، وقد نزلها بنو أسد بعد اختطاط الكوفة، ونزول القبائل المضرية واليبانية. أنظر: الحموي، باقوت بن عبد الله، معجم البلدان: ج ٤، ص ١٨٣.

(٣) نصّ المقرّم على أنهم تسعون رجلاً. أنظر: المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢٥٢.



منهم، فأخبر ابن سعد، فأرسل الأزرق في خمسمائة فارس، فعارضهم ليلاً ومانعهم، فلم يمتنعوا فقاتلهم»<sup>(١)</sup>، فقتل منهم جماعة، وفر الآخرون إلى الحي، وارتحلوا ليلاً؛ خوفاً من بطش الأعداء بهم وبعوائلهم<sup>(٢)</sup>، «وعاد حبيب إلى الحسين عليه السلام، فأخبره بما كان، فقال عليه السلام: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، ولا حول ولا قوة إلا بالله»<sup>(٤)</sup>.

أقول: ومن الراجح جداً أن هذا الحي من بني أسد، هم الذين قاموا بدفن الأجساد الطاهرة لآل البيت عليهم السلام وأصحابهم بعد انسحاب عمر بن سعد وجيشه.

### تنبيه: ذكر بعض ممن يشتبه فيه أن يكون رسولاً للإمام الحسين عليه السلام

قال الساساني: «قال أبو مخنف: جاء حنظلة<sup>(٤)</sup> إلى الحسين عليه السلام عندما ورد الطّف، وكان الحسين عليه السلام يرسله إلى عمر بن سعد بالمكاتبة أيام الهدنة»<sup>(٥)</sup>، وهاهنا ملاحظات: الملاحظة الأولى: أن السيّد الأمين نقل ذلك في الأعيان عن الساساني<sup>(٦)</sup>.

الملاحظة الثانية: بعد مراجعة أبي مخنف لم نجد ذلك، وإنّما وجدنا أن الحسين عليه السلام تواصل مع عمر بن سعد مرّتين:

الأولى: بعث عمر بن سعد قرّة بن قيس الحنظلي، فقال له: «ويحك يا قرّة القِ حسيناً، فسله ما جاء به وماذا يُريد؟ فأتاه قرّة بن قيس، فلّمّا رآه الحسين مقبلاً، قال: أتعرفون هذا؟ فقال حبيب بن مظاهر: نعم، هذا رجل من حنظلة تميمي، وهو ابن أختنا، ولقد كنت أعرفه بحسن الرأي، وما كنت أراه يشهد هذا المشهد. قال: فجاء

(١) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ٤، ص ٥٥٤.

(٢) أنظر: المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢٥٢.

(٣) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ٤، ص ٥٥٤.

(٤) ويعني به حنظلة بن أسعد الشامي، وهو وجه من وجوه الشيعة. أنظر: الشاهرودي، علي النازي، مستدركات علم رجال الحديث: ج ٣، ص ٢٩٥.

(٥) الساساني، محمّد بن طاهر، إِبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام: ص ١٣٠.

(٦) أنظر: الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ٦، ص ٢٥٨.



حتى سَلَّمَ على الحسين، وأبلغه رسالة عمر بن سعد إليه له، فقال الحسين: كتب إليّ أهل مصر كم هذا، أن أقدم، فإِذَا إذ كرهوني فأنا أنصرف عنهم»<sup>(١)</sup>.

الثانية: «بعث الحسين عليه السلام إلى عمر بن سعد عمرو بن قرظة بن كعب الأنصاري، أن القتي الليل بين عسكري وعسكريك. فخرج عمر بن سعد في نحو من عشرين فارساً، وأقبل حسين في مثل ذلك، فلما التقوا أمر حسين أصحابه أن يتنحوا عنه، وأمر عمر بن سعد أصحابه بمثل ذلك، قال: فانكشفنا عنها بحيث لا نسمع أصواتها ولا كلامها، فتكلمنا، فأطالا حتى ذهب من الليل هزيع، ثم انصرف كل واحد منهما إلى عسكره بأصحابه»<sup>(٢)</sup>.

وبناءً على ذلك، فلا سبيل لإضافة حنظلة إلى سجل سفراء الحسين عليه السلام.  
الملاحظة الثالثة: يعني بأيام الهدنة، الأيام التي قضها الحسين عليه السلام في كربلاء، وهي لا تزيد على ثمانية أيام؛ حيث نزل الحسين عليه السلام فيها في اليوم الثاني من محرّم، واستشهد في العاشر منه.  
والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

## المصادر والمراجع

\* القرآن الكريم.

- ١- إِبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، محمد بن طاهر السماوي، تحقيق: الشيخ محمد جعفر الطبسي، مركز الدراسات الإسلامية لمثلية الولي الفقيه في حرس الثورة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ/ ١٣٧٧ ش.
- ٢- الأخبّار الطوال، أحمد بن داؤد الدينوري، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، منشورات الشريف الرضي، الطبعة الأولى، ١٩٦٠ م.

(١) أنظر: أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٩٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٩٩.

- ٣- الإرشاد، محمد بن محمد المعروف بالشيخ المفيد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- ٤- أعيان الشيعة، محسن الأمين، تحقيق وتخرّيج: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ٥- الإمامة والسياسة، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع.
- ٦- أهداف نهضة سيّد الشهداء في كلمات الفقهاء، عبد الرزاق النداوي، إصدارات مركز الدراسات التخصصية في فكر الشهيد محمد الصدر، دار القارئ، ٢٠١٠م.
- ٧- الأوائل، الحسن بن عبد الله المعروف بأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، دار البشير، طنطا - مصر، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- ٨- تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، تحقيق ومراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلاء، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- ٩- تاريخ الكوفة، السيّد حسين بن أحمد البراقي، تحقيق: ماجد أحمد العطية، استدراقات السيّد محمد صادق آل بحر العلوم، انتشارات المكتبة الحيدرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ / ١٣٨٢ ش.
- ١٠- التخطيط الحسيني لتغيير أخلاقية الهزيمة (الحسين يكتب قصته الأخيرة)، محمد باقر الصدر، تقرير: آية الله السيّد كاظم الحائري، تحقيق: صادق جعفر الروازق، مكتبة الغدير للنشر والتوزيع، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- ١١- جامع أحاديث الشيعة، حسين البروجردي، منشورات مدينة العلم (آية الله العظمى الخوئي)، قم المقدّسة - إيران.
- ١٢- الصحيح من مقتل الحسين، محمد الريشهري، دار الحديث للطباعة والنشر، قم المقدّسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ.

١٣- عبرات المصطفين في مقتل الحسين عليه السلام، محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

١٤- الغدير، عبد الحسين بن أحمد الأميني، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

١٥- الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

١٦- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ.

١٧- اللهوف في قتلى الطفوف علي بن موسى بن طاووس، أنوار الهدى، قم المقدسة - إيران، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١٨- لواعج الأشجان، محسن الأمين، منشورات مكتبة بصيرتي، قم المقدسة - إيران.

١٩- مثير الأحزان، جعفر بن محمد بن نما الحلي، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف - العراق، ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م.

٢٠- مستدركات علم رجال الحديث، علي النمازي الشاهرودي، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٢١- المستطرف في كل فن مستظرف، محمد بن أحمد الأبيهي، دار ومكتبة الهلال.

٢٢- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

٢٣- مقاتل الطالبين، علي بن الحسين المعروف بأبي الفرج الإصفهاني، تحقيق وتقديم وإشراف: كاظم المظفر، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها، النجف الأشرف - العراق، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.

٢٤- مقتل الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرّم، تقديم: محمد حسين المقرّم، منشورات الشريف الرضي.

٢٥- مقتل الحسين عليه السلام، لوط بن يحيى المعروف بأبي مخنف، تحقيق: حسين الغفاري، المطبعة العلمية، قم المقدسة - إيران.

٢٦- مقتل الحسين عليه السلام، محمد بن أحمد الخوارزمي، تحقيق: محمد السماوي، تصحيح: دار أنوار الهدى، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.

٢٧- مناقب آل أبي طالب، محمد بن علي بن شهر آشوب، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف، المطبعة الحيدرية، الأشرف - العراق، النجف الأشرف، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م.

خُلَاصَةُ الْمَقَالَاتِ

بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَاللُّغَةِ الْإِنْجَلِيزِيَّةِ



## أثر التدوين المنبري في تطوير الخطابة الحسينية

الشيخ صباح عبّاس الساعدي

تناول الباحث موضوعاً من المواضيع المهمّة في ميدان الخطابة الحسينية، إذ تحدّث عن كتب المجالس الحسينية ودورها في تطوير المنبر الحسيني، فبعد أن أشار في مقدمة بحثه إلى وجود بعدين متلازمين في الخطابة الحسينية، أحدهما البعد الرثائي - الذي سعى الأئمة عليهم السلام إلى ترسيخه في نفوس شيعتهم - والبعد الآخر الذي يُعد من الآثار المترتبة على البعد الأوّل أو ما يصل إلى الجمهور المتلقّي من نافذته وهو الدروس والعبر المستفادة من نهضة سيّد الشهداء عليه السلام، وأنّ هناك تطوّراً ملحوظاً في البعد الأوّل نتيجة التنافس بين الشعراء والمنشدين، تناول المشروع التطويري الموازي للتطوّر الذي شهده العالم الإسلامي في مادة الخطابة الحسينية، وأنّ هناك عدّة خطوات تطويرية قام بها العلماء في البعد الثاني، وأنّ أحد الإجراءات التطويرية هو تأليفهم لكتب المجالس الحسينية.

وقد ذكر ذلك ضمن أربعة وخاتمة، تحدّث في المبحث الأوّل عن الأهداف والمنطلقات من وراء التدوين المنبري، وذكر فيه مجموعة من الأهداف التي دعت العلماء إلى تأليف كتب المجالس الحسينية، كان من أهمّها العملية الإصلاحية التي أرادها العلماء، كما ذكر في المبحث الثاني خصائص التدوين المنبري، والتي ساهمت في رواج هذه الكتب ومقبوليتها في الأوساط الخطابية، التي من أهمّها المكانة العلمية التي يحتلها مؤلفو هذه الكتب، ورصانة المعلومات التي تضمنتها تلك الكتب، ثمّ تناول في المبحث الثالث المراحل التي مرّت بها كتب المجالس الحسينية، وأنّ عملية تأليف تلك الكتب مرّت بمراحل ثلاث، بداية بالمواضيع المتقومة بالوقائع التاريخية ومروراً بالمجالس الحسينية المتضمّنة لعناصر التحليل والاستدلال والمقارنة بين

النظريات الحديثة والمسائل الدينية، ليجعل المبحث الرابع حول الإشكاليات التي تواجه مشروع التدوين المنبري، والإجابة عنها بأجوبة تفصيلية ووافية، لينتهي بحثه بخاتمة حول نتائج وثمار مشروع كتابة المجالس الحسينية، وجملة من التوصيات التي توصل إلى ضرورتها من خلال بحثه.



## The Effect of Transcribing the Speeches on the Dais on its Development

*Shaykh Sabah Abbas al-Saidi*

The researcher addresses a subject among the important subjects regarding the Husayni speeches, namely the books on Husayni commemoration ceremonies and their role in developing the Husayni dais.

In the introduction of his article, the writer mentions that there exist two correlated dimensions in Husayni speeches. The elegiac dimension – which the Imams (PBUT) sought to plant in the minds of their Shiites – and the second dimension, which is considered to be an outcome of the first dimension, or that which reaches the receiving audience through it, is the lessons and examples from the uprising of the Master of the Martyrs (PBUH). The writer also mentions that there is a noticeable development in the first dimension due to competition between the poets and the reciters, who deals with the development project similar to the development witnessed in the Islamic world in relation to the content of the Husayni speeches. Also, that there exist several developing measures done by the scholars in the second dimension, where some were the authoring of books on Husayni commemoration ceremonies.

The writer mentions this in his article consisting of four parts and a conclusion. In the first part, he addresses the reasons and basis of transcribing the Husayni speeches, where he mentions a group of goals that made the scholars author some books on Husayni commemoration ceremonies. Among the most vital goals, was the the reformative operation wanted by the scholars. In the second part, he also mentions the characteristics of transcribing the speeches and their contribution where spreading and accepting these books in the circles of speakers. Among the more important characteristics, is the scientific status possessed by the authors of these books, and the solid information they contain. In the third part, the writer addresses the phases which the books on the

Husayni lamentation ceremonies went through, mentioning that the authoring process of these books went through three phases. Beginning with the subjects related to historical events, then Husayni commemoration ceremonies containing analytical and deductive factors, and then a comparison between modern and religious issues. The fourth part was dedicated to the obscurities facing the project of transcribing the Husayni commemoration ceremonies, seeking to answer them fully. He then ends his research with a conclusion containing the results of the project of transcribing the Husayni commemoration ceremonies, and a series of advice deemed necessary by him through his work with the research.

## المنبر الحسيني وأثره في الإصلاح السياسي

العلامة السيّد محمّد علي بحر العلوم

يتحدّث العلامة بحر العلوم في هذه المقالة عن دور المنبر الحسيني في الإصلاح السياسي من خلال مقدّمة موجزة وتمهيد وأربعة محاور، بحيث يتطرّق في التمهيد إلى مجموعة من الكلمات والمواقف للإمام الحسين عليه السلام، التي تجعل المتابع والباحث يحكم بأنّ البُعد السياسي له تجلٌّ واضح في حركة سيّد الشهداء عليه السلام على الرغم من بعدها الكبير عن السلطة وطلب الرئاسة.

ثمّ يتطرّق - بعد ذلك - في المحور الأوّل إلى الدور الذي يؤديه المنبر الحسيني في قضية الإصلاح السياسي، مقسماً هذا المنبر إلى قسمين، هما: المنبر التقليدي، والمنبر التحليلي، ومبيّناً الدور الذي يؤديه كلّ واحد من هذين القسمين في موضوعة الإصلاح السياسي. وفي المحور الثاني يتطرّق إلى ضرورة عدم إقحام المنبر في الصراعات السياسية وتشخيص المصايد، وإبقاء وظيفة المنبر في خلق القدرة عند الناس على التمييز بين الحقّ والباطل، والعدل والظلم.

أمّا المحور الثالث فيُلفت العلامة النظر فيه إلى ضرورة تغيير درجة تعاطي المنبر الحسيني مع الأوضاع السياسية نسبةً إلى التطوّر الحاصل في الوسائل الإعلامية، مبيّناً ضرورة سعي مرتقي المنبر إلى محاولة فهم وقائع التاريخ فهماً سياسياً، بنحو يوصل السامع إلى مغزى تلك الوقائع وأهدافها والآثار المترتبة عليها.

وأخيراً، يجيب العلامة في المحور الرابع عن دعوين مهمّتين في المقام، كانت أولاهما عبارة عن ضرورة الإشراف المباشر من قبل المؤسّسة الدينية على المنبر الحسيني، لضمان عدم دخوله إلى الصراعات السياسية وانحيازه إلى جهة دون أخرى، وثانيهما كانت عبارة عن أنّ خطباء المنبر الحسيني طالما يتأثرون بالرغبة الجماهيرية في المجال السياسي.

## The Husayni Dais and its Effect on Political Reformation

*The Scholar, Sayyid Muhammad Ali Bahr al-Uloom*

In this article, the researcher addresses the role of the Husayni dais in political reformation, dividing his article into a short introduction, followed by a preface, then four main chapters. In the introduction, he addresses a series of speeches and stances of Imam al-Husayn (PBUH), enabling the follower and the researcher to conclude that the political perspective is manifested in the movement of the Master of the Martyrs despite its distance from the authority and demand for ruling.

After that, he mentions, in the first chapter, the role the Husayni dais conducts in the project of the Husayni reformation. Concerning this, he divides the dais into two groups, the classical daises, and the analytical dais. He articulates the role conducted by each of these dais' in the subject of the Husayni reformation. In the second chapter, he addresses the necessity of avoiding involving the dais in political strives or mentioning any names and the necessity of preserving the dais' role in establishing the ability in people to be able to differentiate between right and wrong.

In the third chapter, the researcher draws focus on the necessity of changing the degree of the dais' interaction with the political situations, in accordance with the development happening in the media. He articulates the necessity of having those who ascend the dais strive toward understanding the historical incidents politically. Such that the audience reaches the core of those incidents and their goals, and the effects of them.

Lastly, the researcher addresses in the fourth chapter, two important subjects. The first is the necessity of direct supervision by the religious institution of the Husayni dais, to make sure it does not become part of the political struggles, or lean toward one party over the other. The second subject is that the speakers of the Husayni dais almost always become affected by the public will in politics.



## دور المنبر الحسيني في مواجهة الحرب الناعمة

### دراسة تحليلية

العلامة السيّد صدر الدين القبانجي

يتطرق العلامة في هذا المقال إلى أبرز التحديات التي يواجهها المنبر الحسيني في هذه المرحلة الزمنية، تحديات اتخذت أسلوباً جديداً في حربها مع الدين الإسلامي، يتّصف بالمرونة والجاذبية، ويُطلق عليه بحسب الاصطلاح السياسي بـ(الحرب الناعمة).

وقد قام العلامة بعد مقدّمة مختصرة ببيان أن المراد من الحرب الناعمة، هو: نوع مواجهة توظّف المادّة الإعلامية - التي هي أداؤها الرئيسة - في تأجيج وتغذية التنافر الطائفي والعرقي بين المذاهب والقوميات. ثمّ ذكر العلامة - بعد ذلك - مجموعة من خصائص هذا النوع من المواجهات، من قبيل أن العدو في هذا النوع من الحروب غير متشخص، وأنّه موجود في كلّ مكان، بينما في المواجهة الصلبة فإنّ العدو موجود في مكان أو أمكنة محدّدة، وغير ذلك.

وبعد وضوح هذا النمط من الحروب تصدّى العلامة إلى بيان جملة من الأدوات الدينية التي تكون صالحة لصدّ العدو في هذه المواجهة الناعمة، والتي هي من قبيل: الصلاة، الصوم، الحج، مبيّناً الدور الذي تؤديه كلّ واحدة من هذه الأدوات في إبعاد المسلمين عن كلّ ما من شأنه أن يُشكّل نقطة ضعف لهم في هذه المواجهة الشرسة، ثمّ إنّه نظراً لإمكانية تحييد هذه العبادات الثلاثة من قبل المكلف، يذكر العلامة أداة رابعة هي بمنأى عن إمكانية التحييد المذكورة، وهي المنبر الحسيني الذي يُعدّ - بما يمثله من إعلاء لصوت الحقّ والحقيقة - من أبرز الأسلحة التي يمتلكها الواقع الشيعي الإسلامي في

شتى أنواع المواجهة؛ وحتى يتبين للقارئ العزيز السبب في عدم إمكانية تحييد هذه الأداة فإنّ العلامة يذكر أربعة أسباب مهمّة اعتمد فيها على كلمات الرسول ﷺ، والإمام الحسين عليه السلام، والإمام الصادق عليه السلام، والسيدة زينب عليها السلام. كما أنّه يذكر أيضاً مجموعة من خصائص المنبر الحسيني التي وقفت أمام إمكانية تحييده وحرف مساره.

## The Role of the Husayni Dais in the Soft War An Analytical Study

*The Scholar, Sayyid Sadr al-Deen Al-Qubanchi*

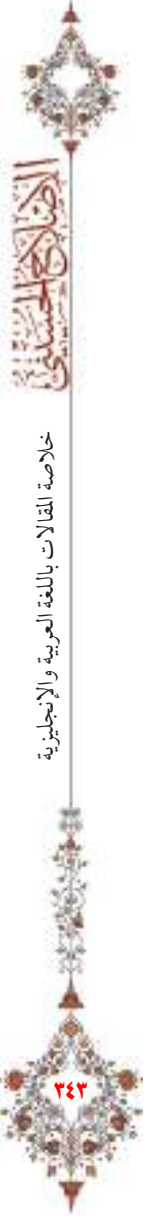
In this article, the writer addresses the most important challenges faced by the Husayni dais at this time. The people behind these challenges are making use of a new method of war against Islam, described as being soft and attractive. The political terminology for this new warfare is the Soft War.

After a short introduction, the writer articulates that Soft War is a way of confrontation employing the media – which is this warfare's main instrument – in the stirring up of sectarian and racial battles among religious sects and ethnicities. The writer then mentions a group of features of these confrontations, such as; the enemy in these battles being unidentified and being everywhere, whereas the enemy in traditional warfare and confrontation is located at a place or multiple places, etc.

After the elaboration of the nature of such warfare, the writer addresses a series of religious tools applicable to repel the enemy in this soft confrontation, such as prayer, fasting, and Hajj pilgrimage. He elaborates on each one of these tools, and the role they conduct in moving the Muslims away from any trench that might compose a weak spot for them in this brutal confrontation.

Due to the fact that Muslims can neutralize these three acts of worship, i.e. prayer, fasting, and Hajj pilgrimage, the writer mentions a fourth tool impossible to neutralize; the Husayni dais. The Husayni dais is considered to be among the most prominent weapons at many confrontations – due to its role as the loud voice of justice and truth – owned by the Shiite state of affairs.

To depict to the reader, the impossibility of neutralizing such an instrument, the writer mentions four important reasons, in which he relies upon the words of the Messenger (PBUH&HF), Imam al-Husayn (PBUH), Imam al-Sadeq (PBUH), and lady Zaynab (PBUH). He also presents a series of the qualities of the Husayni dais, which prevents the neutralization of it and the deviation of its path.



## المنهج والخطابة الدينية.. دراسة نظرية في التأثيرات المعرفية

الشيخ ثناء الدين الدهلكي

بحث الكاتب في هذه الدراسة عن أثر المنهج في العملية الخطابية، وبالأخص الدينية منها، حيث عقد دراسته في مقدّمة وستة مطالب وخاتمة، تطرّق في المقدّمة إلى أهمّية المنهج ودوره في إنتاج المعرفة الدينية على مستوى البحث والاستنباط، وكذلك على مستوى العرض والبيان.

ثمّ انتقل إلى المطلب الأوّل مبيّناً فيه بعض المسائل التمهيديّة في المنهج، ابتدأها بتعريف المنهج لغة واصطلاحاً، ثمّ انتقل إلى بيان التنوّع الحاصل في المنهج، نافياً أن يكون هناك منهج واحد يمكن أن يدخل في الإنتاج المعرفي الديني بشكل ثابت ومطلق، ثمّ عرض في عنوان ثالث تصوّراً عن الأزمة التي مرّ بها المنهج في مسيرته التاريخية مع العلوم الدينية.

وقد بيّن الباحث في المطلب الثاني مسألتين أساسيتين، جاءت الأولى في بيان ماهية الخطابة الدينية، وأمّا الثانية فكان الحديث فيها عن موادّ أقيسة الخطابة التي انقسمت على الظنّ واليقين؛ وذلك بحسب تنوّع المخاطب ومستواه العلمي والثقافي.

وقد عرّج الباحث في المطلب الثالث على المجالات الأساسية للخطابة الدينية؛ ليُرتّب على ذلك أهمّ المناهج التي يتعاطى معها الخطيب في تلك المجالات، وقد أشار إلى خمسة مجالات أساسية، هي: المجال القرآني، والفكري، والفقهية، والأخلاقي، والتاريخي.

وقد جاء في المطلب الرابع بيان أهمّ مناهج الخطابة الدينية التي هي عبارة عن:



منهج تفسير القرآن بالقرآن، والمنهج الروائي، والمنهج اللغوي، والمنهج العقلي الاستدلالي، والمنهج التاريخي.

ثم بيّن في المطلب الخامس العلاقة بين المنهج ومكوّنات العملية الخطابية، حيث ذكر أنّ الناظر إلى بعض مصاديق الخطابة الدينية، يمكنه بوضوح أن يلحظ مدى الخلل الواضح الذي يعتري الخطاب بسبب عدم التوازن بين مكوّنات العملية الخطابية من جهة، وبينها وبين المنهج من جهة أخرى.

وقد تطرّق الباحث في المطلب الأخير إلى مظاهر غياب المنهج في العملية الخطابية، ومن جملتها: النزعة الذاتية، والقول بالرأي، والنزعة الظواهرية، والانتقائية، وغياب اللغة العلمية، والتقليد الأعمى.

ثم أنهى دراسته بخاتمة بيّن فيها جملة من النتائج والتوصيات.

## **The Religious Method and Rhetoric** **-A theoretical Study on the Epistemological Effects**

*Shaykh Thana al-Deen al-Dahlaki*

In this study, the researcher studies the effects of the rhetorical process, especially religious rhetoric, as he organizes his research into an introduction, six parts, and a conclusion. In the introduction, he mentions the importance of the method, and its role in creating religious epistemology in the field of research and deduction, and also in the field of presentation and articulation.

Then the writer addresses the first subject, where he articulates some preliminary issues on the method, beginning with the linguistic and terminological definition of method. After that, he articulates the variation in methods, rejecting one method capable of being implicit in the epistemological religious production in an absolute and steady manner. He also presents a summary of the crisis faced by the method in its history with the religious sciences.

In the second subject, the researcher mentions two important basics, the first being the essence of religious rhetoric, and the second the estimates of rhetoric in accordance with the level of the audience and their scientific and cultural knowledge.

The third subject was dedicated to the basic fields in religious rhetoric, where the researcher mentions the most important methods which the speaker works with in these respective fields being: the Quranic, the intellectual, the jurisprudential, the ethical, and the historical field.

Then the researcher addresses the most central methods in religious rhetoric as the fourth subject, such as the method of interpreting the Quran with the Quran, the Narration-Based Interpretation, the Linguistic Interpretation, The Intellectual Deductive Method, and the Historical Method.



العدد السابع والعشرون - السنة السابعة - ١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م



In the fifth subject, he elaborates the relation between the method and the constituents of the rhetorical process, where he mentions that it is possible to identify the degree of obvious lacking in speeches due to the inconsistency between these constituents and the method.

The sixth and last subject addresses six indications to the lack of methodology in the rhetoric process, such as selectiveness, the absence of a scientific language, and the blind following, followed by a conclusion where the researcher presents the results and a series of suggestions.

## المعاهد المنبرية ودورها في صناعة الخطيب الحسيني

### الأهداف والنتائج

#### دراسة نظرية تحليلية/ القسم الأول

السيد محمد باقر الهاشمي

في مقدّمة المقال ذكر المؤلف أنّ المعاهد المنبرية أو معاهد الخطابة آلية مستحدّثة، تهدف إلى إعداد خطباء يتمتّعون بقدر عالٍ من الكفاءة، وأنّها مصداق للمؤسّسات الراحية لجهدٍ جماعي يتمثّل في صناعة الخطيب الناجح.

وبعد إطلالة على نشأة المنبر الحسيني تطرّق إلى تنبيهين مهمّين:

١- كان المنبر الحسيني دائماً يُقابل بالرفض من قبل السلطات بكافة أشكالها ومسمّياتها.

٢- واكب المنبر الحسيني في خطابه المتغيّرات الزمانية والمكانية.

وهذا التنبيه الثاني يحوّل إلى مسألة تطوّر المنبر الحسيني، ويبقى السؤال الأهمّ عن أسباب هذا التطوّر، وقد حصرها الكاتب في ثلاثة أمور: (الزمان، والمكان، والتقدّم المعرفي).

وفي هذا الصدد أشار إلى نحوين من التطوير إزاء هذا التقدّم: التطوير الذاتي، والتطوير المؤسّساتي المنظم، معتبراً الجهد المؤسّساتي أكثر ضماناً في صناعة الخطيب، على أنّ اختلاف هذين النحويين من التطوير لا يعني كونها منهجين لا يمكن الجمع بينهما، فإنّ الجمع بين الأسلوبين أكثر تأثيراً.

ثمّ تعرّض الباحث لهذه المعاهد من خلال عرض مطلبين:

الأول: عرض تاريخي موجز للنشأة.

الثاني: عرض للضرورات الداعية إلى المعاهد المنبرية، عبر دراسة تأثيرها في عناصر الخطابة الحسينية، وهي: الخطيب، والمادة، والمخاطب.  
وقد استعرض الكاتب ثلاثة شروط أساسية لا بدّ من توفرها لتهيئة الخطيب الحسيني، وهي: التهيئة النفسية والسلوكية، والأسلوب الخطابي، والتعريف بالأدوات المساعدة.

وفيما يرتبط بعنصر المادة العلمية أشار الباحث إلى أنّ دور المعاهد المنبرية هو: أن تنظّم المادة العلمية المكتسبة، وأن تقوم بإعداد مادة علمية ثقافية، والإرشاد إلى دراسة موادّ محدّدة، لها دور في مسألة الخطابة.

# Institutions for Preparing Speakers on the Dais and Their Role in Educating Husayni Rhetoricians - Goals and Results

## A Theoretical Analytical Study/Part One

*Sayyid Muhammad Baqir al-Hashimi*

In the introduction, the writer mentions that the educational institutions concerned with preparing speakers on the dais are a new method aiming at preparing highly competent speakers. These institutions also represent the institutions concerned with collective efforts manifested in making successful speakers.

After a brief elaboration on the origin of the dais, the writer addresses two important factors:

1. The Husayni dais was always met with rejection by the authorities, with all their shapes and names.
2. The Husayni dais continued to address the timely and geographical changes.

The second factor will be left for the subject of the development of the Husayni dais, while the important questions on the reasons behind this development remain. The writer limits these reasons to be related to three factors; time, location, and epistemological advance.

Here, the writer mentions two types of development to this advancement: self-development and the institutional systematic development. He considers the institutional development to be a safer choice when educating speakers, not suggesting that these two types of development with their differences, cannot become combined. Rather the combination of the two will be more efficient.

Thereafter the researcher addresses these educational institutions through two subjects:

The first: by a brief presentation of their origins.

The second: a presentation of the necessities calling for such educational institutions for preparing speakers by studying its influence on the elements of Husayni speeches; the speaker, the content, and the recipient.

The writer then presents three main conditions, which must be met in order to prepare the Husayni speaker: personal and ethical preparation, using rhetorical methods, being familiar with aiding components.

In relation to the scientific content, the researcher mentions, that the role of the educational institutions concerned with preparing Husayni speakers is to organize the achieved scientific content, prepare scientific, cultural content, and the guidance on which subjects, concerned with speeches, to study.

## الخطابة الحسينية.. أسس وتطلعات

أ. م. د. خليل خلف بشير

يسعى المقال إلى التعريف بالخطابة الحسينية، وبيان أهميتها، وأركانها، ومواصفات الخطيب الناجح وآدابه، وما ينبغي أن يكون عليه الخطاب المنبري؛ ليتناسب مع الجمهور.

بدايةً تطرّق الكاتب إلى تعريف الخطابة لغة واصطلاحاً، وبيان أهميتها في العصر الحاضر، ثم ذكر أنها تعتمد - بصورة عامة - على ركنين أساسيين، هما: الخطيب، والخطاب.

تحدّث أولاً عن الخطيب، وذكر أنّ الخطباء يضطلعون بمسؤوليات دينية مهمّة في تثقيف الأمة وتوعيتها وتربيتها، وأنّ أهمّ عامل في نجاح الخطيب، هو إخلاصه والتزامه بالتعاليم الإلهية، وتطابق أقواله مع أفعاله.

كما أكّد ضرورة أن يواكب المنبر الحسيني حركة العصر ومتطلّبات التغيير التي تعيشها الأمة، وأن يواجه التحدّيات التي تعصف بالمسلمين في عصرهم الحاضر، وأهمّها: مشكلة الاستكبار العالمي، ومشكلة الحضارة الغربية وما أفرزته من تغيّرات سلبية في أفكار المسلمين.

بعد ذلك تطرّق إلى الركن الثاني، وهو الخطاب، وذكر ثلاثة أمور تؤدّي دوراً كبيراً في نجاح الخطاب، وهي: شخصية المتحدث ومكانته لدى الرأي العام، وموضوع البحث الذي يجب أن يتناسب مع مستوى الحضور، ومهارة المتحدث في كيفية إلقاء الخطاب وتكوين الكلمات.

ثمّ ختم المقال بالحديث عن الدكتور الشيخ أحمد الوائلي، باعتباره واحداً من أعلام الخطابة الحسينية، وعمّا امتاز به منبره: من التنوّع بأبعاد المعرفة، والجرأة، والصراحة، والتأثير في المخاطبين.



## Husayni Rhetoric – Basics and Aspirations

*Dr. Khaleel Khalaf Basheer*

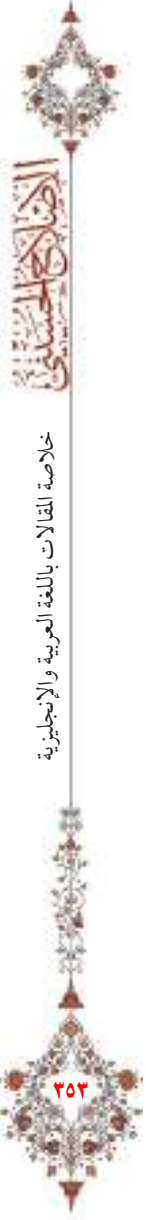
The article seeks to define the Husayni rhetoric and articulate its significance, pillars, and the features of the successful orator and his ethics, and how the dais' speech should be composed in order to be comparable with the audience.

In the beginning, the writer addresses the linguistic and terminological definition of the word rhetoric (Khitabah), After that, he mentions its significance in this present era and that it – generally – relies upon two basic pillars: the orator and the oration.

When discussing the orator, he mentions that the orators carry a great important religious responsibility in the fields of educating, awakening, and edification. He adds that the most vital success factor for the orator is his or her devotion and adherence to the divine instructions and the consistency of their words with their actions.

The writer also emphasizes on the importance of having the Husayni dais being up to date with the movement of the era and the demand for change which the Islamic nation experiences. Also, to confront the challenges facing the Muslims in their present time, among which the most important are: the problems with the arrogant international powers, the problems with the western culture, and what it has excreted of negative changes in the minds of the Muslims.

Thereafter he addresses the second pillar, the oration, where he mentions three factors aiding to the success of the oration: the personality of the orator and his popularity in the general public, and the subject of the oration which must be sufficient and fit the audience, and the skills of the orator when delivering the oration and when choosing the words.



He ends the article by discussing Dr. Shaykh Ahmad al-Waeili as he was one of the most prominent orators and rhetoricians in the Husayni field. The writer also addresses the distinctive features of his speeches, such as the epistemological variety, courage, honesty, and the effect they had on people.

## سؤال المتلقي وأثره في تطوير المنبر الحسيني

د. الشيخ أسعد التميمي

استهل الكاتب مقاله بتمهيد أشار فيه إلى أهمية المنبر الحسيني بصفته مكوّناً لمنظومة معرفية واجتماعية وثقافية ترتبط بعاشوراء.

وفي مدخل المقال الذي تلا التمهيد ذكر أن هناك مثلثاً منظومياً يتحكّم في حركة المنبر الحسيني، يتمثل في: (الخطيب، والإدارة، والجمهير)، وأنّ وعي الجماهير يمثل عصب الحياة للمنبر الحسيني، ولهذا الوعي مفردات كثيرة، من أهمّها التفاعل مع الخطيب من خلال إلقاء أسئلة تخصّ الموضوعات المطروحة.

ثمّ قام بتقسيم المقال إلى مبحثين، الأوّل: في السؤال (الماهية والأثر)، والثاني: في المتلقي (المعنى والوظيفة). تناول المبحث الأوّل السؤال في اللغة وفي الاستعمال القرآني والحديثي، لينتقل إلى البنى التحتية للسؤال القرآني القائمة على دعامتين مهمّتين، هما: الدعامة البنيوية التي تشكّل أركان السؤال ومقتضياته، والدعامة المنهجية التي تركّز على الجانب المضموني، متطرّقاً بعد ذلك إلى سبع مميّزات للسؤال في القرآن. ثمّ تناول الكاتب بالدراسة أهمّية السؤال ووظيفته، وأثره في كلّ من: (المتلقي، والخطيب، والمستمع)، وقد توصل إلى أربعة عشر أثراً، توزّعت على هذه الثلاثة المفروضة في البحث.

وفي المبحث الثاني تعرّض لنظرية التلقي، مشيراً إلى منظومة التلقي التي تحتويها ثلاثة مفاهيم إجرائية، هي: (أفق التوقع، المسافة الجمالية، واندماج الآفاق). أما وظيفة المتلقي فقد حدّدها الكاتب في: (الإبداع، وتحديد الموضوعات)، منوهاً بأنّ لهذه الثنائية الوظيفية تأثيراً ينعكس على كلّ من: (الخطيب، الإدارة، المتلقي). وأخيراً ختم الكاتب مقاله بعشر نقاط أساسية، لخصّ فيها أهمّ نتائج البحث.

## Questions from the Audience and its Effect in Developing the Husayni Dais

*Dr. Shaykh Asad al-Tamimi*

The writer begins his article with an introduction in which he articulates the significance of the Husayni dais as the component for an epistemological, social, and cultural organization concerned with Ashura.

At the beginning of the article, after the introduction he mentions that there exists a triangular association that controls the Husayni dais, represented by the speaker, the organizers, and the audience. The awareness of the audience represents the blood vein for the Husayni dais. This awareness has different materializations, among which the most important one is the interaction with the speaker by asking questions related to the presented subjects.

The writer thereafter divides the article into two parts. The first part is related to the essence and effects of a question, and the second part is related to the meaning and duty of the recipient.

In the first part, he addresses the meaning of “question” linguistically, and its terminological meaning in the Holy Quran and the narrations. He then moves on to the structure of the questions in the Holy Quran, which relies upon two important pillars, the main pillar, which consists of the elements of the questions and its necessities, and the methodological pillar, which focusses on the content. The writer then mentions seven characteristics of questions in the Holy Quran and the importance of questions and their duty and their influence on the audience, asking the question, the speaker, and the rest of the audience listening to the question. He reaches 14 effects spread over this triangular association theorized in this research.

In the second part, he addresses the theory of receiving, elaborating the system of receiving which consists of three procedural understandings mentioned in the article.

In the end, the writer concludes his article into 10 points, where he summarizes the most important results of the research.



## الخطيب الحسيني

### محاولة استكشافية في المنطلقات والخصائص

أ. م. د. خالد حوير الشمس

يهتمّ البحث باستكشاف بعض الأمور التي تخصّ الخطيب الحسيني الذي أخذ على عاتقه انتشال الإنسان من مسالك الظلام ومنحدرات الضياع، انطلاقاً من هدي الثورة الحسينية، ولكي يتحقّق هذا الهدف لا بدّ من وجود منطلقات ينطلق منها الخطيب، وخصائص تتضافر مع تلك المنطلقات.

قسّم الكاتب المقال إلى ثلاثة محاور، استعرض في المحور الأوّل تعريف الخطابة، وتاريخها، وأنواعها.

ثمّ تطرّق في المحور الثاني إلى المنطلقات التي ينبغي أن ينطلق منها الخطيب، وهي: هداية الناس، وبناء ذواتهم، ومعالجة الانحطاط الاجتماعي، وعصرنة الإمام الحسين عليه السلام، وفكرة العالمية التي يُنادي بها الخطيب، والتجديد في الفكر الحسيني، والنقد السياسي، والحفاظ على الهوية الشيعية، ومكافحة تيارات الإلحاد، وغير ذلك.

بعد ذلك تناول في المحور الثالث خصائص الخطيب، فذكر مجموعة من الصفات التي ينبغي له أن يتحلّى بها، منها: الأخلاق العالية، ومراعاة الآخر المختلف معه عقدياً، والتعاون مع المتلقّي، وحفظ ماء وجهه، وأتباع طريقة الإقناع. كما ذكر بعض الصفات التي يجب على الخطيب أن يتجنبها، منها: الارتكاز على الروايات الضعيفة، وبساطة التفكير، وعدم تناسق أجزاء الخطبة، وسيادة اللحن.

ثمّ ختم المقال ببعض النتائج والتوصيات التي تصبّ في مجال تطوير الخطابة والخطيب الحسيني.

## **The Husayni Orator**

### **- A Discovering Attempt on the Premises and Qualities**

*Dr. Khaled Haweer al-Shams*

The research is concerned with the discovery of some subjects related to the Husayni orator, who made it his or her responsibility to save man from the dark paths or the cliffs of deviation, relying on the guidance of the Husayni revolution. To achieve this goal, the orator must engage from some premises and qualities which work with such premises.

The writer divides the article into three parts. In the first part, he presents the definition of orating (Khitabah), its history, and its different types.

In the next part he addresses the premises which the orator should engage from, such as; the guidance of people, the building of their self, treating the social degeneration, modernizing the cause of Imam al-Husayn (PBUH), and the idea of internationalization called upon by orators, the new approach in the thoughts concerning Imam al-Husayn (PBUH), political critique, preserving the Shiite identity, and countering the atheist movements etc.

After that, the writer discusses the qualities of the orator in the third part of the article where he mentions a group of characteristics the orator must possess. Such as; high ethics, respecting those he disagrees with theologically, cooperating with the recipients and the preservation of his repute, and following the method of convincing. The writer also mentions some characteristics which must be avoided, as relying upon weak narrations, simplemindedness, disorganized speeches, etc.

He then concludes the article with a presentation of the results reached in addition to some suggestions regarding the development of the rhetoric and the Husayni orator.



## نظرة عامة حول المنبر الحسيني والقائمين عليه

م. د. فاطمة السلامي

اعتبرت الكاتبة في مقدّمة بحثها مفهوم (المنبر الحسيني) من أقدس المفاهيم وأجملها عند المؤمنين، مشيرة إلى مراحل تطوّره، ومنوّهة بالأجواء الخاصّة التي ينبغي أن يحاط بها من قبل الخطيب، والحضور، والجهة المنظّمة للمجلس؛ لكي يؤتي ثماره. ثمّ قسّمت بحثها إلى ثلاثة مباحث، تناولت في المبحث الأوّل مفهوم المنبر بشكل عام، مؤكّدة اكتساب (المنبر الحسيني) قدسية خاصّة، مما يتطلّب من الخطيب أن يعي هذه القداسة، ويمنحها حقّها.

وتناولت في المبحث الثاني تطوّر المنبر الحسيني تاريخياً إلى عصرنا الحاضر، مسلطة الضوء على قضية (المأتم الحسيني)، حيث يقوم الخطيب باستذكار فاجعة الطف بصوت شجي، ثمّ التطوّر الذي طرأ على فكرة (المأتم) لتحلّ محلّها تسمية (المجلس الحسيني)، ثمّ ظهور فكرة (الحسينية).

وقد أكّدت أنّ الحسينيات لم تلقَ في العراق الانتشار ذاته في إيران؛ نتيجة للتضييق السياسي الذي مارسته الحكومات الظالمة حتّى سقوط النظام البائد، فانتشرت الحسينيات، وتصدّت العتبات المقدّسة لخدمة المنبر الحسيني، وتطوير الوعي الفكري والثقافي.

أما المبحث الثالث، فكان في ركائز المنبر الحسيني، وهي: خطيب المنبر، والجهة المنظّمة للمجلس الحسيني، والحضور، فاستعرضت أولاً: خصائص الشخص المنبري، وخصائص الجهة المنظّمة للمجلس الحسيني ثانياً، وخصائص الحضور ثالثاً. وفي الخاتمة بيّنت وجهة نظرها فيما نحتاج إليه اليوم في المجالس الحسينية، من خلال تقديم مجموعة من الخصائص التي ينبغي لكلّ ركيزة من ركائز المجلس الحسيني أن تتحلّى بها.

## A General View on the Husayni Dais and its Administrators

*Dr. Fatima al-Salami*

In the prelude of her research, the writer considers the understanding of the Husayni dais to be among the most sanctified and beautiful understandings by the believers, addressing its phases of evolving, where she mentions the guidance and counseling and all the Imams (PBUT). She also emphasizes the special circumstances that should surround the dais by the speaker, the audience, and the organizers, in order to harvest its full potential.

Then she divides her article into three parts, where she briefly elaborates the understanding of the dais, stressing upon the Husayni dais having achieved special sanctity among the other daises, which calls on the speaker to be aware of this sanctity and treat it accordingly.

In the second part, she addresses the development of the Husayni dais through history and until our present era, while focusing on Husayni commemoration ceremonies, where the orator recalls the tragedy of al-Taff in a sad voice. Then follows the evolving of the idea of memorial gatherings, which later became present-day Husayni commemoration ceremonies and the appearance of the idea of Husayniyyas.

The writer emphasizes that Husayniyyas did not spread in Iraq, as widely as they did in Iran, due to the political harassment by the oppressing governments, until the fall of the past regime, where Husayniyyas began to spread, and the Holy Shrines embarked upon themselves the service of the dais and the development of the intellectual and cultural awareness.

The third part of the article is regarding the pillars of the Husayni dais, the speaker, the organizers of the Husayni commemoration ceremonies, and the audience. She begins with a presentation of the qualities of the speaker, then the organizers, and the audience.

In the end, she presents her opinion on what we need today in the Husayni commemoration ceremonies, by presenting a series of characteristics each of the pillars of the Husayni commemoration ceremonies should possess.





## مزايا الخطابة الحسينية في ضوء خطبة السيِّدة زينب عليها السلام

م. م. حسن جميل الربيعي

يتطرق الكاتب في هذا المقال إلى جملة من المزايا المستوحاة من خطبة السيِّدة زينب عليها السلام في الكوفة، ويُشدد على ضرورة توظيفها من قبل الخطباء في المنبر. وقد ابتدأ حديثه بتمهيد، بيّن فيه - تحت عنوان: خصائص النهضة الحسينية - أنّ هذه النهضة أرادت إرجاع الرّوح للإسلام بعدما عمل معاوية وبنو أمية على إرجاع النّاس إلى جاهليّتهم. ثمّ تطرّق - بعد ذلك - إلى دور أهل البيت عليهم السلام في بقاء النهضة الحسينية، الذي تمثّل بالحثّ على زيارة سيّد الشهداء عليه السلام، وإقامة مجالس العزاء والبكاء والجزع عليه. وآخر ما جاء في التمهيد هو تسليط الضوء على أنّ الخطابة الحسينية هي من أهمّ الجوانب الإعلامية المستعملة لإحياء الثورة الحسينية.

وبالعودة إلى صلب الحديث في هذا المقال فإنّ الكاتب ذكر خطبة السيِّدة زينب عليها السلام في الكوفة بتامها، مبيناً المعاني اللّغوية لجملة وافرة من المفردات التي جاءت فيها، ومستعرضاً - بعد ذلك - جملة من النقاط التي امتازت بها هذه الخطبة، ومشدداً في كلّ نقطة على ضرورة توظيفها في الخطابة الحسينية، ومبيناً ما يجنيه الخطيب من ثمار مهمّة من وراء ذلك، وقد كانت هذه النقاط عبارة عن: القوّة الخطابية لعقيلة بني هاشم عليهم السلام، الأسلوب الخطابي المثالي، الحضور القرآني الكبير في خطبتها، تسليطها الضوء على منزلة أهل البيت عليهم السلام، تعدّد الألفاظ والصياغات والتراكيب وتنوّعها مع فصاحتها وكونها على وفق لسان العرب، الفنون البلاغية العالية والمتنوّعة في أرجاء الخطبة، مع ذكر جملة من المقاطع الواردة في الخطبة والمتوفّرة على واحد من هذه الفنون البلاغية.

## Advantages of the Husayni Speeches in the Light of the Speech of Lady Zaynab (PBUH)

*Hasan Jamil al-Rubay'ie*

The writer addresses a series of advantages inspired by the speech of lady Zaynab (PBUH) in Kufa. The writer emphasizes the necessity of employing these advantages by the speakers on the dais. He begins his article with a preface where he mentions that this uprising sought to return the soul to Islam after Muawiya and the tribe of Umayya worked on returning people to their ignorance. Then he addresses the role of the Household (PBUT) in preserving the Husayni uprising, witnessed in their emphasizing on visiting the tomb of the Master of the Martyrs (PBUH), conducting lamentation ceremonies, and weeping over him. At the end of the preface, he sheds light upon the fact that Husayni speeches are among the most important media instruments used to revive the Husayni uprising.

The writer also mentions the entirety of the speech of lady Zaynab (PBUH) in Kufa, where he articulates the linguistic meanings of a wide series of terms in it. Afterward, he presents a series of remarkable factors in this speech, stressing the importance of employing these factors in Husayni speeches and elaborating the significant benefits reaped by the speeches. These factors were; the strength of the speech of the Lady of Bani Hashim (PBUH), the perfect method of delivering a speech, the wide presence of the Holy Quran in her speech, her emphasizing on the status of the Household (PBUT), the series of pronunciations, formulations, and terms and their variety with their fluency and accordance to the Arabic tongue, and the high and various skills of eloquence throughout the speech. The writer also mentions a series of available phrases from the speech containing one of these skills of eloquence.

## دور أهل البصرة في النهضة الحسينية

أ. د. جواد كاظم النصرالله

هناك حلقات تاريخية مبعثرة تحيط بالنهضة الحسينية، وإحدى هذه الحلقات هي أدوار الشيعة والمحبين لأهل البيت عليهم السلام في نهضة سيد الشهداء عليه السلام، وكتب هذا المقال ركز على مدينة لها تاريخها وهي البصرة، فكان المقال عبارة عن تساؤلات أثيرت من قبل الباحث واستنطق التاريخ في إجابتها.

بدأ الباحث بسؤال أساسي، وهو: لماذا كاتب الإمام عليه السلام أهل البصرة دون المدن الأخرى؟

فقد أجاب عن ذلك بذكر مجموعة من المبررات.

أمّا الأسئلة الأخرى، فكانت متفرّعة على الأوّل، وهي:

١- من هو رسول الإمام عليه السلام؟

٢- من هم الذين كاتبهم الإمام عليه السلام؟

٣- ما الذي كان يريده الإمام عليه السلام؟

٤- ما هي ردود أفعالهم؟

وأخيراً ختم البحث بقراءة رقمية لشهداء البصرة في الطف، الذين وصل

عددهم إلى تسعة شهداء.

## The Role of the People of Basra in the Uprising of Imam al-Husayn (PBUH)

*Dr. Jawad Kadhem al-Nasr Allah*

There exist some dispersed historical chapters in the uprising of Imam al-Husayn (PBUH). Of these chapters is the role of the Shiites and lovers of the Household (PBUT) in the uprising of the Master of the Martyrs (PBUH). The writer of this article chooses to focus on the historical city of Basra, presenting an article in which he raises some questions seeking answers from history.

The researcher began with the basic question: Why did the Imam (PBUH) correspond with the people of Basra and not other cities? He answers this question by mentioning a series of justifications.

The other questions in the article were related to the first question:

1. Who was the messenger of the Imam (PBUH)?
2. Who were the people whom the Imam (PBUH) corresponded with?
3. What did the Imam (PBUH) want?
4. What was the reaction of the people?

In the end, the article counts the martyrs of Basra who joined Imam al-Husayn (PBUH) and fell at al-Taff. The number of martyrs from Basra reaches nine martyrs.



العدد السابع والعشرون - السنة السابعة - ١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م

## سفراء الإمام الحسين عليه السلام

الشيخ عبد الرزاق النداوي

يتناول المقال خمسة من سفراء الإمام الحسين عليه السلام، وهم: مسلم بن عقيل عليه السلام، وقيس بن مسهر الصيداوي، وعبد الله بن يقطر، وسليمان بن رزين، وحبيب بن مظاهر الأسدي.

بدايةً ذكر الكاتب أهمّية هؤلاء السفراء، التي يدلّ عليها عدّة أمور، منها: اختيار الإمام الحسين عليه السلام لهم، وتصريحه بوثاقة بعضهم، وخطورة المهام التي أوكلت إليهم. ثمّ تحدّث عن شخصية مسلم بن عقيل عليه السلام، وإرساله إلى أهل الكوفة، وحقيقة المهام التي أنيطت به، وأسباب تراجع حركة الثوّار ومصيرهم. كما تطرّق إلى الحوار الذي دار بينه وبين عبيد الله بن زياد؛ ليكتشف من خلاله ما يمتلكه مسلم عليه السلام، من الشجاعة والثبات، والبصيرة والعلم، والفضل والوعي.

بعد ذلك تطرّق إلى بقيّة سفراء الإمام الحسين عليه السلام، فأورد نصّ الكتاب التي بعثه عليه السلام بيد سليمان بن رزين إلى أهل البصرة، وما واجهه من ردود أفعال متباينة. ثمّ ذكر عبد الله بن يقطر، ومكانته عند أهل البيت عليهم السلام. وأنّ الإمام عليه السلام بعثه إلى مسلم بن عقيل عليه السلام، فألقي القبض عليه، وأخذ إلى عبيد الله بن زياد، فأمر بقتله. وتطرّق بعده إلى قيس بن مسهر الصيداوي، وذكر أنّه النموذج الذي يرغب أهل البيت عليهم السلام بوجوده بين شيعتهم، وأنّه قام بمهمّات جليله، منها: حمل جملة من كتب الكوفيين وإيصالها إلى الإمام الحسين عليه السلام، ثمّ عودته إلى الكوفة برفقة مسلم بن عقيل عليه السلام؛ ليقوم بخدمته.

ثمّ ختم الكاتب مقاله بذكر حبيب بن مظاهر الأسدي، الذي بعثه الإمام عليه السلام إلى حيّ من بني أسد، يسكنون بالقرب من أرض المعركة؛ ليدعوهم إلى نصرته.

## The Ambassadors of Imam al-Husayn (PBUH)

*Shaykh Abdul Razzaq al-Nadawi*

The article addresses five of Imam al-Husayn's (PBUH) ambassadors: Muslim Bin Aqil (PBUH), Qays Bin Meshar al-Saydawi, Abdullah Bin Yaqter, Sulayman Bin Razeen, and Habib Bin Mudhafer al-Asadi.

In the beginning, the writer mentions the significance of these ambassadors, which several factors highlights: the fact that they were chosen by Imam al-Husayn (PBUH) himself, and that he publicly announced his trust in some of them, and the level of the danger their appointed tasks contained.

He then addresses the personality of Muslim Bin Aqeel (PBUH), his travel to the Kufans, and reality of his appointed task, and the reason behind the rebellion's retreat and their destiny. The writer also mentions Muslim Bin Aqil's debate with Ubaydillah Bin Ziyad, where the latter discovered what Muslim possessed of bravery, firmness, foresight, knowledge, grace, and awareness.

After that, he addresses the rest of the ambassadors. He presents the exact script of the letter Imam al-Husayn (PBUH) sent with Sulayman Bin Razeen to the people of Basra, and what he witnessed of contradicting responses.

Then follows a presentation of Abdullah Bin Yaqter and his status with the Household (PBUT), and that the Imam (PBUH) sent him to Muslim Bin Aqeel (PBUH), where he was arrested and taken to Ubaydillah Bin Ziyad who ordered them to execute him.

Qays Bin Meshar al-Saydawi follows, where the writer mentions that he represents the perfect sample of a believer that the Household (PBUT) are found of seeing among their Shiites and that he conducted noble tasks. Such as: bringing some of the letters from the Kufans to Imam al-Husayn (PBUH) then returning

to Kufa accompanying Muslim Bin Aqeel (PBUH) to serve him.

The writer then ends his article by mentioning Habib Bin Mudhaher al-Asadi, whom the Imam sent to a district of the tribe of Asad, who resided close the location of the battlefield, inviting them to support him.



لَمَّا أَخْرَجْتِ لِطَلْبِ الْإِضْلَاحِ فِي أُمَّتِكَ

الْإِضْلَاحُ الْحُسَيْنِيُّ

مَجَلَّةٌ فَضِيلِيَّةٌ عَلَوِيَّةٌ تُعْنَى بِالنَّهْضَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ وَأَفَاتِهَا الْفِكْرِيَّةِ